الأوائل

خارقية الإنسان
الباراسيكولوجي
من المنظور العلمي



د. صلاح الجابري

تنويهٌ هامٌّ

من أجل تواصُل أكثر مع السَّادة القُرَّاء ، فقد خَصَّصْنَا آخر (24) صفحة من هذا الكتاب لمنشورات الدَّار ؛ حيثُ يجد السَّادة القُرَّاء قائمة بمنشورات الدَّار ، ولمحة إلى كُلِّ كتاب أصدرتْهُ الدَّار .

هذه القائمة تُعطي انطباعاً عاماًّ عمَّا تنشُرُهُ الدَّار من آراء ، كما تُعطي لمحةً عامَّةً إلى الخطِّ الذي تنتهجُه الدَّار ، وهذا ـ بلا شَكٍّ ـ سيجعل التَّواصُل أسرع وأقرب وأصدق.

فنرجُو من السَّادة القُرَّاء قراءة هذه الصَّفحات بتأنٍّ وتدبُّر ، ونرجُو مُراسلتنا بمُلاحظاتكُم واستفساراتكُم عن الكُتُب التي تنشُرُها دارُ الأوائل .

الفهرس

الإهداء

إلى أبي في عالمه الآخر...

إلى وطني الذي أَودعتْهُ أبي ، فما رعى وديعتي...

إلى أبناء جلدتي الذين أَمَّنتُهُم أبي

فخانوا أمانتي...

إلى حسراتك يا أبي

إلى بيتك المُهدَّم... وقبرك الغريب

كلُّ آهاتي...

مُقَدِّمَة

مُنذُ القرن السّابع عشر وحتّى بدايات القرن العشرين فَقَدَ العلـم شفافيَّته، وراح ينأى مُبتعداً عن كُلِّ همسة رُوحيَّة أو لمسة شاعريَّة للكون، والتصق أكثر فأكثر بأقسى جوانـب الطّبيعـة صلابـة، وبأكثر قوى العقل البشري بُعْداً عن المواهب الحَدْسيَّة النّافذة إلى صميم الأشياء. راح يُشيِّئ ويُجزّأ ويفصل بحركـة ميكانيكيَّة ثقيلـة مُباينـة لرهافـة الحسِّ الرُّوحـي للإنسـان. وطغـى أُسلُوب التّمثيل والمُحاكاة الجامدة، فتمثَّل كوناً لا رُوح فيه ولا شاعريَّة، كونـاً ميّتـاً، مُكتفيـاً بمادَّتـه العميـاء وطاقتـه الأبديَّة المُقفلة، مُوصداً غير قابل للنّفاذ، لا يتفـاعل مـع أيِّ شـيء خارجـه، ولا يخـرج منـه شـيء، وحدة صلبة مُتماسكة لا يُمكن اختراقها، إنَّها عين العماء والبلادة والسُّكُون. كوناً لا يحمل التّطوُّر فيه عناصر الخلق والإبداع، وهُو ليس سـوى حركـة داخليَّـة مُغلقـة داخـل البِنى الأوَّليَّـة (النّيوتنيَّـة) للمادَّة. تلك العمليَّة التّطوُّريَّة عمليَّة مُغلقة لا تنطوي على فعل خلاَّق أو إبداعي. فتطوُّر الكون عمل تاريخي لم يحتفظ بفعل قصدي خلاَّق، إنَّه نتيجة ميكانيكيَّة لتغيُّرات تراكُميَّـة في البنـى الأساسيَّة. ذلك هُو الكون الدّيكارتي الذي دشَّنت أُسسه الأُولى كُشُوفات كبلر وكُوبرنيك وغاليلُو.

كان لتلـك الرُّؤيـة نتـائج فلسـفيَّة وخيمـة علـى الإنسـانيَّة؛ لأنَّـها جمَّـدت عواطـف الإنسـان، وأغلقت منافذه الرُّوحيَّة بجُذُرٍ صلبة، فأفقدته طابعه الإنساني الحقيقي، فكان ـ لذلـك ـ انعكاسـات نَفْسيَّة سلُوكيَّة، نما في إطارها الدّافع العُدواني المدفوع بمُيُول حُبِّ الذّات المُوجَّهة باقتصادات السُّـوق وحُبِّ الثّراء السّريع على حسـاب القيَـم الرُّوحيَّـة التـي بـدأت تـتراجع مكانتـها في نَفْسـيَّة الإنسـانيَّة، وحلَّـت محلَّـها قيَـم اللّيبراليَّـة، التـي تفتقـر إلـى أيِّ أُسلُوب أو آليَّـات لمُعالجـة الانحـراف الإنسـاني وإيقاف قتل الإنسان لأخيه. ولو قسنا عدد ما يُقتل من البشر في عصر العلم الحديـث وحتّـى اليوم، بما كان يُقتل في عُصُور ما قبل العلم الحديث لربا عصرنا الحديث أضعاف المرَّات علـى عُصُـور مـا قبـل العلم. وهذا يدلُّ على أنَّ العلم الذي قدَّم خدماته العظيمة للإنسانيَّة، ومنها تطوُّر التّقنيَّة العسـكريَّة يفتقر، بل يفشل في إيجاد (تقنيَّـة) أخلاقيَّـة تحـدُّ مـن عمليَّـة القتـل، أو تمنـع دوافعـه لـدى الإنسـان؛ وذلك يعود إلـى تلـك الرُّؤيـة العلميَّـة المادِّيَّـة التـي استبعدت مـن بنيتـها الشّفافيَّة الرُّوحيَّـة للإنسـان

والأبعاد الميتافيزيقيَّة للكون، وفضلاً عن ذلك؛ حاربت تلك الرُّؤية المادِّيَّة الدِّينَ بقسوة وعناد، ومازالت تطبع أغلب نَفْسيَّات الأمم الغربيَّة، وقد انتقلت إلى عدد كبير من مُثقَّفي العالم الإسلامي.

ولكنَّ تلك الصُّورة الكونيَّة سُرعان ما اهتزَّت وانحلَّت بناها الأساسيَّة إلى تجريدات، لم تلبث أنْ تحوَّلت إلى احتمالات مكتوبة على ألواح عُلماء الرّياضيَّات. وعادت الصُّورة الكُلِّيَّة للكون التي يشغل فيها الوعي موضعاً مُهمّاً، ويظهر فيها الكون بمظهرَيْن: واقع ظاهري مادِّي، وآخر داخلي (وهُو الوعي)، مع توافق ذاتي بين الجانبَيْن. يقول بُوم: إنَّ النّظام الباطن (الواقع الدّاخلي) حين يتكشَّف لكي يتجلَّى واقع النّظام الظّاهر فإنَّ نماذج «إبداعيَّة» جديدة تنزع إلى الانبثاق.[1]

في النّظريَّة النّسبيَّة تُصبح صُورة الكون مجالاً لا انقسام فيه، والأشياء (مثل الذّرَّات والنُّجُوم) مُجرَّد خصائص لهذا المجال وتركُّزات أو تكثُّفات موضعيَّة فيه، مثل دوَّامات على سطح ماء. كلٌّ منها يتألَّف من حركة دوَّاميَّة.

وأعادت فيزياء الكمِّ الوحدة إلى نظام الكون، فهي لا تتعامل مع أشياء، بل مع حوادث أو مجامع من الأحداث، يتدخَّل الوعي في فعاليَّتها الفيزيائيَّة. يقول بُوم: ينبغي أنْ يُفهم الكون كُلُّه (بكُلِّ جُسيماته، بما فيها تلك التي تتشكَّل منها الكائنات البشريَّة، ومخابرها، وأدوات رصدها، إلخ) بوصفه كُلاً واحداً لا انقسام فيه، ولا يحظى فيه التّحليل إلى أجزاء تُوجد على نحو مُنفصل ومُستقلٍّ بأيَّة مكانة هامَّة.[2]

ساعدت الصُّورة الجديدة للكون التي رسمها العلم المُعاصر على طرح العديد من الموضوعات التي كانت مرفوضة من منظور عقيدة العلم الكلاسيكي وكونه الميكانيكي، مثل ظاهرة الوعي أو العقل وقواه وقُدراته المُختلفة. وظهر البحث العلمي في مجال المواهب الخارقة في ما أُطلق عليه الباراسيكُولُوجي، أو مجال ساي PSI. وعادت الخبرة الصُّوفيَّة تحتلُّ موقعها المُنسجم مع جوانب مُحدَّثة من العلم المُعاصر؛ سواء من النّاحية الفلسفيَّة في عودة الوحدة الكونيَّة والمضمون الباطني للعالم وانشباكه مع الوعي الكُلِّي في وحدة لا تنفصم، أو من النّاحية التّجريبيَّة، كما تمثَّل في استخدام الطّريقة العلميَّة التّجريبيَّة في التَّحقُّق من ظواهر الخبرة الصُّوفيَّة. ويطرح بحثنا الحالي هذَيْن الجانبَيْن، ويُحاول أنْ يُقدِّم مُعطيات علميَّة تجريبيَّة، ورُؤية فلسفيَّة تُعيد للكون بُعْده الشّاعري،

---

(1) ألان كُومبس، ومارك هُولند، التَّزامُن، العلم والأُسطُورة والأُلعبان، ترجمة: ثائر ديب، دار مكتبة إيزيس، دمشق، ط1، 2000، ص65.

(2) المصدر نفسه، ص65.

ومضمونه الحَدْسي. والأهم من ذلك أنَّه يُبيِّن لنا انسجام هذا البُعْد الشّاعري والحَدْسي مع الرُّؤية العلميَّة بأحدث صُورها وأدقِّها.

إنَّ الكون الموصوف عن طريق ساي والفيزياء الحديثة يختلف كثيراً عن وصف ما قبل ساي وما قبل نظريَّة الكمِّ والنّظريَّة النّسبيَّة. فقد ذهب الدُّكتُور شاري T. K. ChariC. إلى أنَّ دلالات نظريَّة الكمِّ والباراسيكُولُوجي، تقودنا إلى دراسات أكثر توسُّعاً، مثل افتراض مفهوم المعلومات البيُولُوجيَّة، وبضمنها مفهوم مجال ساي، الذي يتجاوز حُدُود المجالات البيُولُوجيَّة الأُخرى. وكما أوضحت بعض الدّراسات في حقل ساي وميكانيكا الكمِّ، فإنَّ العقل يُشَكِّل أساس المادَّة، وأنَّ الكون لم يعد فراغاً مسكوناً بكميَّة مُتناهية الصّغر من الطّاقة والمادَّة، وإنَّما يتَّخذ شكل كثرة من الأحداث الكُلِّيَّة المُترابطة بين الجُسيمات، وكُلُّ جُسيم وحَدَث موجودان ـ فقط ـ في اللّحظة التي يُلاحَظان فيها وهُما مُستقلَّان ـ زمنياً ومكانياً ـ عن موقع المُلاحظين الذين تتناظر عُقُولهم في وحدة فرديَّة، وربَّما هُناك عقل واحد تكون عُقُول المُلاحظين هذه واجهات له، وهذا العقل يُفسِّر وُجُود الأحداث المادِّيَّة قبل مُلاحظة العُقُول البشريَّة لها. إذنْ؛ أساس العلاقة الكونيَّة هي علاقة رُوحيَّة.

علم السّاي من العُلُوم الجديدة التي ظهرت حديثاً على السّاحة العلميَّة، والاسم الشّائع لهذا الحقل هُو الباراسيكُولُوجي، ويُسمِّيه بعضهم السّيكُوترُونيك، والقُوَّة الأساسيَّة التي يفترض أنَّها تُسبِّب ظواهره تُسمَّى قُوَّة ساي Psi.

تظهر قُوَّة ساي بأشكال مُتعدِّدة، ففي بعض الأحيان؛ تتَّخذ شكل قُوَّة إدراكيَّة ـ تخاطُر، جلاء بصري(استشفاف)، تنبُّؤ بالمُستقبل ـ وأحياناً؛ تتَّخذ شكل التّأثير على الأشياء المادِّيَّة بكُلِّ أشكالها. والقُوَّة الإدراكيَّة لـساي هي نوع من الاتِّصال بين الأحياء على شكل تخاطُر، أو بين الأحياء والبيئة على شكل استشفاف (جلاء بصري)، وقد يأتي التَّخاطُر والجلاء البصري على شكل تنبُّؤ بالأحداث قبل وُقُوعها.

وفضلاً عن ذلك، فهُناك دلالات مُناسبة على أنَّ لـساي مجالاً معلوماتيّاً يتجاوز المجالات المعلوماتيَّة الحيويَّة المألوفة. في هذا المجال تتفاعل الذّوات البشريَّة بوساطة موجاتها المُحايثة، والمُمتدَّة بعيداً، والمُتداخلة مع المجالات الفيزيائيَّة الأُخرى. وغالباً ما يتمُّ تشبيهها بموجات الماء الدّائريَّة في البحر عندما ترمي فيه أحجاراً، تتَّسع هذه الموجات تدريجيّاً، حتَّى تختلط بالموجات الأُخرى التي أحدثها الحجر الآخر في البحر، فتتداخل معها، وهذا هُو شكل الكون الذي يرسمه الباراسيكُولُوجي والفيزياء الحديثة، إنَّه ملاء من أحداث مُترابطة على مُستوى عميق جداً. ولكنَّ

موجات ساي مُتميِّزة عن الموجات الفيزيائيَّة الأُخرى في الوقت نَفسه ؛ لأنَّها تتحكَّم فيها شُرُوط خاصَّة مُختلفة عن شُرُوط الموجات الفيزيائيَّة .

وفضلاً عن كون هذا المجال يتفاعل مع المجالات الفيزيائيَّة والبيُولُوجيَّة الأُخرى ، فإنَّ جميع الكائنات الحيَّة تتفاعل مع بعضها على مُستوى دقيق جداً ؛ هُو مُستوى مجال ساي . وهُناك دلالات لا بأس بها على أنَّ هذا المجال غير قابل للاستنفاد ، ولذلك ؛ فهُو يُمكن أنْ يبقى بعد انهيار النّظام العُضوي (الكائن الحي) . وهذا الأمر ذُو دلالة بالغة على أنَّ التّفاعل لا يقتصر على الأحياء ، بل يشمل الموتى أيضاً ، أي أنَّ قُوَّة ساي وسيلة اتِّصال تربط الكائنات الحيَّة مع بعضها ، وتربط الكائنات الحيَّة مع الكائنات الميِّتة أيضاً ، ولكنَّ قُوَّة ساي تشترط الكائن الحي لتعمل من خلاله ، فهي غير مُحايثة للجمادات ، إذْ تعمل دوماً من خلال نظام بيُولُوجي . فلو افترضنا أنَّ كُلَّ أشكال الحياة تزول من على الأرض ، فإنَّنا لا نستطيع أنْ نتصوَّر توقُّف عمل الجاذبيَّة والقوانين الطَّبيعيَّة الأُخرى ، ولكنَّنا نستطيع افتراض توقُّف عمل قُوَّة ساي ؛ لأنَّها تشترط وُجُود الكائنات الحيَّة لكي تعمل من خلالها . وهي تظهر لنا ونعرفها من خلال تأثيرها الواضح ؛ سواء التّلقائي أو المحسوب إحصائياً .

إنَّ فوائد هذه القُوَّة أكبر من أنْ تُحصى . فقد تُساهم قُوَّة ساي في تطوُّر الكائنات الحيَّة ، كما افترض العالم البريطاني « السّير هاردي » بأنَّ السُّلُوك الجَمْعي لبعض الكائنات الحيَّة يتمُّ تنظيمه تخاطُرياً فيما بينهم ، وأنَّ الانتقال إلى سُلُوك جديد أمر يتمُّ توجيهه عن طريق قُوَّة ساي في هذه الكائنات ، كما هُو الحال عندما تقوم (الهايدرا) بابتلاع كائن مرجاني من أجل الحُصُول على كبسولاته اللاَّدغة ، لتستخدمها قُوَّة دفاعيَّة ضدَّ الأعداء ، وكذلك عندما تتمكَّن العصافير من رفع أغطية قناني الحليب لتحصل على الحليب . وهذا السُّلُوك قد يُصبح وراثياً بعد ذلك ، ويظهر في الأجيال اللاَّحقة بسُهُولة أكبر كما اعتقد مكدُوجال ، ولكنْ ؛ هُناك دلالات واضحة على أنَّ مجال ساي هُو المسؤول عن انتقال سُلُوك التّعلُّم هذا إلى الكائنات الأُخرى ، كما أشارت إلى ذلك بعض تجارب مكدُوجال نَفْسه[3] . ولعله كان المجال الكُلِّي عينه الذي افترضه في أوائل القرن العشرين هانز دريش و هنري برجسُون ، ومُؤخَّراً رُوبرت شلدريك ، ذلك المجال الذي يحكم تطوُّر العُضويَّة الحيَّة ، ويُعيِّن اتِّجاه ذلك التّطوُّر .

وقد تكون قُوَّة ساي مَلَكة تتطوَّر لكي تُصبح أكثر وُضُوحاً في الكائنات المُتقدِّمة مثل الإنسان ، ولذلك فهي تحتاج إلى المِران والتّدريب المُستمرِّ ، لكي يتمَّ إطلاقها وتطويرها ، ثُمَّ السّيطرة عليها .

---

(3) ولسُن ، كُولن ، الإنسان وقواه الخفيَّة ، ترجمة سامي خشبة ، بيروت ، ط4 ، 1982 .

وربَّما كانت الحاجة إلى التّمرين دلالة على أنَّها مَلَكَة نَمَتْ في الكائنات الدُّنيا، وتراجعت في تطوُّرها، لتُصبح أقل فاعليَّة في الإنسان، لاحتمال أنَّه أوجَدَ وسائل حسِّيَّة أوضح وأكثر سيطرة منها. وقد يكون الشّكل الإدراكي لساي مَلَكة للبروتُوبلازم الحي كُبِتَتْ بتطوُّر الدّماغ المادِّي؛ لأنَّ الدّماغ عُضو لا يُولِّد الوعي، وإنَّما وظيفته الإرسال والتّحديد والتّوجيه، وهذه وُجهة نظر تمتدُّ إلى الوراء إلى أدبيَّات التّصوُّف الإسلامي، والشّرقي عُمُوماً، التي تذهب إلى أنَّ الجسم وشُرُوط العالم المادِّي تُشكِّل عوائق أمام تحرُّرنا المُطلق، وقد كتب الفيلسوف الألماني (عمانُوئيل كانت) يقول: لم يكن الجسد سبباً لتفكيرنا، وإنَّما هُو حالة مُقيِّدة للتّفكير، وعلى الرّغم من ضرورته لحيوانيَّتنا ووعينا الحسِّي قد يُصبح معوِّقاً لحياة رُوحيَّة نقيَّة.[4]

وينسجم مجال ساي - هُنا - مع مفهوم الحركة الجوهريَّة التي تصوَّرها صدر الدِّين الشّيرازي (979 - 1050 هـ)، لتفسير تطوُّر الوعي وظُهُور الحياة النَّفْسيَّة، فالنَّفْس في تحوُّل جوهري دائم، فهي تبدأ طبيعيَّة بَدَنيَّة، لكنَّها تنتهي في صُعُودها الجوهري إلى مرتبة العقل البسيط[5]. ويُمكن أنْ نُوسِّع الفكرة ونفترض أنَّ العالم المادِّي يتحرَّك وُفق هذه القُوَّة الجوهريَّة نحو لا مادِّيَّته، أو كما يصفه المُتصوِّفة نحو انفتاح عالم الشّهادة على عالم الغيب، بدليل تفسير الشّيرازي لظاهرة الموت بأنَّها ليس بسبب ضعف البَدَن وانحلال أعضائه؛ بل بسبب استكمال النَّفْس واستقلالها في الوُجُود[6]. وهُو - أيضاً - توسيع لمفهوم الرِّياضة الرُّوحيَّة التي يتَّبعها الإنسان الصُّوفي من أجل مرحلة الكمال الرُّوحي وبُلُوغ مُستوى الاندماج في الحضرة الإلهيَّة. وقد أطلق بيير دُو شاردان، في مُنتصف القرن العشرين، على ما يُشبه هذه الحركة الجوهريَّة اسم «الطّاقة الإشعاعيَّة»، التي أعطاها الوظيفة ذاتها التي أعطاها الشّيرازي للحركة الجوهريَّة، وهي جذب المادَّة إلى مزيد من التّعقيد والتّطوُّر. وتنتمي إلى المجال نَفْسه نظريَّة مجال التّشكُّل لـ شيلدريك، والأبعاد الباطنة للعالم عند بُوم؛ وهي أبعاد غائيَّة للوُجُود، تُوجِّه المادَّة وتمنحها شكلها النّهائي والمُتنوِّع.

وقد طوَّر الفيلسوف الفرنسي هنري برجسُون النّظريَّة التي تقول إنَّ الدّماغ عُضو ترشيح وتحديد، يرشح المعلومات، ليمنع المعلومات العديمة الفائدة، أو يكبتها، ويُبقي - فقط - تلك التي

---

(4) Nash. K.: Parapsychology, The Science of Psiology, London, 1985.

(5) آل ياسين، الدُّكتُور جعفر، الفيلسوف الشّيرازي ومكانته في تجديد الفكر الفلسفي في الإسلام، منشورات عُويدات، بيروت، باريس، ط1، 1978، ص132.

(6) المصدر نفسه، ص137.

تُناسب حاجاتنا العمليَّة الحاضرة. ويرى سيجمُوند فرُويد (1933)، أنَّ التَّخاطُر هُو الطَّريقة البدائيَّة الأصيلة التي عن طريقها يفهم الأشخاص أحدهم الآخر، والتي تَنَحَّتْ إلى الخلف خلال مسيرة النُّشُوء النّوعي، وحلَّت مكانها طريقة أفضل للاتِّصال هي طريقة الإشارات التي تُفهم بالأعضاء الحسِّيَّة. ويرى عالم الرّياضيَّات الإنجليزي إيفُور كارتُون (1982)، أنَّ القابليَّات الرُّوحيَّة تَنَحَّتْ بسبب تناقص حاجة الإنسان إليها وازدياد سيطرته الفيزيائيَّة على البيئة. وربَّما كانت قُوَّة ساي هي سبب المبدأ الإنساني الذي طوَّره عالم الفَلَك (بيرنارد كار)، والعالم الكوني (براندُون كارتر) من جامعة كمبردج، وهُو المفهوم القائل بأنَّ الكون مُلائم بصُورة مُتميِّزة لوُجُود الحياة البشريَّة على الأرض؛ أي أنَّ هُناك تنظيماً غائيّاً للكون أساسه قُوَّة ساي التي تقترب من أنْ تكون شكلاً من أشكال القُوَّة الإلهيَّة أو قَبَساً منها، إذْ لو كانت نسبة امتداد الكون أو قُوَّة الجاذبيَّة تختلف قليلاً فقط، لكانت الحياة مُستحيلة فيه. وربَّما كانت عمليَّة الخَلْق وتطوُّر الكون المادِّي - بما فيه الكائنات الحيَّة - قد أُنجزت عن طريق التّحريك النَّفْسي المُرتدّ (التّراجعي) لقُوَّة ساي. وكما سأل عالم الباراسايكُولُوجي الأميركي دُوكلاس ستُوكس (1986)، هل كان خَلْق الكون هُو الفعل النّهائي للتّحريك النَّفْسي المُرتدّ؟ ربَّما نسأل أيضاً، هل إنَّ المُلاحظ النّهائي هُو الله؟.

السُّؤال الخاطئ والسُّؤال الصّحيح:

دلَّت الخبرة الإنسانيَّة المُتراكمة، تاريخيّاً، أنَّ من الصّعب أنْ يتَّفق البشر في قناعاتهم أو تصديقاتهم، ليس هذا في الشُّؤُون الإنسانيَّة والاجتماعيَّة فحسب؛ بل تعدَّاه إلى العُلُوم الدّقيقة، لا سيما عندما يتجاوز البحث مُستوى المظهر المُباشر للأشياء إلى الأبعاد العميقة لها التي لا تنالها الوسائل الحسِّيَّة والإدراك البسيط أو ما يُسمَّى بـ(الحسّ المُشترك). ويظهر هذا الفارق بين المُستويَيْن في الفارق بين الإجابتَيْن على التّساؤلَيْن الآتِيَيْن: ما هُو الدّليل على وُجُود الجاذبيَّة؟ وما هُو الدّليل على أنَّ الإلكترون يتحرَّك بشكل قفزات مُتباعدة؟. الجواب الأوَّل مُباشر، فما عليك إلاَّ أنْ تقذف بكُرة أو جسم بمُتناول يدك حتَّى يعود إلى الأرض مُرتداً، وبمُعادلة بسيطة جداً تستطيع أنْ تحسب سُرعة ارتداده نحو الأرض. أمَّا الجواب الثّاني؛ فإنَّك لا تستطيع أنْ تُقدِّم عنه وصفاً مُباشراً، وبالقناعة ذاتها، فقد تُرشد السّائل إلى بُحُوث فيزيائيَّة مُحقَّقة ومكتوبة، ومن النّادر أنْ تقوده إلى غُرفة الاختبار لتشرح له العمليَّة بالتّفصيل، وفي ذلك كُلّه؛ أنت لا تُقدِّم إجابة مُباشرة كالإجابة الأُولى.

تحت أيِّ نوع تندرج الإجابة عن التّساؤل عن الإثباتات العلميّة للظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة؟ بالتّأكيد؛ إنَّها ليست من النّمط الأوَّل المُباشر، فهل هي من النّمط الثّاني غير المُباشر؟ وقبل أنْ أُوضِّح نوعيَّة الإجابة، أودُّ أنْ أُناقش مسألة مُهمَّة لها علاقة بالسُّؤال المطرُوح في الباراسيكُولُوجي دُون غيره من سائر حُقُول المعرفة العلميَّة. إنَّ غرابة الظّواهر المدروسة، وتهيُّب العُلماء من دراستها وتحقيقها، وبالتّحديد؛ اختلاط تلك الظّواهر، واقترانها في أذهان النّاس بالخُرافة والشّعوذة، غيَّر من بُؤرة السُّؤال، ممَّا صاغ سُؤالاً خاطئاً يتردَّد دوماً على ألسنة النّاس المُؤمنين وغير المُؤمنين بالظّواهر الخارقة. وهذا السُّؤال هُو: هل تصدِّق بالظّواهر الخارقة أو البارسيكُولُوجيَّة؟ هذا السُّؤال غير صحيح من النّاحية العلميَّة؛ لأنَّه يُغفل التّفاوت الطّبيعي أو المُصطنع بين قناعات النّاس ومُيُولهم، ممَّا يُؤدِّي إلى الخَلْط بين ردِّ الفعل الذّاتي والجانب الموضوعي المُتَّصل بحقل الدّراسة. فالمُشكلة لا تتعلَّق بالتّصديق على المُستوى الفردي، وكما قلنا؛ فإنَّ النّاس مُتفاوتون في قناعاتهم وتصديقاتهم استناداً إلى المُستوى الثّقافي، والتّخصُّص العلمي، والمُستوى الاجتماعي، وأحياناً الاتّجاه السّياسي. ونُدرك - جيِّداً - من النّاحية المنطقيَّة، أنَّه قد تكون الأدلَّة قويَّة وصحيحة، لكنَّها قد لا تُؤدِّي إلى قناعة بالنّسبة لبعض النّاس، وأحياناً تكون الأدلَّة ضعيفة أو غير صحيحة، لكنَّها تُؤدِّي إلى قناعة تامَّة لدى بعضهم الآخر. فليست المسألة الحقيقيَّة هي أنْ تُصدِّق أو لا تُصدِّق؛ بل إنَّ السُّؤال الصّحيح هُو: هل هُناك إثباتات أو بيانات في الباراسيكُولُوجي تُثبت واقعيَّة ظواهره وصحَّة موضوعاته؟.

للإجابة عن هذا السُّؤال نستطيع أنْ نُقدِّم تلك الإثباتات، التي قد تُقنعك أو لا تُقنعك. فالقناعة مسألة مُنفصلة عن الدّليل، فإذا كان للدّليل بُعْد موضوعي، فالقناعة بُعْد ذاتي ومسألة نَفْسيَّة. فربَّما تُصدِّق بالدّليل، لكنَّك لا تقتنع به. فضلاً عن أنَّ الأدلة الضّعيفة - وأحياناً - الخاطئة، قد تُقنع الكثير من النّاس، في حين لا تُقنعهم الكثير من الأدلَّة القويَّة والصّحيحة. فليس كُلُّ أذهان البشر مُتدرِّبة على الآليَّة المنطقيَّة للأدلَّة والبراهين. فهُناك الكثير من الأدلَّة العلميَّة هي من شأنْ العُلماء وحدهم، لا يشاركهم فيها عامَّة النّاس، بل لا تعني لهم الكثير، وهذا يُذكِّرنا بخُصُوصيَّة الأدلَّة الفلسفيَّة المُتعلِّقة بالفلاسفة وحدهم دُون غيرهم. ويرتبط العامَّة والكثير من المُثقَّفين غير المُتخصِّصين أو غير المُتدرِّبين على الطّريقة العلميَّة والرّياضيَّة بمُستوى أدلَّة الحياة اليوميَّة، التي يرتبط فيها عامل القناعة بمُستوى الدّليل الحسِّي من نوع الجواب عن السُّؤال الأوَّل المُتعلِّق بالجاذبيَّة، وهي أدلَّة مُباشرة ومحسوسة.

ولذلك ؛ فالموقف من إثباتات وأدلَّة الباراسيكُولُوجي يُصنَّف حسب مُستوى القناعة المُرتبط بالشُّرُوط المذكورة سابقاً. فتجد العديد من العُلماء يُسلِّمون بصحَّة إثباتات أو بيانات الباراسيكُولُوجي ، ، على الرّغم من كونهم غير مُقتنعين بها ، إذْ يُجبرهم الدّليل العلمي والإحصائي على قبُولها ، بالرّغم من أنَّه يتركهم في حيرة فكريَّة ، ناشئة من عدم الانسجام بين الواقعة الجديدة والمرجعيَّة العلميَّة التي اعتادوا أنْ يُصنِّفوا الأشياء وفقاً لها. والقليل منهم مَنْ يُسلِّم بصحَّة الدّليل مصحوباً بالقناعة. وبعضهم الآخر قد لا يستطيع أنْ يرفض الدّليل ، لكنَّه يُقدِّم أدلَّة مُضادَّة من مُستوى آخر. أمَّا عامَّة النّاس ؛ فلا يعنيهم ذلك كثيراً ، فهم قد لا يكترثون للأدلَّة الإحصائيَّة أو العلميَّة ، لكنَّهم يقتنعون بسُهُولة بإحدى الحكايات الخارقة التي تُحكى لهم. وأغلبهم يعني الدّليل لديه البيِّنة الحسيَّة المُباشرة ، ولا يفهم لُغة الأدلَّة والبراهين الأُخرى التي تتطلَّب مهارة علميَّة تخصُّصيَّة.

يضع الفلاسفة شُرُوطاً للمعرفة ، فلكي تستطيع أنْ تقول عن شئ إنَّك تعرفه يجب أنْ تتوفَّر ثلاثة شُرُوط في ادِّعائك ؛ أوّلاً : يجب أنْ تكون الفَرَضيَّة أو الظّاهرة صحيحة ، وثانياً : يجب أنْ تعتقد بصحَّة أو صدق الفَرَضيَّة ، وثالثاً : يجب أنْ تكون لديك بيِّنة على صدق اعتقادك. فإنَّ مُجرَّد الاعتقاد بقضية ليس كافياً لتقول إنَّك تعرفها. دعنا نتأمَّل أنَّك تعرف أنَّ هُناك كائنات حسَّاسة على أحد أقمار زُحل التي اكتُشفت حديثاً ، ويُصادف أنْ يكون الحال أنَّ هُناك مثل هذه الكائنات ، لكنْ ؛ ليس لك الحقُّ أنْ تقول إنَّك تعرف شيئاً كهذا ما لم تستطع أنْ تُقدِّم نوعاً من البيِّنة ، فهل لدينا مثل هذه البينة في الإدراك فوق الحسِّي؟ إنَّ ذلك يعتمد على ما نعنيه بالبيِّنة الجيِّدة. فضآلة النّجاح في الإدراك فوق الحسِّي دعت الباراسيكُولُوجيِّين إلى أنْ يلتفتوا إلى التّحليل الإحصائي.

إنَّ جميع أنواع البيِّنة الحسيَّة استُبعِدت بالتّعريف تماماً ، بل إنَّ ظاهرة ساي Psi استَبعَدت كُلَّ الوسائل المألوفة للمعرفة. إنَّني أعرف أنَّ الشّمس مُشرقة ، وأستطيع أنْ أُقدم البيِّنة بالنَّظَر إلى الشّمس ، وأنْ أجعل الآخرين يفعلون الشّيء نَفْسه. وأعرف أنَّ الأرض كُرويَّة ، وأستطيع أنْ أُقدم تأييداً لهذا الاعتقاد بتقديم جميع أنواع البيِّنة المُلائمة ، وجميعها مُشتقَّة في المدى الأخير من الخبرة الحسيَّة. ولكنَّنا عندما نتعامل مع وظيفة لا حسيَّة ، أو نزعم بإدراك فوق حسِّي ، فإنَّنا لا نستطيع أنْ نُقدِّم أيَّة بيِّنة حسيَّة اعتياديَّة.

فما نوع البيِّنة المُقدَّمة على حقيقة ظواهر ساي؟ يُشير الفصل الثّاني من هذه الدّراسة أنَّها بيِّنة إحصائيَّة. وتنصُّ هذه البيِّنة على *أنَّه إذا كان الوسيط صادقاً في مُعظم المرَّات التي يُخمِّن فيها الهدف (أو إلى درجة ذات مغزى من النّاحية الإحصائيَّة) ، فهُو لديه دليل كافٍ على إدراك فوق حسِّي.*

يُشير هذا التّحديد للبيِّنة إلى أنَّ الوسيط يُخطئ في حالات عديدة، وأنَّه في أثناء الاختبار لا يستطيع أنْ يُميِّز بين تخميناته الصّائبة وتلك الخاطئة، ولهذا السّبب؛ لجأ الباراسيكُولُوجيون إلى التّحليل الإحصائي لتمييز الدّليل.

ربَّما اتَّضح لنا - ولو قليلاً - نوع الدّليل الذي يمتلكه عُلماء الباراسيكُولُوجي على صحَّة ميدانهم العلمي. وهُو دليل له حُضُوره المُتميِّز في الفيزياء المُعاصرة، لا سيما في نظريَّة الكمِّ، وهُو دليل إحصائي محض.

ولا تكفي عمليَّة الإثبات وتعرُّف الأدلَّة العلميَّة لصياغة ميدان علمي مُكتمل، بالرّغم من أنَّ هذا ذا أهميَّة بالغة، فنحنُ بحاجة إلى إجابة عن سُؤال في غاية الأهميَّة، لا يكشف عنه الإثبات؛ بل تكشف عنه النّظريَّات، فنحنُ حتَّى إذا أثبتنا وُجُود الظّواهر التي ندعوها خارقة، وتحقَّقنا منها، ينبثق سُؤال أكثر أهميَّة، وهُو: ما طبيعة تلك الظّواهر؟، هل هي خارقة بمعنى رُوحيَّة محضة، أم هي ظواهر تقع ضمن دائرة العلم الكلاسيكي أو المألوف، وأنَّ تسميتها رُوحيَّة مُجرَّد تفسير سيِّئ أو خاطئ لها، وأنَّ من المُمكن للعلم مُستقبلاً أنْ يكشف الطّابع الفيزيائي أو المادِّي لتلك الظّواهر؟؟ لا يخفى على القارئ المُطّلع على مُشكلات الفلسفة الأبديَّة، أنَّ هذه الحالة الخاصَّة بطبيعة ظواهر ساي مُشابهة من وُجُوه عدَّة للمُشكلة المُتعلِّقة بطبيعة العمليَّات العقليَّة، أو طبيعة النَّفْس الإنسانيَّة، التي لم يُقدِّم العلم الحديث أيَّ حلٍّ لها؛ بل أهملَهَا أو تجاوزَهَا إلى بدائل ميسورة. وبسبب هذا التّجاوز أُهمل البحث في طبيعة الإنسان، وعُدَّ هذا اللّون من البحث الذي يستهدف طبيعة الإنسان بحثاً ميتافيزيقيّاً، خارج العلم الذي حدَّد أهدافه بالكشف عن آليّات السُّلُوك، ورُدُود الأفعال، والوسائط العصبيَّة التي تتوسَّط بين البيئة والكائن الحي.

كان ثمن هذا التّجاوز هُو بُرُوز مفهوم شيئيَّة الإنسان؛ ذلك أنَّ وُجُودنا في العالم المادِّي فَرَض علينا قُيُوداً خاصَّة، جعلتنا نُهمل طبيعتنا الإنسانيَّة الأساسيَّة. بمعنى آخر؛ أنَّ الإنسان مثل أيِّ كتلة مادِّيَّة في العالم يُمكن دراستها في ضوء قوانين المادَّة التي كشف عنها علمٌ ظَنَّ أنَّه اكتمل وبدأ يشغل نَفْسه بالتّفاصيل فقط. هذا ما أسَّسه العلم الكلاسيكي في ضوء الفيزياء النّيُوتنيَّة. واتَّخذت المادِّيَّة هذه الرُّؤية ذريعة لرفض أيِّ شيء لا ينسجم مع عقيدتها الفلسفيَّة. ولحُسْن الحظِّ؛ فإنَّ صُورة العالم ليس كما رسمتها فيزياء نيُوتن والعُلُوم التي سارت في ركابها. فقد انهارت هذه الصُّورة بسبب اكتشافات النّسبيَّة العامَّة ونظريَّة الكوانتم، وغدا مفهوم العلم المُكتمل مُجرَّد أُسطُورة. وعادت الظّواهر الخارقة تحتلُّ مكانها الدّقيق في نظام الوُجُود، وتساءل الإنسان عن طبيعته الحقيقيَّة، وعاد

مفهوم الجوهريَّة واحتلَّ موضعه الطّبيعي من العقل الإنساني، وبرز التّساؤل عن طبيعة الإنسان بشكل يُوحي لنا - بقُوَّة - بأنَّ المسيرة العلميَّة طوال أكثر من قرنَيْن، لم تُقدِّم جواباً عن هذا السُّؤال، بل لم تُقدِّم مُجرَّد إيضاح له، ذلك لأنَّها أهملَتْهُ، وسارت في اتِّجاه مُضادٍّ لما يتطلَّبه السُّؤال.

ولكنَّ الشّيء المُؤسف حقّاً هُو أنَّ أغلب العُلماء في ميدان النّظريَّة الكمِّيَّة، والفلاسفة المُطّلعين على هذه النّظريَّة، بالرّغم من التّطوُّرات والتّغييرات التي أجرتها على منظورنا للكون والحياة، مازالوا يُفكِّرون وُفق مرجعيَّة الميكانيكا النّيُوتنيَّة في القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكأنَّ العالم الذي تصفه نظريَّة الكمِّ هُو عالم اختباري محض. والحقيقة؛ أنَّ الوصف الذي قدَّمته الميكانيكا الكلاسيكيَّة مُجرَّد صُورة إجماليَّة للكون الظّاهر للعيان فقط، ولا يُقدِّم أيَّ صُورة نهائيَّة للكون. فقد يُحدِّثنا عُلماء الكمِّ عن الصُّورة غير القابلة للتّصديق التي تطرحها نظريَّة الكمِّ، ويعيشون في أجوائها الفكريَّة المُحيِّرة، لكنَّهم - بمُجرَّد عودتهم إلى منازلهم، وإلى حياتهم المُعتادة - يعودون إلى التّفكير الميكانيكي والمادِّي الحتمي، وكأنَّ صُورة العالم لم يُصبها أيُّ تغيير. في الحقيقة؛ هُناك سبب فلسفي لهذه الازدواجيَّة هُو التّحيُّز الذي تُبديه القناعة الرّاسخة بالمفاهيم والنّظريَّات التي اتَّخذت طابعاً عقائديّاً تقريباً، يرتقي بها إلى مُستوى الصّدق المُطلق. وليس في هذا غرابة من النّاحية التّاريخيَّة، فقد لاقت النّظريَّة الكمِّيَّة في الفيزياء اعتراضات عديدة من قبَل عُلماء الفيزياء الأكثر التزاماً بالمألوف، وحرصاً على الحقائق المُستقرَّة. فكيف الحال والباراسيكُولُوجي، وأُطرُوحاته الصّعبة التّصديق؟

أظنُّ أنَّنا بحاجة إلى تحديد مجال البحث الباراسيكُولُوجي، لتعيين المجال الذي لا يُمكن أنْ تشتغل فيه مفاهيم الوصف السّيكُولُوجي الكلاسيكي، كما هُو الأمر في الفيزياء عندما وضع هيزنبرغ الصّيغة المُلائمة لتعيين الحُدُود التي لا يُمكن للمفاهيم الفيزيائيَّة الكلاسيكيَّة أنْ تستخدم بُعْدها. لكنَّنا لا ندري طبيعة الصّيغة المُلائمة لذلك بالتّحديد، بالرّغم من أنَّ الإطار الفكري يُمكن وصفه بالشّكل الآتي: *في مجال ساي؛ حيْثُ تتحدَّد الظّواهر - بطريقة ما - خارج إطارَيْ الزّمان والمكان، ومن دُون استخدام المسارات الحسِّيَّة المعروفة، لا يُمكن أنْ تصدق مفاهيم وآليَّات الوصف السّيكُولُوجي والفيزيائي الكلاسيكيَّة. بمعنى آخر؛ إنَّ ذلك يفرض علينا أنْ نُعدِّل أفكارنا الأساسيَّة بأسلُوب أكثر عُمقاً*. لاحظ الازدواج بين المجالَيْن السّيكُولُوجي والفيزيائي؛ لأنَّنا نُؤمن بأنَّ النّظريَّة السُّلُوكيَّة هي نتاج الصُّورة التي رسمتها الميكانيكا الكلاسيكيَّة للكون، والتي طالت ميادين علميَّة

مُتنوّعة، طبيعيَّة وإنسانيَّة. والتي استبعدت - استناداً إليها - مفاهيم العقل أو الوعي، والجوهريَّة، بل الخُصُوصيَّة الإنسانيَّة ذاتها.

إنَّ التّحيُّز الكلاسيكي الذي شكّل عائقاً إبستمُولُوجيّاً في وجه الفيزياء الجديدة، هُو عين التّحيُّز الذي يُفضي إلى صُعُوبة تقبل نتائج البُحُوث في مجال ساي، مُحاولة منه للتّثبيت على القديم والمُستقرّ من القناعات التي شكّلت إطار العقلانيَّة الكلاسيكيَّة.

ولكي لا نمضي بعيداً من دُون تحديد علمي أُنوّه إلى الرّأي الذي يذهب إلى أنَّ ساي ليس تفسيراً أو شرحاً للظّواهر فوق الطّبيعيَّة، وإنَّما هُو من النّاحية العلميَّة، مُجرَّد إشارة إلى مجهول ما. ويجب أنْ نتقبَّل احتمال أنْ يفقد ساي فرادته المُفترضة عندما يستطيع العلم أنْ يُوفِّر تفسيراً طبيعيّاً للظّواهر فوق الطّبيعيَّة، وأنَّ على الباراسيكُولُوجيِّين أنْ يتقبَّلوا هذا الاحتمال كما ذهب إلى ذلك كربنر و هُوفلمان صادقين[7]. ومن هُنا؛ يبدو أنَّ الباراسيكُولُوجي يتراوح بين فَرَضيَّتَيْن سلبيَّتَيْن. فإذا كانت ظاهرة ساي ليست طبيعيَّة وتتضمَّن استبعاد أيّ تفسير علمي مادّي لها، فهذا يعني إخراج الباراسيكُولُوجي من دائرة البحث العلمي الرّسمي. وعلى تقدير صحَّة الاحتمال الثّاني، وهُو أنْ يكون ساي مُجرَّد دلالة على مجهول، وليس شرحاً له، فإنَّه بمُجرَّد أنْ يتوفَّر تفسير علمي منطقي للظّواهر فوق الطّبيعيَّة تُصبح فَرَضيَّة ساي خاطئة، ولا تصلح وصفاً مُلائماً للظّواهر.

والحقيقة؛ أنَّنا لا نذهب إلى أيٍّ من هاتَيْن الفَرَضيَّتَيْن، لأنَّهما نتيجة لذلك التّحيُّز الذي يجعل من العلم مرجعيَّة أُسطُوريَّة ثابتة، أو أيديُولُوجيا تُصنِّف الأحداث وفقاً لمرجعيَّة أبديَّة، ونقترح تصوُّراً آخر مُحتملاً، على الأقلّ، بدرجة احتمال الفَرَضيَّتَيْن السّابقتَيْن. ووفقاً للفَرَضيَّة الثّالثة، فإنَّ فَرَضيَّة ساي صحيحة في مجالها الخاصّ، وغير قابلة للرّدّ إلى المجالات الأُخرى الفيزيائيَّة والبيُولُوجيَّة والسّيكُولُوجيَّة الكلاسيكيَّة. وإنَّما هي مجال مُحايث للمجالات الطّبيعيَّة - مُحايثة الوعي للعمليَّات العصبيَّة - يُمكن دراسته بمنهجيَّة تجريبيَّة أُصُوليَّة، بالرّغم من أنَّ التّفسيرات التي يُمكن إعطائها لها تختلف عن التّفسيرات الفيزيائيَّة والبيُولُوجيَّة الاعتياديَّة. أمَّا الفَرَضيَّة الميتافيزيقيَّة أو الرُّوحيَّة؛ فهي غير مُستبعدة بدورها، ذلك لأنَّ الرُّوحي لا يُقابل العلمي، كما ظنَّ مُفكِّرو العلم الكلاسيكي، وإنَّما يُقابل المادّي. وإذا علمنا أنَّ المادَّة مفهوم فضفاض وغير ذي معنى مُحدَّد في الفيزياء المُعاصرة، عَلِمنا - أيضاً - أنَّ مُحاولة المُماهاة بين المفهومَيْن المادّي والعلمي مُجرَّد فرض

---

(7) Hovelman G.H, Krippner S, charting The Future of Parapsychology, *in:* JP, Vo.51, Nu.1, March 1987, pp.2-4.

زائف، له امتداده الأيديُولُوجي، ولا ينسجم مع أُطرُوحات الفيزياء الكميَّة، كما يُوضحه التّشابه بين ساي الفيزيائي وساي الباراسيكُولُوجي في الفصل الرّابع من هذه الدّراسة.

إيضاح النّقاط الأساسيَّة في الدّراسة الحاليَّة:

تهدف دراستنا الحاليَّة إلى إيضاح طبيعة الدّليل الذي يُقدّمه الباراسيكُولُوجيون لإثبات واقعيَّة ظواهر ساي، وهُو دليل إحصائي بالدّرجة الأُولى، وكما أشار برجمان ناقداً إلى أنَّ *الباراسيكُولُوجي هُو ميدان البحث الوحيد الذي تكون فيه البُحُوث الدّاعمة احتماليَّة وإحصائيَّة بصُورة كُلّيَّة*[8]. وقد أراد الفصل الثّاني أنْ يكشف طبيعة هذا الدّليل، وأنَّ الطّريقة الإحصائيَّة والاحتماليَّة في الباراسيكُولُوجي هي الطّريقة ذاتها المُستخدمة في الفيزياء المُعاصرة.

في الفصل الأوّل، كانت المرجعيَّة التّاريخيَّة للظّواهر الخارقة والتّفسيرات المُتعدّدة التي تجاذبتها هي الموضوع الرّئيس. وقد أهملنا رُكاماً هائلاً من الأمثلة التّاريخيَّة التي وجدنا أنَّها لا تُضيف شيئاً ذا بال إلى ما ذكرناه واكتفينا به في هذا الفصل. لا سيما وأنَّ عُنوان الكتاب لا يسمح لنا بمزيد من الاسترسال في الموضوعات التّاريخيَّة والفلسفيَّة. وتناول الفصل إيضاح خصائص ظواهر ساي، ومعايير تمييزها عن الظّواهر الشّبيهة، والأُخرى الزّائفة، أو الظّواهر النَّفْسيَّة المَرَضيَّة، وقد عزّزنا ذلك بأمثلة تجريبيَّة.

وإذا تجاوزنا الفصل الثّاني بوصفهِ مُجرَّد عرضٍ وكشفٍ وتصنيفٍ للمفاهيم والظّواهر، فضلاً عن التّعريف بالمفاهيم الأساسيَّة، فإنَّ الفصل الثّالث اتَّخذت فيه التّاريخيَّة صيغة جديدة مُختلفة عمَّا هي عليه في الفصل الأوّل، إذْ عرضتُ - بمزيد من الإيضاح - تطوُّر الرُّؤية العلميَّة والتّعليل العلمي وأثر ذلك على ظواهر ساي، من حيثُ مدى انضمامها إلى مجال الظّواهر المبْحُوثة بالطّريقة العلميَّة الأُصُوليَّة، ثُمَّ مدى انسجامها مع الرُّؤية العلميَّة العالميَّة. وتطلّب ذلك عرضاً موسَّعاً لتطوُّر الرُّؤية العلميَّة في القرن العشرين مُقارنة بالقرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين. ومدى انسجام الباراسيكُولُوجي مع الرُّؤية التي تطرحها النّظريَّة النّسبيَّة والنّظريَّة الكمّيَّة. وأراد البحث أنْ يُبيِّن بأنَّه من الخطأ النَّظر إلى الباراسيكُولُوجي من منظور العلم الكلاسيكي، وأنّه من الضّروري الأخذ بنظر الاعتبار الرُّؤى الجديدة التي طرحتها الفيزياء المُعاصرة. والحقيقة؛ أنَّ مسألة العقلانيَّة

---

(8) C. T. K. CHARI. : Parapsychology, Quantum Logic, And Information Theory, In: Laura Oteri (Ed), Quantum Physics And Parapsychology, New York, 1974, p.81.

دخلت أبواباً مُتنوِّعة بعد التّطوُّرات العلميَّة في القرن العشرين ، فقد تنطوي النّظريَّة النّسبيَّة والكوانتم على رُؤية ومفاهيم غير معقولة عندما ينظر إليها الإنسان من زاوية الرُّؤية العامَّة للحياة اليوميَّة ، أو من جهة عقلانيَّة الإنسان البسيط ، وانطلاقاً من مبدأ التّحيُّز قد يصرُّ على هذه الرُّؤية ويرفض كُلَّ ما يُخالفها . وليس العُلماء بمنأى عن هذا التّحيُّز كما أشرنا سابقاً ، فقد تحوَّلت النّظريَّة الميكانيكيَّة النّيوتنيَّة إلى عقيدة في أذهان العديد من العُلماء ، وصدَّتهم - في أحيان كثيرة - عن الاعتراف بالتّطوُّرات العلميَّة الجديدة .

وتناول القسم الثّاني من الفصل الثّالث ، العلاقة بين الطّريقة التّجريبيَّة في الباراسيكُولُوجي ومثيلتها في العلم الحديث ، والصُّعُوبات التي تُواجه البُحُوث التّجريبيَّة في هذا المجال . وناقشنا فيه - أيضاً - طبيعة النّظريَّة العلميَّة وشُرُوطها ، وما يتطلَّبه الباراسيكُولُوجي في إطار البناء النّظري المُتماسك ، الذي يجعله يحتلُّ موقعاً معقولاً بين العُلُوم الحديثة .

الحقيقة ؛ أنَّ الفصل الرّابع هُو أكثر الفُصُول حاجة إلى التّوضيح ، ولا أُنكر أنَّه أكثرها صُعُوبة وغُمُوضاً . وهُو يهدف - باختصار - إلى استخدام الإمكانيَّات التي طرحها العلم الحديث لتقديم نظريَّات تفسيريَّة لظواهر ساي ، وإنْ كان مُعظم هذه النّظريَّات ذا طابع تأمُّلي وحسب . وهُو يُمثِّل مرحلة تطبيق ما عكسه تطوُّر الطّريقة العلميَّة والرُّؤية العلميَّة في الفيزياء المُعاصرة من تغير في طبيعة النّظريَّات التّفسيريَّة والطّريقة التّجريبيَّة . شمل ذلك تطبيق الرُّؤية الكميَّة بإيجاد نظيرها في المجال النَّفسي ، كما تمثَّل في النّظريَّات التّأمُّليَّة المبنيَّة على افتراض مُتغيِّرات كميَّة دقيقة مسؤولة عن حُدُوث ظواهر ساي ، أو النّظريَّات الأكثر تفصيلاً مثل ، النّظريَّة المُلاحظاتيَّة ، ونظريَّة الوعي الكمِّي ، ونظريَّة السّببيَّة التّراجعيَّة ، والتّزامُن ، وغيرها .

إذنْ ؛ استفاد الباراسيكُولُوجيون من الصُّورة التي قدَّمتها النّظريَّة الكميَّة في الفيزياء للعالم ، وهي صُورة تتضارب مع صُورة العالم المرئي الذي يتعامل معه الإنسان في الحياة اليوميَّة . ولمَّا كان الباراسيكُولُوجي يتضارب (في ظواهره ومفاهيمه) مع تلك الصُّورة المألوفة للعالم أيضاً ، فهُو يشترك مع الفيزياء الكميَّة في هذه النُّقطة الأساسيَّة . وهذا يُؤسِّس حقيقة أنَّ انسجام النّظريَّة مع الرُّؤية الحسيَّة للحياة اليوميَّة لم يَعُد معياراً دقيقاً لتقييم المعرفة العلميَّة . والحقيقة ؛ أنَّ الخُرُوج على المألوف وتوقُّع ما يصعب تصديقه وتعقُّله وفقاً لمفهوم العقلانيَّة المألوفة (المفهوم التي اتَّخذ طابعاً أُسطُوريّاً ثابتاً) هي إمكانيَّات فتحتها النّظريَّة الكميَّة الحديثة في الفيزياء ، والتي نقلت - بدورها - البحث العلمي نقلة نوعيَّة ، وألقت بظلال الشّكِّ على المفاهيم والاعتقادات الرّاسخة ، مثل ، الزّمان والمكان ،

والسّببيَّة، والاتِّساق. وباختصار؛ فإنَّ صُورة العالم وأحداثه لدى الإنسان البسيط تتحدَّد من خلال صُورتَيْ الزّمان والمكان، فالحَدَث أو الفعل يبدأ بنُقطة ولحظة، وينتهي بنُقطة ولحظة، وكُلُّ سلسلة الأحداث اليوميَّة تقع بين هاتَيْن النُّقطتَيْن واللّحظتَيْن. وكُلُّ حَدَث يخرج عن هذا التّحديد لا يُمكن إدراكه أو التّعبير عنه، وبالتّالي؛ فهُو غير موجود؛ بل رُبَّما عُدَّ مفهوم الحَدَث الخارج عن حُدُود الزّمان والمكان مُرادفاً لمفهوم العَدَم.

لذلك؛ عَدَّ نيُوتن الزّمان والمكان مُطلقَيْن أو إحداثيَّيْن ثابتَيْن، تتحدَّد وفقاً لهما الظّواهر الكونيَّة، وهذا ما دفع الفيلسوف الألماني كانط إلى فرضهما صُورتَيْن قبليَّتَيْن. بمعنى آخر؛ أنَّهما - وفقاً لـ كانط - ليسا مفهومَيْن إمبريقيَّيْن؛ بل هُما مفهومان ذاتيَّان (صُورتا الحساسيَّة).

وفضلاً عن أنَّ النّظريَّة النّسبيَّة أطاحت بهذا التَّصوُّر للزّمان والمكان، فإنَّ النّظريَّة الكميَّة قدَّمت صُورةً كونيَّةً تجري فيها الأحداث خارج تقييدات الزّمان والمكان الكلاسيكيَّيْن. فلم تعُد الأحداث محصُورة بين نقاط مكانيَّة وزمنيَّة ثابتة. وهذا يُؤسِّس فَرَضيَّة أنَّ إطارَيْ الزّمان والمكان - بالمعنى النّيُوتني - لا يُغطِّيان كُلَّ الظّواهر الكونيَّة؛ بل هُما يضمَّان جُزءاً منها فقط، هُو ذلك الجُزء الذي نستطيع إدراكه والتّفاعل معه من خلال وسائلنا الحسيَّة. أمَّا الجانب الذي يقع خارج إطارَيْ الزّمان والمكان، ؛ فنحنُ الذين نمنحه طابعاً زمنيّاً أو مكانيّاً، ولا نستطيع أنْ نمنحه الخاصتَّيْن معاً في وقت واحد؛ بل نمنحه إحدى الخاصتَّيْن بصُورة بَعْديَّة (بَعْد القياس)، وليس بصُورة قَبْليَّة كما تصورَّ كانت ونيُوتن. ولمَّا كان الوعي هُو الذي يتحكَّم بالشّكل الذي يتَّخذه النّظام الفيزيائي الكمِّي، فإنَّ الأحداث في هذا المُستوى لا تمتلك - ذاتيّاً - الخواصَّ الزّمنيَّة والمكانيَّة، وإنَّما تكتسب خواصَّها الزّمنيَّة أو (و ليس و) المكانيَّة بعد أنْ تكون مُتغيِّرات للوعي أو تمثُّلات عقليَّة، وحينئذ (أيْ بعد أنْ تكون مُدركة للوعي) يُمكن أنْ تتَّخذ اتِّجاهاً زمنيّاً. ولذلك؛ فإنَّ مفاهيم المُستقبل والماضي والحاضر، خواصٌّ يفرضها الوعي على الأحداث، ولا تمتلكها الأحداث بذاتها. ومن هُنا؛ يتَّضح الانسجام بين هذه الصُّورة والباراسيكُولُوجي.

إنَّ فقدان الخواصِّ الزّمنيَّة والمكانيَّة في الأحداث الباراسيكُولُوجيَّة يجعل الوعي حُرّاً في منح الحَدَث الاتِّجاه الذي يُلائمه. وهذا ما يُفسِّر ظاهرة التَّنبُّؤ المُسبق، بوصفها ظاهرة ناتجة عن تحكُّم الوعي بالأحداث الدّقيقة التي لا تمتلك اتِّجاهاً زمنيّاً مُحدَّداً، فيقوم باختيار واحدة من الإمكانيَّات، ويُحدِث انهياراً في الإمكانيَّات الأُخرى، وهُو عندما يختار إمكانيَّةً مُستقبليَّةً يقوم بعملِ تأثيرٍ نَفْسي مُرتدٍّ (تراجعي) لخَلْق ظُرُوف إنتاج تلك الإمكانيَّة (الحَدَث) في الواقع، وهذا ما نُسمِّيه التّسبيب

المُرتدّ (التّراجعي). وعلى الرّغم من أنّ هذا يبدو مُناقضاً لاتّجاه العلاقة الزّمنيّة بين السّبب والنّتيجة في العالم المرئي، لكنّه أمر منطقي بالنّسبة للمُستوى الكمّي أو دُون الكمّي، ولا يتضمّن تناقضاً منطقيّاً بين السّبب والنّتيجة. فبالنّسبة لمُراقب يُلاحظ الأحداث من مُستوى العالم المرئي يبدو له نظام السّبب والنّتيجة في النّظام الدّقيق معكوساً، أمّا بالنّسبة لمُراقب (وعي) من داخل النّظام الدّقيق فيبدو له التّتابع طبيعيّاً ومنطقيّاً. ولكنّ وُجُود مُراقب داخل النّظام الدّقيق أمرٌ لا يُمكن حُدُوثه إذا تصوّرناه بالمعنى المادّي (ثُلاثي الأبعاد)؛ بل يُمكن تصوّره من مُستوى حالة مُتغيّرة للوعي. فالحالات المُتغيّرة للوعي تُجيز للوعي اختراق المجالات الدّقيقة للعالم، ومن ثَمّ تبدو الأحداث في المجال النّفْسي الذي بلغه الوعي الذي يعيش حالة مُتغيّرة طبيعيّة بالنّسبة للوعي ذاته، في حين تبدو خارقة بالنّسبة إلى مُستوى الوعي الاعتيادي، وقد ناقشنا هذا الموضوع في الجُزء الأوّل من الفصل الخامس من هذا الكتاب.

ولمّا كان الوعي يعمل على انهيار النّظام الكمّي الفيزيائي، فيُمكن الافتراض - منطقيّاً - أنّ الوعي نَفْسه هُو نظام كمّي دقيق. ومن هُنا؛ برزت فكرة كمّيّة الوعي. فنحن نعلم أنّ الفيزياء الكمّيّة لا تُعنى بالخصائص الكيفيّة للأحداث بقدر ما تُعنى بإبراز الطّابع الكمّي لها. ولذلك؛ فالمنطق الذي تتعامل من خلاله النّظريّة هُو منطق مُتعدّد القيَم كما تُصوّره الرّياضيّات الإحصائيّة. الأمر نَفْسه بالنّسبة لمظاهر الوعي الخارقة، فهُنا - أيضاً - لا تُعنى النّظريّة الباراسيكُولُوجيّة بالوعي الكيفي الذي يُشدّد على الخصائص الكيفيّة للمُدركات، وإنّما يُعنى بالطّابع الكمّي وحسب، وتشكُّل المدركات مُتّجهة كمّيّة مُناظرة للمتّجهة الكمّيّة للأحداث الفيزيائيّة الخارجيّة. وإذا اعتبرنا الدّماغ جُزءاً من العالم الفيزيائي الخارجي فإنّ الوعي يعمل على انهيار مُتّجهة النّظام الخارجي بما فيه النّظام الفيزيائي للدّماغ. ولمّا كانت مُدخلات الدّماغ هي مُؤثّرات العالم الخارجي، لذلك؛ فالعلاقة التي تنشأ بين الوعي والعالم الخارجي بتوسُّط الدّماغ هي علاقة كمّيّة. وهذا الانهيار تلعب فيه الرّغبة والإرادة دوراً رئيساً، وسوف يكون لهما تأثير في تشكيل النّظام الفيزيائي بالصُّورة التي يختارها الوعي. وهذا ما يحدث في اختبار بطاقات الإدراك فوق الحسّي، فالرّغبة في تحقيق إصابة مُعيّنة سوف يتمُّ انتخابها بالمُشاركة بين الوسيط والمُجرّبين، فيُحدثون انهياراً في صالح الحالة المرغوب فيها. وسوف يتشكّل المُستقبل في ضوء هذه الرّغبة.

في الحقيقة؛ إنّ اقتران حالة الوعي بالواقع الخارجي هُو اقترانٌ تزامُنيٌّ يُشبه في كيفيّته تقارُن العمليّات الفيزيائيّة التي تبدو مُنفصلة، وهُو ذلك التّقارُن الذي ناقشناه في الفصل الرّابع،

وعقدنا أمثلة نظريَّة لإيضاحه. وقد عبَّرت عن ذلك النّظريَّة التي طرحها يُونك وباولي لوصف الأحداث الخارقة.

إنَّ مسألة افتراض مُستوى دُون كمّي تترابط فيه الأحداث الفيزيائيَّة الدّقيقة فتحت إمكانيَّات واسعة لوصف الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة، وأدَّى إلى ارتباط المجال النَّفْسي بالمجال الفيزيائي في الجانب الذي يتناول مجالات امتداد الذّوات الإنسانيَّة وارتباطها وتفاعلها عبر مُستويات دقيقة تُشبه ذلك المُستوى دُون الكمِّي. فكما أنَّ الأحداث الفيزيائيَّة التي تبدو مُستقلَّة في عالمنا الحسِّي ترتبط مع بعضها في مُستوى دُون كمِّي؛ بحيثُ تُشكِّل كُلاً مُتكاملاً ونسيجاً مُتلاحماً، كذلك؛ فإنَّ العُقُول البشريَّة الفرديَّة ـ التي تبدو مُنفصلة ومُستقلَّة ـ تترابط مع بعضها على مُستوى دقيق (لا واعي) وتتفاعل؛ بحيثُ يُمكن أنْ يُؤثِّر أحدُها على الآخر، ويُحدِثُ نوعاً من الاتِّصال والتّبادُل المعلوماتي من دُون حاجة إلى الأعضاء الحسِّيَّة ووسائلها الخارجيَّة. وهذا يصف لنا ـ بشكل أكثر وُضُوحاً ـ الاتِّصال فوق الحسِّي في الباراسيكُولُوجي، وهذا الموضوع ناقشناه في الفصل الخامس من هذه الدّراسة.

تبدو الأشياء والأحداث في الواقع الحسِّي مُنفصلة ومُستقلٌّ بعضها عن بعضها الآخر، لكنَّها ـ في الحقيقة ـ تضرب بجُذُور مُشتركة في عُمق الوُجُود. وهذا ـ غالباً ـ ما نُشبِّهُهُ بالنّباتات البَحْريَّة الطّافية على سطح البحر، فقد تبدو مُنفصلة ـ أيضاً ـ ومُستقلٌّ بعضها عن بعضها الآخر، لكنَّنا إذا تتبَّعنا مساراتها نجد أنَّها تلتقي بجُذُور مُشتركة في أعماق البحر.

بالمُقابل؛ فإنَّ للوعي مُستويات مُتعدِّدة أيضاً بتعدُّد حالاته المُتغيِّرة[9]، والحقيقة أنَّ الحالة المُتغيِّرة للوعي تستطيع النّفاذ إلى تلك الأعماق أو المُستويات. وبلُغة فيزياء الكمِّ؛ فإنَّ للواقع مُستوى دُون كمِّي **Sub-quantum level** تترابط فيه الأحداث والأشياء.

كان ذلك التّرابط والوحدة العميقة موضوعاً للعديد من الأديان والفلسفات العرفانيَّة، ويشعرُ إنسانُ تلك الأديان بتلك الوحدة شُعُوراً حَدْسيّاً (حَدْس الوحدة). وبتأثير فيزياء نيُوتن التي اقتصرت على وصف المظهر المُباشر للواقع الذي تبدو فيه الأشياء مُستقلَّة فَقَدَ ذلك الحَدْس مكانتَهُ في أذهان العديد من النّاس. لكنَّ العلم استطاع مُؤخَّراً النّفاذ إلى تلك الوحدة، فقد تمكنت نظريَّتا

---

(9) لاحظ أنَّنا في بعض الأحيان نستخدم تعبير (حالات مُغيِّرة للوعي) عندما نُريد أنْ نُشير إلى الآليَّات التي تنقل الوعي من حالته الطّبيعيَّة إلى حالة أُخرى جديدة، مثل الأحلام، والتّنويم الإيحائي، والعزل الحسِّي، والتّركيز الذّهني، والتَّأمُّل إلخ...، ونستخدم ـ أحياناً أُخرى ـ تعبير (الحالات المُتغيِّرة للوعي) عندما يتعلَّق الوصف بحالة الوعي ذاتها، وليس بالتّمرين النّفسي أو الآليَّات المذكورة سابقاً.

النّسبيَّة والكمّ من النّفاذ إلى عُمق الواقع، بتتبُّع مسار الأحداث من مظهرها المُباشر إلى أُصُولها وجُذُورها، فاكتشفت الوحدة المُشتركة للأشياء والأحداث جميعاً بطريقة علميَّة.

وباستخدام رمزيَّة نباتات البحر الطّافية على السّطح، فإنّنا عندما نُشاهد نبتَيْن تبدوان مُستقلّتَيْن، ولكنَّهما تتصرَّفان بشكل مُتشابه ومُتزامن، يبدو لنا ذلك أمراً غير قابل للتّصديق، لكنْ؛ عندما نعلم بالتّرابط الدّاخلي (في المُستوى دُون الكمِّي) يختفي تعجُّبنا أو تساؤُلنا.

كذلك الأمر في ظواهر ساي، فعندما نعلم عن طريق حالة مُتغيِّرة للوعي بما يجري في المُستوى دُون الكمِّي المُشترك للأشياء، فسوف نعلم ـ أيضاً ـ بالنّظام المُستقبلي الذي سوف تخضع له المظاهر السّطحيَّة لها في الواقع الحسِّي. وهذه هي الصُّورة التّقريبيَّة التي يحدث فيها التَّنبُّؤ المُسبق (الخارق). ولكنْ؛ بما أنَّ ذلك العلم الأوَّل يحدث على المُستوى اللاَّواعي، لذلك لا نستطيع أنْ نعي بالنّظام الواقعي الدّقيق الذي يعمل فيه التَّنبُّؤ المُسبق.

وكما ذكرنا سابقاً في شرح الوعي الكمِّي فإنَّ الوسيط قد يُمارس تأثيراً نَفْسيّاً مُرتدّاً على تلك الجُذُور المُشتركة لإحداث الأثر المطلوب، وطبيعي سوف يبدو ذلك الأثر من منظور مُراقب في مُستوى الواقع الحسِّي يحدث بطريقة مُناقضة لنظام الأحداث في الواقع الحسِّي.

إذنْ؛ ما طبيعة العقل؟ وإذا كان العقل يعمل بشكلٍ مُستقلٍّ عن المادَّة كما بدا لنا سابقاً، ومُستقلٌّ أيضاً عن الجسم، فما هي الأدلَّة الإضافيَّة التي تدعم ـ بشكل علمي ـ هذا الاستقلال؟ وهل تُشكِّل الثُّنائيَّة أساساً للقول ببقاء العقل بعد الموت؟ وهل تصلح ظواهر الباراسيكُولُوجي أنْ تكون دليلاً تجريبيّاً لصالح الثُّنائيَّة والبقاء بعد الموت؟ الإجابات عن هذه التّساؤُلات قدَّمها وناقشها الفصل السّادس والأخير من هذا الكتاب.

بقي أنْ نقول كلمة عن موقع نظريَّات علم النَّفْس الكلاسيكيَّة من هذا النّقاش، وعمَّا إذا كان من المُمكن أنْ تُقدِّم أساساً جيِّداً لظواهر ساي. والحقيقة؛ أنَّ النّظريَّات النَّفْسيَّة الكلاسيكيَّة؛ مثل النّظريَّة السُّلُوكيَّة والتّحليل النَّفْسي لا تُقدِّم شيئاً ذا بال فيما يخصُّ ظواهر ساي. فلا يُوجد في أُفق هذه النّظريَّات أيُّ مجال يُمكن أنْ يُؤطِّر ظواهر ساي أو يمنحها تفسيراً معقولاً. إذْ ترفض المدرسة السُّلُوكيَّة ـ بشكل قاطع ـ أيَّ استقلاليَّة ذاتيَّة لمفاهيم الوعي أو العقل أو النَّفْس؛ ولذلك؛ لا يُمكن

تصنيف ظواهر ساي وُفق هذه النّظريَّة إلاَّ ضمن مظاهر الإدراك الشّاذّ أو الهَلْوَسَة، وهذا ما عبَّر عنه بُونك في كتابه «مُشكلة العقل - الجسم»[10].

أمَّا فيما يخصُّ مدرسة التّحليل النَّفْسي؛ فهي - بدورها - تفتقر إلى آليَّات تفسيريَّة يُمكن أنْ تُحيط بظواهر ساي. وقد ينفرد مفهوم اللاَّشُعُور في تقديم أُفق ما لتعليل ساي، لكنَّ هذا الأفق يتلاشى فوراً إذا علمنا بأنَّ مفهوم فرُويد للاَّشُعُور مُقيَّد بالماضي فقط؛ أيْ بوصفه مُستودع المكبوتات من المُحرَّمات والموانع الأخلاقيَّة والحرمانات التي عاناه الفرد في حياته. على سبيل المثال، فإنَّ الحلم في مفهوم فرُويد يعود إلى تلك المكبوتات اللاَّشُعُوريَّة، وهذا التّحديد للحلم يختلف عن تحديد الحلم الخارقي في الباراسيكُولُوجي، والذي هُو تنبُّؤ مُسبق بأحداث مُستقبليَّة، أو بأحداث ماضية لم يعشْها الحالم، ولم يخبرْها من قبل. لذلك؛ هُناك افتراق واضح بين هذَيْن اللّونَيْن من الأحلام، فعلى الرّغم من أنَّهما من طبيعة واحدة، لكنَّ أحدهما مُعاكس للآخر. ولم تأخذ نظريَّة فرُويد بنظر الاعتبار في تفسيرها للأحلام ظواهر ساي الحُلُميَّة، ولذلك؛ فهي تستبعد الحلم التّنبُّؤي أو الرُّؤية الصّادقة، وليس في النّظريَّة ما يصلح أساساً منطقيّاً لذلك.

أمَّا الجوانب التي ناقشناها في الفصل الخامس؛ فهي جوانب مُتعالية تتجاوز الرُّؤية التّقليديَّة لعلم النَّفْس. وهُو - بالتّحديد - الشّيء نَفْسه الذي فعلناه عندما تجاوزنا - في تحليلنا لظواهر ساي وعلاقاتها - بعض حُدُود النّظريَّة النّسبيَّة، والنّظريَّة الكمِّيَّة في بعض الأحيان. ولكنَّ هذا التّجاوز لم يأت بشكل اعتباطي؛ بل هُو مطلب مُلحٌّ تفرضه وتُحتِّمه طبيعة الظّواهر المدروسة، والتي يُراد وضع تصوُّر معقول لها، مُشتقٌّ في المدى الأخير من أُطرُوحات علميَّة مُعترف بها رسميّاً.

وبعد ذلك كُلِّه أقول إنَّ في هذا التّجاوز تمريناً علميّاً وعقليّاً يُمهِّد - في أغلب الأحيان - لوضع فَرَضيَّات مُبتكرة قد تجد لها تحقيقاً بعد حين من الزّمان. والحقيقة؛ أنَّ هذا هُو ديْدن البحث العلمي، فهُو نشاط يُساهم الخيال بدور كبير في خَلْقه. ويكاد يكون من المُتَّفق عليه أنَّ مصدر التّجديد والابتكار هُو الخيال، ولذلك قيل عنه «خيال إبداعي». وفي هذه النُّقطة تشترك مصادر الإبداع العلمي مع مصادر الإبداع الأدبي والفلسفي.

د. صلاح الجابري

الأوّل من شهر رمضان المبارك 1421 هـ. 2001 م

---

(10) Bung M.: The Mind – Body Problem, London, 1980, pp. 115-119.

الفصل الأوَّل:

تطوُّر الظّاهرة الباراسيكُولُوجيَّة

من المُلاحظة العابرة إلى التّنظيم العلمي

رُؤية تاريخيَّة:

تمتدُّ الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة في عُمق التّاريخ البشري، وترتبط ببداية ظُهُور الحياة على الأرض[11]. ويبدو أنَّ تلك الظّواهر كانت أكثر ظُهُوراً لدى الإنسان الأوَّل؛ إذْ كانت تُشكِّل وسائل اتِّصال أساسيَّة، تُعوِّضه عن القُصُور اللُّغوي والفكري. ثُمَّ بدأت هذه الظّواهر تضمحلُّ، كُلَّما تطوَّرت وسائل الاتِّصال البيُولُوجيَّة المُرتبطة بتطوُّر الدّماغ بشكل مُطَّرد، مع ارتقاء التّفاعل السّببي مع البيئة. وهكذا كُلَّما اشتدَّ التّركيز على الوظائف الحسِّيَّة، وتطوَّرت وسائل الاتِّصال المادِّيَّة (ومنها اللُّغة)، ازداد ضعف الوظائف النَّفسيَّة المُنتجة لتلك الظّواهر. وهذا التّراجع لا يعود - بالضّرورة - إلى أنَّ تلك الظّواهر تُعبِّر عن مرحلة قُصُور العقل، أو هي بدائل أُسطُوريَّة لتعويض النّقص الحاصل في الفكر المنطقي (العقلاني)(*)، وإنَّما يعود هذا التّراجع إلى شدَّة تركيز الإنسان على البدائل الحسِّيَّة الأكثر التصاقاً بالعالم المادِّي. ثُمَّ إنَّ تزايد انغماس الإنسان في العالم الطّبيعي - لضرورات الحياة - حتَّمت عليه مُمارسة عمليَّات مادِّيَّة منظورة في الطّبيعة، فتطوَّرت الوظيفة الحسِّيَّة طرديّاً مع شدَّة المُمارسة العمليَّة اليوميَّة، وتَنَحَّتْ - مُقابل ذلك - الوظائف النَّفْسيَّة الفائقة (أو الرُّوحيَّة) المُرتبطة بشدَّة التّركيز على الخيال والتَّأمُّل والانعتاق من قُيُود البيئة المادِّيَّة. وباختصار؛ إنَّ شدَّة واستمرار التّفاعل بين الجهاز العصبي والبيئة المادِّيَّة يُحوِّر وسائل الاتِّصال البشريَّة لصالح هذا اللّون من التّفاعل، على حساب مُستويات التّفاعل الأُخرى التي يفترضها الباراسيكُولُوجي في الوقت

---

(11) Canon A.: The Invisible Influence, London,1934, pp.10-12.

(*) يصدق هذا التّفسير على الاعتقادات والتَّصوُّرات التي تُنسج حول تلك الظّواهر، والتي لا تختلف عن التَّصوُّرات الخُرافيَّة التي كانت تُنسج حول الظّواهر الطّبيعيَّة. لذلك؛ نُنبِّه على ضرورة التّمييز بين الظّواهر بوصفها وُجُوداً موضوعيّاً، وبين التّعليلات الخُرافيَّة والأُسطُوريَّة لها.

الرّاهن. وهذا ما يُفسِّر لنا سبب ازدياد نشاط هذه القوى عند مُمارسة التّأمُّل، والتّركيز، والعزل الحسّي. ويُفسِّر - أيضاً - تفاوت ظُهُورها بين المُستويات العُمْريّة، فهي قد تظهر لدى الأطفال بنشاط أكبر ممّا لدى البالغين، و... يعني أنّها لا ترتبط بشرط التّكامل الجوهري للنّفْس الإنسانيّة، ولا بشدّة تعقُّد الجهاز العصبي المركزي. والأكثر احتمالاً التّفسير الذي ذهب إليه برجسُون بأنّها أحد عوامل البقاء الحيوي.

وشهدت الأزمنة التّاريخيّة كافة وُجُود أناس يتنبّؤون بالمُستقبل، بوصفهم موهوبين بقوى رُوحيّة خاصّة، ويتمكّنون - بهذه القوى - من السّيطرة على القوى المُحيطة بالإنسان أيضاً، إذْ يجدون فيها حلاً لمشاكله الصّحّيّة والاجتماعيّة. ويُطلق على هؤلاء الموهوبين اسم الوُسطاء(*) **Mediums**.

اعتدنا أنْ نجد التّحليلات العلميّة - الأنثرُوبُولُوجيّة تُصنِّف تلك الاعتقادات والظّواهر على أنّها أساطير وخُرافات كانت ضروريّة في عصر يعجز فيه العقل أنْ يبلغ مُستوى الكشف عن العلل الحقيقيّة للظّواهر. وهُناك مَنْ يذهب إلى أنّ تلك الاعتقادات تُشكِّل طُفُولة العقل البشري التي سبقت العقلانيّة المنطقيّة التي مثّلتها الفلسفة الإغريقيّة فيما بعد.

والحقيقة؛ أنّ الإنسان يشغله المُستقبل ويُقلقه على الدّوام، فلا يدري ما ينتظره غداً، وإذا أعوزته الوسائل يعبد المجهول، ومن هُنا؛ كانت عبادة الظّواهر بوصفها آلهة يتودّد إليها ويطلب منها الرّحمة. فإذا كانت الوسائل المُتوفِّرة لدينا الآن غير معروفة للبدائي، كان عليه أنْ يقتصر على إمكانيّاته الذّاتيّة والتي تُشكِّل بدائل سيطرة وتفسير. فجاءت الكَهَانَة والعرَافَة والتّنبُّؤ مطلباً إنسانياً ضرورياً يستهدف كشف الغُمُوض الذي يلفُّ المُستقبل، وتحقيق الرّاحة النّفْسيّة والطّمأنينة - المُؤقّتة على الأقلّ - كتوازن نَفْسي ضروري لاستمرار الوُجُود.

هل يُمكن أنْ نعدَّ الكَهَانَة والعرَافَة وعبادة الظّواهر حيلاً نَفْسيّة دفاعيّة تستهدف إزالة الاضطراب الذي يُسبِّبه الخوف من المجهول، وإعادة التّوازن إلى الجهاز النّفْسي؟ لمّا كان الإنسان لا يمتلك الوسائل اللاّزمة لقهر الطّبيعة والتّغلُّب على مصاعبها، تزايد خوفه منها، فشكّل عصاباً قهرياً جمعيّاً. ومن الطّبيعي أنْ يلتمس وسائل مُلائمة لإعادة التّوازن المفقود، فكانت الخُرافة والكَهَانَة والعرَافَة هي الحيل المُتوفِّرة والمُلائمة له من النّاحية التّاريخيّة. ولذلك مارسها الإنسان

(*) ليس كُلُّ هؤلاء المُتنبِّئين موهوبون حقيقة، بل يدخل ضمنهم المشعوذون والدّجّالون والسَّحَرة، وسنعرف - فيما بعد - أنّ السِّحْر لا يدخل في إطار القوى أو الملكات الباراسيكُولُوجيّة. وأنّ الباراسيكولُوجي - كأيّ علم آخر - انتزع نفسه من رُكام هائل من الظّواهر المُختلفة وأعمال السِّحْر والكَهَانَة بفضل الطّريقة العلميّة والتّحقُّق التّجريبي.

بقَطْع النَّظَر عن موضوعيَّتها، ثُمَّ حاول - بعد ذلك - أنْ يمنحها بُعْداً موضوعيّاً، بعد أنْ شكَّلت عقيدة مُرتبطة بعُمق الوعي الفردي والجماعي على حَدٍّ سواء.

وربَّما كان هذا هُو المعنى الذي ذهب إليه كارل يُونج في تعبيره عن اللاَّشُعُور بأنَّه ليس مُجرَّد مخزن لمكبوتات الماضي المُرتبطة بحياة الفرد - كما ذهب إلى ذلك فرُويد - وإنَّما هُو مجمع رُمُوز الماضي السّحيق بعقائده وطُقُوسه، بالمعنى الذي يُصبح فيه اللاَّشُعُور الفردي وريث عقائد الإنسانيَّة وتُراثها الرّمزي. ولذلك؛ فإنَّ اللاَّشُعُور الفردي هُو لاشُعُور إنساني عميق.

فهل كانت الكَهَانَة والتَّنبُّؤ وغيرها مُجرَّد بدائل للتّفكير المنطقي - الذي يُعبِّر عن مرحلة مُتطوِّرة للعقل البشري - ومن ثَمَّ فهي وسائل واعتقادات مُرتبطة بزمن انقضى وتجاوزه العقل إلى وسائل أكثر تقدُّماً من غير رجعة أبداً، ولذلك فهي خاطئة وخُرافيَّة أو أُسطُوريَّة التمس الإنسان الطّمأنينة من خلالها؟ وإذا كانت كذلك فما سبب حُضُورها أو حُضُور ما يُشبهها في العصر الحديث؟ هل كان فيها عُنصرٌ من الحقيقة لم يختف، بالرّغم من اختفاء تلك الشّعوذات والادّعاءات التي لم تجد لها موضعاً في مجال الرُّؤية العالميَّة للعلم؟.

إنَّ القول بأنَّ تلك الاعتقادات خُرافات وأساطير ولَّدها القُصُور المنطقي الذي كان يُعاني منه العقل البدائي؛ ولذلك فهي خاصيَّة عقل لم يكتشف بعد ميادين البحث العقلاني ولا أُسُس الاستدلال العلمي والتّفسير السّببي، هُو قول صحيح من النّاحية العلميَّة، والفلسفيَّة أيضاً، لكنَّنا نُقيِّده بمُلاحظتَيْن ضروريَّتَيْن، الأُولى هي: ليس كُلُّ الظّواهر الخارقة كَهَانَة أو عرافَة أو سحْر، ولا كُلُّ ظواهر الكَهَانَة والسِّحْر زائفة، فمنها ظواهر أصبحت - فيما بعد - جُزءاً من البحث العلمي الكيميائي أو الفيزيائي. ويُمثِّل قسم آخر منها مَلَكَات ذاتيَّة حقيقيَّة للنَّفْس الإنسانيَّة تُشكِّل - اليوم - موضوع الباراسيكُولُوجي؛ ولذلك يُمكن القول - بثقة - إنَّ بعضها ظواهر حقيقيَّة، والكثير منها زائفة (شعوذات ودَجَل باطل). والعلم الحقيقي هُو الذي ينتزع نَفْسه من ذلك الرُّكام بطريقة تجريبيَّة، وهذا ما حصل عبر المسيرة التّاريخيَّة للبحث العلمي. والمُلاحظة الثّانية هي: أنْ نُميِّز بين التّفسيرات المُعطاة للظّواهر والظّواهر ذاتها؛ ذلك أنَّ التّفسير اعتقاد مُتغيِّر، في حين تبقى الظّاهرة موضوعاً أبديّاً للبحث والتّحقيق. فإذا كان التّفسير ليس علميّاً (خُرافيّاً أو أُسطُوريّاً) فذلك لا ينسحب على الظّاهرة نَفْسها.

ونُجيب عن سؤالنا السّابق بالقول إنَّه إذا كانت العقلانيَّة لم تدع مجالاً للتّسليم بالاعتقادات الأُسطُوريَّة والخُرافيَّة، فليس بإمكانها رفض الظّواهر والأحداث المُفسَّرة بشكل سيِّئ أو تجاهُلها. فذلك الرّفض المُسبق يتعارض مع هدفها في إيجاد تفسير معقول للظّواهر الكونيَّة. من هذه الزّاوية

نتناول موضوعنا إذنْ. فالتّعليل الأُسطُوري لم يتناول الظّواهر النَّفْسيَّة أو الرُّوحيَّة فحسب، وإنَّما شمل الظّواهر الطّبيعيَّة أيضاً.

وإذا كان العلم الحديث قد أضفى تفسيراً علميّاً - واقعيّاً على الظّواهر الطّبيعيَّة، فلا يُوجد ما يمنع القيام بجُهُود استثنائيَّة من أجل إيجاد تفسير علمي - واقعي للظّواهر الرُّوحيَّة أو النَّفْسيَّة الفائقة. والذي يُسوِّغ هذا القصد العلمي هُو الرُّؤية المُتحرِّكة للعلم التي لا تتقيَّد باعتقادات مُغلقة ولا بأحكام مُسبقة. فالعلم ذُو خاصيَّة استكشافيَّة تمنحه مُرُونة كافية لاستيعاب تنوُّع الواقع وتضاربه. وإذا كان رُكام الماضي ينطوي على ما هُو خُرافي وأُسطُوري، فإنَّه يحتفظ بداخله - كما أشرنا من قبل - بمجموعة أنشطة بشريَّة من نوعيَّة خاصَّة لم تحصل على تفسير معقول يضمُّها إلى الرُّؤية العالميَّة للعلم أو الوعي العلمي، وربَّما تكشف عن أنَّ تلك الرُّؤية العالميَّة ليست صحيحة، ممَّا يستدعي تعديلها أو تغييرها تبعاً لاكتشافات ومُعطيات جديدة.

من طبيعة الرُّوح الإنسانيَّة اشتياقها إلى المُستقبل، وسعيها الدّائب نحو الأبديَّة، بالوُثُوب على الحاضر والانعتاق من قُيُود الزّمن. فهل يحدث هذا بدافع من مَلَكَة نَفْسيَّة أم مُجرَّد آمال يعقدها العجز عن امتلاك الواقع الرّاهن وتغييره؟.

إذا كان للعجز أو الضّعف دور في هذا التّوثُّب النَّفْسي، فإنَّه لا يكفي وحده في تفسير التّفعيل الخلاَّق لهذا التّوثُّب، والتّوثُّب نَفْسه لا يُمكن أنْ يجد تفعيلاً، لو لم يكن هُناك مجال نَفْسي قابل له. فوظائف الخلايا التّالفة في الدّماغ - في سبيل المثال - قد تُعوِّضها خلايا أُخرى، وفقدان حاسَّة من الحواسِّ قد يجد تعويضاً في نشاط وظيفة حسيَّة أُخرى. إذْ يتميَّز المخلوق البشري في أنَّه كائن قابل للتّكيُّف وفقاً للظُّرُوف والمُعطيات لتحقيق انسجامه الكوني. الأمر عينه يحدث في المجال النَّفْسي، فهُو مجال مُتحوِّل إلى بدائل مُتعدِّدة وفقاً للظُّرُوف والمُعطيات. وتُعبِّر الحالات المُغيِّرة للوعي عن أمثلة دقيقة لهذا اللّون من التَّحوُّل النَّفْسي. وما يدعونا إلى القول بأنَّ هذا التَّحوُّل مَلَكَة نَفْسيَّة، هُو أنَّ النَّفْس الإنسانيَّة ما إنْ تجد مُناسبة للانعتاق من الحاضر وقُيُوده الطّبيعيَّة حتَّى تتوثَّب للانطلاق، وكأنَّها مُناسبة لتفعيل الشُّعُور بالتّحرُّر، اشتياقاً إلى طبيعة حقيقيَّة مفقودة تسعى النَّفْس إلى اكتسابها لتُحقِّق تكاملها.

الكَهَانَة أو العِرَافَة والسِّحْر تعبيرات مُنحرفة أيضاً عن هذا التَّحوُّل النَّفْسي، لذلك عندما خطا العلم خُطُواته الكُبرى في طريق العقلانيَّة، وجدت النَّفْس بدائل أكثر بساطة ودقَّة من وسائل الكَهَنَة والعرَّافين أو السَّحَرة، لكنَّها صُدمت بانحراف العلم عن الموضوعيَّة الكاملة، وتقيُّده بحُدُود المادَّة وقوانينها الضَّيِّقة، واتِّخاذها معياراً لوُجُود ما يُوجد ولا وُجُود ما لا يُوجد. ممَّا أدَّى إلى أزمة نَفْسيَّة

كان من المُمكن أنْ تُؤدِّي إلى مواقف مُرتدَّة نحو الكَهَانَة وغيرها. لكنْ؛ في هذه المرحلة وجد التَّحوُّل النَّفْسي ميداناً مفتوحاً له في الباراسيكُولُوجي الحديث، فهذا الأخير يستبعد الكَهَانَة أو العرَافَة والسِّحْر من ميدان البحث النَّفْسي العلمي، ويُبرهن على لا علميَّتها ولا إنسانيَّتها. فظواهر الكَهَانَة أو العرَافَة وقراءة بطاقات الرّوليت والكفّ لا تُعبِّر عن مَلَكَات ذاتيَّة للنَّفْس، إنَّما هي أشبه بألعاب تخضع لقواعد مُحدَّدة يستنتج منها الدّعي (الدّجَّال) ما وضعه فيها مُسبقاً. في حين تمَّ تحديد الظّاهرة الباراسيكُولُوجيَّة بأنَّها قابليَّة أو موهبة تنبثق من الذّات الإنسانيَّة، أو مَلَكَة نَفْسيَّة قابلة للتّطوُّر والاختبار والقياس، وهذا ما سوف نُفصِّل القول فيه لاحقاً.

والشّاهد على تقعيد تلك المُمارسات هُو الأشكال المُختلفة التي اتَّخذتها في الحضارات المُختلفة، وهي خاطئة أيضاً، لأنَّها تعبير عن النُّزُوع النَّفْسي نحو التّحرُّر بطُرُق مُنحرفة؛ أيْ مُحاولة النَّفْس التّمسُّك بوسائل وَهْميَّة للانفلات من قبضة الحاضر. فتارة تأخذ شكل استنطاق الآلهة في المعبد (عند اليُونان)، أو استخدام الأحشاء الحيوانيَّة مثل الكبد (وتعرُّجات الأمعاء) كما هُو حال العرَافَة في بابل وآشُور[12]. أو تتَّخذ من النّظام الفَلَكي وسيلة لقراءة المُستقبل (كما عند الكلدانيِّين)[13]. وخرجت في بعض أشكالها عند الكلدانيِّين من هذا الانحراف عندما اتَّخذت شكل التَّنبُّؤ عن طريق الأحلام.[14]

هذا التّعدُّد في الأشكال يعود إلى طبيعة الثّقافة السّائدة، فاستخدام أحشاء الحيوان، مثلاً، يرجع إلى عادة القرابين والنُّحُور المُقدَّمة إلى الآلهة، والتي يتمُّ فيها ذبح الأُضحية على معبد الآلهة، فانبثقت من هذا الجوّ فكرة استخدام وسيلة مُتوفِّرة هي أحشاء الحيوان المذبوح. وارتبطت عند الإغريق بنمط العبادة السّائدة ونمط السّياسة المُنتخبة (الدّيمُقراطيَّة)، والتي انعكست على تعدُّد الآلهة وتخصُّصها، فكان من اختصاص بعض الآلهة التَّنبُّؤ بالمُستقبل مثل (أبُولُو وزيُوس)[15]. كما أنَّ تطوُّر علم الفَلَك واستخداماته عند الكلدانيِّين انعكس - أيضاً - على طريقة تنبُّئهم بالمُستقبل. وعلى كُلِّ حال؛ فإنَّ هذا التّعدُّد في الأشكال أو الأنماط يُعبِّر عن ظاهرة واحدة هي توق النَّفْس الإنسانيَّة إلى الانعتاق من قُيُود الزّمان والمكان، والانطلاق إلى الحُرِّيَّة الأبديَّة والمعرفة المُطلقة.

---

(12) الماجدي، خزعل، إنجيل بابل، عمان، ط1، ص296. انظر أيضاً إنجيل سُومر، المُؤلِّف نفسه ص185، النّاشر نفسه.

(13) الماجدي، خزعل، إنجيل بابل، ص305.

(14) المصدر نفسه، ص296 ـ 297، وإنجيل سُومر، ص180 ـ 181. انظر أيضاً: مبروك، علي: النُّبوة، من علم العقائد إلى فلسفة التّاريخ، ط1، بيروت، 1993، ص62.

(15) مبروك، علي، النّبوة، ص72.

إنَّ هذه الأنماط المُختلفة التي اتَّخذتها الكَهَانَة أو العرَافَة تُبعدها عن إمكانيَّة التَّحقُّق العلمي، فما نوع العلاقة - يا تُرى - التي يُمكن افتراضها مُسبقاً، بين تعرُّجات الأمعاء أو الأحشاء أو مواقع الكواكب أو الآلهة الأصنام، وبين سلاسل الأحداث الكونيَّة؟! في حين لا تُوجد هذه الصُّعُوبة في المَلَكَات النَّفْسيَّة (الباراسيكُولُوجيَّة)، إذْ من المُمكن اختبار قابليَّة التَّخاطُر أو الاستشفاف أو التَّنبُّؤ باستخدام نظام البطاقات أو غيره من وسائل اختبار، وتعيين طبيعة علاقة ثُنائيَّة بين الذّات العارفة والبطاقة كموضوع معروف، من دُون مُحاولة افتراض علاقة ما بين نظام البطاقات والأحداث الكونيَّة. فالعارف لا يدَّعي اكتشاف أسرار الكون والأحداث من خلال نظام البطاقات، إنَّما يُحاول - ذاتياً - معرفة نظام البطاقات نَفْسه من دُون الاستعانة بأية قُوَّة خارج ذاته، ومن ثَمَّ يتحدَّد هدف البحث العلمي في الكشف عن طبيعة العلاقة بين المُدرِك والموضوع المُدرَك في هذا اللّون الجديد من الإدراك، إضافة إلى السّعي نحو الكشف عن قنوات معلوماتيَّة غير الأعضاء الحسِّيَّة الطّبيعيَّة، ولهذا؛ فإنَّ الموضوع سيُوسِّع البحث العلمي ويستشرف آفاقاً علميَّة جديدة، وهذا عكس ما يحصل في مُمارسات السِّحْر والكَهَانَة وغيرها ممَّا وصفنا سلفاً.

يتَّضح إذنْ؛ أنَّ الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة لا تتعلَّق بكيانات خارجيَّة، إنَّما هي فاعليَّة ذاتيَّة للنَّفْس الإنسانيَّة، سواء كانت فاعليَّة معرفيَّة أو حركيَّة، ولا تستهدف وضع نظريَّة عن الأُلُوهيَّة أو النُّبُوَّة وغيرها، وإنْ كان من المُمكن بناء نسق ميتافيزيقي تتموضع فيه تلك المقولات. أمَّا الظّواهر أو القوى بذاتها؛ فهي - كأيِّ ظاهرة نَفْسيَّة - تُشكِّل جُزءاً من الظّواهر الكونيَّة التي تبقى مُعرَّضة لتفسيرات علميَّة وفلسفيَّة مُختلفة. ولذلك؛ فإنَّ مفهوم النُّبُوَّة عند الهُنُود، مثلاً، بوصفه تعبيراً عن مُمارسة ذاتيَّة للإنسان، وكشفاً باطنيّاً للشُّعُور، وإطلاق قابليَّات كامنة للوعي، من دُون الاستعانة بقُوَّة خارجيَّة، أو تلقِّي المعرفة من عقل لا إنساني، ينسجم مع المفهوم العامِّ والفَرَضيَّة الأساسيَّة الموضوعة للباراسيكُولُوجي. لذلك؛ فإنَّ لفظ (بُوذا) الذي يعني المُستنير **Enlightened One** يُقابل في الباراسيكُولُوجي مفهوم الموهوب (الرُّوحاني) **Psychic**. وهذا ما ينطبق على الطُّرُق الصُّوفيَّة عامَّة، التي تلتزم بأُسلُوب التّمرين والتّركيز والتَّأمُّل الذّاتي، بوصفها أنشطة لتفعيل القوى الرُّوحيَّة في الإنسان.

الباراسيكُولُوجي حديثاً:

مرَّت ظواهر الباراسيكُولُوجي بمراحل تاريخيَّة مُتعدِّدة، اختلطت عبرها بالأُسطُورة والكَهَانَة والسِّحْر أشدَّ الاختلاط، فكان من الصُّعُوبة فرز الظّواهر الصّادقة من الظّواهر الكاذبة التي تُشكِّل

رُكاماً هائلاً من مُخلَّفات قُصُور (أو نضال) العقل البشري في السّيادة على الطّبيعة والحياة. وحين بدأ العقل يلتمس تمايزاً ـ محدوداً ـ بين الظّواهر الرُّوحيَّة الحقيقيَّة ومُمارسات الكَهَانَة والدّجَل والخُرافة، بدأت تظهر جُهُود مُؤتلفة بشكل جمعيَّات مُتخصِّصة، لبحث تلك الظّواهر، والتَّحقُّق منها بأقصى ما يستطيع الإنسان التماسه من وسائل التَّحقُّق العلمي. بدأت تلك الجَمْعيَّات تظهر مُنذُ نهاية القرن التّاسع عشر، فتأسست الجَمْعيَّة الفرنسيَّة في باريس سنة 1867 باسم « جمعيَّة البُحُوث السّيكُوفيزيُولُوجيَّة » وقد سعت إلى دراسة ظواهر التَّخاطُر، وظُهُور الأشباح، ومن بين أعضائها عُلماء بارزين أمثال سللي برُودُوم، وشارل ريشيه، وماريلليه، وللجمعيَّة مجلَّة شهريَّة تُسمَّى المجلَّة النَّفْسيَّة (أو الرُّوحيَّة) يُديرها الدُّكتُور داريكسن، ثُمَّ تلتها جمعيَّات عديدة في أقاليم فرنسا.(16)

ويُعَدُّ الفسيُولُوجي الفرنسي شارل ريشيه (1850 ـ 1935) مُؤسِّس الباراسيكُولُوجي ومُمثِّله الرّئيسي في فرنسا. وكان يُسمِّيه ما وراء النَّفْس Metapsychique، وقد عرض النّتيجة العامَّة لأبحاثه الطّويلة في هذه المسائل في كتابه الكبير: « بحث في ما بعد النَّفْس »، الذي أهداه إلى ذكرى أستاذَيْه وصديقيه الشّهيرَيْن سير وليم كرُوكس، وفردريك ما يرز. ويُلخِّص ريشيه الظّواهر الأساسيَّة في الميتاسيكك، بثلاثة أنواع هي: (1) التّحسُّس الخفي Cryptesthesie (الألمعيَّة عند القُدماء)، وهي مَلَكَة للمعرفة تختلف عن مَلَكَات المعرفة الحسِّيَّة المُعتادة، (2) التّحريك من بُعْد، وهي فعل آلي يختلف عن القوى الآليَّة المعروفة، ويتحقَّق من دُون تماس، ومن بُعْد، في ظُرُوف معلومة، على موضوعات أو أشخاص، (3) الإكتوبلاسميا Ectoplasmie (التّجسُّد المادّي عند المُؤلِّفين الأقدمين)، وهي تكوين الموضوعات المُختلفة التي ـ غالباً ـ ما تبدو أنَّها تخرج من الجسم الإنساني، وتتَّخذ هيئة مادِّيَّة حقيقيَّة (الملابس، الأقنعة، الأجسام الحيَّة).(17)

يُميِّز ريشيه أربعة عُصُور كُبرى في تاريخ الباراسيكُولُوجي: (1) العصر الأُسطُوري الذي يمتدُّ إلى مسمر(1778)، (2) العصر المغناطيسي الذي يمتدُّ من مسمر إلى الأخوات فُوكس(1847)، (3) العصر الرُّوحاني، من الأخوات فُوكس إلى وليم كرُوكس(1847 ـ 1872)، (4) العصر العلمي الذي بدأه وليم كرُوكس(1872). ويأمل ريشيه أنْ يكون كتابه هذا بداية عصر خامس كلاسيكي. وعلى كُلِّ حال؛ فإنَّ ريشيه يَعُدُّ كرُوكس المُؤسِّس الحقيقي لما بعد النَّفْس، بوصفه علماً بالمعنى الصّحيح. وقد قال عن تجارب كرُوكس« إنَّها من الجرانيت ». وفيما يتعلَّق بندرة الظّواهر

---

(16) وجدي، مُحمَّد فريد، الإسلام في عصر العلم، ص660.

(17) ج. بنروبي، مصادر وتيَّارات الفلسفة المُعاصرة في فرنسا، ترجمة الدُّكتُور عبد الرّحمن بدوي، الجُزْء الأوَّل، المُؤسَّسة العربيَّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط2، 1980، ص42.

الباراسيكُولُوجيَّة يقول: لو لم يُوجد وسيط في العالم غير مدام بيبر فإنَّها تكفي لإثبات التّحسُّس الخفي علمياً.[18]

ويُنبِّه ريشيه على أنَّ هذا الميدان مازال في أوائله، وقد تنبَّأ له بمُستقبل أرقى وآفاق أعلى، وأنْ يتَّجه إلى وضع أخلاق وعلم اجتماع وإلهيَّات جديدة. ويرفض ريشيه أنْ تكون (الأرواح) بعثاً للموتى. ولا يرى كيف يُمكن إثبات أنَّ الشُّعُور الإنساني يبقى بعد موت المُخِّ، بذكرياته وشخصيَّته. فإذا كان ثَمَّ أرواح - وهذا أمر لا يُؤمن به ريشيه - ذوات قوى مُستترة (لا يفهمها أبداً) ومقاصد خفيَّة (لا يفهمها أيضاً)، فإنَّ هذه الأرواح ليست مشاعر الموتى، إنَّها تنتسب إلى عوالم أُخرى تختلف عن عالمنا المادِّي وعن عالمنا المعنوي. وإذا اتَّخذت مظاهر إنسانيَّة، فذلك من أجل أنْ تُهيِّئ لنا أنْ نفهمها بعض الفَهْم. والخُلاصة أنَّ ريشيه واثق تماماً أنَّه سينبثق عن ما بعد النَّفْس علم دقيق ذات يوم، كما انبثقت الكيمياء عن الصّنعة، وعلم الفَلَك عن علم التّنجيم.[19]

وسار في هذا الاتِّجاه أيضاً تيُودُور فلُورنوا (1854 - 1920)، الذي اشتهر بأعماله في هذا الميدان في العالم كُلِّه. وكان عُنوان كتابه الرّئيس في هذا الموضوع «من الهند إلى كوكب المرِّيخ». يشرح فيه حالة الوسيطة الرُّوحيَّة الآنسة هيلانه سمث التي كانت تعتقد أثناء حالة الرُّؤية الواضحة والسّير في النّوم أنَّها مرَّة في الهند القديمة، ومرَّة أُخرى في بلاط ماري أنطوانيت، ومرَّة ثالثة في كوكب المرِّيخ. ويُعالج فلُورنوا ظواهر ما بعد النَّفْس، مُوجِّهاً انتباهه - بشكل خاصٍّ - إلى دراسة الشّخصيَّة وسوابق الوسيط. وقد قام بذلك ابتغاء تقرير العلاقات بين الأحوال والظّواهر الخاصَّة التي تقوم عليها الأفكار الرُّوحانيَّة من ناحية، وبين التّركيب الفيزيائي والنَّفْسي للوُسطاء واتِّجاه حياتهم السّابقة. وفيما يتعلَّق بالطّريقة التي على نحوها ينبغي مُعالجة مشاكل ما بعد النَّفْس، يضع فلُورنوا المبدأيْن الآتيَيْن: (1) مبدأ هاملت، ويقول إنَّ «كُلَّ شيء مُمكن»، ولهذا؛ ينبغي ألا نُنكر شيئاً بطريقة قَبْليَّة، مهما بدا غير معقول، (2) مبدأ لابلاس، ويقول إنَّ وزن الدّليل ينبغي أنْ يتناسب مع غرابة الظّاهرة(*).[20]

---

(18) المصدر نفسه، ص43.

(19) المصدر نفسه، ص44.

(*) الجدير بالذّكر أنَّ المبدأ الأوَّل في البحث العلمي هُو مبدأ فيلسوفنا ابن سينا الذي أورده في معرض بحثه للظّواهر الرُّوحيَّة الخارقة. إذ نبَّه على وُجُوب الحياد والموضوعيَّة في بحث الظّواهر الطّبيعيَّة والرُّوحيَّة، ولا نستعجل الإنكار أو التّأييد قبل أنْ تستبين نتيجة التّحقيق؛ إذ إنَّ كُلَّ شيء مُمكن وله أسباب في الطّبيعة، انظر الفصل الخامس من هذه الدّراسة.

(20) المصدر نفسه، ص47 - 48.

وتأسَّست الجَمْعيَّة البريطانيَّة للبُحُوث الرُّوحيَّة سنة 1882، وكان مُؤسِّسُوها عُلماء بارزين مثل هنري سدجويك، والسِّير وليم بارت، وفردريك مايرز، وأدمُوند جُورني. بدأت بدراسة ظواهر الأشباح، وأخرجت كتاباً بعُنوان (أشباح الأحياء) سردت فيه مائتَيْ حادثة أكيدة. وقد نسب مُؤلّفو الكتاب تلك الحوادث إلى التَّخاطُر؛ أيْ تأثير عقل إنسان على عقل إنسان آخر عن بُعْد، والشّبح الذي يتجلَّى لعقل الإنسان الآخر يُسمَّى (خيال صادق).[21]

وتأسَّست الجَمْعيَّة الأمريكيَّة للبُحُوث الرُّوحيَّة سنة 1885 على يد وليم جيمس وتلامذته[22]. في الحقيقة؛ كان كارلس رايخت C Richet الحائز على جائزة نُوبل هُو أوَّل من استخدم التَّحليل الإحصائي في تجارب تخمين الورق في عام 1884. وقُدِّمت تجارب نموذجيَّة أُخرى في مرحلة مُبكِّرة من القرن العشرين من قِبَل هنري برجمان Henri Brugmans في جامعة كرُوننجسن وجامعة هُولندا، ومن قِبَل جُورج استابرُوك George Estabrook في جامعة هارفارد في أمريكا. وفي عام 1927، بدأ عالم النَّفْس المشهور وليم ماكدُوجل التّجريب الباراسيكُولُوجي في جامعة ديُوك في شمال كارُولينا، ودعا جي بي راين ليلتقي به هُناك، وأسَّسا مُختبر الباراسيكُولُوجي في عام 1934، الذي أصبح معلماً بارزاً في تطوُّر الباراسيكُولُوجي. وكان قد قدَّم أوَّل منهجيَّة تجريبيَّة نموذجيَّة في الإدراك فوق الحسِّي، كما قدَّم أوَّل الإثباتات المضبوطة مُختبريَّاً للتَّنبُّؤ المُسبق Precognition في عام 1933، وللسّايكوكينيسز عام 1934. والحقيقة لم يكتسب الباراسيكُولُوجي مشروعيَّته العلميَّة إلاَّ على يد جي بي راين ومُساعديه في جامعة ديوك، الذين بدءوا باستخدام الطُّرُق الإحصائيَّة مُنذُ عام 1933، إضافة إلى طُرُق مُختبريَّة مُتطوِّرة وأجهزة ومعدَّات حديثة، انتشرت بعد ذلك، وتطوَّرت على أيدي باحثين آخرين في بلدان مُختلفة، وكانت النّتائج ذات مغزى في كُلِّ مكان أُجريت فيه التّجارب، فأدَّى ذلك إلى حُدُوث نقلة نوعيَّة في تاريخ الباراسيكُولُوجي الحديث. والحَدَث المُهمُّ في هذا الحقل كان تشكيل الرّابطة الباراسيكُولُوجيَّة عام 1957، التي كانت مُنظَّمة وطنيَّة لعُلماء الباراسيكُولُوجي المُتخصِّصين. والحَدَث الأكبر والأهم هُو

---

(21) Schmeidler G.R and McConnell R.A.: ESP and Personality, Patterns. P .2.

انظر أيضاً:

Beloff J.: Historical overview, in ((Walman B.B)) (Ed): Handbook of parapsychology, U.S.A, 1977, pp.11-12.

(22) Price H.H.: Some philosophical questions about Telepathy and clairvoyance.in: ((Edge & Wheatley)) (Ed) philosophical dimensions of parapsychology, USA, p.106.

انضمام هذه الرّابطة إلى الرّابطة الأمريكيَّة لتقدُّم العُلُوم سنة 1969 ، وبذلك انتزع الباراسيكُولُوجي الاعتراف الرّسمي من العلم الحديث.[23]

ويرجع اهتمام الاتِّحاد السُّوفيتي (سابقاً) بالباراسيكُولُوجي إلى ما قبل الثّورة الرُّوسيَّة. فقد أجرى بيجترُوف، أحد زُملاء بافلُوف، اختباراته حول الإدراك فوق الحسِّي مُنذُ سنة 1916 ، أطلق عليها اسم «الإشعاع الحيوي» بُغية الحفاظ على سرِّيَّة عمله. وفي بداية السِّتِّينيَّات قام أحد تلامذة بيجترُوف وهُو ليونيد فاسيليف بنشر بعض التّقارير عن التّنويم المغناطيسي، ادَّعى فيها فاسيليف أنَّ الأشخاص الخاضعين للتّنويم المغناطيسي قد أُوقظوا بأوامر نُقلت إليهم من مسافات بعيدة عن طريق التَّخاطُر، وقد طُلب منهم أنْ ينكبُّوا على وجوههم، بعد أنَّ كانوا واقفين باستخدام الطّريقة ذاتها، وتبع ذلك اختبارات أُخرى في الاتِّصالات التَّخاطُريَّة بين مدن مُتباعدة؛ مثل مُوسكو ولينينغراد (سابقاً) أُجريت على آلاف الأشخاص.[24]

المُؤتمرات والنّدوات:

عُقد أوَّل مُؤتمر للظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة في باريس سنة 1889 ، بلغ عدد أعضائه أربعين ألفاً. كان فيهم مندوبون من المجامع الرُّوحيَّة والنَّفْسيَّة في العالم.[25]

وعُقد أوَّل مُؤتمر في القرن العشرين في مدينة كُوبنهاجن (الدّانمارك) في سنة 1921 برعاية كارل فيت Caral Vett . وكان هدف المُؤتمر حصر وتصنيف الظّواهر الخارقة، إلاَّ أنَّ المُشاركين لم يتوصّلوا إلى نتائج حاسمة حول الموضوع. وتلاه المُؤتمر الدّولي الثّاني الذي عُقد في وارشو (بُولندا) عام 1923 ، وتمَّ خلاله إنشاء جمعيَّات إقليميَّة للباراسيكُولُوجي. وتبنَّى المُؤتمر قرارَيْن؛ الأوَّل: الاتِّفاق على تميز واضح بين الباراسيكُولُوجي والظّواهر الرُّوحيَّة، والثّاني: تحديد المُصطلحات التي تُصنِّف الظّواهر الخارقة[26] . وتضمَّنت النُّقطة الخاصَّة بالمُصطلحات مُقترحَيْن: الأوَّل يشترط اشتقاق المُصطلحات الجديدة من اللُّغة الإغريقيَّة أو اللاَّتينيَّة. والثّاني يشترط استبعاد المُصطلحات الغامضة والمُلغزة من وُجهة النّظر العلميَّة.[27]

---

(23) Eisenbereg H.: Inner Spaces, Canada, 1977, P. 29...

(24) آرثر، كُوستلر، جُذُور المُصادفة، ترجمة فُوزيَّة ناجي، بغداد، ص14.

(25) وجدي، مُحمَّد فريد، مصدر سابق، ص663.

(26) Suder r.: parapsychology– A Scientific Study of ((Supernatural)) Telepathy, Incarnation, Automatic writing, U. S. A, 1962, P. 44.

(27) Nancy L. Zingrone and Carlos S Alvarado: Historical Aspects of parapsychological Terminology, The Journal of parapsychology, Vo.51, Nu. 1, March 1987, p.62.

وفي سنة 1927، عُقد المُؤتمر الدّولي الثّالث في باريس برئاسة كارلس ريشيه C. Rechet، وكان من بين الحُضُور هانز دريش، والسّير أُوليفر لُوج. نُوقشت في المُؤتمر أربعون ورقة عمل كان بعضها مُهمّاً جداً. وبالرّغم من أنّ وقائع المُؤتمر لم تُقدّم نصّ البُحُوث الخاصّة بالمُصطلحات، تناول تقرير المُؤتمر أربعة بُحُوث حول الموضوع. وقد افتتح دبليو، ايج، سالتر W. H. Salter الجلسة قائلاً: «إنّ جمعيّة البُحُوث الرُّوحيّة SPR قرّرت عدم تغيير أيٍّ من المُصطلحات التي استخدمتها. وإذا كانت تلك المُصطلحات تُثير مُشكلات حقيقيّة، فإنّ انسجامها يجعل من المرغوب فيه الإبقاء عليها كما هي». وقد ذهب تقرير المُؤتمر إلى القول إنّ «كُلّ اسم مُقترَح من قبَل مندوبي المُؤتمر تمّ رفضه - بشكل عامٍّ - من لدن الحاضرين لأسباب مُتنوّعة».[28]

وانعقد المُؤتمر الدّولي الرّابع في أثينا (اليُونان) عام 1930، برئاسة هانز دريش. وصرّح بريت Bret (1939) أنّه حاول الاستفادة من نُفُوذ هانس دريش في تشكيل لجنة في مُؤتمر عام 1930، في أثينا مهمّتها تطوير اصطلاحات مبنيّة على البادئة (ميتا) Meta، لكنّ مُحاولته لم تتكلّل بالنّجاح. ويُمكن الحُكْم من وقائع مُؤتمر عام 1930، إضافة إلى وقائع مُؤتمر أُوسلُو عام 1935، أنّه لم تكن هُناك دراسات إضافيّة حول توحيد المُصطلحات في تلك السّلسلة الخاصّة من المُؤتمرات.[29]

وعُقد المُؤتمر الإيطالي الأوّل للميتاسيكك Metapsychic في مدينة سينا Sienna عام 1949، واحدة من النُّقاط التي اتّفق حولها المُؤتمرون كانت قبُول القضيّة المُقترحة من قبَل بعض المندوبين، والتي ألحّوا فيها على ضرورة تنقيح وتوحيد مُصطلحات الميتاسيكك. لكنّ هذه النُّقطة لم تجد طريقها إلى حيِّز التّنفيذ كغيرها من نتائج المُؤتمرات الأُخرى المُتعلّقة بتقييس وتوحيد المُصطلحات.[30]

بدأت رابطة الباراسيكُولُوجي (في نيُو يُورك) سلسلة لقاءاتها الدّوليّة في بداية الخمسينيّات، فعُقد أوّل مُؤتمر دولي للدّراسات الباراسيكُولُوجيّة في جامعة أُوترخت في هُولندا عام 1953. وقد دُعي إليه المُتخصّصون في الجامعات العالميّة المُختلفة، وأصحاب الدّور البارز في استخدام الطّريقة العلميّة لاستكشاف ظواهر هذا الحقل. شارك في المُؤتمر ما يزيد على ستّين عُضواً من بينهم عُلماء نَفس، وأطبّاء، وعُلماء رياضيّات، وفلاسفة. وشُكّلت - أثناء المُؤتمر - أربع لجان رئيسة: عنت اللّجنة الأُولى بالأعمال النّوعيّة، واهتمّت الثّانية بشُؤُون الأمراض النّفْسيّة والتّحليل النّفْسي،

---

(28) Ibid, P. 63.

(29) Ibid, P. 63.

(30) Ibid, P. 63.

وركّزت اللّجنة الثّالثة على الظّواهر التّلقائيّـة، وتخصّصـت اللّجنـة الرّابعـة بدراسـة شـخصيّة الوُسطاء. وأهمل المؤتمر موضوع البقاء بعد الموت، ونُوقش بطريقة تقليديّـة مـن النّاحيـة الفلسفيّة. كما لم تتعرّض مُناقشات اللّجان للظّواهر الفيزيائيّة والحَركيّة (السّيكُوكينيسيز PK).

ووجّه الأعضاء تركيزهم - أيضاً - إلى ظواهر الاستشفاف (الجلاء البصري) وعلاقتها بحالات العقل الباطن. وسوّغت التّوجيهات العامّة للمؤتمر استعمال مُصطلح الباراسيكُولُوجي للإشارة إلى مجال الظّواهر الخارقة بدلاً عـن تسـميتها بـ « مـا وراء النَّفْس Metapsychic »، وتمّ الاتفـاق علـى إهمال المُصطلح الأخير (الفرنسـي الأصـل)، ومُصطلـح البُحُـوث الرُّوحيّة Psychical Research المُستعمل في البلدان النّاطقة بالإنجليزيّة، والاسـتعاضة عنـها بمُصطلـح « الباراسيكُولُوجي ». كما تقرّر الاستمرار باستعمال مُصطلح الشّخص الرُّوحاني (الموهوب) Psychic.[31]

وفي ما يتعلّـق بالمُصطلحـات أيضـاً، أقرّ المُؤتمـر استخدام مُصطلـح سـاي جاماPsi-Gamma وساي كابا *Psi-Kappa*، اللّذَيْن اقتُرحا من لـدن ثوليـس و وايزنـر عـام *1947*، بديلَيْن عـن الإدراك فوق الحسّي ESP، والتّحريك النَّفْسي (السّيكُوكينيسـيز) PK. وبـالرّغم مـن أنّ هذَيْن المُصطلحَيْن كانا مُستخدمَيْن - بشكل شائع - فـي بعـض المجـالات، إلاّ أنّـهما لـم يجـدا طريقـهما إلـى الاسـتخدام العامّ، ولكنْ؛ تمّ تبنّي التّعبير المُختصر Psi - بشكل عامّ - تقريباً.[32]

وفي مارس - أبريل من عام 1957، نشرت الرّسـالة الإخباريّـة لرابطـة الباراسـيكُولُوجي قائمـة بالمُصطلحات الباراسيكُولُوجيّة، كانت تمهيداً لتقرير اللّجنة الـذي قُدّم فـي اجتمـاع رابطـة البُحُـوث الدّوليّة لمُؤسّسة الباراسيكُولُوجي المُنعقد في فرنسا في آب - أغسـطس التّـالي مـن العـام نَفْسـه. قـدّم جُورج زُوراب George Zorab فـي ذلـك الاجتمـاع بحثـاً بعُنـوان « إيضـاح وتوحيـد المُصطلحـات الباراسيكُولُوجيّة ». أوضح فيه العمـل المُنجـز للّجنـة المُكرّسـة للمُصطلحـات. واستناداً إلـى تقريـر المُؤتمر أكّد زُوراب على « أهمّيّة تقديم تعريفات تُصوّر معنى المُصطلحـات الباراسيكُولُوجيّة بشـكل دقيق، وفي الوقت نَفْسه، يُمكن ترجمتها بسُهُولة إلى لُغات عديدة ».[33]

وكان أحد القرارات المُتّخذة في ذلك المُؤتمر تشكيل لجنة إعداد رسـميّة برئاسـة زُوراب Zorab وعُضويّة كُلّ مـن أريـك. جـي. دنغـول Eric .J. Dingwall، وروزالنـد هـايوود Rosalind

---

(31) Suder R.: op cit, p.45.

(32) Nancy L. and Carlos. S. : OP Cit, PP.63 – 64 .

(33) Ibid, P. 64.

Heywood ، وأميليو سيرفاديو Emilio Servadio . لكنْ؛ يبدو أنَّ عمل هذه اللّجنة لتقييس المُصطلحات الباراسيكُولُوجيَّة كان فاشلاً مثل غيرها من المُحاولات السّابقة. وكتب سرفاديو عام 1985 بأنَّ اللّجنة لم تُنجز شيئاً، في حين صرَّح دنغول عام 1985، بأنَّ اللّجنة انشغلت في نقاش عامّي، وقرَّرت إهمال القضيَّة بسبب صُعُوبات وتعقيدات مُتنوِّعة.[34]

وفي عام 1982، عقد مُؤتمر الرّابطة الباراسيكُولُوجيَّة في كمبردج، نُوقشت فيه، من بين موضوعات عديدة، مسألة تقييس المُصطلحات وتوحيدها. وفي عام 1985، عُقد مُؤتمر آخر للرّابطة الباراسيكُولُوجيَّة، نُوقشت فيه مسألة فقدان «التّمييز الاصطلاحي الدّقيق بين الأحداث الطّبيعيَّة التي تحتاج إلى تفسير، والبناءات الخام المُقدَّمة لتفسيرها». وقد طلب بالمر Palmer عام 1986، من معهد الرّابطة الباراسيكُولُوجيَّة إنشاء لجنة تعمل على تقديم توجيهات لتعديل المُصطلحات الباراسيكُولُوجيَّة.[35]

كان الاهتمام بالبُحُوث الرُّوحيَّة بعد الحرب العالميَّة الثّانية مُغطّى بسرِّيَّة رسميَّة. فقد علمت مُؤسَّسة اتِّحاد مُنظَّمات الملاحة الفضائيَّة الدّوليَّة في باريس في عام 1963، عن طريق مُوظَّف في وكالة الفضاء الوطنيَّة الأمريكيَّة، أنَّ تجارب قد أُجريت في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة حول ظاهرة نقل الطّاقة (مجال البحث الذي كان مجهولاً لعُلماء الغرب)، وبُحُوث خاصَّة حول العلاقة بين الحُقُول الفيزيائيَّة وبلازما السّاي أو السّايكُوكينيسز (تأثير العقل على المادَّة). ولم يُؤذَن بنشر نتائج تلك البُحُوث، سواء كانت سلبيَّة أو إيجابيَّة، ولكنَّ كُلاً من الأمريكان والرُّوس اكتشفوا إمكانيَّة استخدام الإدراك فوق الحسِّي والسّيكُوكينيسز للأغراض العسكريَّة والاستخباريَّة.[36]

وتُمثِّل الظّواهر الخارقة لدى غالبيَّة النّاس المُرادف للطّبيعة المُتعاليَّة *Supernatural*، وفي الثّلاثينيَّات من القرن العشرين بدأت تظهر على نفقتها الخاصَّة على شكل مقالات في الصُّحُف الشّعبيَّة، وبرامج التّلفزيون. وعندما تمَّ استفتاء قُرَّاء صحيفة التّايمز اللّندنيَّة سنة 1981، عن اعتقادهم بالظّواهر الخارقة، أجاب أكثر من 80٪ منهم بأنَّهم يُؤمنون بالإدراك فوق الحسِّي، بالرّغم من أنَّ هذا كان يُمثِّل عيِّنة مُنتقاة شخصياً. ويُمثِّل ذلك تزايداً ملحوظاً إذا قُورن بنسبة الاقتراع

---

(34) Ibid, P. 64.

(35) Ibid, pp.64-65.

(36) Inglis B.: The paranormal, An Encyclopedia of psychic phenomena, London, 1985, p.20.

الرّسمي الذي أُجري في الخمسين سنة الأُولى من القرن العشرين، الذي أجاب فيه نصف العيّنة تقريباً أنّهم لا يؤمنون بالتّخاطر.[37]

وتزايد عدد المنشورات العلميّة في مجال الباراسيكُولُوجي بشكل مُثير في الاتّحاد السُّوفيتي بعد مؤتمر مُوسكُو عام 1989، حول مُشكلات الطّاقات الحيويّة Bioenergetics. وتلاه مُؤتمران وطنيّان حول «الحالات الخاصّة للوعي: اختبار الظّواهر الفيزيانَفسيّة» عُقدا في مُوسكُو في عام 1990 و1992 على التّوالي. وقد ساهمت المجلّة الجديدة «الباراسيكُولُوجي في USSR» في تطوُّر الأُسلُوب العلمي في دراسة القُدرات الإنسانيّة فوق الاعتياديّة. وبعد انهيار الاتّحاد السُّوفيتي أُعيد تسمية المجلّة إلى: «الباراسيكُولُوجي والفيزياء النَّفْسيّة» وقد نُشرت كُلُّ الدّراسات العلميّة - فعليّاً - في هذه المجلّة مُنذُ ما قبل البريستروُيكا إلى الوقت الرّاهن.[38]

يُدرَّس الباراسيكُولُوجي مُنذُ عام 1977 في (130) جامعة وكُلّيّة في أمريكا الشّماليّة، بعضها من أكثر الجامعات أهمّيّة وتقدُّماً مثل جامعة تُورنتُو، وجامعة مكجل، وجامعة كاليفُورنيا (في دافيس، ولُوس أنجلُوس، وسانتا بربارا)، وجامعة كُورنيل، وجامعة وسكونسن، وجامعة مانيسوتا، والجامعة الدّوليّة في نيُو يُورك. ويُدرَّس - أيضاً - في أغلب الجامعات الأُورُوبيّة المشهورة بضمنها جامعة أدنبرة، وجامعة سكوتلندا، وجامعة فرايبورخ، وجامعة ألمانيا الغربيّة، وجامعة الدّولة في أترخت، وهُولندا، وتمّ تأسيس أقسام للباراسيكُولُوجي في بعض الجامعات.[39]

تطوُّر المُصطلحات الباراسيكُولُوجيّة:

أحصى كُلٌّ من نانسي زنجرون، وكارلوس فارادو المُصطلحات المُبتكرة في الباراسيكُولُوجي، بدءاً من الثّمانينيّات من القرن التّاسع عشر وحتّى بداية الثّمانينيّات من القرن العشرين، في مسح تاريخي تناول النّشاطات الجماعيّة والفرديّة خلال تلك الفترة الطّويلة التي تزيد على قرن من الزّمن.

تناول المسح الأوّل الفترة المُمتدّة من الثّمانينيّات من القرن التّاسع عشر إلى نهاية العشرينيّات من القرن العشرين، فشملت نشاطات عدد من الكُتّاب الذين طرحوا مُصطلحات وصفيّة للظّواهر

---

(37) Ibid, P. 20.

(38) Andrey Lee: Review of Experimental Studies Conducted in Russia in the field of Parapsychology, P.1.
مادّة مُقتبسة من الإنترنت، ترجمها عن الرُّوسيّة S. Sava

(39) See both, Eiesenberg H.: Inner Spaces, p.29, McClenon J.: Deviant science, The case of parapsychology,USA,1984, p.2.

الباراسيكُولُوجيَّة، من بينهم، أكساكُوف (1890 ـ 1895)، وبُواراك (1893 ـ 1917)، ومايرز (1896 ـ 1903)، ورايخت (1922)، وأخيراً؛ سُودر (1926)[40]. ويضمُّ الجدول رقم 1 بعض المُصطلحات المُقترحة.

الجدول رقم (1)

المُصطلحات المُتداولة لدى الباحثين من الثّمانينيّات من القرن التّاسع عشر إلى نهاية العشرينيّات من القرن العشرين.

المُصطلح	التّعريف	واضع المُصطلح
Telekinetic	تحريك الأشياء من دُون اتّصال	اكساكوف(1890 ـ 189)
Metagnomy	الإدراك فوق الحسّي(ESP)	بواراك (1908 ـ 1917)
Metakinesis	تحريك الأشياء من دُون اتّصال	فشر (1926)
Telepsychosis	المعرفة التّخاطُريّة	هولت (1914)
Telemnesai	تخاطر الذّاكرة دُون عتبة الوعي	هايسلوب (1907)
Retrocognition	الإدراك فوق الحسّي لأحداث الماضي	مايرز (1895)
Parascopy	الإدراك فوق الحسّي(ESP)	بروبوش (1929)
Cryptaesthesia	الإدراك فوق الحسّي (ESP)	رايخت (1922)
Thorybism	إزعاجات الرُّوح الضّاجة	سودر (1926)

وفي غُضُون تلك الفترة المُبكّرة ذاتها قدَّم ناحت الألفاظ النّشط بي. تي. برت أحد التّصنيفات الواسعة والمُعقّدة في كتابه Precis de Metapsychique: Subconsient et Metapsychism. وقد ضمَّ مُصطلحات واسعة، ويحتوي الكتاب على مُلخّص بـ185 مُصطلحاً، كان بعضها من ابتكاره. وقدَّم في بحث آخر له عام (1939) ثلاثة مبادئ أساسيّة لنحت المُصطلح هي:

1 ـ يجب أنْ يكون لدينا اسم مُفرد لكُلِّ شكل يُمكن أنْ تُشتقَّ منه أجزاء أُخرى للكلام.

(40) Zingron N . L & Alvarado C .S.:Op cit, pp.50-51.

2 ـ أنْ نستخدم البادئة Meta (ما وراء) لكُلّ الظّواهر الأساسيَّة، والبادئة Tele (إخبار) لكُلّ الظّواهر المُشتقَّة من الظّواهر الأساسيَّة، وأنْ نستخدم اللاَّحقة Gnosie (معرفة) لتُشير إلى المعرفة من دُون اتِّصال حسِّي (الخارقة).

3 ـ أنْ لا نستخدم مُصطلحات تقنيَّة مُستخدمة في علم آخر.

وفي الوقت الذي أكَّد فيه برات على اللاَّحقة «غنوسيا» gnosie، أشار راخت (1922) وآخرون مثل فِشر (1926) إلى اللاَّحقة Esthesie (إحساس) كما في الاصطلاح Cryptaesthesie (إحساس خفي).

انبثقت من مُختبر راين مُصطلحات جديدة في الفترة ما بين 1930 ـ 1959. وغالباً ما يظنّ الكُتّاب المُحدثون خطأ بأنَّ راين هُو الذي ابتكر مُصطلحَيْ الإدراك فوق الحسِّي Extrasensory Perception، والسّيكُوكينيسز Psychokinesis. والحقيقة؛ أنَّ هذَيْن المُصطلحَيْن كانا مُستخدمَيْن قبل أنْ يبدأ راين عمله في مجال الباراسيكُولُوجي. في سبيل المثال، استخدم باغنستشر Pagenstecher، مُصطلح الإدراك فوق الحسِّي عام (1929)، وفشر Fisher أيضاً عام (1926)، وسينفل Sainville عام (1927)، بالمعنى ذاته الذي استخدمه فيه راين. واستخدم هولت Holt مُصطلح السّايكُوكينيسز عام (1914)، وكان يعني به القُوَّة الضّروريَّة للاتِّصال الوساطي. وكان مُصطلح بُوراك السّايكُوكينيسز الحيويَّة Vital Psychokinesis الذي استخدمه لأوَّل مرَّة عام 1908، مُشابهاً بالمعنى لمُصطلح راين السّيكُوكينسز.[41]

كان مُختبر راين مصدراً خصباً لمجموعة من المُصطلحات تفي بالمطالب الجديدة. ويدلُّ الجدول رقم 2 على أنَّ مجموعة راين لم تستخدم مُصطلحات وصفيَّة واسعة كما فعل الباحثون السّابقون، بل استخدمت مُصطلحات موصوفة بإجراءات اختباريَّة دقيقة.

قدَّم راين عدداً من التّطوُّرات المُهمَّة التي غيَّرت بُؤرة الاهتمام من التّفسيرات الوصفيَّة إلى التّفسيرات العمليَّة. في سبيل المثال، أرجع ـ ومُساعدوه ـ مجالات واسعة من الدّراسة في البُحُوث الرُّوحيَّة إلى فَرَضيَّات دقيقة سهلة الخُضُوع للفَحْص المُختبري. وقاموا بتصميم إجراءات اختباريَّة وطُرُق تحليليَّة. كما قدَّم مُختبر راين منهجيَّة جديدة عن طريق إصدار مجلَّة، وإنتاج كُتيِّبات اختباريَّة، ونشر نُصُوص أساسيَّة. وقد هيمن الإنتاج البحثي لمُختبر راين على الباراسيكُولُوجي

---

(41) Ibid, p.51.

الأمريكي طُول فترة الأربعينيَّات والخمسينيَّات من القرن العشرين. والحقيقة؛ أنَّ أغلب المُصطلحات المُستخدمة في تلك الفترة، إنْ لم تكن جميعها، كانت محدودة من النّاحية الوصفيَّة، بل كانت مُصطلحات تصف الإجراءات الإختباريَّة، وليس الظّواهر، بمعنى آخر؛ كانت تُعبِّر عن اهتمامات منهجيَّة. ويصدق هذا على المُصطلحات الإنجليزيَّة خلال تلك الفترة ذاتها، كما يبدو من التّقارير الاختباريَّة لـ(سوال) التي قدَّمها في الفترة الواقعة بين 1940 ـ 1943. [42]

جدول رقم .2.المُصطلحات المُستخدمة من لدن راين ومجموعته في جامعة ديُوك في الفترة (1930 . 1959)

إجراءات اختبار البطاقات	إجراءات اختبار الزّهر
اختبار الزّهر العالي High dice test	قبل اللّمس Before touching
اختبار الزّهر الواطئ Low dice test	الاختبار الأعمى Blind matching
اختبار تعيين الموضع Placement test	الرّمي المنخفض down throw
اختبار السّبعات Seven test	الاختبار المفتوح open matching
اختبار الفرادى Singles test	الخلط الرُّوحي Psychic shuffle
	اختبار لمس الشّاشة Screen touch matching

وقد عكست المُصطلحات غير الإنجليزيَّة نوعاً من الفَرَضيَّات الأساسيَّة، فضلاً عن درجات مُختلفة من قبُول الواقع الموضوعي للظّواهر. استخدم سُودر(1956) مُصطلح Thorybism الذي يعني النّشاط الهائج للرُّوح الضّاجَّة. واستخدم مُصطلح hylocasty الذي يعني(الطّرح الرُّوحي) وكان مُستخدماً في اللُّغة الفرنسيَّة. كما استخدم كازاميلي Cazzamalli (1954) مُصطلح الرّسم الإشعاعي الدّماغي الرُّوحي Radiocerebral-Psychograph. والفيزياء الحيويَّة الرُّوحيَّة psychobiophysics. ومازالت المُصطلحات غير الإنجليزيَّة مُختلفة، في ثُبُوتها، عن مُصطلحات الباراسيكُولُوجيِّين النّاطقين بالإنجليزيَّة. ويُعدُّ مُصطلح كوافيدو Quevedo (1969 ـ 1971) الإكتو-كولو-بلازم ecto-colo-plasm أو البلازما الخارجيَّة، ومُصطلح أندراد Andrad، مادَّة ساي Psi-matter (1970 ـ 1976)، أمثلة على ذلك. [43]

---

(42) Ibid, p.51.

(43) Ibid, pp.52-53.

ودخلت مُصطلحات جديدة في الفترة الحديثة المُمتدَّة من السِّتّينيَّات إلى الثّمانينيَّات من القرن العشرين، إذْ أحصى كُلٌّ من نانسي زنغرُون وكارلُوس فارادُو، عيِّنة صغيرة منها في الجدول رقم(3) أدناه.

المُصطلح	واضع المُصطلح
نوع التّغذية الاسترجاعيّة الحيويّة الكُلّيّة Allobiofeedback	برود Braud (1978)
انتقال دلتا Delta-afferentation	نيب Neppe (1984)
أثر التّركيز Focusing effect	رايزل وبرات Ryzl & Pratt
النّهاية (وهُو الحرف (24) من الأبجديّة الإغريقيّة) Omega	بالمر Palmer (1986)
الأثر المميّز preferential effect	راو Rao (1962)
النّمو المتواصل لقُدرات ساي Psi-in-process	جيسلر Giesler(1984)
تضاؤل ساي Psi trailing	راين وفيذر Rhin & Feather (1962)
الاستجابة الأداتيّة الوسطيّة لساي Psi-mediated instrumental response	ستانفورد Stanford (1974)
التّمرين الرُّوحي Psychopraxia	ثالبورن Thalbourne (1982)
الرُّؤية عن بعد Remot viewing	تارغ وبوثوف Targ & Puthoff (1974)
الكبح الزّمني المتحوّل Transtemporal inhibition	تارت Tart (1978)

وبالرّغم من أنَّ ظُهُور هذه المُصطلحات الجديدة، وتحسين المُصطلحات القديمة أحدث تطوُّراً في الباراسيكُولُوجي، إلاَّ أنَّ المُصطلحات الجديدة أثارت - بدورها - مُشكلات جديدة أيضاً. فقد حَدَثَ تزايد في الانعزال الاصطلاحي لبعض أقسام الجَمْعيَّة الباراسيكُولُوجيَّة النّاطقة بالإنجليزيَّة عن أقسامها الأُخرى، وبصُورة عامّة؛ انعزل الباراسيكُولُوجيون النّاطقون بالإنجليزيَّة عن زُملائهم النّاطقين باللُّغات الأُخرى. ويعود جُزء من هذه المُشكلة إلى عدم قُدرة الباراسيكُولُوجيِّين النّاطقين بالإنجليزيَّة على قراءة اللُّغات الأُخرى، أو أنَّهم لم يُبدوا اهتماماً بالعمل غير الإنجليزي، على الرّغم من معرفتهم باللُّغات الأُخرى.

في عام 1921، قام والتر فرانكلين برنس Walter Franklin Prince بإعادة النّظر بالمُصطلحات المُستخدمة في تلك الفترة، قائلاً: « تمتلك العُلُوم الفيزيائيَّة - بشكل عام - مُصطلحات

تقنيَّة ذات معانٍ ثابتة ومفهومة عالمياً... وليس الأمر كذلك في البُحُوث الرُّوحيَّة». وقام برنس بتعيين عدد من المُشكلات المُتعلِّقة بمُصطلحات الباراسيكُولُوجي كالآتي: [44]

معاني مُختلفة لمُصطلح واحد؛ أيْ الاشتراك اللّفظي. فالمُصطلح القديم telergy الذي قدَّمه مايرز عام 1896، كان يعني تفسير التَّخاطُر عن طريق تأثير فيزيائي مُفترض على دماغ المُتسلِّم. وقد استخدمه كُونستبل Conestable (1918) بصُورة أكثر تعميماً، ليُشير إلى وُجُود قُوَّة في الإنسان تُسبِّب حُدُوث التَّخاطُر. واستخدمه كُلٌّ من سُودر Sudre (1926) وكوافيدُو (1969 ـ 1971) للإشارة إلى طاقة رُوحيَّة خاصَّة، أو قُوَّة سيَّالة مُفترضة، اعتقد كُلٌّ منهما أنَّها مسؤولة عن الظّواهر الفيزيائيَّة الخارقة.

مُصطلحات مُختلفة لظاهرة واحدة؛ أيْ وُجُود ترادف لفظي. استخدم الكُتَّاب في الأدبيَّات القديمة مُصطلحات مُختلفة للإشارة إلى الإدراك فوق الحسِّي(ESP)، من بينها المعرفة فوق الاعتياديَّة Supernormal Cognition (أوستي Osty، 1930)، ومُصطلح الإحساس الخفي Cryptaesthesia (رايخت1922، وفشر1926)، والمعرفة الماورائيَّة Metagnomy (بواراخ 1917 ـ 1918)، وأخيراً؛ استخدم ثُوليس ووايزنر(1947) مُصطلح ساي ـ جاما Psi-gama.

تعريفات جديدة ومُشوَّشة لكلمات شائعة الاستخدام عند العامَّة أو في اللُّغة العلميَّة. في سبيل المثال، إنَّ مُصطلحَيْ السّيكُومتري Psychometry (التّكهُّن النَّفْسي)، والسّيكُوكينيسز Psychokinesis (تأثير العقل على المادَّة)، بمُستوى أقلّ، كانا مُستخدمَيْن في مجالات معرفيَّة أُخرى، فضلاً عن الباراسيكُولُوجي. ويرى ثالبُورن Thalbourne (1982) أنَّ مُصطلح السّيكُومتري ابتكره جي. آر. بُوشانُون J.R. Buchanon ليُشير إلى العمليَّة التي يُمسك بها الموهوب بشيء ما بيدَيْه، ويحصل على معلومات خارقة عن الشّيء أو عن مالكه. وعلى كُلّ حال؛ فإنَّ المُصطلح كان مُستخدماً ـ بشكل واسع ـ في علم النَّفْس والطِّبِّ النَّفْسي بمعنى «قياس مُدَّة العمليَّات العقليَّة وقُوَّتها»، وكذلك كان مُصطلح السّايكُومتركس Psychometrics، المُشتقّ منه، مُستخدماً بشكل واسع، ويُشير إلى جوانب دقيقة من الاختبارات النَّفْسيَّة، واختبار الشّخصيَّة. وقد استخدم الطِّبُّ النَّفْسي في السّتّينيَّات مُصطلح السّايكُوكينيسز الذي ابتكره تي. أس. كلاوستون T. S. Clouston لتفسير الكبح النّاقص defective inhibition، وليُشير إلى التَّزامُن السّريري Clinical Syndrome المعروف بباعث الجُنُون *impulse insanity*.

---

(44) Ibid, p.54.

غرائبيَّة الظَّاهرة الباراسيكولوجيَّة:

تشعر امرأة بألم شديد في يدها اليمنى، عندما كانت تكتب رسالة إلى ابنتها التي تبعد عنها مسافة كبيرة جداً، في ذات الوقت الذي أُصيبت فيه الابنة بحُرُوق في يدها اليمنى أيضاً. امرأة أُخرى تسمع صوت طائرة في قرقعة ماكنة الخياطة، وتعلم فجأة، بعد ذلك، أنَّ طائرة اصطدمت ببناية ضخمة في مدينة نيُو يُورك!!.

يحلم عدد من الأشخاص في بريطانية بقتل مجموعة كبيرة من الأطفال أثناء انهيار مدرسة، قبل عدَّة أيَّام من انحدار أكوام من بقايا منجم فحم، فوق مدرستهم أثناء الدّوام الرّسمي، ممَّا أدَّى إلى دفن المدرسة برمَّتها تحت الأنقاض!!.

فُصل شابٌّ يعمل في مُستودع للموادِّ الغذائيَّة من وظيفته؛ لأنَّ البضائع تتساقط من الرُّفُوف أو تتطاير داخل الغُرفة عند اقترابه منها. وشخص يزوره شبح والده في نومه قبل أنْ يتلقَّى برقيَّة تُخبره بوفاته المُفاجئة في المساء نَفْسه.(*)

في إحدى ليالي آذار من عام 1999، أخبره صوت مجهول في الرُّؤيا بأنَّ قريبه (س) قد مات. وفي الصّباح توجَّه إلى الجامعة كعادته، وتسلَّم رسالة تُخبره بوفاة ذلك القريب. ويحلم نَفْس الشّخص بأحد الموتى يُخبره بموت جاره، وبعد الحلم بأيَّام يعلم أنَّ جاره قد تُوفِّي في وقت الحلم نَفْسه. وفي صباح السّابع من شهر تمُّوز سنة 1996، استيقظ في حالة نَفْسيَّة مُضطربة، شُعُور بالتّوتُّر والقلق وفقدان للشّهيَّة. حاول في بداية الأمر، إخفاء شُعُوره عن زوجته، لكنَّه اكتشف أنَّها كانت تُعاني الحالة ذاتها، وبعد أنْ أبدا كُلٌّ منهما شُعُوره للآخر انفجرت الزّوجة بالبُكاء وقالت ربَّما مكروهاً حَدَثَ لأهلنا. وبعد ثلاثة أيَّام جاءه صديق يُخبره بأنَّ أهله يطلبونه، وعندما وصل هُناك وجد أنَّ أخاه ـ الذي يصغره بعام واحد ـ قد قتل.

كان في عُمر 12 ـ 13 سنة، عندما حلم بشيء يُشبه كُرة ناريَّة تنطلق في السّماء، كان المشهد مُرعباً، ورافقه هتاف ضعيف يقول إنَّ ذلك الشّيء (الكُرة النّاريَّة) وقع فوق س (أحد أقربائه في بغداد). وفي صباح اليوم التّالي جاء خبر وفاة أمِّ ذلك القريب (س) الذي وقعت عليه الصّاعقة (الكُرة النّاريَّة) في الرُّؤيا. بقيت تلك الرُّؤيا مُؤثِّرة في نَفْسه إلى حَدٍّ أنَّها وعلى الرّغم من مُرُور أكثر

(*) هذه الأمثلة مشهورة في أدبيَّات الباراسيكُولُوجي، وقد تصدرَّت الفصل الثّاني من كتاب علمي صادر في إنجلترا بعنُوان: أساسيَّات الباراسيكُولُوجي، ساهم فيه عُلماء بارزون في مجالات الفيزياء والطِّبِّ وعلم النَّفْس والفلسفة. وقد قام الأُستاذ سلمان يعقُوب العبيدي، أحد المُهتمِّين بالباراسيكُولُوجي في العراق، بترجمة الكتاب إلى العَرَبيَّة، ولا نعلم شيئاً عن نشره.

من عشرين سنة عليها كأنّها حدثت بالأمس، فضلاً عن أنّها حدثت في زمن المُراهقة المُثقل بما لا يُحصى من الأحداث التي غربت مع الزّمن. والجدير بالذّكر؛ أنّ موت قريبته تلك كان مُفاجئاً؛ فقد تُوفّيت بالسّكتة القلبيّة عندما كانت تُؤدّي عملها المُعتاد في بيتها.

وتحقّق باحثون جادّون من أحداث أُخرى في هذا المجال، مُتوخّين الموضوعيّة والدّقّة العلميّة، منها ما ذكرته الدُّكتُورة ماريُو فارفُوجلس Mario Varvoglis عن الخبرة التي حدثت لها في نهاية عام 1976، والتي غيّرت مجرى حياتها، تقول: بينما كُنتُ نائمة سمعتُ صوتاً أُنثويّاً، يُشبه صوت أُمّي أو أُختي، يناديني باسمي مرّتيْن. نهضتُ مذعورة، أشعر كأنّ السّقف ينهار فوق رأسي. قفزتُ خارج الفراش، ثُمّ هُرعتُ خارج غُرفة نومي. مرّت لحظات لم أكن فيها مُتأكّدة تماماً عمّا يحدث لي، بالرّغم من أنّني تحرّكتُ من غُرفة إلى أُخرى... وخيّم صمت مُميت في كُلّ مكان، ثُمّ بدا كُلُّ شيء طبيعيّاً تماماً... شعرتُ بعدها أنّني في خطر وشيك، وأخيراً؛ أقنعتُ نَفْسي بأنّ هذا كان كابوساً من النّوع الغريب جدّاً. عدتُّ إلى الفراش، واستغرقتُ في النّوم ثانية.

استيقظتُ صباحاً على رنّات الهاتف، كان المُتّصل صديقاً من اليُونان أخبرني أنّ زلزالاً قويّاً ضرب ثيزالونيكي إحدى المُدُن الجنوبيّة الكُبرى في اليُونان؛ حيثُ تسكن أُسرتي في ذلك الحين. أصبحتُ قَلقة بالفعل، وأدركتُ ـ بشكل مُفاجئ ـ مغزى الحلم الذي رأيتُهُ في المنام. أخيراً؛ اتّصلت بوالديَّ هاتفيّاً، وشعرت بارتياح عندما وجدتُهُما سالمَيْن، على الرّغم من أنّهما كانا مصدومَيْن بسبب الحادث. كانت أمي وحدها في البيت عندما بدأ الاهتزاز الشّديد، وقد هرعت إلى الشّارع مع آلاف النّاس، وهي تشعر أنّ انهيار المبنى بات وشيكاً. وأخبرتني والدتي ـ فيما بعد ـ أنّها عندما كانت تُحاول الهرب راودتها فكرة أنّها ربّما تموت من دُون أنْ تراني مرّة أُخرى أبداً.[45]

يذكر مُؤلّفا التّزامُن الحادثة التّالية: مُنذُ عقد أو نحوه، عاشت الإنجليزيّة سُوزان بادفيلد سلسلة من الأحلام كانت تحلم فيها أنّها ضائعة في منطقة ريفيّة لاتعرفها. وحين كانت تُحاول أنْ تجد طريقها كان يظهر فوقها في السّماء جسم طائر ضخم، ولامع، بشكل صُحَيفة الفنجان. ثُمّ كانت ترى نَفْسها فجأةً على امتداد درب قريب من البيت. وقد عاودها هذا الحلم المُتكرّر على مدى أشهر عدّة.

---

(45) Varvoglis. M.: Psychic Potentials and mind at Large, the creater of Psi Explorer, September 1997,part.1.(Telepathy).pp.1-2.

وهي مادّة مُعدّة على الإنترنت، رمز الموقع:

http://www.beyondhuman.com/psiexp/Psi-september97.htm.

وذات ليلة، بينما كانت تقود سيَّارتها باتِّجاه البيت، حاولتْ أنْ تسلك طريقاً مُختصرة، ووجدت نَفْسها في وسط متاهة من أزقَّة البلدة. وحين توقَّفت عند تلَّة لتقرأ إحدى إشارات الطّريق، رأت جسماً ضخماً، لامعاً، بشكل صُحَيفة الفنجان يظهر في السّماء فوقها. وأسرعت مرعوبة تقود سيَّارتها باتِّجاه الأضواء البعيدة لأقرب بلدة. ولدهشتها، وجدت نَفْسها على امتداد الدّرب الذي رأته في أحلامها! في اليوم التّالي كانت الصُّحُف مُمتلئة بتقارير عن مُشاهدات أجسام طائرة مجهولة.[46]

وأورد لُورنس ليشان في كتابه « The Paranormal » الحادثة التّالية، التي غالباً ما تحدث للكثير من الأُمَّهات عندما يتعرَّض أولادهنَّ لخطر الموت، أو للموت الفعلي. في العشرين من كانون الثّاني سنة 1945، حلمت امرأة في كاليفُورنيا بولدها، الذي كان يخدم آنذاك في البَحْريَّة الأمريكيَّة المُرابطة في المُحيط الهادي، أنَّه جاءها إلى المطبخ، وخلع بدلته البَحْريَّة، ورماها في حوض الغسيل. وبعد ذلك ضمَّها بذراعَيْه مُتألِّماً وقال: أليس هذا أمراً فظيعاً؟ إنَّه الشّيء الوحيد الذي طالما تمنيتُ أنْ لا تسمعيه أبداً. ولم تكن تعرف عمَّا كان يتحدَّث. قادها إلى صالة الجُلُوس، وجلس على رُكبتَيْها وهُو يبكي، وهي تُهدهده حتَّى نام كالطّفل بين ذراعَيْها. بعد ستَّة أيَّام من هذه الرُّؤيا، جاءها قسِّيس من قاعدة بَحْريَّة محلِّيَّة فأخبرها أنَّ سفينة ولدها قد دُمِّرت بطُوربيد في ليلة العشرين من كانون الثّاني، وأنَّ ولدها من بين المفقودين المُمزَّقين إرباً.[47]

ويذكر ليشان في الكتاب نَفْسه أيضاً الحادثة الأُخرى التّالية: سمعتْ فتاة في لُوس أنجلُوس، في إحدى اللّيالي، والدتها تناديها وكأنَّها في الغُرفة المُجاورة. فأجابت من دُون تريُّث « نعم ماما » لكنَّها انتبهت إلى أنَّ أُمَّها تبعد عنها مسافة 3000 ميل. وبعد أيَّام قلائل تسلَّمت رسالة من أُمِّها تقول فيها: « ذات ليلة كُنتُ مُشتاقة إليكِ، فوقفتُ في مدخل غرفتكِ، وناديتكِ ».[48]

قدَّم أرلندر هاردسُون من قسم علم النَّفْس في جامعة أيسلاند تحقيقاً عن الحادثة التي تُدعى « حالة آينجر - كيرتي »: كانت الدُّكتُورة بانو آينجر **Bhanu Iyengar** مُدرِّسة في قسم الأمراض في كُلِّيَّة مولانا آزاد الطِّبِّيَّة في دلهي، وكان مُستشفى ايروين تابعاً لها، وقد حدثت الحالة في آذار أو نيسان من عام 1968.

---

(46) آلان كُومبس، مارك هُولند، التّزامُن، العلم والأُسطُورة والألعبان، ترجمة ثائر ديب، دار مكتبة إيزس، دمشق، ط1، 2000، ص90 - 91.

(47) Leshan. L.: The Science of Paranormal, The last Frontier, Great Britain, 1987, pp. 177-178.

(48) Ibid, P. 178.

في ذلك الوقت كانت الدُّكتُورة آينجر - أستاذة كيرتي وصديقتها المُقرَّبة - تُعالج في بيت التّمريض في نيُودلهي إثر مُضاعفات ظهرت بعد الولادة. كانت كيرتي ظُهر ذلك اليوم تعمل في مُستشفى أيروين، ولكنَّها كانت مُتفرِّغة بعد الظُّهر. وبدلاً من أنْ تعود إلى البيت كالعادة في نهاية الدّوام، ذهبت إلى بيت التّمريض، لتقضي عصر ذلك اليوم بجنب صديقتها آينجر. والدة أينجر السّيِّدة تي أينجر كانت موجودة هُناك أيضاً. كانت حالة الدُّكتُورة آينجر سيِّئة جداً، إلاَّ أنَّها ليست في خطر الموت، وتُعاني من حمَّى عالية جداً. بعد التّحية التزمت المرأتان الصّمت جنب الفراش. وبعد بُرهة التّفتت آينجر - بشكل مُفاجئ - إلى كيرتي، وطلبت منها الذّهاب إلى بيت جَدِّها. كانت كيرتي تعيش مع جَدِّها مُنذُ زمن طويل، مُنذُ التحاق والدَيْها في الخدمة الدِّبلُوماسيَّة وإقامتهما في أفريقيا. رفضت كيرتي الذّهاب، وأجابتها بأنَّها جاءت لتقضي العصر كُلَّه معها. وحصل بعض الجدال بينهما، وأصرَّت أينجر على كيرتي أنْ تعود إلى البيت أو تتَّصل تلفونيَّاً، وافقت كيرتي أخيراً، بتأثير إلحاح آينجر، الاتِّصال ببيتها السّاعة الرّابعة والنّصف عصراً. أجابتها خالتها أناند كرشنا، التي كانت في زيارة لبيت كيرتي، وأخبرتها بأنَّ جَدَّها قد تُوفِّي في السّاعة الرّابعة. كان جَدُّ كيرتي في صحَّة جيِّدة، ولم يكن موته مُتوقَّعاً أبداً، فلقد توقَّعت كيرتي أنْ يأتيها آخر العصر لتعود معه إلى البيت.

بعد ذلك قصَّت أينجر لأُمِّها وكيرتي الحادثة التّالية: بينما كانت مُستلقية - بصمت - على فراشها وناعسة، شاهدت - فجأة - جَدَّ كيرتي في نهاية فراشها (كانت قد رأتْ جَدَّ كيرتي مرَّتَيْن أو ثلاثاً من قبل، مرَّة عندما كان يُوصل كيرتي أو يأخذها من العمل، ومرَّة عندما زارها مع كيرتي في بيتها) وقد بدا عصبيّاً وقال لها: «ألم ترسلي صغيرتي إلى البيت؟». ردَّة فعل أينجر الأُولى هي أنَّها ظنَّت أنَّها كانت تُهلوس بسبب حرارتها العالية، لذلك دارت إلى الجانب الآخر من الفراش، وتوقَّعت اختفاء الهَلْوَسَة. لكنَّ العجوز ظهر مرَّة أُخرى أمامها، وأشار بملامح تبدو عليها اللّهفة إلى أنَّها يجب أنْ تُرسل كيرتي إلى البيت، ظهر الجَدُّ بهذه الطّريقة مرَّتَيْن أو ثلاثاً، وبتأثير هذا الشّبح قرَّرت آينجر أنْ تطلب من كيرتي الذّهاب إلى البيت.[49]

لو واصلنا سرد هذه الأحداث الغريبة، غير المفهومة وُفق سياق التَّصوُّر الطّبيعي للحياة، لبلغنا آلافاً، بل عشرات الآلاف من الأمثلة. وهي أحداث تُشكِّل نماذج مُتنوِّعة من القوى الرُّوحيَّة

---

(49) انظر تحقيقاً حول هذه الحالة قام به هاردسُون في مجلَّة البُحُوث الرّوحيَّة:

Haraldsson. E. : the Iyengar-Kirti case, an Apparitional case of the Bystander Type, In Journal of the Society for psychical Research, Vo.54. Nu.80, January 1987. Pp.64-67.

التي لدى البشر. ويبدو هذا التّنوُّع من جانبَيْن: يُعبِّر الجانب الأوَّل عن نماذج إدراكيَّة أو معرفيَّة، ويُعبِّر الثّاني عن قوى مُؤثِّرة ومُحرِّكة، وكلاهما يُعبِّران عن تجلِّيات قُوَّة واحدة تتَّخذ - أحياناً - شكل الاتِّصال العقلي، وأحياناً أُخرى شكل التّفاعل مع البيئة، الحيَّة وغير الحيَّة، وهُناك مُعطيات على تجلِّيها بشكل تفاعل مع الموتى. وكُلُّ تلك التّجلِّيات مصحوبة بحالات مُتبدِّلة للوعي. وتُعطى تلك الظّواهر تصنيفاً آخر يستند إلى أثرها النَّفْسي؛ فهي إمَّا أنْ تكون ذات تأثير عابر ومُهمَل، وإمَّا أنْ تكون مأساويَّة وتُنذر بالشَّرّ، أو تكون إيجابيَّة ونابضة بالحياة، بتعبير آخر؛ منها ما يترك أثراً إيجابيَّاً في النَّفْس، ومنها ما يُثير القلق والتَّوتُّر النَّفْسي والتّشاؤم. وتحدث تلك الأحداث في النّوم واليقظة، للكبار والصّغار على حَدٍّ سواء.

والسُّؤال العلمي الأوَّل هُو، ما هُو العامل الحقيقي الرّابط بين تلك الظّواهر، والذي يُضفي عليها معنى مُوحَّداً، ويُشَكِّل منها ميداناً واضح المعالم للدّراسة والبحث والتّحقيق؟ وهذا ما أوضحه الباراسيكُولُوجي عبر مجموعة الأبحاث والتّجارب والتّحقيقات التي أُنجزت خلال القرنَيْن المُنصرمَيْن. وهُو ما أوضحه هذا الفصل من الدّراسة.

لا تبدو حُدُود الظّواهر في الباراسيكُولُوجي واضحة المعالم بالشّكل الذي نأمله؛ لأنَّ تخطّي التّابع الزّمني الطّبيعي أدَّى إلى تداخل الظّواهر مع بعضها، مثل تداخل الظّواهر الإدراكيَّة مع ظواهر التّحريك النَّفْسي، وتداخل ذلك جميعاً مع ما يُدعى ظواهر الجلسات الوساطيَّة (مثل، تحضير الأرواح، والكتابة التّلقائيَّة، والمُراسلات المُتبادَلة). فمن المُحتمل - بشكل كبير - أنَّ العديد من الظّواهر الوساطيَّة هي حالات من التَّخاطُر والاستشفاف، وربَّما حالات من التّأثير النَّفْسي على البيئة. والأهمُّ من ذلك كُلِّه هُو العلاقة المُعقَّدة بين تلك الظّواهر والأمراض النَّفْسيَّة باختلاف أنواعها، سواء منها ما يتعلَّق بالأمراض العُصابيَّة والهستيريَّة، أو ما يتَّصل بالاضطرابات العقليَّة والذّهانيَّة، أو النّاتجة عن تلف في خلايا ومراكز الدّماغ والحُجيرات العصبيَّة المُختلفة في لحاء المُخّ.

ذلك يعني أنَّ ظواهر الباراسيكُولُوجي تتوزَّع بين علم الفيزياء والطّبّ والبيُولُوجي، وما يجعل تلك الظّواهر صعبة التّحديد من النّاحية العلميَّة هُو عدم التزامها بشُرُوط الوضع الطّبيعي للأحداث المُنسجمة مع منهج العلم. وذلك لتجاوزها القُيُود المادّيَّة المألوفة؛ إذْ إنَّ المعلومات تنتقل بقطع النّظر عن الحواجز والمسافات والاتّساق الزّمني. فهذا الاستقلال عن الشُّرُوط الطّبيعيَّة للأحداث هُو الذي يُميِّز ظواهر الباراسيكُولُوجي، ويجعل آليَّات الحركة والإدراك فيه غير مُرتبطة بالقوى الفيزيائيَّة المعروفة، وتفترض قُوَّة أُخرى مُختلفة بالدّرجة عن القوى المألوفة.

يُسبِّب حُدُوث الظّاهرة الخارقة إحساساً يُشبه الصّدمة المُفاجئة. إذْ يكون الإنسان ـ عادة ـ مشغولاً بنشاطه الاعتيادي، فيُفاجأ بالحَدَث الخارق يدخل عليه من أبواب مجهولة، ويُشكِّل لديه خبرة خاصَّة تتصادم ـ تماماً ـ مع نسق الخبرات الاعتياديَّة، فيُحدث نوعاً من الإرباك والشّلل المُؤقَّت (غير المحسوس غالباً) في نظام المسيرة الطّبيعيَّة للحياة. وهذا هُو مصدر غرائبيَّة الحَدَث الخارق، إذْ يُشَكِّل نُقطة أو دائرة غامضة ومعزولة، سُرعان ما يتناساها الشّخص أو يتجاهلها، ليعود إلى مسيرة الحياة الطّبيعيَّة. ومع ذلك؛ فإنَّ الحَدَث الخارق يترك تأثيراً مُتفاوتاً في قُوَّته على الشّخص، فأحياناً يخلق لديه شعُوراً بالتّوتُّر والقلق، أو شعُوراً بالارتياح أحياناً أُخرى، والأغلب أنْ تمرَّ الأحداث الرُّوحيَّة بمُعظم النّاس من دُون أنْ يعوا ذلك، أو يتنبَّهوا له، (والقليل جداً من هؤلاء مَنْ يلتفت إلى ذلك، ويُحاول تكرار تلك الخبرة الشّاذَّة، وهؤلاء الأقلّيَّة يُعرَفُون بالرُّوحانيِّين Psychic)[50]. وهُم قد يندفعون نحو تطوير قابليَّتهم، بالرّغم من أنّهم قد لا يقبلون الخُضُوع للفَحْص العلمي. في حين يشعر آخرون بالخوف والرُّعب من الحَدَث الخارق بسبب غرابته التي بيَّناها سابقاً. وأحياناً؛ تُسبِّب مواجهة الخبرة الخارقة الشُّعُور بالقشعريرة والصّدمة التي تُؤدِّي إلى حُدُوث اختلال سيكُولُوجي قد يستدعي تدخُّل الطّبيب النَّفْسي.

التّطوُّر من البُحُوث الرُّوحيَّة إلى الباراسيكُولُوجي:

اتَّجه العمل العلمي في الباراسيكُولُوجي في مُنتصف القرن التّاسع عشر إلى تجميع وتحليل الخبرات الرُّوحيَّة، استناداً إلى تبليغ الوُسطاء والشُّهُود. وفي الثُّلث الأوَّل من القرن العشرين عندما انتقل الدُّكتُور راين من جامعة هارفارد إلى جامعة ديُوك، حاول استخدام تلك المُعطيات للبرهنة على خُلُود النَّفْس. لكنَّ هدفه لم يتحقَّق، وسبب ذلك يعود إلى الاختلاف بين البُحُوث الرُّوحيَّة، التي مثَّلتها فترة ما قبل التّجريب العلمي في هذا المجال، والبُحُوث الباراسيكُولُوجيَّة المُلتزمة بالطّريقة التّجريبيَّة ـ الإحصائيَّة. فالبُحُوث الرُّوحيَّة تُعالج حالات وظواهر تنشأ تلقائياً. ومن الصّعب دراسة الظّاهرة التّلقائيَّة دراسة علميَّة لسببَيْن: **الأوّل** عدم قابليَّتها للتّكرار، فهي حادثة تحدث مرَّة واحدة، وثانياً تداخل العوامل الذّاتيَّة في تصريح الشّخص ووصفه للظّاهرة. لذلك؛ فالبحث الموضوعي ـ العلمي يصعب كثيراً، إذا كانت المُعطيات الموضوعيَّة التي تتجنَّب التّصريح الشّخصي قليلة.

حاول الباحثون ابتكار طريقة اختباريَّة يُمكن بوساطتها اختبار الموهوب بشكل مُتكرِّر تحت الشُّرُوط نَفْسها ومن دُون صُعُوبة، وأنْ تكون النّتيجة محسوبة كمِّياً؛ بحيث يُمنح الوسيط من

(50) أساسيَّات الباراسيكُولُوجي، تأليف نُخبة من العُلماء، ترجمة سلمان العُبيدي، (مخطوط)، الفصل الأوَّل.

خلالها درجة مُعيَّنة من الموهبة، وتُتيح مُقارنة موهوب بآخر. ولهذا الغرض جرت مُحاولات العديد من العُلماء والباحثين، في سبيل المثال، طَرَحَ كُلٌّ من العالم الفرنسي الشّهير رايخت Richet، والدُكتُور فُوكُوريا Fukurai من اليابان طُرُقاً تجريبيَّة مُتنوِّعة، يُمكن - بوساطتها - اختبار الموهوب بقُدرة رُوحيَّة بشكل مُتكرِّر وفي وقت الطّلب.[51]

كان ذلك وضع البُحُوث الرُّوحيَّة في نهاية القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، حتَّى زمن وليم جيمس تقريباً. وقد ابتكر راين في جامعة ديُوك (في أمريكا) والدُكتُور تُوليس من جامعة كمبردج، والبرُوفيسُور بندر من جامعة فرايبُورخ طُرُقاً مُتنوِّعة، وعملوا على تحسينها. وبعد ذلك؛ أَسَّس الدُكتُور راين الطّريقة الاختباريَّة في الباراسيكُولُوجي، في شكلها المُستخدم في القرن العشرين. وبذلك؛ أصبح التّجريب العلمي مُستخدَماً في البُحُوث الرُّوحيَّة تحت عُنوان الباراسيكُولُوجي. وبقي مجال البُحُوث الرُّوحيَّة ميداناً واسعاً يضمُّ ظواهر رُوحيَّة مُتنوِّعة، لم تخضع - بَعْدُ - للطّريقة العلميَّة التي ابتكرها راين وزُملاؤه مُؤخّراً، وأيُّ ظاهرة - في ذلك المجال الواسع - يتمُّ بحثها وتحقيقها بالطّريقة العلميَّة تلك تكتسب مشروعيَّة الظّاهرة الحقيقيَّة - الموضوعيَّة، وتنضمُّ - حينئذ - إلى ظواهر الباراسيكُولُوجي.

بعد تطوُّر الطُّرُق التّجريبيَّة واعتماد العيِّنات المُنتخبة عشوائياً، أصبحت الظّواهر التّلقائيَّة أمراً ثانويّاً. وتمَّ التّركيز على الحالات التّجريبيَّة التي تخضع للتّحليل الإحصائي. لذلك؛ تغيَّرت بُؤرة البحث لصالح الأحداث المُختبريَّة، وعادت الظّواهر التّلقائيَّة تنتظر اكتساب مشروعيَّتها من خلال النّتائج التي تُقدِّمها الحالات المُختبريَّة. هذا التّركيز تغيَّر - أيضاً - فيما يتَّصل بأهداف البحث العلمي في هذا الحقل، فبعد أنْ كان التّركيز على إثبات الخُلُود، أُزيحت هذه المسألة عن مركز الصّدارة، بعد نجاح الحالات المُختبريَّة، وأضحت أمراً ثانويّاً، ينتظر اكتساب مشروعيَّته بصُورة غير مُباشرة من خلال النّتائج المُختبريَّة لظواهر الإدراك فوق الحسِّي والتّأثير النَّفْسي.

الاختلافات بين البُحُوث الرُّوحيَّة والبُحُوث الباراسيكُولُوجيَّة:

يُمكن تعيين تلك الاختلافات كالآتي:[52]

1 - تعتمد البُحُوث الرُّوحيَّة على الوسيط (الرُّوحاني)، وهُو شخص نادر الوُجُود بشكل دائم، لذلك لا ينسجم ومُتطلَّبات المُجرِّب، التي من أهمِّها أنْ يخضع الموضوع لإرادته، وهذا ما

(51) Motoyama. H.: The Present Situation of Parapsychology in the world, Tokyo, *1969*, P.*10*.

(52) Ibid, pp.12-15.

يجعل إقامة التّجارب والاختبارات أمراً بالغ الصُّعُوبة. أمّا في الباراسيكُولُوجي؛ فمن المُمكن جعل أيٍّ شخص موضوعاً للاختبار، استناداً إلى أُسلُوب العيِّنات المُختارة أو العشوائيَّة.

2 ـ تُعالج البُحُوث الرُّوحيَّة أحداثاً من النّوع التّلقائي والعابر جداً، وهي أحداث غير قابلة للتّكرار، وهذا ما يجعل مُعالجتها ـ علميّاً وتجريبيّاً ـ أمراً بالغ الصُّعُوبة، في حين تتميَّز الاختبارات الباراسيكُولُوجيَّة المُستندة إلى أُسلُوب العيِّنات، بقابليَّتها للتّكرار وامكانيَّة إجرائها في أيّ زمن يختاره المُجرِّب وبالشُّرُوط ذاتها. ولكنَّ إمكانيَّة المُجرِّب في تصميم وإقامة الاختبار بأُسلُوب العيِّنات المُنتخبة هذه لا تستلزم النّتائج الإيجابيَّة بالضّرورة. فمن الصّحيح أنَّ الباراسيكُولُوجي هيَّأ هذه الإمكانيَّة في إجراء التجارب، من دُون انتظار وُقُوع الحالات التّلقائيَّة، إلاَّ أنَّ النّتائج لا تأتي نَفْسها عند إعادة التّجارب، فهي تحصل ـ أحياناً ـ بمُستوى إحصائي أعلى، وبمُستوى أقلّ، أحياناً أُخرى. وربَّما تُعَدُّ عمليَّة إجراء اختبارات استكشافيَّة واحدة من أبرز الخصائص أهمِّيَّة في الباراسيكُولُوجي.

3 ـ من الصُّعُوبة البالغة مُعالجة القُدرات الرُّوحيَّة، في مجال البُحُوث الرُّوحيَّة، بطريقة كمِّيَّة تُتيح معرفة نِسَبِ ومُعدَّلات المعرفة الحاصلة بطريقة فوق حسِّيَّة، في حين تُتيح الطّريقة الإحصائيَّة في الباراسيكُولُوجي مُعالجة القوى بطريقة كمِّيَّة، فالمُتوسِّطات الإحصائيَّة التي تُعطى للقوى الإدراكيَّة فوق الحسِّيَّة تُعيِّن نسب كمِّيَّة، تسمح بالمُقارنة بين القوى المُتنوِّعة في الشّخص الواحد، وبينه وبين القوى الإدراكيَّة لشخصٍ آخر.

4 ـ إنَّ فقدان التّكميم في البُحُوث الرُّوحيَّة يجعل من الصُّعُوبة إيضاح الإدراك فوق الحسِّي فيها، إذْ ليست هُناك طريقة مُلائمة تُوضِّح ذلك الإدراك، وهذا ما يجعل تقييم النّتائج أمراً بالغ الصُّعُوبة. في حين نستطيع في الباراسيكُولُوجي الحديث عن مُستوى من الإدراك فوق الحسِّي لدى الشّخص بنسبة كذا إلى كذا فوق مُعدَّل الصُّدفة. ويتمُّ تقييم النّتائج وفقاً لهذه النّسبة.

5 ـ يبقى الغشُّ والخداع أمراً مُحتملاً جداً في البُحُوث الرُّوحيَّة، لاسيما في دراسات الحاليَّة؛ لأنَّ بعض الوُسطاء يُمارسون الخداع بشكل مقصود، والذي يجعل تقييم الحالة أمراً صعباً هُو صُعُوبة اكتشاف الخداع من الخارج. لكنَّ الأمر يختلف في الباراسيكُولُوجي الاختباري، فالخداع مُستبعد؛ لأنَّ الطّريقة مدروسة مُنذُ البداية بهدف منع الخداع، بمعنى آخر؛ يُوجد استعداد كامل ويقظ قبل إجراء التّجربة وقبل وُقُوع الظّاهرة. في حين يتمُّ التّقييم في البُحُوث الرُّوحيَّة لحالات قد وقعت وانتهت من الوُجُود، لذلك يبقى احتمال الخداع قائماً.

تحديد الظّاهرة الباراسيكُولُوجيّة:

المرحلة الأكثر تطوُّراً في تاريخ الباراسيكُولُوجي الحديث هي مُحاولة وضع حُدُود واضحة بقدر الإمكان، بين الظّواهر الباراسيكُولُوجيّة وما يُشتَبَه أنّها باراسيكُولُوجيّة.

إنّ تفاعل ساي الحقيقي REAL PSI لا يُمكن تأسيسه على أشكال دُون واعية Subliminal Form من الإدراك والتّأثير، في سبيل المثال، يستغرق زيد في النّوم أثناء استماعه للمذياع، ويحلم بحادث طائرة، ويُفاجأ في الصّباح التّالي، عندما يقرأ في الصّحيفة اليوميّة وصفاً لحادث طائرة نَقلٍ، حصل خلال الوقت الذي كان فيه نائماً. فهل هذه خبرة ساي(خبرة خارقة)؟ على الرّغم من أنّها ربّما تكون كذلك، إلاّ أنّ التّفسير الأبسط يتضمّن عمليّات سيكُولُوجيّة اعتياديّة: بعد تحطُّم الطّائرة وصلت إشارة الأخبار إلى المذياع تُعلن المأساة، كان زيدٌ نائماً في ذلك الوقت، ولم يسمع الخبر بصُورة واعية، لكنّه ربّما سمع التّقرير بصُورة دُون واعية Subliminally فدمج إشارة الأخبار في الحلم (وهي فعاليّة يُمكن أنْ يقوم بها العقل). وذكرت بُحُوث حديثة أمثلة عديدة لهذه العمليّة، في حالات عاد فيها الأفراد، بشكل مُعجِز، من غيبوبة بدا أثناءها الدّماغ ميّتاً، ثُمّ سَرَدوا - بشكل صادق - أحداثاً حصلت لهم عندما كانوا فاقدين للوعي تماماً.[53]

لذلك؛ ليس كُلُّ ما يبدو باراسيكُولُوجياً هُو في الحقيقة كذلك. وليس كُلُّ ما يدخل تحت مُصطلح الخارق Paranormal ذا أهميّة لباحثي ساي، في سبيل المثال، الأجسام الطّائرة UFOS، ومُثلّث برمُودا ليست ظواهر رُوحيّة، ولم تُدرَس من لدُن الباراسيكُولُوجيّين. لذلك؛ يجب مُعالجة الفهم السّيّئ الشّائع، الذي يذهب إلى أنّ موضوع الباراسيكُولُوجي، هُو كُلُّ ما هُو لُغز لا يُمكن تفسيره عن طريق العلم المألوف[54]. هذا الفهم ليس سليماً، فإنّ بعض الظّواهر قد تُعزى إلى آليّة فيزيائيّة غير معروفة، ربّما يتمُّ تحديدها بعد حين. فظاهرة العُثُور على مواقع ينابيع الماء تحت الأرض بواسطة عصا الاستنباء Dowsing تُدرج - عادة - ضمن ظواهر الباراسيكُولُوجي، ولكنْ؛ من الصّعب استبعاد فَرَضيّات بديلة تفترض وُجُود تحسُّسٍ بتغيُّرات المجال الكهربائي أو المغناطيسي أو مُؤثّرات فيزيائيّة أُخرى. وقد تُعزى - أيضاً - ظاهرة الهجرة والعودة إلى الوطن في الطُّيُور والحيوانات الأُخرى إلى حاسّة ماديّة، وبالرّغم من ذلك؛ فإنّ بعض أوجه هذا السُّلُوك - لا سيما

---

(53) Varvoglis. M. Op cit, P.3.

(54) Ibid, P. 3.

اقتفاء الأثر لدى الحيوانات الأليفة المهجورة، التي تجد طريقها إلى أماكن أصحابها الجديدة، تُوحي بوُجُود عُنصُر رُوحي فيها.[55]

هُناك مجموعة من المُعطيات التّجريبيَّة تُشير إلى إمكانيَّة بعض الأشخاص إحداث الشّفاء العُضوي من إصابات والتهابات من دُون استعمال وسائل الطّبّ الاعتيادي. هل هُو نوع من التّأثير الخارق من لدُن الشّافي على جسم المريض، وبالتّالي؛ فهُو ظاهرة باراسيكُولُوجيَّة؟ أم أنَّ الشّافي يُؤثّر على عقل المريض، ليُحدِث شفاءه الذّاتي من خلال قُدراته النَّفْسيَّة ـ الجسميَّة.[56]

إذنْ؛ هل تُوجد معياريَّة واضحة للتّمييز بين الأحداث الباراسيكُولُوجيَّة الحقيقيَّة وغير الحقيقيَّة؟ إنَّ الأحداث الباراسيكُولُوجيَّة غير الحقيقيَّة صنفان: أحدهما ظواهر زائفة، وهي ـ غالباً ـ ما تكون هَلْوَسَات بسبب الإصابة بأمراض نَفْسيَّة أو دماغيَّة. والآخر ظواهر تُسبِّبها عوامل فيزيائيَّة غير واضحة، وهذا ما سوف تُوضّحه هذه الدّراسة في موضع لاحق.

هُناك خاصيَّتان تُميِّزان الظّاهرة الرُّوحيَّة (الباراسيكولُوجيَّة): الأُولى بمثابة الجنس، والأُخرى بمثابة الفصل الذي يُميِّزها من غيرها من الظّواهر الزّائفة. الخاصيَّة الشّرطيَّة الأُولى تقول إنَّه لكي تكون الخبرة رُوحيَّة Psychic يجب أنْ تشتمل على تفاعلات تختلف نوعياً عن طُرُقنا الاعتياديَّة في التّفاعل مع العالم (الاتّصال اللّفظي وغير اللّفظي، والإحساسات، والحركات الجسميَّة[57]) وسوف نُوضّح هذه المسألة لاحقاً. الخاصيَّة الشّرطيَّة الثّانية ـ الأكثر أهميَّة ـ أنّه لكي تكون الظّاهرة رُوحيَّة يجب أنْ تصدر عن البصيرة الذّاتيَّة للإنسان، من دُون الاستعانة بأيَّة وسائل خارجيَّة؛ أيّاً كان نوعها. فإذا كان من المُحتمل أنْ تدخل بعض الظّواهر الزّائفة في الشّرط الأوّل، فهي مُستبعَدَة تماماً في الشّرط الثّاني؛ ولذلك؛ سوف نستبعد صنفاً كاملاً من الظّواهر التي لا تنسجم مع هذَيْن الشّرطَيْن. فالتّنجيم Astrology وقراءة الكفّ Palmistry، وفتح الفال، وطُرُق الكَهَانَة الأُخرى ليست ظواهر بارا سيكُولُوجيَّة؛ لأنَّها تستند إلى قواعد موضوعة بدلاً من البصيرة الذّاتيَّة. ويُعَدُّ التّصوير الكيرلياني ـ الذي يظهر ما يُشبه إكليل الهالة عن طريق التّفريغ الكهربائي العالي الذّبذبة ـ أداة سريريَّة وبحثيَّة ذات فائدة، ولكنْ؛ لا يُوجد ما يُسوِّغ إدراجه ضمن الباراسيكُولُوجي.[58]

---

(55) انظر: أساسيَّات الباراسيكُولُوجي، تأليف نُخبة من العُلماء، ترجمة الأستاذ سلمان يعقُوب العُبيدي، غير منشور، الفصل الأوَّل (مخطوط).

(56) المصدر نفسه.

(57) Varvoglis. M.: OP Cit, p. 3.

(58) أساسيَّات الباراسيكُولُوجي، ترجمة الأستاذ سلمان يعقُوب العُبيدي، الفصل الأوَّل.

إضافة إلى ذلك؛ يجب على الباحث في حقل الباراسيكُولُوجي التّعرُّف على الظّواهر المُرتبطة بالأمراض النَّفْسيَّة، وهي - في بعض الأحيان - تُشبه الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة كثيراً، وهذا ما يستدعي التّدخُّل الدّائم للطّبيب النَّفْسي في اختبارات الباراسيكُولُوجي، أو استشارته، على الأقلّ. فقد كشفت حالات طبّيَّة عن ارتباط حالات تعاطي المُخدِّرات والإدمان والتّسمُّم بظواهر مُشابهة للظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة. فالتّسمُّم بأوّل أكسيد الكاربُون يُؤدِّي إلى فقدان الإحساس بالزّمن أو إلى الإدراك الوَهْمي والهَلْوَسَة، بمعنى آخر؛ يُغيِّر الحالة الطّبيعيَّة للوعي. وتُوجد حالات مَرَضيَّة تُسبِّب للمريض شعُوراً بالازدواجيَّة التي ينفصل فيها جسده عن وعيه، فيراه أمامه. ويشعر مرضى ذهان الفصام - أحياناً - أنّهم يقرؤون عقُول زُملائهم الرّاقدين معهم في المُستشفى، أو يقرؤون عقل الطّبيب المُشرف. وقد تُؤدِّي الأنوكسيا الدّماغيَّة cerebral anoxia؛ أيْ نقص الأُوكسجين في الخلايا العصبيَّة للدّماغ، إلى رُؤية ما يُشبه الأشباح[59]. إضافة إلى ذلك؛ تحدث في حالات صرع الفصّ الصّدغي للدّماغ هَلْوَسَات زائفة. ذلك النّوع من الصّرَع يحدث في جُزء من الدّماغ، ولا يُؤدِّي إلى انفصال المريض عن واقعه. مثال ذلك: الشّابّ الذي كان تحت عناية الطّبيب جيمس مكارك عام 1975، الذي كان يعتقد أنّ شبح والده المُتوفَّى (قُتل في الحرب قبل عدّة سنوات من ذلك) يزوره بشكل مُتكرِّر ببزّته البَحْريَّة. لم يستطع المريض أنْ ينسب هذه الرُّؤية إلى الارتجاج في المُخّ الذي أُصيب به قبل أسابيع قليلة من الزّيارة الأُولى للشّبح. إلاّ أنّ الطّبيب استطاع أنْ يُعيِّن سبب ذلك؛ وهُو صرَع الفصّ الصّدغي النّاتج عن الحادثة. ومن الطّريف أنْ يعمل هذا الإضرار في الدّماغ، الذي أدّى إلى صرَع الفصّ الصّدغي كعامل إطلاق لمعلومات مكبوتة، لقد ظهر للطّبيب مكارك فيما بعد، ومن تحليله للمعلومات التي زوّده بها الشّابّ، الذي يعتقد أنّه عرفها من الشّبح - والتي نفت والدته أنْ يكون قد عرفها بنَفْسه؛ لأنّ والده تُوفِّي وهُو في عُمر خمس سنوات، وقبل ذلك كان والده مفصولاً عنها - أنّ تلك المعلومات التّفصيليَّة لم تكن رسائل من الأموات، بل هي اتّصالات تخاطُريَّة عن معلومات تفصيليَّة تسلَّمها بطريقة لاشُعُوريَّة أثناء طُفُولته، ظهرت الآن إلى الشُّعُور بسبب نوبات الفصّ الصّدغي.[60]

---

(59) مكارك، جي، أف، الباراسيكُولُوجي والطّبُّ النَّفْسي - هذه الدّراسة ترجمها الأستاذ سلمان يعقُوب العُبيدي (غير منشورة) عن كتاب:

Psychical Research, By.: Ivor Grattan (Ed); London, 1982, PP. 316 –323.

(60) المصدر نفسه، الصّفحات ذاتها.

تُظهر الذّاكرة الخفيَّة - أحياناً - حالات تُشبه التّقمُّص Reincarnation، مثل الحالة التي ذكرها الدُّكْتُور مكارك، لشابٍّ أُصيب في رأسه بسبب حادث دراجة بُخاريَّة، وبعد العلاج، بقي مُشوَّش الذّاكرة لفترة من الزّمن، فسيطرت عليه ذكرى زائفة تُصوِّره بأنَّه كان ضابطاً في جيش أمريكا الاتّحاديَّة، بالرّغم من أنَّه لم يكن مُهتمّاً بالحرب الأهليَّة الأمريكيَّة من قبل. وبعد سنة أو سنتَيْن عُثِر على مقالة في مجلَّة حول الموضوع ظهرت قبل الحادث بقليل، وعندما عُرِضَت عليه تذكَّر أنَّه قرأها من قبل في غُرفة انتظار طبيب الأسنان قبل الحادث بيوم أو يومَيْن.[61]

إضافة إلى ذلك؛ فإنَّ الأمراض الهستيريَّة التي تُسبِّب بعض المظاهر العَرَضيَّة غير العُضويَّة؛ مثل الشّلل المُؤقَّت في أحد أعضاء الجسم. قد يتمُّ استغلالها من قِبَل مُدَّعي العلاج الرُّوحي؛ إذْ غالباً ما يبرز بعضهم في المُجتمع بسبب نجاحهم في علاج بعض تلك الحالات. وقد اكتشفتُ بنَفْسي هذا الأمر عندما كُنتُ أُراقب أحد المُعالجين لتقييم حالته. ومن المعروف أنَّ الحالات الهستيريَّة تتأثَّر بالإيحاء تأثُّراً مُباشراً، لاسيما أنَّها تحدث في المناطق أو العضلات التي يُسيطر عليها الجهاز العصبي الإرادي الذي يستجيب للإيحاء جيِّداً. وهذا ما حدث بالضّبط للمُعالج الذي كُنتُ أُراقبه، عندما استطاع أنْ يُوقف شابَّة مُقعَدَة هستيرياً مُنذُ ثمانية أشهر على قدمَيْها وسط ذُهُول ذويها الذين يجهلون أيَّ عمليَّات داخليَّة عن الحالة، وقد أكَّدوا عجز الأطبَّاء (قليلي الخبرة طبعاً) عن إنجاز أيّ تقدُّم في علاجها.

وما هُو جدير بالمُلاحظة أنَّ الارتباط بين الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة والأمراض النَّفْسيَّة لم يكن ارتباطاً سلبيّاً دوماً، بل هُو ذُو طبيعة مُزدوجة: سلبيَّة وإيجابيَّة. تُمثِّل الظّواهر المذكورة سابقاً الجانب السّلبي، ويتعيَّن الجانب الإيجابي في كون بعض الأمراض النَّفْسيَّة والأضرار الدّماغيَّة تعمل - في بعض الأحيان - وسائل إطلاق للقُدرات الباراسيكُولُوجيَّة. إذْ - غالباً - ما يُؤدِّي الخَلَل السّيكُولُوجي النّاتج بسبب الموادّ الكيماويَّة إلى إطلاق حالات باراسيكُولُوجيَّة، ليست نتائج مُباشرة لها، بل عوامل مُساعدة تعمل آليَّات مُغيِّرة للوعي من حالته الطّبيعيَّة إلى حالة جديدة شاذَّة. وقد ثبت أنَّ الظّاهرة الباراسيكُولُوجيَّة تحدث - في الأغلب - في أجواء حالة مُتغيِّرة للوعي (شاذَّة أو غير سويَّة) كما لاحظنا الشّابَّ الذي يعتقد أنَّ شبحَ والدِه المُتوفَّى قبل عدَّة سنين يزوره. كانت هذه الحالة سلبيَّة فيما يتَّصل برُؤية الشّبح الذي أثبت التّشخيص الطّبِّي أنَّ سببه خَلَل سيكُولُوجي ناتج عن نوبة صَرَعيَّة أحدثت شَلَلاً في جُزء من الدّماغ. في حين كشفت المعلومات المُفصَّلة التي ارتبطت بالشّبح عن أنَّ النّوبة

---

(61) المصدر نفسه، الصّفحات ذاتها.

الصّرعيَّة فتحت كوامن اللاَّشُعُور، لتُطلق معلومات مكبوتـة كـان الطّفـل قـد تسلّمها تخاطُريّاً مـن والده عندما كان حيّاً. وهكذا اتّخذ التّخاطُر كعاملٍ تفسيري لجُزء من تلك الظّاهرة الشّبحيَّة.

اكتشف الدُكتُور مكارك ـ عن طريق الصُّدفة ـ أنَّ أحد مرضاه كان يقـرأ أفكـاره، فعندمـا سَألَهُ عن زمان ومكان إصابته بالمرض، أجاب المريض: قبل سنِّ الخامسة، وأضـاف أنَّ سبب ذلـك كـان جدالاً دار بين والدَيْه، في ذلك الوقت، حول مفهوم التّزامُنيَّـة للدُكتُور يُونـغ. كـان مكـارك مُـهتمّاً ـ في ذلك الوقت نَفْسه ـ بموضوع التّزامُنيَّة، إلى درجة أنَّـه كـان يمنحه جُلَّ وقتـهِ. وبعـد عـدَّة سِنين التقى مكارك بوالد الطّفل، الذي ظهر أنّه كـان قـد هجـر العائلـة قبـل أنْ يبلـغ المريـض الخامسـة مـن عُمره. وأكّد الوالد لـ مكارك أنّه لم يسبق له أنْ سمع باسم يُونغ أبداً.[62]

وإذا عدنا إلى أمثلتنا الأُولـى مـن الحـالات التّلقائيَّـة، نجـد أنَّ الحالـة المَرضِيَّـة للدُكتُـورة أينجـر كانت سبباً في حُدُوث حالـة مُتغيِّرة للوعـي، تزامنـت مـع حالـة مُتغيِّرة للوعـي أُخـرى؛ هـي حالـة موت جَدِّكيرتي(إذا علمنا أنَّ النّوم والموت حالتان مُغيِّرتان للوعي أيضـاً) فكـانت صُـورة الاتِّصـال بَصَريَّة أو شَبَحيَّة، وليس الأمر أنَّ شبح الجَدِّ نَفْسه هُو الذي ظهر في المُستشفى، بل كـانت حالـة مـن الإدراك عن بُعْد، قد تُعبِّر عن أُمنية جَدِّكيرتي فـي أنْ يـرى حفيدتـه قبـل موتـه، وأنَّ أينجـر أدركـت صُورة الوعي التي لدى جَدِّكيرتي قُبَيل موتـه بلحظـات. والـذي يدعـم هـذا التّفسـير هُـو أنَّ أينجـر طلبت من كيرتي أنْ تذهب إلى البيت في وقـت الوفـاة أو قبلـه بقليـل. ولأنَّ صُـورة المُـدرَك مُتعلِّقـة بوعي أينجر فإنّها تدور معها أينما تـدور، ولـو جرَّبـت أنْ تُغلـق عينيـها أو تُغطّـي رأسـها لاستمرَّت الصُّورة بالظُّهُور في الأحـوال جميعـها. وربَّمـا كـانت حالـة الدُكتُـورة أينجـر لا تختلـف عـن حالـة الدُكتُورة ماريُو فارفُوجلس.

---

(62) المصدر نفسه، الصّفحات ذاتها.

الفصل الثّاني:

المفاهيم والطّريقة الاختباريَّة

تعريف الباراسيكُولُوجي:

إنَّ إضافة البادئة الإغريقيَّة Para (التي تعني بجنب أو وراء) إلى المُصطلح Psychology (علم النَّفْس)، أنتجت مُصطلحاً مُحدَّداً مُشتقّاً من علم النَّفْس[63]، يُشير إلى تلك القُدرات النَّفْسيَّة المنسوبة إلى الإنسان والتي تتجاوز شُرُوط الإدراك الاعتيادي، وتفترض نمطاً جديداً من العلاقات بين الإنسان والبيئة (الحيَّة وغير الحيَّة) مثل، التَّخاطُر Telepathy، والاستشفاف (الجلاء البصري) Clairvoyance، والإدراك المُسبَق (معرفة المُستقبل) Precognition.

ليس من السّهل إعطاء تعريف دقيق للباراسيكُولُوجي، لاسيما وأنَّ عُلُوماً مثل الفيزياء والبيُولُوجي وعلم النَّفْس من الصُّعُوبة صياغة تعريفات جيِّدة لها، وفي كثير من الأحيان تتداخل هذه العُلُوم مع بعضها (مثل الفيزياء وعلم الفَلَك، والكيمياء والبيُولُوجي) وتشترك بدراسة موضوع واحد. وإنَّ مُحاولات تعريف الباراسيكُولُوجي مُثيرة للجَدَل، فالقول ما هي الفيزياء أقلّ صُعُوبة من السُّؤال ما هي الفلسفة، ومن هذا الجانب؛ فالباراسيكُولُوجي أقرب إلى الفلسفة منه إلى الفيزياء. ومع ذلك؛ يُمكن إعطاء صُورة مُعيَّنة عنه، فبالإضافة إلى المعنى اللُّغوي الذي يعني بجنب أو وراء علم النَّفْس، يُمكن تحديده بأنَّه ميدان يختصُّ بدراسة العقل، ولكنْ؛ ليس العقل بمعناه البسيط في علم النَّفْس. فالعقل استناداً إلى علم النَّفْس ذُو خاصيَّة سويَّة Normal في حين يتَّخذ في الباراسيكُولُوجي خاصيَّة فوق سويَّة[64] paranormal.

الباراسيكُولوجي هُو الدّراسة العلميَّة للظواهر الخارقة؛ أيّ الظّواهر التي تتعارض ـ في جانب واحد أو عدَّة جوانب ـ مع وُجهة نظر علميَّة مقبولة حول ما هُو مُمكن فيزيائيّاً. وإنَّ صنف الظّواهر الخارقة التي يهتمُّ بها عالم الباراسيكُولُوجي هي تلك التي تتضمَّن ـ بصُورة جديَّة ـ

(63) Encyclopedia Britannica Vo.17. USA, p.297.

(64) Wheatley. J. and Edge. H.: Philosophical dimensions of parapsychology, USA, 1976,p.xiii.

موضوعاً بشرياً أو حيوانياً، فضلاً عن افتراض أنَّ العقل أداة لإنجاز ما كان غير مُمكن. يُشار إلى مثل هذه الظّواهر باصطلاحات مُختلفة مثل باراسيكُولُوجيَّة Parapsychological، و نَفْسيَّة Psychical، ورُوحيَّة Psychic.[65]

يُعرَّف الباراسيكُولوجي بأنّه «ذلك الميدان العلمي الذي يُعنى بتفاعلات الإحساس والحركة من دُون الارتباط بقُوَّة أو آليَّة فيزياويَّة معروفة»[66]. أو هُو العلم الذي يبحث في الظّواهر غير الاعتياديَّة (الخارقة) للكائنات الحيَّة، التي تقع خارج إطار الإدراك الحسِّي المألوف. وهُو - أيضاً - الدّراسة العلميَّة التّجريبيَّة للظّواهر الرُّوحيَّة التي تتجاوز عمل القوانين المُتحكِّمة بالعالم المادّي.

يُحدِّد سي دي برُود الباراسيكُولُوجي بوصفه ميداناً يقع خارج إطار الحُدُود الأساسيَّة لمعرفتنا الاعتياديَّة. ويُصنِّف معرفتنا الاعتياديَّة وفقاً لإنجازها أربعة مبادئ أساسيَّة هي:

1 - مبدأ السّببيَّة.
2 - حُدُود تأثير العقل علىَ المادَّة بوصفه مشروطاً بتوسُّط الدّماغ والجسم الخاصّ بذلك العقل.
3 - علاقة العقل بالدّماغ، بمعنى أنَّ كُلَّ حَدَث عقلي مشروط بحَدَث دماغي.
4 - حُدُود مصادر المعرفة بوصفها مُقيَّدة بالحسّ والذّاكرة والاستدلال.

لذلك؛ فإنَّ أيَّ ظاهرة أو حَدَث يتجاوز حُدُود هذه المبادئ يُصنَّف كحَدَث خارق، ويُصنَّف الحَدَث الخارق - بدوره - وفقاً لنوعه وللعلاقة الزّمنيَّة التي تُحدِّده، إلى الاستشفاف والتّخاطُر والإدراك المُسبَق، والسّيكُوكينيسيز Psychokinesis[67]. وتُمثِّل هذه الظّواهر النّماذج الأساسيَّة في الباراسيكُولُوجي. تُمثِّل الثّلاثة الأُولى منها الإدراك فوق الحسِّي Extrasensory Perception وتُختصر - عادة - إلى ESP، ويُعبِّر النُّمُوذج الرّابع عن الجانب الفيزيائي في الباراسيكُولُوجي؛ ويُسمَّى التّحريك أو التّأثير النَّفْسي (السّيكُوكينيسيز Psychokinesis وتُختصر - عادة - إلى PK).

ويبدو لنا أنَّ هذا ليس تعريفاً للباراسيكُولُوجي بوصفه ميداناً علميّاً، إنَّما هُو - في الحقيقة - تحديد للظّاهرة الباراسيكُولُوجيَّة. وعلى الرّغم من أنَّ تحديد الظّاهرة يُساهم - جُزئيّاً - في تحديد ميدان الدّراسة وموضوعها، إلاّ أنّه لا يُعطي تصوُّراً علمياً لذلك الميدان. ولكنْ؛ يُمكن أنْ نعدَّ هذا التّحديد خُطوة أُولى نحو التّعريف التّامّ لهذا الميدان العلمي الجديد.

---

(65) Beloff J.: New directions in parapsychology, London, 1974, p.2.

(66) Morris. R.: A survey of Methods and Issues in ESP Research. In: (Krippner.S) Ed: Advances in parapsychological Research, ESP, P.7.

(67) Wheatley. J. And Edge. H.: (Ed), Op. Cit, P.xiv.

اقترح عالم النَّفْس الألماني ماكس ديسوار Max Dessoir مُصطلح الباراسيكُولُوجي عام1889 ، ليُشير إلى الدّراسة العلميَّة للظّواهر الرُّوحيَّة . فقد نشر ديسوار مقالاً في مجلّة (سيفنكس) الشّهريَّة في حُزيران من العام1889 ، استخدم فيه مُصطلحي الباراسيكُولُوجي والباراسيكك Parapsychic . وكان هذا البحث تلخيصاً لبحث سابق نشره في12 آذار من العام نَفْسه بعُنوان الذّات المُزدوجة Double Ego ، قدَّمه إلى جمعيَّة برلين لعلم النَّفْس التّجريبي ، شمل نتائج دراساته المُوسَّعة عن الحالات الانفصاميَّة للوعي ، كما تضمَّن بعض الأفكار التي عدَّها بعض الكُتَّاب استباقاً لبعض رُؤى التّحليل النَّفْسي لـ سيجمُوند فرُويد . قدَّم ديسوار في هذا البحث مفهومه عن منطقة شاملة من شبه الوعي Smi-Consciousness اعتقد أنَّها مسؤولة عن أُمُور كثيرة من بينها الإبداع الفنِّي ، والحالات فوق النَّفْسيَّة Parapsychic States . (68)

كان ديسوار ينأى بالباراسيكُولُوجي عن علم الأمراض النَّفْسيَّة Psychopathology ، ويذهب إلى أنَّ ظواهر الباراسيكُولُوجي تتوسَّط بين الظّواهر المَرَضيَّة الطّبيعيَّة والحالات المَرَضيَّة الشّاذَّة ، وأنَّ الدّليل المُتوفِّر على أنَّها حالات مَرَضيَّة غير كاف . (69)

ويقال إنَّ رأي ديسوار قد تغيَّر فيما بعد ، ففي مقال له عام 1891 ، أعرب عن رغبته في توحيد نتائج أبحاثه حول الحالات الانفصاميَّة مع الطّريقة العلميَّة لعلم النَّفْس الفسيُولُوجي لـ ويلهلم وندت ، واقترح - في الوقت نَفْسه - التّخلّي عن مُصطلح الباراسيكُولُوجي وتبديله بمُصطلح آخر مُختلف ؛ هُو علم النَّفْس المَرَضي التّجريبي Experimental Pathopsychology . وجاء هذا التّغيير في المُصطلح بعد أقلّ من سنة من اقتراحه مُصطلح الباراسيكُولُوجي لذلك الميدان الجديد الذي يطمح إلى الحُصُول على الاعتراف العلمي . (70)

وعلى أيِّ حال ؛ سواء غيَّر ديسوار رأيه بشأنْ المُصطلح أو لا ، فإنَّه شاع في الأوساط العلميَّة كمُصطلح يُشير إلى ذلك الميدان الذي يدرس ويتحقَّق من الظّواهر النَّفْسيَّة الفائقة بالطّريقة العلميَّة - التّجريبيَّة . إلاَّ أنَّ مُصطلح الباراسيكُولُوجي أثار خلافاً فلسفيّاً بين المدارس المُختلفة ، لكونه ينطوي على بُعْد ميتافيزيقي . وتلافياً للخلاف ، تمَّ استبداله بمُصطلح ساي Psi ، وهُو الحرف الثّالث والعشرين من الأبجديَّة الإغريقيَّة ، وقد اقتُرح لهذا الغرض من لدُن تُوليس و وايزنر عام 1942 ،

---

(68) Gerd. H. Hovelman.: Max Dessoir and the origin of the Ward (parapsychology) in: Journal of the society for psychical research, V.54, Nu.806, January, 1987. London, P.61.

(69) Ibid, P.62.

(70) Ibid, p.63.

كمُصطلح حيادي، ويُعبِّر عن ناحية منهجيَّة في الدّراسة[71]. وقد أضاف كارل ناش - فيما بعد - اللاّحقة -logy ليُقدِّم مُصطلحاً جديداً هُو علم السّايُولُوجي Psiology جاء عُنواناً فرعيّاً لكتابه Parapsychology (The Science of Psiology)[72].

وبالرّغم من ذلك الخلاف فإنَّ المُصطلح الشّائع في الأوساط العلميَّة - لاسيما تلك التي درست ظواهره بالطّريقة التّجريبيَّة والإحصائيَّة في أميركا وأُورُوبا الغربيَّة - هُو مُصطلح الباراسيكُولُوجي. ويُستثنى من ذلك الباحثون في الاتِّحاد السُّوفيتي سابقاً (رُوسيا الاتِّحاديَّة حاليّاً)، فإنَّهم يستخدمون مُصطلح السّيكُوترُونيك psychotronic، وهُو مُصطلح ذُو دلالة ماديَّة محض؛ انسجاماً مع العقيدة الماركسيَّة. ويُعرِّفونه بأنَّه «العلم الذي يدرس - بأسلُوب مُتوسِّط الدِّقَّة - التّفاعلات البعيدة بين الكائنات الحيَّة وبيئتها الدّاخليَّة والخارجيَّة، والعمليَّات الطّاقويَّة التّابعة لتجلِّياتها»[73]، وتلك التّفاعلات تقع - في منظورهم أيضاً - خارج نطاق العلم الحديث.

ويفهم السّايكُوترُونيك الوعي بوصفه مُتَّحداً مع الطّاقة والمادَّة، فدراسة تلك التّفاعلات تُقدِّم فَهْماً جديداً للقابليَّات الطّاقويَّة في الكائن البشري وعمليَّات الحياة والمادَّة بشكل عامٍّ. والمهمَّة الرّئيسة للسّايكُوترُونيك هي الفَهْم الإنساني الواسع والمُتعالي لقوانين الطّبيعة، الحيَّة وغير الحيَّة، وبأنواع جديدة من المعرفة مُشتقَّة من دراسة ظُهُور العمليَّات الطّاقويَّة في داخل النَّفْس الإنسانيَّة. والخاصيَّة الأساسيَّة للظّواهر في حقل السّايكُوترُونيك هي التّفاعلات البعيدة التي تحدث بين كُلٍّ من الكائنات العُضويَّة الحيَّة مع بعضها، سواء كانت بشريَّة أو حيوانيَّة، وبين المادَّة الحيَّة والمادَّة غير الحيَّة، وبين المادَّة والمجال المعلوماتي للبيئة[74].

يستند الباراسيكُولُوجي إلى فَرَضيَّة أساسيَّة تذهب إلى أنَّ قُوَّة ساي هي قُوَّة واحد تتَّخذ أشكالاً مُتعدِّدة، وأنَّ مسألة جَعْلها قُوَّة مألوفة تتطلَّب تعديلاً أساسيّاً في التّفكير العلمي، فهي تنطوي على عُنصُر ما يفلت من السّيطرة العلميَّة، وهذا ما يجعلها مُتميِّزة عن القوى الطّبيعيَّة المقبولة. الخاصيَّة الأُخرى هي أنَّ هذه القُوَّة (ساي) مُرتبطة بالحياة، فلو تخيَّلنا انعدام كُلِّ أشكال الحياة من على وجه الأرض، فإنَّ ذلك لا يمنعنا من التّفكير بأنَّ المغناطيسيَّة الأرضيَّة تبقى مُؤثِّرة في

---

(71) Rush. J, H.: What is parapsychology? In: (Edge, Morris, Palmer, and rush) Ed: Foundations of parapsychology, pp.6-7.

(72) Nash. K.: parapsychology, The Science of Psiology, London, 1985, p.1.

(73) Rejdak. Z.: About psychotronics and yoga, In: J of Religion and parapsychology, IARP, Japan, Nov 1970, Nu.14, p.8.

(74) Ibid, PP. 8 – 10.

المدّ والجَزْر، وأنّ الكهرباء تستمرُّ في التّولُّد من العواصف الرّعديَّة، ولكنّنا لا نستطيع أنْ نفترض أنّ قُوَّة ساي ستظهر في مثل تلك الظُرُوف. ويبدو أنّ قُوَّة ساي تحتاج إلى الكائنات الحيَّة - وليس من الضّروري أنْ تكون بشريَّة - لتعمل من خلالها. فالطّاقة تتخلّل المكان، وتنتظر الجهد العلمي الذي يضمُّها إلى الفَهْم العلمي. وفي الوقت الرّاهن يُمكن أنْ نُلاحظ أثرها على الأحياء ومن خلالهم فقط. وهُناك مقدار كبير من البيِّنة يُشير إلى أنّها تعمل من خلال الموتى أيضاً، ولذلك؛ فهي تدلُّ على خُلُود الحياة البشريَّة في شكل ما غير مُجسَّد بعد الموت، وإلى إمكانيَّة تأثير هذه الأرواح أو الكائنات غير المُجسَّدة على عُقُول الأحياء وعلى المادَّة. وفي الأحوال كُلِّها؛ فإنّ قُوَّة ساي تحتاج إلى كائنات حيَّة، لتتجلَّى من خلالها.[75]

الأشكال الأساسيَّة لقُوَّة ساي:

أشرنا إلى أنّ قُوَّة ساي Psi هي المسؤولة عن التّفاعلات التي تحدث بين الكائنات العُضويَّة (بما فيها الإنسان) وبيئاتها. تلك التّفاعلات التي لم تتوسَّطها أيٌّ وظائف حسِّيَّة أو حركيَّة مألوفة. وينقسم ساي إلى قسمَيْن:

1 - ساي جاما Psi gama، أو الإدراك فوق الحسِّي(ESP).
2 - ساي كابا Psi Kappa أو الطّاقة النَّفْسيَّة المُؤثِّرة أو المُحرِّكة (السّيكُوكينيسيز) (PK).

يُمثِّل ساي جاما الجانب الإدراكي من السّاي، وهُو مُشابه للوظيفة الحسِّيَّة، ولكنّه فوق حسِّي. ويُمثِّل ساي كابا الجانب الفيزيائي أو الأثر النَّفْسي على البيئة الدّاخليَّة والخارجيَّة. وهُو مُشابه للنّشاط الحركي، ولكنّه فوق حركي **Extramotor**.[76]

تَبنَّى عالم النَّفْس الأمريكي جي بي راين ومجموعته في جامعة ديُوك، في الثّلاثينيَّات من القرن العشرين مُصطلح الإدراك فوق الحسِّي (ساي جاما)، الذي كان مُستخدَماً من قَبْل[77]، وعرَّفه بأنّه إدراك أو معرفة حَدَث ما من دُون استخدام الوسائل الحسِّيَّة والفيزيائيَّة المألوفة[78]. ويشمل الأشكال الأساسيَّة الآتية:

---

(75) Inglis. B.: The Paranormal, An Encyclopedia of psychic Phenomena, London, 1985, P. 18.

(76) Kalefa. Y.: A History of parapsychological Research (Thesis of M. A) University of Wales, 1990, p.1.

(77) انظر الفصل الأوّل، ص13.

(78) Rhine. J. B.: Extrasensory perception, In: (Wolman B. B) Ed: Handbook of parapsychology, p. 164.

1 ـ التَّخاطُر Telepathy : وهُو اتِّصال مُباشر بين عقلَيْن من دُون استخدام أيَّة وسائل ماديَّة، ويفترض عقلاً يعمل مُرسلاً وآخر مُتسلِّماً[79]. ولا يتقيَّد بالمسافة، فهُو يُمكن أنْ يحدث بين عقلَيْن تفصلهما مئات أو آلاف الكيلُو مترات، كما يحدث بين عقلَيْن المسافة بينهما بضعة أمتار، وبالفاعليَّة ذاتها.

2 ـ الاستشفاف (الجلاء البصري) Clairvoyance : هُو مُصطلح فرنسي الأصل، يعني ـ حَرْفيّاً ـ الرُّؤية الواضحة Clearseeing، وهُو إدراك نَفْسي لجانب من جوانب البيئة الخارجيَّة غير مُقيَّد بالنُّمُوذج البصري للإدراك[80]. ولا يشترط عقلاً مُرسلاً؛ مثل التَّخاطُر.

وتلحق بالاستشفاف أنواع أُخرى فرعيَّة مثل، الجلاء السّمعي Clairaudience، وهُو نوع من الاستشفاف الإدراكي الذي يحدث على شكل استلام صوت من الخارج ينقل معلومة مُعيَّنة، وهذا يُشبه ما يُسمَّى لدى الصُّوفيَّة بالهاتف. وكذلك ظاهرة عصا الاستنباء Dowsing التي تُستخدم للكشف عمَّا في باطن الأرض (ماء أو نفط)، وهي مثل الاستشفاف تحدث بصُورة علاقة بالبيئة الخارجيَّة لا تشترط عقلاً مُرسلاً. والنّوع الآخر الذي يُصنَّف ضمن الاستشفاف هُو التّحسُّس الإشعاعي Radiesthesia، الذي يُعبِّر عن استجابة الإنسان للإشعاعات من دُون وساطة فيزيائيَّة. وكذلك التّكهُّن النَّفْسي Psychometry، وهُو مُصطلح من وضع بُوشانُون Buchanon يُشير إلى تلك العمليَّة التي يُمسك بها الموهوب بشيء ما بيده، فيحصل على معلومات عن الشّيء أو عن الشّخص الذي يملكه. والقراءة بعيُون معصوبة Blindfolded Reading وهي قُدرة لدى بعض الأشخاص (الأطفال منهم بشكل خاصّ) يتمكَّنون بها من القراءة أو الكتابة ورُؤية الأشياء بعيُونهم المعصوبة بإحكام لمنع احتمال الرُّؤية البصريَّة الاعتياديَّة.

3 ـ الإدراك المُسبَق (معرفة المستقبل) Precognition : ويُشير إلى الإدراك النَّفْسي لحَدَث ما في المُستقبل بشكل لا إرادي[81]. أو هُو المعرفة المُسبقة بحَدَث مازال في المُستقبل بصُورة عشوائيَّة غير مبنيَّة على الاستدلال من المُعطيات مُتوفِّرة في الحاضر. يفترض مُصطلح الإدراك المُسبَق (التَّنبُّؤ) نموذجاً معرفيّاً نظريّاً يتضمَّن أنَّ الأحداث التي مازالت في المُستقبل مُدركة بطريقة ما فوق حسّيَّة (خارقة) قبل حُدُوثها.[82]

---

(79) Morris. R.: A Survey of method and Issues in ESP research, In: (Krippner. S)Ed: Advances in parapsychological Research, vol.2., p.8.

(80) Eisenberg. H.: Inner Spaces-parapsychological exploration of the method, p.37.

(81) Ibid, P.32.

(82) Jule. E.: Paranormal forknwledge, Human sciences Press, INC. NewYork, 1982, p.4.

ويرتبط بظاهرة التَّنبُّؤ المُسبَق ظاهرة الإدراك المُرتدّ Retrocognition ويعني معرفة الشّخص الموهوب لأحداث الماضي التي لم يخبرها حسيّاً أو استدلاليّاً من مُعطيات راهنة، وهُو عكس اتّجاه الإدراك المُسبَق من النّاحية الزّمنيَّة.

السّايكُوكينسيز (PK): وتُشير إلى التّأثير النَّفْسي للكائن الحي على البيئة الخارجيَّة من دُون توسُّط أيّ نوع من التّفاعل الفيزيائي بين الكائن الحي والبيئة[83]. وأنواع السّايكُوكينسيز صعبة القياس، وقد وضعت التّمييزات استناداً إلى طبيعة الهدف فيما إذا كان حيويّاً أو غير حيوي، أو ما إذا كان صغيراً أو كبيراً، فتأثير الأحداث العقليَّة على نُمُوّ النّبتة أو على توالد الأنسجة الحيوانيَّة يُعدُّ أمثلة على السّايكُوكينسيز، وكذلك التّأثير العقلي على إطلاق إلكترُون من مصدر نشاط إشعاعي يُمثِّل حالة من الـ Pk ذات هدف مُصغَّر[84]. وتنقسم Pk إلى صنفَيْن:

1 ـ التّأثير النَّفْسي الدّقيق Micro-Pk: وهُو النّوع الشّائع في الاختبارات العلميَّة، ويُوجد لدى غالبيَّة النّاس. ويستخدم رمي الزّهر لاختبار نسبة وُجُود هذا اللّون من التّأثير لدى الأشخاص بأعمار مُختلفة ووفق مُعدَّل إحصائي. تُشير هذه الظّاهرة إلى فَرَضيَّة تذهب إلى أنَّ العقل البشري ـ بشكل عامٍّ ـ يُؤثّر بطريقة غير محسوسة على الأشياء المادّيَّة، سواء على الدّماغ المُرتبط به، أو على الأشياء الخارجيَّة في البيئة، في سبيل المثال، أثره على النّباتات والوُرُود، فيزيد من نُمُوِّها أو يُعيقه.[85]

2 ـ التّأثير النَّفْسي الواسع النّطاق Macro-Pk: ويشمل ظاهرة لَيّ المعادن Pk-metal Bending التي يُؤثّر فيها الموهوب على قطع معدنيَّة (ملاعق، شوكات.. إلخ) فيُغيِّر من شكلها أو يُحرّكها. وتشمل ـ أيضاً ـ ظاهرة التّصوير الرُّوحي Psychophotography يقوم فيها الموهوب بنقل صُورة مُعيَّنة من عقله إلى فيلم الكاميرا مُباشرة. ويشمل ـ أيضاً ـ ظاهرة الإشفاء (العلاج الرُّوحي) Psychic Healing، والجراحة الرُّوحيَّة Psychic Surgery. والافتراض العامُّ يذهب إلى أنَّ هُناك نوعاً آخر من الطّاقة يختلف عن الطّاقة الفيزيائيَّة المعروفة مسؤولة عن هذه التّأثيرات[86]. هذه الطّاقة يُطلق عليها قُوَّة ساي.

---

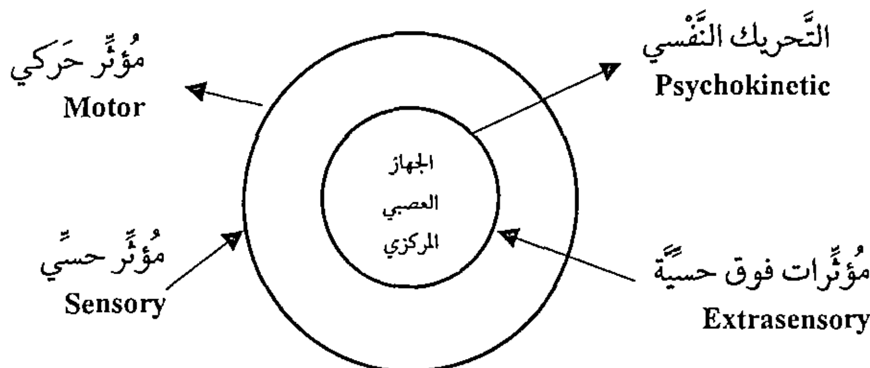
(83) Braude. S. E.: Taxonomy and theory in Psychokinesis In: Shapin. S. and Coly. L. (Ed): Concepts and theories of Parapsychology – Proceedings of International Conference – Parapsychology foundation, New York, 1980, P. 37.

(84) Beloff J.: op cit, p.2.

(85) Eisenberg. H.: OP Cit, P. 13.

(86) Heaney. J.: The Sacred and The Psychic, Parapsychology in Courtext of science, U. S. A, 1983, P.2.

تقع ظواهر ساي بصنفَيْها: الإدراك فوق الحسّي والتّحريك النَّفْسي مُوازية للتّفاعلات الحركيَّة والحسيَّة بين الكائن الحي وبيئته. ومن المعروف أنَّ الكائن الحي يتفاعل مع البيئة عن طريق آليّات حركيَّة وحسيَّة، ويُمكن إيضاح هذا التّفاعل بيانيّاً بسهمَيْن متَّصلين بسطح دائرة (انظر الشّكل أدناه) يُمثِّل أحد السّهمَيْن دُخُول المُؤثِّر الحسّي إلى الكائن الحي، ويُمثِّل الآخر النّاتج الحركي. وأنَّ آليّات التّفاعل الحركي الحسيَّة مدروسة في البيُولُوجيا وعلم النَّفْس والفيزياء، وهي معروفة جيِّداً من حيثُ المبدأ، وتشمل الحرارة والضّوء والصّوت والضّغط والثّقل والعمليّات الكيميائيّة وقابليّة التّمغنط. ومن المقبول - بشكل عامٍّ - أنَّ آليّة الإحساسات والمُؤثِّرات تُوجد جميعاً خارج الجهاز العصبي المركزي (الدّائرة الدّاخليَّة في الشّكل أدناه)، وتجري الإشارات الدّاخلة إلى الدّماغ والخارجة منه في الموضع ما بين الدّائرتَيْن، وتُنقل عن طريق القوى الكهربائيَّة للأعصاب الطّويلة والنّاقلات الكيميائيَّة في الفجوات الصّغيرة بين نهايات العصب الأوَّل ومُتسلِّمات العصب التّالي.[87]



نُلاحظ على الشّكل السّابق أنَّ التّأثير الحسّي والحركي الطّبيعي (في الجهة اليُسرى من الدّائرة) يمرُّ عبر الجسم (الفراغ بين الدّائرتَيْن)، في حين تتجاوز التّأثيرات فوق الحسيَّة وفوق الحركيَّة المسار الطّبيعي للتّفاعلات، فتقفز مُباشرة إلى الجهاز العصبي المركزي.

لذلك؛ فإنَّ خبرات الباراسيكُولُوجي تفترض نوعاً جديداً من التّفاعل بين الجهاز العصبي المركزي والعالم الخارجي. وهذا النّوع من التّفاعل لا يتضمَّن المجالات والقوى المعروفة في الفيزياء، كما أنَّ طبيعة الدّليل التّجريبي تُبرِّر تسميتها التّفاعلات الجديدة (الرُّوحيَّة) المُعاكسة للتّفاعلات الفيزيائيَّة. ويُفترض أنْ تقع تلك التّفاعلات في الجهاز العصبي المركزي أو في جُزْء مُعيَّن منه، وهي مُمثَّلة في الشّكل أعلاه بنهاية السّهمَيْن على الدّائرة الدّاخليَّة، فالتّأثير الدّاخل

(87) McConnell. R. M.: An introduction to Parapsychology in the Courtext of Science, U. S. A, 1983, P.2.

يُسمَّى الإدراك فوق الحسِّي، والتّأثير الخارج يُسمَّى التّحريك النَّفْسي، وكلاهما يُعبِّران ـ بشكل عامٍّ ـ عن تأثيرات ساي. وبما أنَّ تلك القُوَّة لا تتأثّر بالموانع الفيزيائيَّة؛ لذلك يفترض أنَّها طاقة معلوماتيَّة خفيفة فعَّالة طبيعيّاً، تتسرَّب من خلال الموانع الفيزيائيَّة، وإذا كان هذا يُخالف قانون حفظ الطّاقة، فيُمكن افتراض طاقة جديدة نَفْسيَّة أو رُوحيَّة Psychic energy لكي تتوازن المُعادلة.[88]

الأبعاد الزّمنيَّة للإدراك فوق الحسِّي:

يعمل الإدراك فوق الحسِّي بصُورة مُستقلَّة عن المقاييس الفيزيائيَّة (الزّمان والمكان والقوانين المعروفة)؛ فموضوع الإدراك يُمكن أنْ يكون في الحاضر أو الماضي أو المُستقبل، والعلاقة بين الذّات والموضوع غير مُقيَّدة بالحضور الآني للموضوع ولا حتَّى بالوُجُود الفيزيائي. واذا ما قمنا بتحليل البُعْد الزّمني للإدراك فوق الحسِّي، سنكتشف حقيقة القُوَّة الواحدة المسؤولة عن ذلك النّشاط، والتي تتجلّى بشكل فكرة (تصوُّر محض)، أو فكرة مقرونة بمشهد مُفصَّل، وحينئذ نُصنِّفها إلى تخاطُر أو استشفاف. والحقيقة؛ أنَّه ليس من السُّهُولة تمييز التَّخاطُر عن الاستشفاف (الجلاء البصري) لا سيما في الحالات التّلقائيَّة. ويستند التّمييز الاختباري إلى أنَّ التَّخاطُر يُمثِّل الاختبار الذي نفحص فيه نقل المعلومات من عقل إلى آخر؛ أحدهما مُرسِل والآخر مُستقبِل، في حين يُمثِّل الاستشفاف الحالات التي يُختبَر فيها استلام المعلومات من البيئة الخارجيَّة من دُون أنْ تكون مُرسَلة من عقلٍ آخر، مثل الاختبار الذي يفحص قُدرة الشّخص على معرفة ألوانٍ وأشكالٍ بعيدة عنه أو خلف ستار. هذه الاختبارات يجب أنْ تستبعد احتمالات الإرسال التَّخاطُري من لدُن المُجرِّب والمُساعدين عن طريق فرض شُرُوط خاصَّة.

وإذا وضعنا الإدراك فوق الحسِّي حسب الأبعاد الزّمنيَّة المُفترضة له، نجد أنَّ هُناك اتِّساقاً زمنيّاً يُشبه الاتِّساق الذي نجده في الإدراك الاعتيادي. فيُمكن تصنيفه ـ استناداً إلى أبعاد الزّمن الثّلاثة ـ إلى الآتي: إدراك فوق حسِّي تزامُني Contemporaneous ESP، واسترجاعي Retrocognitive ESP، واستباقي Precognitive ESP. وهذا يُقابل في الإدراك الاعتيادي الإدراك الحسِّي المُباشر، والتّذكُّر، والتَّنبُّؤ بالمُستقبل استدلاليّاً من مُعطيات حاضرة، ولكنْ؛ هُناك فرق كبير وبون شاسع بين الإدراكَيْن من النّاحية الفيزيائيَّة؛ فباستثناء الإدراك المُباشر، لا يتعامل إدراك الماضي والمُستقبل مع المُدرَك بوصفه وُجُوداً مُتحقِّقاً بالفعل الآن؛ بل إنَّ تذكُّر الماضي أو استرداد فكرة مخزونة في الذّاكرة، وكذلك المُستقبل الذي يتمُّ تقريره بنسبة من الشّكِّ، هُو جزء من الحاضر غير مُنقطع الصّلة

(88) Ibid. P. 3.

به أبداً، ولكنَّه غير مُتحقَّق بالفعل في الوقت الرّاهن. ولذلك يُعامَل مُعاملة التَّصوُّر أو الخيال. والمسألة مُختلفة في الباراسيكُولُوجي؛ فالحَدَث ـ سواء كان آنيّاً أو ماضياً أو مُستقبلياً ـ يُعامَل مثل الوُجُود الحقيقي الذي يُمارس تأثيراً مُباشراً على الوعي في عمليَّة الإدراك. وهذا يفترض أنَّ المُستقبل مُتحقِّق بكيفيَّة ما خارج إطار الزّمكان الطّبيعي؛ بحيثُ يُمكن أنْ يخترقه الوعي في حالة من حالاته الفعَّالة، وإنَّ الماضي لم ينته، وإنَّما يمتلك وُجُوداً فعلياً يُلاحق اتِّجاه الزّمن السّائر نحو الأمام دُون أنْ يبلغه، فيرتدّ الوعي ـ في واحدة من حالاته الفعَّالة ـ لإدراكه.

النُّقطة المُهمَّة في هذا الكلام هي أنَّ القوَّة أو المَلَكة المسؤولة عن الإدراك فوق الحسِّي هي قُوَّة واحدة تتفاعل مع الأبعاد الزّمنيَّة الثّلاثة (الماضي والحاضر والمُستقبل)، واستناداً إلى هذا التَّصوُّر التّركيبي لترابُط ظواهر الإدراك فوق الحسِّي يُمكن تصنيفه ـ زمنياً ـ بالشّكل الآتي: [89]

المُستقبل	الحاضر	الماضي	شرط مفروض للنّجاح
موقع مفروض للهدف			
التَّخاطُر التَّنبُّؤي Precognitive Telepathy	التَّخاطُر التَّزامُني Contemporaneous Telepathy	التَّخاطُر التّراجعي Retrocognitive Telepathy	المُرسل ضروري Agent
الاستشفاف التَّنبُّؤي Precognitive Clairvoyance	الاستشفاف التَّزامُني Contemporaneous Clairvoyance	الاستشفاف الاسترجاعي Retrocognitive Clairvoyance	المُرسل غير ضروري

نُلاحظ في الجدول السّابق أنَّ الظّاهرتَيْن الأساسيَّتَيْن هُما التَّخاطُر والاستشفاف، وبمُجرَّد إضافة البُعْد الزّمني لكُلٍّ واحد منهما تتفرَّع منهما الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة الأُخرى. فالتَّنبُّؤ هُو إدراك تخاطُري أو استشفافي لحَدَثٍ مُستقبلي. وكذلك الحال في الإدراك الاسترجاعي لأحداث ماضية، يحدث فيه التَّخاطُر والاستشفاف وُفق علاقة زمنيَّة مُرتدَّة. إذنْ؛ فالتّصنيف السّابق مبني على أساس الموقع الزّمني. فالتَّخاطُر الاسترجاعي هُو إدراك أحداث الماضي، أمَّا التَّخاطُر التَّزامُني؛ فهُو استلام الأفكار من مُرسل في الحاضر. والتَّخاطُر التَّنبُّؤي هُو استلام المعلومات عن أحداث المُستقبل من مُرسل (الأنواع الثّلاثة تفترض المُرسل). أمَّا الاستشفاف الاسترجاعي؛ فهُو إدراك الأحداث التي في الماضي على شكل مشهد أو صُورة. والاستشفاف التَّزامُني هُو إدراك الأحداث المُتزامنة مع وُجُود المُدرِك من دُون استخدام وسائط حسيَّة أو فيزيائيَّة، ومن دُون استخدام

(89) Beloff. J.: op cit, PP. 1-2.

العُضو البصري (العين). والاستشفاف التَّنبُّؤي هُو إدراكٌ لأحداثٍ مُستقبليَّةٍ على شكل مشهدٍ أو صُورة. وحالات الاستشفاف الثّلاث لا تتطلّب مُرسلاً كالتَّخاطُر.

يُفهم ممّا سبق ذكره أنَّ الإدراك المُسبق (التَّنبُّؤ بالمُستقبل) والإدراك الاسترجاعي (معرفة الماضي) يفترضان أنَّ الأحداث المُستقبليَّة والماضية لم تكن أحداثاً عَدَميَّة، بل تمتلك بُعْداً وُجُوديّاً. إنَّ التّوزيع حسب الموقع الزّمني الوارد في الجدول السّابق لم يُنجَز وفقاً لوعي ساي؛ بل أُنجِز وفقاً للتّقييدات الفيزيائيَّة للوعي الاعتيادي، في حين يكون الهدف (موضوع الإدراك) على مُستوى زمني واحد بالنّسبة للوعي الذي بلغ مُستوى ساي.

نستنج - إذنْ - أنَّ الاتساق الزّمني - الذي فَرَضناه للإدراك فوق الحسِّي - مُنجزٌ وفقاً للوعي الاعتيادي، أمَّا بالنّسبة للوعي الذي بلغ مُستوى نشاط ساي؛ فهُو - في الحقيقة - ينتهك الاتِّساق الزّمني الاعتيادي، وهذه إحدى أهمِّ الخصائص التي تُميِّزه. فعلى مُستوى وعي ساي يختفي الاتِّساق الزّمني للإدراك فوق الحسِّي، وتكون علاقة وعي ساي بالهدف واحدة مهما كان الموقع الزّمني المفروض للهدف وُفق الوعي الاعتيادي، ولكنْ؛ عندما ننظر للهدف من خلال الوعي الاعتيادي، ينتظم وُفق اتِّساق زمني مُحدَّد.

خصائص ظواهر ساي:

تتميَّز ظواهر ساي - بشكل عامٍّ - بالخصائص التّالية: [90]

1 - تُشير الاختبارات إلى الاستقلال الزّمني والمكاني للنّتائج، بمعنى آخر؛ إنَّ نتائج ساي لا تخضع للشُّرُوط التي تخضع لها الظّواهر الاعتياديَّة.

2 - تتميّز ظواهر ساي بصنفيها، الإدراك فوق الحسِّي والتّحريك النَّفسي، بأنَّها ذات خاصيَّة إحصائيَّة، بمعنى آخر، إنَّ معرفتها لا تتم انفرادياً بل تتعين الظّاهرة وُفق مُعدَّل إحصائي.

3 - تتطلَّب ظواهر ساي مُشاركاً حسَّاساً أو (مُلاحظاً)، وأنَّ الشّخص الحسَّاس يتفاعل مع الأنظمة الفيزيائيَّة بطريقة مُختلفة عن التّفاعلات الاعتياديَّة بين الأنظمة المادّيَّة.

4 - يتضمَّن التَّخاطُر - بشكل خاصٍّ - معلومات ثُنائيَّة بين شخصَيْن (مُرسل ومُستقبل).

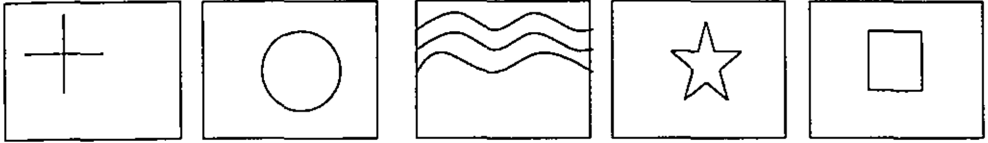
5 - لا تتأثر قُوَّة ساي بالحواجز الفيزيائيَّة، فلم تمنع حُدُوثها الأقفاص المُضادَّة للأشعَّة الكهرُومغناطيسيَّة، أو تحدَّ من نشاطها.

---

(90) Walker. E. H.: Foundations of Parapsychical and parapsychological phenomena, In: (Oteri. L) Ed, Quantum Physics and parapsychology, proceedings of an International Conference, held in Geneva, August, New York, 1974, p.2.

الطُّرُق المُختبريَّة:

استخدم الباراسيكُولُوجيون الطّريقة الإحصائيَّة للتَّحقُّق من وُجُود ظواهر ساي وُفق مُعدَّل إحصائي، فقامت اختبارات راين الأُولى عام 1934، على هذا المنهج، مُستخدمة طريقة التَّنبُّؤ بالبطاقات (بطاقات زنر) والتي سُمِّيت فيما بعد «بطاقات الإدراك فوق الحسِّي»، وتتكوَّن من خمسة رموز، يتكرَّر كُلُّ رمز خمس مرَّات، فيكون مجموعها 25 بطاقة. ويُمكن تصنيف هذه الاختبارات كالآتي:



1 ـ اختبارات الإدراك فوق الحسِّي العامّ:

والطّريقة المُعتمدة في إجراء الاختبار أنْ يقوم المُرسل (المُجرِّب) بتقليب البطاقات، فيختار واحدة يضعها أمامه على المنضدة، وفي الوقت ذاته؛ يُعطي إشارة بدء الاستلام للمُتسلِّم الموجود في الغُرفة المُجاورة، فيُخمِّن المُتسلِّم الشّكلَ، ويقوم المُجرِّب بتسجيل الشّكل المُخمَّن على ورقة التّسجيل، وبعد عدَّة مُحاولات قد تستمرُّ ساعة أو ساعتَيْن تُحسَب النّتائج.

إنَّ مُعدَّل الصُّدفة في تلك المُحاولات واحد من كُلِّ خمسة، وخمسة لكُلِّ 25 مُحاولة، و20 لكُلِّ مائة مُحاولة. وتُنسَب الزّيادة على مُعدَّل الصُّدفة إلى الإدراك فوق الحسِّي، ويجب أنْ تكون هذه الزّيادة مُتكرِّرة بانتظام ذي مغزى، لكي تكون دليلاً قويّاً على نشاط ساي. ويُسمَّى هذا اللّون من الاختبارات بالإدراك فوق الحسِّي العامّ General Extrasensory Perception(GESP)؛ لأنَّه لا يتضمَّن تمييزاً بين التَّخاطُر والاستشفاف والإدراك فوق الحسِّي.[91]

أحد الإجراءات المُهمَّة في هذا الصّدد هُو الإجراء الآتي: تُوضع البطاقات مقلوبة الوجه على المنضدة، كي لا تكون مرئيَّة من أحد. وتُفصَل غُرفة المُتسلِّم عن غُرفة المُجرِّب بحائط مطلي بالرّصاص. ويجلس المُتسلِّم أمام منضدة عليها هاتف داخلي مُرتبط بالهاتف الدّاخلي الرّئيسي لغُرفة المُجرِّب. ثُمَّ يقوم المُجرِّب الثّاني (المُراقب) بخلط رُزمة البطاقات المقلوبة الأوجه على المنضدة، ويُسلِّمها إلى المُجرِّب الأوَّل في غُرفته، فيضعها هذا الأخير مقلوبة الأوجه على الجانب

(91) Schmeidler. G. R. and McConnell. R. A.: ESP and personality Patterns, USA, 1973,PP.8-9.

الأيسر من منضدته. ولا تُميِّز هذا الطّريقة بين الاستشفاف والتّخاطُر. يرفع المُجرِّب الأوَّل البطاقة العُليا، ويضعها في مُنتصف المنضدة، ثُمَّ يضغط على مفتاح الهاتف الدّاخلي ليأمر المُتسلِّم بتخمين شكل البطاقة، فإذا تخيَّل المُتسلِّم أنَّ الشّكلَ هُو الدّائرة، يُجيب «دائرة». يقوم المُجرِّب الأوَّل بعد ذلك بكتابة إجابة الوسيط في ورقة الاختبار الموضوعة في الجانب الأيمن من منضدته، ويقوم المُجرِّب الثّاني بالتّأكُّد من الإجابة، فهُو يُنبِّه المُجرِّب الأوَّل إذا ارتكب خطأً أثناء كتابته الشّكل المُخمَّن من لدُن المُتسلِّم. وعندما ينتهي المُجرِّب الأوَّل من تسجيل الإجابة في ورقة الاختبار يضع البطاقة مقلوبة الوجه على الجانب الأيمن من المنضدة، ويتناول البطاقة التّالية، ويضعها في مُنتصف المنضدة ووجهها إلى الأعلى، ويُكرِّر هذا مع كُلِّ بطاقة من البطاقات الخمس والعشرين. وعندما ينتهي الاختبار يقوم المُجرِّب الأوَّل بقلب وُجُوه البطاقات المُخمَّنة إلى الأعلى، ويُسجِّل الأشكال الصّحيحة في العمود الموجود في ورقة الاختبار حسب تسلسُل البطاقات، ثُمَّ يحسب الإصابات بمُقارنة إجابات الوسيط بتسلسُل البطاقات (أيْ الإجابات الصّحيحة)، ويقوم المُجرِّب الثّاني بالتّأكُّد من ذلك من بداية التّسجيل إلى نهايته خشية أنْ يكون المُجرِّب الأوَّل قد ارتكب خطأً أثناء التّسجيل أو أثناء مُقارنة الإجابات.[92]

هُناك طريقة أُخرى لهذا الاختبار خاصَّة بالاستشفاف، يخلط فيها المُجرِّب الثّاني بطاقات الإدراك فوق الحسِّي بشكل عشوائي، ويضعها مقلوبة الأوجه في صُندوق، ويغلقه، ثُمَّ يُسلِّمه إلى المُجرِّب الأوَّل، فيضعه هذا على المنضدة، ويطلب من المُتسلِّم أنْ يبدأ التّخمين بدءاً من أوَّل بطاقة إلى آخر بطاقة. ويكتب المُجرِّب الأوَّل الإجابات (التّخمينات) في ورقة التّسجيل. وبعد أنْ يُجيب الوسيط على 25 بطاقة يفتح المُجرِّب الصُّندُوق، ويكتب الإجابات الصّحيحة في ورقة التّسجيل، ويحسب الأشكال المُخمَّنة بشكل صحيح بعد مُقارنة إجابات الوسيط بالبطاقات، ثُمَّ يقوم المُجرِّب الثّاني بتدقيقها. هذا هُو اختبار الاستشفاف. وفي هذا الاختبار لا أحد من المُجرِّبَيْن يعرف نظام البطاقات، ولا يتكلم أحدهما مع المُتسلِّم، إضافة إلى ذلك؛ فإنَّ الغُرفتَيْن مفصولتان إحداهما عن الأُخرى بشكل كامل بحائط رصاصي، كما أنَّ المُجرِّبَيْن والمُتسلِّم لا يرى أحدهما الآخر. ويُدعى هذا الاختبار بالاختبار ذي الطّريق الواحد (One way)؛ لأنَّ الوسيط كان يُجيب من خلال هاتف داخلي بعد أنْ يُعطى له الأمر من لدُن المُجرِّب. ولا تُتيح هذه الطّريقة إمكانيَّة الخداع والغشِّ.[93]

---

(92) Motoyama. H.: The present setuation of parapsychology in the World, Tokyo,1967,pp.6-7.

(93) Ibid, P. 9.

2 ـ اختبارات التّمييز بين أصناف الإدراك فوق الحسّي:

وفي حالة التّمييز بين أشكال الإدراك فوق الحسّي يقوم المُجرِّب بالفصل بين اختبار التَّخاطُر واختبار الاستشفاف واختبار الإدراك المُسبق. إذْ يقوم المُرسل في اختبار التَّخاطُر بالتّركيز على وجه البطاقة، ويُحاول أنْ ينقلها ذهنياً إلى المُتسلِّم، ثُمَّ يُطلب من هذا الأخير أنْ يُخمِّن الشّكل، وهكذا يتمُّ التّواصل من ذهن إلى ذهن آخر، من ذهن المُرسل (ربَّما يكون المُجرِّب نَفْسه) إلى ذهن المُتسلِّم (الوسيط). وفي اختبار الاستشفاف يخلط المُجرِّب حزمة البطاقات بشكلٍ عشوائي، ثُمَّ يسحب بطاقة، ويضعها مقلوبة الوجه على المنضدة من دُون أنْ ينظر إلى وجهها، ثُمَّ يُعطي المُتسلِّم إشارة استلام المعلومة، أو يستخدم طريقة الصُّندُوق المذكورة سابقاً. وفي كُلِّ الأحوال؛ فإنَّ المُتسلِّم يستقبِل معلوماته من الهدف (البطاقة) مُباشرةً من دُون توسُّط مُرسل (عقل آخر).

أمَّا في حالة التَّنبُّؤ بالمُستقبل (الإدراك المُسبق)، فيُطلب من المُتسلِّم أنْ يُخمِّن نظام البطاقات قبل أنْ تُخلَط عشوائياً، وبعد ذلك تُخلَط البطاقات بصُورةٍ عشوائيَّة من لدن المُجرِّب من دُون أنْ يعرف تخمين المُتسلِّم المُسبَق، ثُمَّ يقوم المُجرِّب بمُقارنة النّظام المُخمَّن قبل الخلط العشوائي بنظام البطاقات بعد الخلط العشوائي، فيحسب نسبة الإصابات مُقارنةً بمُعدَّل الصُّدفة. وهكذا تُحسب النّتائج في نهاية كُلِّ اختبار من اختبارات الإدراك فوق الحسِّي. ويصل عدد المُحاولات في كُلِّ اختبار إلى مئات الآلاف من المُحاولات.[94]

إنَّ مُتوسِّط توقع الصُّدفة في بطاقات الإدراك فوق الحسِّي $\frac{25}{5} = 5$، وإذا كان عدد المُحاولات في الاختبار (100) مُحاولة، فإنَّ مُتوسِّط الصُّدفة هُو $\frac{25}{5} \times 100 = 20 \%$.

وبهذه الطّريقة؛ يتمُّ حساب مُعدَّل الصُّدفة كُلَّما زاد عدد المُحاولات. لكنْ؛ ما هُو عدد الإصابات الذي يزيد على (20) إصابة بحيثُ يسمح لنا أنْ ننسب بعض الإصابات إلى الإدراك فوق الحسِّي؟ إذا حصل المُتسلِّم على سجل عال وليكن (60) إصابة، فإنَّ بعض الإصابات تُعزى إلى الإدراك فوق الحسِّي. وبما أنَّ سجل الإصابات واطئ ـ على الأغلب ـ لذلك تكون الحاجة إلى الإحصاء ضروريَّة لمعرفة ما إذا كان سجلٌّ عال (مئات الآلاف من المُحاولات مثلاً) يكفي ليعكس الإدراك فوق الحسِّي. وإذا كان سجلُّ الإصابات واطئاً بما فيه الكفاية (تحت مُستوى الصُّدفة)

---

(94) Palmer. J.: Experimental Methods in ESP research, In: foundations of parapsychology, PP. 115-116.

ويحدث بشكل مُتكرِّر ومُنتظم، فإنَّ هذا يعني أنَّ قُوَّة ساي تعمل بشكل سلبي، مُؤثِّرةً في المُتسلِّم بطريقة ما لكي يتحاشى الهدف باتِّساق. وهذا الشّكل من الإدراك فوق الحسِّي يُدعى إخفاق ساي Psi-missing ويحدث بشكل مُتكرِّر.[95]

وتُحسب نسبة الإصابات مُقارنة بمُعدَّل الصُّدفة عن طريق قانون الأعداد الكبيرة، وهُو أحد مُرتكزات الفيزياء الحديثة وحساب الاحتمالات. ويذهب هذا القانون إلى أنَّه كُلَّما زاد عدد المُحاولات قلَّت نسبة التّخمينات الخاطئة التي تعتمد الصُّدفة، أو كُلَّما زاد عدد المُحاولات زاد عدد الإصابات الصّحيحة التي تدخل ضمن نطاق الصُّدفة. ونظراً لاستبعاد كُلِّ التّفسيرات البديلة أو التّلميحات الحسِّيَّة أو الرُّؤية ومُراقبة البطاقات المُراد تخمينها، فإنَّ الارتفاع الكبير في عدد التَّنبُّؤات الصّحيحة يعود إلى نوع من الإدراك فوق الحسِّي. ويعمل قانون الأعداد الكبيرة بالشّكل الآتي: نفترض بناء على الطّريقة الإحصائيَّة أنَّ الشّخص حقَّق (22) إصابة صحيحة بدلاً من (20) إصابة من (100) مُحاولة، فإنَّ ذلك لن يُثير اهتمام أيِّ شخص على الإطلاق، لكنْ؛ في حال استمرار المُحاولات إلى حَدٍّ يُتيح للشّخص الخاضع للاختبار القيام بألف مُحاولة، ولنقُل ـ أيضاً ـ إنَّه حقَّق تحسُّناً بنسبة (10 ٪) في مُستوى ما قد يُحقِّقه ضمن توقُّع الصُّدفة، بمعنى آخر؛ إنَّه يُحقِّق (220) إصابة (22×10) بدلاً من (200)، عندئذ؛ واستناداً إلى حساب الاحتماليَّة المقبولة عالميَّاً (المبنيَّة على ما يُسمَّى المُعادلة ذات الحدَّين)، فإنَّ نسبة التّخمينات الصّحيحة (الشُّذُوذ) التي لا تدخل ضمن نطاق الصُّدفة تكون ستَّة تنبُّؤات إلى واحد (6 ـ 1). وفي حال استمرار الشّخص حتَّى يُحقِّق (5000) تخميناً مع استمرار تحسُّنه بنسبة (10 ٪) من مُعدَّل الصُّدفة، بمعنى أنَّه يُحقِّق (1100) إصابة (220 × 5) بدلاً من (1000) فإنَّ الشُّذُوذ عن توقُّع الصُّدفة هُو ألفان إلى واحد (2000 ـ1). وإذا استمرَّ الشّخص الخاضع للاختبار حتَّى يُحقِّق (10.000) تخميناً ـ (2200) إصابة صحيحة بدلاً من (2000) ـ فإنَّ الشُّذُوذ (التّخمينات الصّحيحة) الخارجة من نطاق الصُّدفة هي مليونان إلى واحد.[96]

يُمثِّل قانون الأعداد الكبيرة أداة إثبات أساسيَّة لدى عُلماء الفيزياء والرّياضيَّات، أمَّا بالنّسبة للآخرين؛ فالأمر مُختلف، فإنَّ الزّيادة الحاسمة في عدد الشّواذِّ عن الصُّدفة تُثير تناقضاً في أذهانهم، وبإمكان أيِّ شخص أنْ يصل إلى هذا التّناقض من خلال تساؤله عن سبب استمرار الانحرافات الصّحيحة (الشُّذُوذ) عن مُعدَّل الصُّدفة بنسبة (10٪) حتَّى عند بُلُوغ عدد المُحاولات

---

(95) Ibid, P. 13.

(96) كُوستلر، أرثر ـ جُذُور المُصادفة، ترجمة فوزيَّة ناجي، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، بلا تاريخ، ص 28.

ألفاً أو خمسة آلاف أوعشرة آلاف . . وهذا في الواقع ما تهدف الحسابات الاحتماليَّة إلى إثباته. وتضمَّنت النّتائج الأُولى التي نشرها راين سنة 1934، التّسجيل الكامل لـ (000، 85) مُحاولة في تخمين البطاقات أُجريت على فئة مُنتخبة من الأشخاص، وكان المُعدَّل العامُّ للتَّنبُّؤات الصّحيحة هُو (28) بدلاً من (20) من كُلّ (100) مُحاولة. وكان عدد الشُّذُوذ هائلاً جداً، وهذه هي نُقطة التَّحوُّل الكُبرى الأُولى في الإدراك فوق الحسِّي، في طريق اكتساب الاحترام العلمي.[97]

3. اختبارات التّحريك النَّفْسي (PK):

أجرى جُوزيف راين اختباراته الأُولى حول التّحريك النَّفْسي مُستخدماً زهر النّرد. ويستند هذا النّوع من الاختبارات إلى فَرَضيَّة أنَّ إرادة الشّخص يُمكن أنْ تُؤثِّر على الزّهر، فتحرف حركته في اتِّجاه تحقيق الرَّقْم الذي يرغب فيه، ممَّا يجعل الزّهر يُكرِّر أحد الأوجه (الأرقام) بنسبة إحصائيَّة ثابتة تتجاوز مُعدَّل الصُّدفة. وتلافياً لاحتمالات الغشّ يُطلب من الشّخص رمي الزّهر بواسطة كأس خاصّ، بعد أنْ يقوم بتحديد الرَّقْم الذي يرغب بظُهُوره على نحو مُتكرِّر في كُلّ دورة. وكان يتمُّ إسقاط الزّهر على سطح طاولة مُبطَّن[98]، ثُمَّ يقوم المُجرِّب بتسجيل الرَّقْم على الوجه الظّاهر ولنفترض أنَّه (7)، هكذا يتمُّ تسجيل سلسة من النّتائج (السّقطات)، ثُمَّ توضع دوائر حول النّتائج المُكوّنة سبعة (6 + 1، 5 +2، 4 +3 إلخ . .) في ورقة التّسجيل بعد كُلّ دورة مُكوّنة من اثنتَيْ عشرة رمية، وبعد ذلك تُحسَب الإصابات، ويُسجَّل المجموع، وكان المفروض أنَّ مُعدَّل الصُّدفة في كُلّ دورة مُكوَّنة من اثنتَيْ عشرة رمية، هُو رميتان ناجحتان. وتتكوَّن دورة الزّهر الواحد من (24) رمية، ودورة زوج من الزّهر من (12) رمية، أمَّا إذا استخدمت ثلاث زهرات؛ فالدّورة هي (8) رميات. وقد حصل راين في اختباراته الأُولى على مُتوسِّط يعادل (50 . 5) في كُلّ دورة، وهذه النّسبة التي هي (50 . 0) هي الزّيادة فوق مُعدَّل الصُّدفة. لكنَّ الانحراف الصّغير يعني ازدياد عدد الإصابات بنسبة (446) نُقطة فوق مُعدَّل الصُّدفة وهُو مجموع الانحراف.[99]

تُوجد طُرُق أُخرى لاختبار التّحريك النَّفْسي، استُخدمت فيها المكائن والآلات، في سبيل المثال، ابتُكرت في جامعة ديُوك آلة تُشبه لعبة كُرة المسامير، تسقط فيها الكُرة من الأعلى عندما يقوم شخص ما بالضّغط على مفتاح الآلة، فتنطلق الكُرة ضدَّ التّجهيز المعدني الحادّ (المسامير) بين الجانب

---

(97) المصدر نفسه - ص29.

(98) Robinson. D.: To Stretch A plank, A survey of Psychokinesis, U. S. A, 1981, P. 18.

(99) أُسُس الباراسيكُولُوجي، تأليف نُخبة من الباحثين الأُورُوبيّين، ترجمة الأستاذ سلمان يعقُوب العُبيدي، مخطوط.

A والجانب B من الجهاز لتسقط في أحد الجانبَيْن. فإذا كان الشّخص الذي يضغط على مفتاح الآلة يرغب في أنْ تسقط الكُرة على الجانب A، فإنَّ الكُرة تميل إلى السُّقُوط على جانب واحد ثابت بسبب انحراف مُعيَّن للآلة. ولأجل استبعاد هذا الانحراف، الذي يُعزى إلى تشوُّه الآلة، يجري الاختبار بطريقة يضغط فيها الشّخص على المفتاح ويرغب في أنْ تسقط الكُرة على الجانب A مائة مرَّة، وعلى الجانب B مائة مرَّة. ثُمَّ يُجمع عدد المرَّات التي تسقط فيها الكُرة على الجانبَيْن المرغوب فيهما (A, B). فإذا كانت هُناك زيادة لصالح أحد الجانبَيْن فإنَّها تُعزى إلى انحراف الآلة، وهكذا تُحسب نسبة الانحراف حسب قوانين الاحتماليَّة، ثُمَّ تُجرى الاختبارات آخذة بنظر الاعتبار نسبة الانحراف هذه لطرحها من الانحراف الكُلّي نحو الجانب المرغوب فيه في اختبارات التّحريك النَّفْسي، لاستخراج نسبة الانحرافات عن الصُّدفة لصالح التّحريك النَّفْسي.[100]

ابتُكِرت وسائل مُتنوِّعة في اختبارات التّحريك النَّفْسي لمنع الغشّ والخداع، في سبيل المثال، لا يُسمح للوسيط - في الاختبارات التي تُستخدم زهر النّرد - أنْ يرجَّ القدح الذي فيه الزّهر ببُطء شديد؛ لأنَّ النّقط السّوداء في الزّهر يُمكن تمييزها، وربَّما كان الشّخص بارعاً في طريقة الإمساك بالزّهر وقلبه على الوجه الذي يُريده. ولتجنُّب هذه الاحتمالات وُضع في الماكينة - التي ابتُكرت لهذا الغرض - صُندوق مكوَّن من شبكة من الأسلاك تُوضع فيه عشر نردات من الزّهر تقريباً، ويسقط الزّهر عندما يُدار الصُّندُوق عن طريق مُحرِّك كهربائي، في سبيل المثال، يرغب الوسيط في أنْ يظهر الوجه (اثنَيْن) عندما يسقط الزّهر من الصُّندُوق ذي الشّبكة السّلكيَّة، ويُمكن تمييز النّقاط التي في الزّهر بالرّغم من أنَّه يسقط بسُرعة كبيرة. وعندما يتمُّ إسقاط جميع الزّهر الذي في الصُّندُوق إلى الأسفل، يتوقَّف المُحرِّك، ويتمُّ حساب عدد الوُجُوه التي ظهرت تحمل العدد اثنَيْن.[101]

لماذا يُستخدم زهر النّرد في اختبارات التّحريك النَّفْسي، ولماذا لا يكون التّأثير ظاهراً ومُدركاً حسيّاً؟؟ الحقيقة؛ تتفاوت طاقة التّحريك النَّفْسي بين النّاس؛ وقد أشرنا آنفاً إلى أنَّ هذه الظّاهرة تختلف نسب وُجُودها أو ظُهُورها بين النّاس، فمنها التّأثير النَّفْسي الواسع النّطاق، الذي يظهر بشكل واضح على الأشياء الماديَّة، ويُوجد لدى أشخاص نادرين جدّاً يُطلق عليهم الموهوبون أو الرُّوحانيون. المُستوى الآخر هُو التّحريك النَّفْسي الدّقيق الذي لا يُمكن مُلاحظته حسيّاً. ويُفترَض - باراسيكُولُوجياً - أنَّ النّاس جميعاً لديهم طاقة الأثر النَّفْسي الدّقيق، لكنَّها تتفاوت لديهم من ناحية القُوَّة؛ ولذلك تُستخدم الطّريقة الإحصائيَّة لحساب نسبة هذا التّأثير. بمعنى آخر؛ إنَّ التّأثير النَّفْسي الدّقيق

(100) Motoyama. H.: Op Cit, P.10.

(101) Ibid, P. 11.

لا يتجلّى إلاَّ عبرَ الطّريقة الإحصائيَّة (المُعدَّل الإحصائي)؛ ولهذا الغرض استخدم راين زهر النّرد لحساب التّأثير إحصائياً. وكانت التّجارب تُجرى وفقاً لهذه الطّريقة، سواء بالرّمي عن طريق كأس أو باستخدام الآلات، وعندما تحصل مشاكل إحصائيَّة تُحال إلى مستشار معمل الباراسيكُولُوجي، وهُو عالم الرّياضيَّات المُتخصِّص في حساب الصُّدفة والاحتمالات الدُّكتُور أي. جرينود.

ومن أوائل الذين توصَّلوا إلى نتائج راين نَفْسها، وبشكل مُستقلٍّ عنه، فرانك سمث المُتخصِّص في علم الغابات، والمُهندس أي. بي جبسُون، والأستاذ ماكدُوجال في إنجلترا، وعالم النَّفْس هـ. لـ. فريك. وبعد بضعة أعوام من تجارب راين تمكَّن الدُّكتُور سي. بي ناش من التّوصُّل إلى النّتائج نَفْسها.

استُخدمت حديثاً آلات جديدة بدلاً من أوراق اللّعب وزهر النّرد، تُسمَّى مُولِّدات الحَدَث العشوائي أو مُولِّدات الرَّقْم العشوائي. Random Event (number) Generators. وهي آلات تُولِّد - بطريقة ذاتيَّة - هدفاً لكُلِّ مُحاولة، ثُمَّ تُسجِّل الأهداف والاستجابات والإصابات. وفي بعض هذه الآلات تكون الأهداف مصابيح ضوئيَّة مُختلفة الألوان على واجهة الآلة. وقد ألْحَقَ الباحثون - مُؤخَّراً - هذه الآلات بالحاسبات الإلكترونيَّة، أو استعاضوا عنها بالحاسبات كُلِّيَّة.[102]

يعمل مُولِّد الحَدَث العشوائي على قذف زهر النّرد بطريق عشوائيَّة، من دُون تحكُّم المُجرِّب أو الشّخص الخاضع للاختبار؛ لأجل استبعاد الغشِّ واحتمالات التّأثير الجانبي المقصود وغير المقصود. أمَّا مُولِّد الرَّقْم العشوائي؛ فهُو آلة تُولِّد الأرقام بصُورة عشوائيَّة، ففي اختبار الإدراك المُسبق (التّنبُّؤ) يتمُّ تخمين نظام الأرقام قبل أنْ تُولِّدها الآلة، ثُمَّ يُقارَن التّخمين بنظام الأرقام التي أخرجتها الآلة، وفي حالة اختبار التّحريك النَّفْسي يُطلب من الوسيط التّأثير على الآلة وجعلها تُولِّد الحَدَث أو الرَّقْم المرغوب فيه. ورُبَّما تتدخَّل هذه الرّغبة حتَّى في اختبارات التّنبُّؤ بالمُستقبل، فيُعزى التّطابق إلى تأثير إرادة الوسيط على الآلة، لتولِّد النّظام المُخمَّن مُسبقاً، فيرجع التّنبُّؤ إلى التّحريك النَّفْسي.

ولكي يتمَّ ترتيب أوراق اللّعب بشكل عشوائي؛ لمنع المُتسلِّم من التّنبُّؤ بالتّرتيب، استُخدمت جداول عدديَّة بشكل عشوائي، وبعد ذلك تُترجم الأرقام إلى الأهداف المُتطابقة وفقاً لشفرة مُحدَّدة مُسبقاً، في سبيل المثال، تكون الشّفرة كالآتي:

---

(102) Broughton. . R.; computer Methodology, Total Control With a human face, in: "Shapin. B. And coly.I." (Ed): Parapsychology and the experimental method, Proceedings of an International Conference, No. 14, New York, 1982, PP. 24-28.

صفر أو خمسة = نجمة، واحد أو ستَّة = دائرة، اثنان أو سبعة = علامة زائد، ثلاثة أو ثمانية = خُطُوط مُتموِّجة، أربعة أو تسعة = مُربَّع.[103]

تُولِّد مُولِّدات الحَدَث العشوائي النّتائج إلكترونيّاً، وبمُعدَّل سريع جداً، مُستخدمةً الضّوضاء الهائجة (مثل تشويش المذياع) أو انبعاث إلكترونات من مصدر ذي إشعاع ذرِّي ضعيف جداً، (مثل عُنصُر سترُونتيُوم - 90)؛ لضمان عشوائيَّة الاختبار. ويستطيع المُجرِّب أنْ يجعل الآلة تختار هدفاً مفرداً أو مُتتالية كاملة من الأهداف بمُجرَّد الضّغط على مفتاح خاصٍّ. والآلات مُصمَّمة - عُمُوماً - لتختار ما بين هدفَيْن إلى عشرة أهداف مُمكنة. ويُمكن استخدام الحاسبات الصّغيرة وعدَّادات الجيب لهذا الغرض أيضاً، وإنْ كانت المُتتاليات التي تُولِّدها ليست عشوائيَّة بشكل كامل، إلاَّ أنَّها لا يُمكن التَّنبُّؤ بها عادةً، وبالرّغم من ذلك؛ فإنَّ جميع المصادر يجب أنْ تُفحص على فترات، لضمان أنَّ المُتتاليات التي تُولِّدها تقترب من العشوائيَّة إلى درجة مُلائمة.[104]

ولكنْ؛ ما معنى العشوائيَّة هُنا؟ ولماذا هذا التّشديد عليها؟. المقصود بالعشوائيَّة هُنا هُو أنَّ اختيار الآلة للرَّقْم أو الحَدَث لا يخضع لترتيب منطقي معلوم من لدُن الشّخص المفحوص، يُمكِّنه من التَّنبُّؤ بهذا التّرتيب، فيعزوه - خطأً - إلى الإدراك فوق الحسِّي أو التّحريك النَّفْسي. فعندما يستهدف المُجرِّب فحص قُدرة الوسيط على الإدراك المُسبق (التَّنبُّؤ) لنظام الأرقام التي ستُولِّدها الآلة، يجب أنْ لا يكون مُطَّلعاً - بشكل مُسبق - على نظام مُعيَّن تخضع له الآلة في توليدها للأرقام. وذلك يتطلَّب أنْ تُولِّد الآلة أرقامها بصُورة عشوائيَّة؛ لتستبعد احتمال معرفة ترتيب ما أو علامات أُخرى. وكذلك الأمر في اختبار التّحريك النَّفْسي، فإنَّ فحص قُدرة تأثير الشّخص على الآلة وجعلها تُولِّد الرَّقْم الذي يرغبه، يجب أنْ يستبعد إمكانيَّة التّعرُّف على أيِّ نظام مُعيَّن تخضع له الآلة في توليد الأحداث أو الأرقام، ولذلك فمن دُون هذه العشوائيَّة لا نستطيع أنْ نستبعد احتمال الغشِّ والتّفسيرات البديلة.

قام هلمُوت شمدت(*) بإجراء اختبارَيْن، مُستخدماً عمليَّات كمِّيَّة لا يُمكن التَّنبُّؤ بها نظريَّاً استناداً إلى الفيزياء الحديثة. وضع فيهما مجموعة من الأشخاص في مُواجهة أربعة مصابيح يتمُّ إشعالها بشكل عشوائي. ومهمَّة الأشخاص هي التَّنبُّؤ بأيِّ المصابيح ستُضيء قبل غيرها. حقَّق

(103) Palmer. J.: Experimental Methods in ESP Research, In: foundations of Parapsychology, P. 123.

(104) Ibid, P. 123 – 124.

(*) عالم فيزياء ألماني، مُدير مؤسَّسة بُحُوث الباراسيكُولُوجي في جامعة ديُوك بعد راين.

الأشخاص في الاختبار الأوّل إصابات صحيحة تفوق مُعدَّل الصُّدفة بمقدار ألفَيْ مليون إلـى واحد ($P2\times10^{-9}$) من مجموع 63066 مُحاولة، وفي الاختبار الثّاني؛ ترك لثلاثة أشخاص مهمَّة اختيار التَّنبُّؤ إمَّا بـ(أيّ المصابيح ستُضيء قبل غيرها) لتحقيق عـدد كبير من النّقـاط ـ أو التَّنبُّؤ بـ(أيّ من المصابيح لن يُضيء) لتحقيق نقاط قليلة. ويعد ما يقـرب مـن (20.000) مُحاولـة تمكَّن الأشـخاص الثّلاثة مرَّة أُخرى من تحقيق هدفهم إلـى مـدى عميـق المغزى. وكـانت النّتيجـة مُعبَّراً عنـها رياضيَّاً ($P10^{-10}$).

وفـي اختبـار القُـدرة علـى تحريـك الأشـياء (التّحريك النَّفْسي)، استخدم شـميدت معـدَّات إلكترونيَّة تتألَّف من مُولِّد أرقام عشوائيَّة (RNG) يتَّصل بلوحة عـرض. ويعمـل الجهاز علـى توليـد سلاسـل مُتعاقبـة مـن رَقْمَيْـن يتـمُّ تحديدهمـا بعمليَّة كميَّة بسيطة هــي (التّحلـل الإشـعاعي لنُـواة السّتْرُونيتُوم ـ 90). كانت لوحة العرض تحتـوي علـى دائـرة مـن تسـعة مصـابيح يُضـاء منـها مصبـاح واحد فقط في كُلِّ دورة باتِّجـاه عقـارب السّـاعة والـذي يُرمـز لـه بـ(+1)، أو بالاتِّجاه المُعـاكس لعقـارب السّـاعة والـذي يُرمـز لـه بـ(−1)، طبقـاً إلـى أيِّ الرَّقْمَيْـن اللّذَيْـن يقـوم جـهاز RNG بتوليدهما. وكـان علـى الشّخص الخـاضع للاختبـار أنْ يختـار إمَّا الاتِّجاه المُماثل لحركة عقـارب السّاعة أو الاتِّجاه المُعاكس، ومن ثَمَّ يُحاول أنْ يجعل الضّوء يتبع الاتِّجـاه نَفْسـه عـن طريـق التّأثير النَّفْسي. كانت هُناك أربع جولات لكُلِّ جلسة، وكانت كُلُّ جولة مكوَّنة مـن (128) قفـزة ضوئيَّة. في المرحلة الأُولى من الجولات التي بلغت (216) جولة، حقَّق ثمانيـة عشـر شـخصاً انحرافـاً سـلبيَّاً بمُعدَّل (129) إصابة، واستناداً إلى ذلك كان من المُتوقَّع أنَّ المرحلة الرّئيسة ستتمخَّض عـن إصابـات سلبيَّة، وفـي (256) مُحاولـة حقَّـق خمسـة عشـر شـخصاً انحرافـاً سـلبيَّاً بمُعـدَّل (302) إصابـة ($P-001$)، أي أنَّ نسبة الشّواذّ عن الصُّدفة كـانت ألفـاً إلى واحـد. أظهرت نتـائج الاختبـار أنَّ مُولِّد الأرقام الثُّنائيَّة العشوائيَّة بمعزل عن الأشخاص لم يُظهر أيَّ تحيُّز نحو أحد الأرقـام. ولكـنْ؛ عندما حاول الأشخاص الخاضعون للاختبار التّركيز على لوحة العرض رغبـة فـي رفـع نسـبة توليـد الأرقام أظهر تحيُّزاً مُهماً نحـو الرَّقـم المرغوب به. جلبـت نتـائج شـميدت هـذه اهتمـام العديـد مـن الفيزيائيِّين إلى البـاراسيكُولُوجي، وكـانت أكـثر النّتـائج دقَّة؛ بحيثُ استرعت اهتمـام العديـد مـن العُلماء.[105]

---

(105) كُوستلر، آرثر، المصدر السّابق، ص13 ـ 45.

الفصل الثّالث:

الباراسيكُولُوجي والعلم

حدُود التّعليل العلمي:

يذكر مُؤرِّخو الباراسيكُولُوجي أنَّ أوَّل اختبارٍ للظّواهر الخارقة أُجري من لدُن كرُوسيُوس ملك ليديا (في رُوما)، عندما استشار الكَهَنَة عن عزمه على مُهاجمة الإمبراطُوريَّة الفارسيَّة، وكان في مُقدِّمة هؤلاء كاهنة معبد دلفي في أثينا. فأوعزَ إلى لجنة من حاشيته بتقصِّي أشهر الكَهَنَة المُتنبِّئين في الإمبراطُوريَّة، فوقع اختيارهم على سبعةٍ من بينهم كاهنة معبد دلفي، ثُمَّ أرفق بكُلِّ كاهن ثلاثة من الجُند، وأمرهم بالتّوجُّه إلى جهات مُختلفة، وأنْ يحملوا معهم رُقعة ودُواة مع كُلِّ كاهن، ويمشوا مسافة مائة يوم، وفي اليوم المائة يطلب الجُند من الكاهن أنْ يتنبَّأ بما يفعله الملك في هذه اللّحظة. في ذلك الوقت قام الملك بعملٍ لم يخطر في ذهن أحد، إذْ أحضرَ قدْراً من البرُونز فيه ماء، ووضعه على النّار، وعندما بدء بالغليان وضع فيه فخذاً من لحم الحمل وسُلحفاة، ووضع عليه الغطاء. تنبَّأ الكَهَنَة جميعاً بما طُلب منهم في الوقت المُحدَّد، وتمَّ تسجيله في رُقعةٍ غُلِّفت بظرفٍ خاصٍّ، خُتِمَ عليه بالشّمع، ثُمَّ قَفَلوا راجعين. وبعد أنْ فتحوا الظُّرُوف وجدوا أنَّ أربعةً من الكَهَنَة كان تنبُّؤهم صادقاً جُزئيّاً، وأخفق اثنان، في حين كان تنبُّؤ كاهنة معبد دلفي صائباً بشكلٍ تامٍّ، إذْ وَصَفَت ما كان يفعله الملك بدقَّة؛ حيثُ قالت: أحْضَرَ الملك قدْراً من البرُونز فيه ماء، ووضعه على النّار، وأخذ يغلي، ثُمَّ وضع فيه فخذاً من لحم الحمل وسُلحفاة، وإنِّي لأشم رائحة السُّلحفاة وهي تغلي!!. وهكذا اطمأنَّ الملك لهذه الكاهنة؛ إذْ تنبّأت بصدق من دُون غشٍّ أو تدليس. فاستشارها في أمر مُهاجمته للإمبراطُوريَّة الفارسيَّة، فقالت مُجيبةً: إنَّ إمبراطُوريَّةً عظيمةً سوف تتدمَّر!. وهاجم الملك الإمبراطُوريَّة الفارسيَّة، وخسر الحرب، وتدمَّرت إمبراطُوريّته، وعندما أرسل إليها لتوبيخها قالت لهم: كان عليه أنْ يسأل أيَّ إمبراطُوريَّة سوف تتدمَّر!. [106]

---

(106) Sudere. R.: parapsychology, A scientific Study of ((Supernatural)) Telepathy, Incarnation, Automatic Writing, p.40.

See also: Eisenberg H.: Inner Spaces- parapsychological exploration of the mind- *Canada*, 1977,*p.28.*

تستمدُّ هذه القصَّة مصداقيَّتها الإجرائيَّة من ظرفها التَّاريخي الخاصِّ، فهي إجراء معقول في زمنها، لكنَّها تفقد مُبرِّراتها الإجرائيَّة في العصر الحديث. إذْ ليس من المعقول في عصر العلم الرَّاهن أنْ يعتمد قائد عسكري على التَّكهُّنات الرُّوحيَّة للقيام بعمل عسكري بذلك الحجم الذي قام به كرُوسيُوس. ولذلك؛ فمن مُنطلق العلم الحديث نقول إنَّه كان عليه أنْ يكون أكثر واقعيَّة، ويقوم بدراسة إحصائيَّة ووصفيَّة لإمكانات العدوِّ التَّسليحيَّة والبشريَّة، ودراسة جَغرافيَّة ساحة المعركة، وتوقُّع خُطط العدوِّ المُحتملة بإجراءات علميَّة محسوبة سَلَفاً. لكنَّ هذا التَّصوُّر مُتأخِّر من ناحية إمكانيَّة تنفيذه عمليّاً، ومن ناحية كونه يُشَكِّل بديلاً جوهريّاً عن كُلِّ التَّصوُّرات الغيبيَّة أو القائمة على الإيمان بالقوى الرُّوحيَّة. ولذلك كان الحلُّ الثَّاني (الرُّوحاني) لا يقلُّ مركزيَّة عن الحُلُول العمليَّة الاعتياديَّة؛ بل إنَّ الحلَّ الأوَّل يتقدَّم ـ في كثير من الأحيان ـ على الحُلُول الطَّبيعيَّة، لا سيما إذا تصوَّرنا الافتقار إلى وسائل الحسابات العلميَّة والمُراقبة الدَّقيقة التي أتاحها العلم الحديث. ولا يتعلَّق الأمر بالإمكانات العمليَّة ـ العلميَّة بقدر ارتباطه بمُستوى من التَّفكير، يمتلك حُدُوداً منطقيَّة خاصَّة لما هُو مُمكن وما هُو غير مُمكن.

كان نموذج التَّعليل القديم مبنيّاً على رُؤية تجزيئيَّة للأشياء؛ بسبب فقدان الوعي بالاتِّصال السَّببي المُباشر. لذلك احتلَّ التَّعليل الغيبي (الأرواح أو الآلهة) مركز الصَّدارة، بوصفه نموذجاً شاملاً لتفسير حركة وسُلُوك الأشياء في الكون، وأنتج هذا اللَّون من التَّعليل ـ المُستند إلى منطق الخيال المُنقطع الصِّلة بالواقع العملي ـ الأُسطُورة بوصفها نموذجاً تفسيريّاً مُرتبطاً برُؤية خاصَّة؛ إذْ لمَّا كانت الأرواح هي المسؤولة المُباشرة عن الانتصار والهزيمة والكوارث الطَّبيعيَّة، فيجب الاتِّصال بها لمعرفة النَّتائج قبل وُقُوعها والاحتراز منها. وللأرواح والآلهة وُسطاء هُم الكَهَنَة، كما أنَّ للعلم بقوانين العلم الحديث وُسطاء هُم العُلماء المُتخصِّصون. والسُّؤال هُو إذا كان من المُمكن استشارة الآلهة عن طريق الوُسطاء حول وُقُوع الكوارث أو نتائجها، فهل يُمكن منعها عن طرق آليَّة الاتِّصال الوساطي؟ هل يُمكن التَّحكُّم بالظَّواهر الطَّبيعيَّة من خلال الاعتقاد بتلك العلل؟ إنَّ فَرَضيَّة عليَّة الآلهة المُباشرة تفترض عدم تصوُّر إمكانيَّة منعها، فضلاً عن التَّحكُّم بها، وهذا ما يُميِّزها عن فَرَضيَّة العلل الطَّبيعيَّة (القريبة) التي تُميِّز العلم الحديث.

تطوُّر أُسلُوب التَّعليل العلمي:

يتَّفق مُعظم الباحثين في فلسفة العلم على أنَّ فهمنا لماهيَّة العلم وكيفيَّة عمله يتغيَّر بمُناسبات عدَّة لسببَيْن: الأوَّل هُو أنَّ القرن العشرين شهد ثورة في الفيزياء بدَّلت بعض الأفكار الأساسيَّة

حول الطّريقة التي يسير فيها العالَم. والسّبب الثّاني هُو أنّ الاهتمـام المُتزايد بتـاريخ العلـم وبكيفيَّـة مُمارسة العُلماء لعملهم خلق تصوراً في أذهان المُفكّرين والعُلماء معاً، مفاده أنّ العلمَ ربَّما لا يعمل بالطّريقة التي اعتقدوا أنَّه يعمل بها خـلال القُرُون الثّلاثـة الأخيرة، وهـذا الإدراك أرغـم المُفكّرين على الإتيان بصيغة أفضل وأكثر واقعيَّة لكيفيَّة عمل العلم. وقد تطوَّرت الصُّورة التّقليديَّة للعلم من خلال مُحاولات الإجابة عن بعض الأسئلة الدّقيقة جداً. وفي السّنين الأخـيرة مـن القـرن العشـرين بدأ التّشكيك بكفاية العرض التّقليدي للعلم، وأنَّه من السّابق لأوانه وضع فَـهْم جديـد ومُتَّسـق لِمـا يجب أنْ يكون عليه العلم والثّقافة في هذا العالم.[107]

وقد دشَّنت الحضارة الإسلاميَّة الأُسلُوب التّجريبي فـي البحـث العلمـي، فكـان للحَسَن بن الهيثم وجابر بن حيَّان والبيروني وغيرهم، الفضل الأوّل في استخدام الطّريقة التّجريبيَّة في العلم. وقد صاغ شيخ الفلاسفة ابن سينا هـذه الطّريقـة صياغـة منطقيَّـة فـي كتابـه البُرهـان مـن (الشّـفاء). وبالرّغم من استخدام المُسلمين للطّريقة التّجريبيَّة وتطويرهم لها، لم تَعْدُ لديهم سوى إجراء عملـي جُزئي، قياساً إلى طبيعة الكون الكُلّيَّة التي ظلَّت على المُستوى الفلسفي ذات أساس رُوحي.

ذلك ما يُميِّز الفكر الإسلامي عن الفكر الأُورُوبي الذي اتَّخذ الطّريقـة التّجريبيَّة مبـدأ شـاملاً ومذهباً فلسفياً في الوُجُود. علينا - إذنْ - أنْ نَعيَ هذا الفرق في النّظر إلى الطّريقة التّجريبيَّة، فـالفكر الإسلامي سبق الفكر الأُورُوبي في استخدام الطّريقة التّجريبيَّة وتطويرها وإيجاد الصّيَـغ المنطقيَّـة أو الخُطوات المنطقيَّة في تطبيقها، كما ورد في قصَّة حي بن يقظان لابن طُفيل. لكـنَّ الفكـر الإسـلامي لم يتَّخذ منها مذهباً فلسفياً ومبدءاً أوّلياً في الوُجُود؛ بل مُجرَّد طريقة إجرائيَّة لمُعالجة الواقع المـادّي، ومصدراً معرفياً دقيقاً لمعرفة ذلك الواقع الذي لا يُمثِّل الواقع الكوني كلَّه؛ بل جانباً من جوانبه. في حين أصبحت التّجربة في الفكر الأُورُوبي مذهباً فلسفياً ومبدءاً كونياً.

اعتاد مُؤرِّخو الغرب تحديد بداية انبثاق الفكر التّجريبي بـ(كبلر وبيكُون وهوبس)، وأرجعـوا آراء هؤلاء العُلماء إلى الفيلسوف الإغريقي ديمُوقريطـس. وهُـم صـادقون فـي ذلـك عندمـا نصـرف المعنى إلى التّجربة كمذهب فلسفي، وليس إجراءاً علمياً ومصدراً معرفياً فحسب.

كان الفضل الأكبر في صياغة المفهوم الحديث للعلـم يعـود إلـى غـاليلُو وديكـارت. إذْ شـجَّع غـاليلُو التّجريـب، واكتشـف التّلسكُوب، وعيَّـن سُبُلَ اسـتخدامه، وبذلـك حطَّـم عوائـق التّقليـد

---

(107) Edge. L. H, Morris. R.: Psi and Science, In: foundations of Parapsychology, P. 296.

الأرسطي الذّاهب إلى دُونيَّة التّجريب مُقابل العلم النّظري. التزم غاليلُو التّجريب في تحديد مقدار الشّيء، واكتشف مبدأ البندُول، إضافة إلى إدخاله الرّياضيَّات أداةً ضروريَّةً لترجمة عمل الطّبيعة. فكان غاليلُو يرى أنَّ الطّبيعة مكتوبة بلُغة رياضيَّة.(108)

كانت إسهامات ديكارت في الرّياضيَّات والفيزياء امتداداً لإسهامات غاليلُو. وكان هدف ديكارت أنْ يضع العلم في مكانه الخاصّ بعيداً عن التّأثيرات الدِّينيَّة، وعبَّر عن ذلك بنظريَّته الثُّنائيَّة (العقل والمادَّة)، فيكون العقل ميداناً للدّراسات الدِّينيَّة، في حين يختصُّ العلم بدراسة المادَّة. وطغت بعد ذلك الرُّؤية الميكانيكيَّة في دراسة المادَّة التي استبعدت من العالَم الطّبيعي كُلَّ مُؤثِّرات غير قابلة للقياس المُحدَّد بأطرُوحات فيزياء نيُوتن، وتمَّ سحب الرُّؤية الميكانيكيَّة إلى علُوم الحياة والتّاريخ.(109)

بعد اكتشاف قوانين الأجرام السّماويَّة التي تُحدِّدها قوى الجذب، وعلاقة ذلك بشكل الحركة التي ترسمها الكتل؛ أيْ بعد وضع قوانين ميكانيكا الطّبيعة الأرضيَّة والسّماويَّة، لم تَعُدْ الآلهة أو الأرواح هي التي تُمسك النُّجُوم، وتُحافظ على بقائها، وهذا ما أدَّى إلى تغيُّر نماذج التّعليل القديمة المبنيَّة على رُؤية تجزيئيَّة للعالم تضع لكُلِّ جُزء إلهاً مسؤولاً عن حركته وديمُومته. وبوضع نيُوتن للميكانيكا تغيَّرت الرُّؤية، وأخذ العلم يقطع خُطوات واسعة نحو الفَهْم البنيوي للعالم. وعبَّرت عن هذا الفَهْم الجديد شَبَكة القوانين الميكانيكيَّة التي ربطت العالم الأرضي بالعالم السّماوي.

تغيَّرت الرُّؤية والمقاييس، فأمكن التّنبُّؤ ـ بناء على حسابات رياضيَّة ـ بحركات التّوابع الشّمسيَّة ومواقعها وكتلها، وحلَّت الجاذبيَّة محلَّ الأرواح مُحركاً وحافظاً لسرِّ التّوازن الكوني، وعلى الرّغم من ذلك كان لهذه النّظرة ردُّ فعلٍ عكسي خطير شكَّلَ عقبةً إبستمُولُوجيَّة في طريق العلم، تَمَثَّل ذلك باتّخاذ النّظريَّة الميكانيكيَّة نظاماً فلسفيّاً شاملاً يُخضِع مُختلف جوانب المادَّة والحياة لتعليله الخاصّ، فأصبح كُلُّ شيء يعمل كالآلات، ويخضع لقوانين الحركة والتّرمُوديناميك.

افترضت المادّيَّة الميكانيكيَّة أنَّ أيَّ نوعٍ من التّأثير يجب أنْ يخضع للدّفع المُباشر عن طريق التّلامس. وهذا ما يستبعد أيَّ لونٍ من التّأثير عن بُعْد، وبضمنه طبعاً «التّأثير الرُّوحي»، وبهذا؛ تُصبح القوى الرُّوحيَّة من قبيل الخُرافة التي ينبذها نموذج العلم ذاك.

---

(108) Burtt .E. A.: The metaphysical foundations of modern Physical Science, London, 1950. P. 64.

(109) خليل، د. ياسين، مُقدّمة في الفلسفة المُعاصرة، منشورات الجامعة الليبيَّة، ط1، 1970، ص146 ـ 147.

وترك ذلك التَّصورُ أثره على مفهوم الإنسان. فأصبح جسم الإنسان مثل الآلة الصمَّاء يُحافظ ترابطُهُ الآلي على تجدُّدِ نشاطِهِ. وما الموت إلاَّ تحلُّل تلك الأجزاء بعد استهلاكها بالعمل، ولا يبقى منه شيء بعد الموت.

هذا اللّون من الثّقافة العلميَّة من شأنه إذا تأمّلنا - طبيعتَه الأساسيَّة - أنْ يستبعد مفاهيم عديدة تتَّصل بالعلم، فضلاً عن القوى الخارقة (الرُّوحيَّة والباراسيكُولُوجيَّة)؛ ذلك أنَّ تلك الثّقافة فَرَضت مقياساً خاصاً لوُجُود الأشياء. فكُلُّ شيء في العالم يجب أنْ يكون قابلاً للقياس المشروط بالإدراك الحسِّي. بمعنى آخر؛ إنَّ ما نراه وما نلمسه هُو الشّيء الوحيد الذي نستطيع أنْ نقول عنه إنَّه موجود. ومادمنا لا نستطيع أنْ نقيس الوعي، لا بمقياس الطُّول ولا بمقياس الوزن، ولا يُمكن رُؤيته أو تحديد مكانه الدّقيق، فهُو - إذنْ - غير موجود. وبهذه الطّريقة تمَّ استبعاد مفاهيم مثل العقل، والمشاعر الوجدانيَّة، مثل الحُبّ والكُره والحُزن من مجال الحقائق العلميَّة.

المسألة الأهمُّ من ذلك هي أنَّ ظواهر الباراسيكُولُوجي لا تخضع لقوانين الفيزياء الكلاسيكيَّة، فهي لا تخضع لقوانين الحركة النّيُوتُونيَّة ولا لقوانين الثّرمُوديناميك، بل لا تخضع لشُرُوط الزّمان والمكان والسّببيَّة ونقل الطّاقة، إذْ إنَّ التَّصوُّر العلمي في القرن التّاسع عشر يفترض أنَّ أيَّ حَدَث فيزيائي يعتمد - في حُدُوثه أو وُجُوده - على ما يحدث في جواره من أحداث تسبقه؛ بحيثُ أنَّ معرفته بدقَّة تعتمد على معرفة سلسلة الأسباب السّابقة عليه، وهذا ما يُجيز للعُلماء تحديد الأحداث قبل وُقُوعها بدقَّة كافية إذا علمت حالتها الابتدائيَّة.

في مُحيط تلك الرُّؤية العلميَّة نشأ الباراسيكُولُوجي في القرن التّاسع عشر. وكان مُؤسِّسُو جمعيَّة البُحُوث الرُّوحيَّة أشخاصاً مُدرَّبين على هذه الرُّؤية التّجريبيَّة، فلم يرفضوها، لكنَّهم - مع ذلك - لم يتعاطفوا مع النّتيجة الفلسفيَّة التي انتهى إليها العلم الكلاسيكي، والتي تذهب إلى أنَّ العالم مُكتمل آليّاً، وليس بحاجة إلى تدخُّل العقل في بنائه، وما العقل إلاَّ نتاج ثانوي للعمليَّات العصبيَّة التي هي جُزء من العالم المادّي - الميكانيكي، ولا يُوجد في الرُّؤية العلميَّة للعالم مكان للإرادة الحُرَّة، بل تُسيطر الرُّؤية الحتميَّة الصّارمة، ولهذا السّبب بدأ يتضاءل الإيمان بالحقائق الميتافيزيقيَّة لدى مُعتنقي هذه الرُّؤية.[110]

لم يتقبَّل مُؤسِّسُو جمعيَّة البُحُوث الرُّوحيَّة البريطانيَّة مثل مايرز وسيدجُويك هذه النّتيجة الفلسفيَّة، ولكونهم يُمارسون الطّريقة التّجريبيَّة لم يتمكَّنوا من رفض العلم، والمجال الوحيد

(110) Edge. L. H. & Morris. R.: Op Cit, p.301.

المفتوح أمامهم هُو أنْ يستخدموا العلم لإثبات فاعليَّة العقل، وكان من المُؤمَّل لدى العديد من العُلماء أنْ يعود الباراسيكُولُوجي بالعقل إلى مجال العلم.[111]

نتوقَّف عند هذه النُّقطة من مُتابعة تطوُّرات العلم وارتقاء التَّصوُّر الموضوعي للعالم. وسنُتابع هذا التَّطوُّر وعلاقته بموضوعنا بعد وقفة تحليليَّة مع مثالنا الأوَّل.

هل يعني التَّطوُّر السَّابق في التَّعليل العلمي أنَّ تنبُّؤ كاهنة معبد دلفي كان من قبيل التَّخريف أو التَّدجيل؟ وعلى فَرَض صحَّة القصَّة، هل كان من المُمكن أنْ تُجيبه ـ بصدق ـ إذا كان قد سألها عن الإمبراطُوريَّة التي سوف تخسر الحرب، أم أنَّ الأمر مُجرَّد تمويه من لدُن الكاهنة، ولذلك أطلقت حُكْماً تنبُّؤيّاً مقصوداً بذكاء يحتمل النّتيجتَيْن اللّتَيْن تُمثّلان مُتَّجهة القيَم المُحتملة. فإذا تدمَّرت الإمبراطُوريَّة الفارسيَّة كان هُو المرجوَّ، أمَّا إذا حصل العكس، وهُو ما وقع بالفعل؛ كان هُناك مخرج من الإحراج، وهُو عدم تحديدها (لفظيّاً) اسم الإمبراطُوريَّة المُنهزمة؟ والحقيقة أنَّ ذلك كُلَّه مُحتمل.

من المُمكن أنْ نستبعد احتمال الصُّدفة فيما يخصُّ تنبُّؤها بعمل الملك؛ لأنَّها كشفت عن أمر لا يقع ضمن الحسابات الاعتياديَّة. إنَّ حساب الصُّدفة مشروط بعدد من الاحتمالات، وليس مُطلقاً. فعندما أقول لك ما الذي في قبضتي، وجه العملة أو ظهرها؟ وكنتَ قد أصبتَ، فالإصابة تكون صُدفة؛ لأنَّك مُحدَّد بقيمتَيْن فقط. كذلك يُمكن أنْ يكون تنبُّؤ كاهنة معبد دلفي صُدفة لو كانت قد خُيِّرت في تنبُّؤها بين عدَّة اختيارات (قيَم احتماليَّة)، في سبيل المثال، هل كان الملك يطبخ لحم حمل، أو كان يطبخ لحم حمل مع سُلحفاة، أو كان في نُزهة في حديقته الخاصَّة، أو كان يحكم في قضيَّة ما . . إلخ؟ وكانت قد اختارت أحد تلك الاحتمالات (القيَم)، نستطيع أنْ نقول إنَّ نجاحها كان صُدفة. أمَّا إذا كان التَّنبُّؤ غير مشروط بقيَم معلوماتيَّة محدودة، فهذا يجعل مُتَّجهة الاحتمالات لا متناهية، ممَّا يستبعد الصُّدفة في اختيار الاحتمال الصَّائب. وكُلَّما كانت سلسلة الإمكانات أكثر اتِّساعاً، كانت الإصابة أبعد عن احتمال الصُّدفة، وإذا كانت سلسلة الاحتمالات لا مُتناهية، فالإصابة أو النَّجاح يجب أنْ يُعزى إلى عامل آخر غير الصُّدفة، وهذا ما يجعلنا نحتمل أكثر أنْ تكون القوى الباراسيكُولُوجيَّة أو الرُّوحيَّة هي المسؤولة عن كشف الكاهنة عمَّا كان يفعله الملك.

وليس الأمر بهذه البساطة الرّياضيَّة نوعاً ما، فإنَّ هذا التَّعليل الأوَّلي لتلك الظَّاهرة لا يُسعفنا في تحليلنا للظَّاهرة الثَّانية المُرتبطة بها، وهي التَّنبُّؤ بسُقُوط الإمبراطُوريَّة. ونُلاحظ على هذا التَّنبُّؤ ما يأتي:

---

(111) Ibid, p.301.

1 ـ عدم تحديد الإخبار بالنّتيجة، بل تُركت مفتوحة، وهذا ما يجعلنا نفترض أنَّ العمليَّة كانت مقصودة.

2 ـ إنَّ التَّنبُّؤ الباراسيكُولُوجي لا يُصيب دائماً (على فَرَض صحَّة الظّاهرة).

3 ـ وُجُود مُفارقة بين الحادثة التي اختُبرت فيها الكاهنة، وعمليَّة التَّنبُّؤ بنتيجة الحرب.

ويبدو أنَّ الكاهنة كانت قاصدة عدم تحديد الإمبراطُوريَّة التي ستخسر الحرب، لكي يبقى تنبُّؤها يحتمل النّتيجتَيْن معاً، كما أسلفنا.

الأهمُّ من ذلك كُلِّه أنَّ اختبار الملك للمُتنبِّئين السّبعة كان من نوع الإدراك فوق الحسِّي العامِّ، الذي لم يُحدِّد نوع الاختبار الدّقيق فيما إذا كان اختبار قُوَّة التَّخاطُر لديهم، أم قُوَّة الاستشفاف (الجلاء البصري)، أم قُوَّة الإدراك المُسبق (التَّنبُّؤ بالمُستقبل). وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أنَّ القُوَّتَيْن الأوَّلِيَّتَيْن أسهل على التَّصوُّر العلمي من الإدراك المُسبَق، فإنَّ الاختبار لم يُعط علامات واضحة لنوعيَّة القُوَّة المُختبَرة. والمُفارقة الزّمنيَّة بين التَّخاطُر والاستشفاف من جهة وبين الإدراك المُسبَق (التَّنبُّؤ) من جهة أُخرى، يجعلنا نتشكَّك أكثر في تنبُّؤ كاهنة معبد دلفي من حيثُ مصداقيَّته الواقعيَّة. فربَّما كان المُتنبِّئون (الوُسطاء) قد أدركوا ما كان يفعله الملك في وقت قيامه به، وليس قبله، وهذا يعني أنَّهم إمَّا كانوا يُمارسون التَّخاطُر، وذلك بالتّركيز على ذهن الملك واستلام المعلومات منه عن بُعْد، أو أنَّ الملك ـ بحُكْم وعيه بالعمليَّة ـ كان يُحاول ـ لا شُعُوريّاً ـ إرسال المعلومات إلى وعي الوُسطاء (الكَهَنَة)، أو أنَّهم كانوا يُمارسون الاستشفاف بالتّركيز على الحَدَث نَفْسه، واستلام صُورة ذهنيَّة عنه، وليس من ذهن الملك. وهُنا يُمكن أنَّ نُصنِّف الوُسطاء (الكَهَنَة) إلى مُتسلِّمين جيِّدين، ومُتوسِّطين، وآخرين رديئين. وفي ذلك كُلِّه هُم يُحاولون استلام إشارات مُعيَّنة عن حَدَث موجود في البيئة عن طريق التّفاعل معه عن بُعْد بأُسلُوب يُشبه أحلام اليقظة.

ولذلك؛ نقول إنَّ اختبارهم في ظاهرة استلام معلومات عن حَدَث موجود في البيئة، ويُمارس أثره باتِّجاهات مُختلفة (ظاهرة وخفيَّة) لا يُسوِّغ اتِّخاذهم وُسطاء للإخبار عن حَدَث لم يقع لحَدِّ الآن، أو مازال في المُستقبل. وربَّما كان هذا هُو سبب إخفاق الملك في تحديد نوعيَّة القُدرة الرُّوحيَّة التي تمتلكها كاهنة معبد دلفي. وبالتّالي؛ فإنَّ عدم الوعي بالتّصنيف الدّقيق للقوى الباراسيكُولُوجيَّة هُو الذي جعل كرُوسيُوس لا يُميِّز بين طبيعة الاختبار وموضوعه، وبين موضوع المهمَّة التي طلب من الكاهنة معرفة نتيجتها، وبالتّالي؛ لم يُدرك الفرق بين معرفة حَدَث موجود في البيئة ومعرفة حَدَث مازال في المُستقبل (أيْ غير موجود في البيئة).

وعلى فَرَض أنَّها نجحت - جُزئياً - في التَّنبُّؤ بالنّتيجة، فإنَّ هذا النّجاح الجُزئي - إذا أضفناه إلى النّجاح الجُزئي للوُسطاء الآخرين وإخفاق بعضهم - يُمكن أنْ نستنتج منه أنَّ القوى الباراسيكُولُوجيَّة - وإنْ وجدت فعاليَّتها في الإنسان - فإنَّها لا تُصيب دائماً، إنَّما هي كأيٍّ وسيلة إدراك أُخرى مُعرَّضة للخطأ، بل إنَّ شدَّة تعقيد الظُّرُوف النَّفْسيَّة والبيئيَّة المُحيطة بالظّاهرة، يجعلها مُعرَّضة للإخفاق والغُمُوض أكثر من غيرها من آليَّات الإدراك الطّبيعيَّة.

إذا عُدنا إلى علاقة القوى الخارقة بتطوُّر العلم، أ فيُمكن القول بأنَّ ظواهر الباراسيكُولُوجي - ومنها ظاهرة كاهنة معبد دلفي - مرفوضة تماماً، أم أنَّ الأمر بحاجة إلى دقَّة استقصاء وتحقيق؟ إنَّ صُورة العلم التي ترسمها الفيزياء الكلاسيكيَّة هي ليست صُورته الحاليَّة. فإذا كان الباراسيكُولُوجي مُستبعداً وُفق التَّصوُّر العلمي الكلاسيكي، فهل هُو كذلك - أيضاً - وُفق تصوُّر الفيزياء المُعاصرة؟

وَرَدَ سلفاً أنَّ العلم بالحَدَث الفيزيائي يعتمد على العلم بالظُّرُوف السّابقة عليه، وهي تُشكِّل ما يُسمَّى بـ «الحالة الابتدائيَّة» للنّظام الفيزيائي. فإذا تحقَّق العلم بـ «الحالة الابتدائيَّة» أمكن التَّنبُّؤ بالحالة التّالية للنّظام الفيزيائي. لكنَّ الأمر معكوس تماماً في الباراسيكُولُوجي، فلا يُمكن تحديد الظُّرُوف السّابقة للحَدَث، وهي عامل فعَّال في وُقُوعه، ولذلك لا يُمكن العلم بالحَدَث إلاَّ بعد وُقُوعه، بمعنى آخر: لا يُمكن التَّنبُّؤ بالأحداث النَّفْسيَّة: مثل الحُبِّ والكُره والحُزن، فضلاً عن الأحداث الباراسيكُولُوجيَّة. وهذا ما يخلق مُفارقة بين الأحداث الفيزيائيَّة القابلة للتَّنبُّؤ، والأحداث الباراسيكُولُوجيَّة التي لا تخضع لشُرُوط محدودة مثل الأحداث الفيزيائيَّة. بل هي تخضع بدلاً من ذلك للاحتماليَّة واللأدقَّة، وهي إجراءات فَرَضتها قوانين بلانك وآينشتين وبُور وهايزنبرك في الفيزياء المُعاصرة. فهل تخضع الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة لمقاييس الفيزياء المُعاصرة؟ وهذا ما سوف يُفصح عنه الطَّرْح الجديد للفيزياء في القرن العشرين.

اعتمد تحديد الشّيء في فيزياء القرن العشرين على القياس، لكنَّ القياس الجديد يختلف عن مقاييس الفيزياء الكلاسيكيَّة التي استندت إلى شُرُوط الإدراك الحسِّي. إنَّما يُعنى القياس الجديد بأشياء لا تُدرَك بالحسِّ، ولذلكح فهُو غير مُباشر، أي أنَّه لا يقوم بقياس الشّيء مُباشرة، بل يتعامل مع الأثر الذي يتركه الشّيء، وهذا ما يستوجب التّمييز بين الشّيء الذي هُو إلكترون أو جُسيم دقيق وبين الحَدَث الفيزيائي الذي يُمثِّل الأثر الذي يُحدثه الشّيء (الجُسيم) في البيئة، هذه البيئة هي - غالباً - ما تكون غُرفة المُختبر أو ما يُسمَّى «حُجرة الفُقّاعات».

القياس الجديد ـ إذنْ ـ له دور أكبر من دوره في الفيزياء الكلاسيكيَّة، فإذا كان دور القياس ثانويّاً في الفيزياء الكلاسيكيَّة؛ إذْ تتحدَّد الأحداث عن طريق التَّنبُّؤ الاستدلالي، فإنَّه يتضاعف دوره في الفيزياء المُعاصرة، إذْ يقوم مقام التَّنبُّؤ الذي لم يعد أمراً مُمكناً على الأغلب. إذْ إنَّ فقدان العلم بالحالة الابتدائيَّة لأيِّ نظام فيزيائي ذرِّي، يجعل من غير المُمكن التَّنبُّؤ بأيِّ حَدَث مُفرد من أحداثه. ولهذا السَّبب فإنَّنا ما لم نقسْ الحَدَث لا نستطيع أنَّ نعرف عنه شيئاً. وهذا يُشبه حالة الظَّواهر الباراسيكُولُوجيَّة، فإنَّ شدَّة تعقيد الظُّرُوف التي تسبق الحَدَث (أو الظَّاهرة النَّفْسيَّة) يجعل العلم بالحالات الابتدائيَّة له غير مُمكن، وبالتَّالي؛ لا يُمكن التَّنبُّؤ بالحَدَث نَفْسه وُفق نسق استدلالي مُترابط سببيّاً. فيُستعاض عن هذا النّقص بالقياس في حالة تحديد الحَدَث، وبالإحصاء الذي يعتمد منطق الفئات في حالة التَّنبُّؤ النَّظري وُفق درجات الاحتمال. إلاَّ أنَّ القياس يُؤثِّر على حركة وموضع الجُسيم، فينقص من القيمة الموضوعيَّة للعلم، على الرّغم من أنَّه من المُمكن تصوُّر تكامُلها فلسفيّاً. هُنا يلتقي الباراسيكُولُوجي بالعلم، وبالتّحديد؛ الفيزياء الذّريَّة والكميَّة.

ساي وحُدُود التّفسير العلمي:

في مرحلة تطوُّر الفيزياء المُعاصرة التي ظهر فيها آينشتين وبلانك وبُور وهيزنبرغ لم تَعُدْ المُشكلة مقصُورة على إثبات إمكان العلم، بل اتَّجهت إلى البحث عن أسباب عدم قُدرة العلم على تجاوز حُدُود مُعيَّنة. فعلينا القول بتقبُّل العالم للتّفسير العلمي، بالرّغم من أنَّ بعض جوانبه لا تقبل هذا التّفسير في الوقت ذاته. والعلم يُرغمنا على إدراك هذا الطّابع المُزدوَج للعالم؛ أيْ تقبُّله لتفسير العقل ومُراوغته المُؤقَّتة لأيِّ تحديد عقلي كامل.[112]

وقد تنبَّه بعض المُفكِّرين مثل كُورنُو، وبُوترُو، ووارد، وبرجسُون على أنَّه كُلَّما ازددنا اقتراباً من الحياة قلَّت إمكانيَّة وصف الأشياء بمُصطلحات علميَّة دقيقة.[113]

يذهب رُوبير بلانشيه إلى أنَّ العلم هُو صاحب الحقِّ في الاعتراف بالطّابع العلمي لأبحاث تجري في ميدان التَّخاطُر أو في علم الفَرَاسَة Physiognomy أو في فنِّ معرفة طباع الإنسان من خُطَّه Graphology وأنَّه ليس من العلم في شيء مُحاولة معرفة إنْ كانت هُناك إمكانيَّة للمعرفة خارج نطاق العلم، فمثل هذا السُّؤال لا ينتمي إلى العلم، وإنْ كانت تنهض في الإجابة عنه، نظريَّة عامَّة

---

(112) جان فال، طريق الفيلسوف، ترجمة الدُّكتُور أحمد حمدي محمود، مُراجعة: الدُّكتُور أبو العُلا عفيفي، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، 1967، ص344.

(113) المصدر نفسه، ص344.

في المعرفة، يكون من شأنها رسم حُدُود المعرفة العلميَّة بالنّسبة لبقيَّة ألوان المعارف الأُخرى المُمكنة.[114]

إنَّ جوهر كلام بلانشيه يُشير إلى أنَّه - لكي يكون الباراسيكُولُوجي علماً - يجب أنْ تنتظم ظواهره وفقاً للطّريقة العلميَّة، لكنَّه يكشف - في الوقت نَفْسه - عن حُدُود للمعرفة العلميَّة، واعتراف بألوان من المعارف الأُخرى، التي قد لا تنسجم مع الطّريقة العلميَّة السّائدة، وتُراوغ مُحاولات التّفسير العلمي. إلاّ أنَّ التّغير والتّعديل في معايير المعرفة العلميَّة يُبقي الباب مفتوحاً أمام تلك الظّواهر. ومع ذلك؛ فإنَّ للطّريقة التّجريبيَّة حُدُوداً لا تتجاوزها، ليس المقصود الحُدُود التي ينطلق منها البحث الفلسفي، بل تلك التي يُمكن أنْ تكون نُقطة شُرُوع لبحث علمي جديد.

وقد سبق بلانشيه إلى ذلك الفسيُولُوجي شارل رشيه، وهُو من رُوَّاد الوضعيَّة التّجريبيَّة في فرنسا. يردُّ ريشيه علم النَّفْس إلى الفسيُولُوجيا، وهُو يُفسِّر كُلَّ الوقائع النَّفْسيَّة على أنَّها تكميلات مُتدرِّجة للوظائف والوقائع الفسيُولُوجيَّة، ... والظّواهر النَّفْسيَّة العُليا ليست - في نظره - غير تأليفات تدريجيَّة من الظّواهر الفسيُولُوجيَّة الأوَّليَّة. وفيما يخصُّ الباراسيكُولُوجي فإنَّ ريشيه ينسجم مع التّيَّار العلمي الوضعي، ويرفض كلمة ما فوق طبيعي، بالرّغم من أنَّه يُطلق على الظّواهر الخارقة اسم ماوراء علم النَّفْس **Metapsychique**، وهُو مُقتنع «بأنَّ ما بعد النَّفْس علم حقيقي ينبغي أنْ ننظر إليه كما ننظر إلى كُلِّ العُلُوم، فنُعالجه بطريقة منهجيَّة وباجتهاد وتوقير، ولهذا؛ ينبغي أنْ نُطبِّق هُنا - أيضاً - مناهج سائر العُلُوم، أعني المُلاحظة والتّجربة، والجُزء التّجريبي ينبغي أنْ يُعالج بوصفه علماً تجريبياً مع التّطوُّر المُعتاد لوسائل البحث الفنِّيَّة: من موازين وآلات تصوير شمسي وطُرُق بيانيَّة، وعلى عُلماء ما بعد النَّفْس أنْ يستخدموا كُلَّ طُرُق القياس التي يستخدمها عُلماء الفسيُولُوجيا». ولا يرى ريشيه خلافاً جوهريّاً بين المناهج، وكُلُّ ما هُنالك أنَّ الكيميائي أو الفسيُولُوجي يعمل بموادَّ يُمكنه أنْ يحصل عليها بسُهُولة، بينما نحتاج حين نُريد إجراء تجربة ما بعد نَفْسيَّة، إلى وسيط، وهُو شخص نادر، هشٌّ، هوائي إلى أقصى حَدٍّ. من هذه النّاحية؛ لا يُمكن مُقارنة ما بعد النَّفْس بسائر العُلُوم، أمَّا ما هُو مُؤكَّد؛ فهُو (1) أنَّ وقائع ما بعد النَّفْس وقائع حقيقيَّة، (2) أنَّه ينبغي دراستها دُون اهتمام ديني، كما تُدرس العُلُوم الأُخرى، (3) وأنَّها تبدو مقودة بعُقُول إنسانيَّة أو غير إنسانيَّة، لا تُدرَك مقاصدها إلاَّ جُزئيّاً. ولا شيء فيما بعد النَّفْس يُناقض العلم الكلاسيكي، وإنَّما الأمر أمر توكيدات جديدة، فلا شيء أسهل بالجُملة من التّحسُّس

---

(114) بلانشيه، رُوبير، نظريَّة المعرفة (الابستمُولُوجيا) ترجمة: حسن عبد الحميد، تقديم الدُّكتُور محمود فهمي زيدان، الكُويت، بلا تاريخ، ص46.

الخفيَّة : إذْ يكفي أنْ نُقرَّ بهذا الفرض الأوَّلي القائل بأنَّه يُوجد في عقلنا وسائل للمعرفة غير الحواسِّ الخمس، فكون يد تتَّخذ كُلَّ خواصِّ اليد الحيَّة تتكوَّن في غيم مُبيض، هذا لا يُنافي - أبداً - قوانين الدَّورة الدَّمويَّة، والتَّغذِّي، وتكوُّن العظام في اليد العاديَّة. كُلُّ ما في الأمر أنَّ هذا واقعة جَبْريَّة، ولكنَّها ليست واقعة مُناقضة.[115]

ومع ذلك؛ فإنَّ ريشيه لا يُنكر الرُّوحيَّة، ولكنَّه يرى أنَّه من السَّابق لأوانه توكيدها، ومن المُحتمل أنَّها خاطئة، ولكنْ؛ لها الفضل في استثارة التَّجارب. إنَّها فرض من فُرُوض العمل التي يعدُّها كلُود برنار خصبة.[116]

كان الاعتقاد السَّائد في القرن التَّاسع، بتأثير النَّظريَّة المادِّيَّة الميكانيكيَّة والوضعيَّة التَّجريبيَّة، أنَّ الطَّريقة العلميَّة سوف تُجيب عن تساؤلات الإنسان العلميَّة والفلسفيَّة، وأنَّ هذه المسألة تتوقَّف على الزَّمن الذي تتراكم خلاله المعرفة، ويتطوُّر العلم المادِّي، كيما يتمُّ تفسير كُلِّ شيء في الوُجُود تفسيراً مادِّيّاً على فرض تكافُؤ المادِّي والعلمي. وفي هذه المرحلة لا مجال لوُجُود البحث الميتافيزيقي، وما يتعلَّق به من ظواهر أو أحداث تقع خارج حُدُود الطَّريقة العلميَّة. وقد أثبت العلم في القرن العشرين عكس هذا التَّصوُّر، فلا الفيزيُولُوجيا أجابت عن مُشكلات العقل وعمليَّات الوعي، ولا الفيزياء التزمت حُدُود التَّصوُّر المادِّي، والمثال الجيِّد الذي يستشهد به هُنا هُو الفيزياء الكمِّيَّة.

وفي الوقت الرَّاهن «ما من رجل علم واحد يُنازع . . ليس في إثبات الأفكار وأنماطها وفي شرعيَّتها فحسب، بل وفي (المعارف) وأنماط (المعرفة) غير العلميَّة، فلقد اعترف العلم نَفْسه بأنَّ له حُدُوداً».[117]

وبذلك؛ تراجع الاعتقاد الذي ساد خلال القرن التَّاسع عشر والنِّصف الأوَّل من القرن العشرين أحياناً، الذي يذهب إلى أنَّ النَّهج العلمي سيمتدُّ بسُرعة إلى مجموعة النَّشاط الدَّماغي للإنسان، وأنَّ التَّقنيَّات العلميَّة قادرة على أنْ تُرضي مجموعة احتياجات الإنسان الفيزيائيَّة والعقليَّة، ويتضمَّن أنَّ المجهول سوف يُصبح معروفاً بسُرعة كبيرة.[118]

---

(115) ج. بنروبي، مصادر وتيَّارات الفلسفة المُعاصرة في فرنسا، الجُزء الأوَّل، ترجمة الدُّكتُور عبد الرَّحمن بدوي، المُؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، 1980، ص42 ـ 43.

(116) المصدر نفسه، ص 44.

(117) فُوراستيه، جان، معايير الفكر العلمي، ترجمة فايز كَمْنَقْش، سلسلة زدني علماً، بيروت، ط2، 1984، ص133.

(118) المصدر نفسه، ص132 ـ 133.

والقضيَّة الأكبر التي نُراهن عليها، ليس الاعتراف بحُدُود العلم فقط، وإنَّما الاعتراف بأنَّ الطَّريقة العلميَّة ـ التَّجريبيَّة يُمكن أنْ تُستخدم في إثبات أحداث حقيقيَّة، لكنَّها مُستعصية على التَّفسير العلمي، بل تتعارض مع ما هُو مُستقرٌّ من حقائق علميَّة. ولذلك؛ فإنَّ التَّفسير العلمي المادِّي تتمُّ مُواجهته بحقائق مُثبتة بطريقته التَّجريبيَّة ذاتها، وهي حقائق تنتمي إلى مُستوى آخر مُقابل للمادِّي. ولكنَّ وُجُود ظواهر تتعارض مع الرُّؤية المادِّيَّة للعالم لا يعني أنَّها ترفض أيَّ تفسير علمي على الإطلاق، بل إنَّ وَهْم التَّطابق والتَّماهي بين التَّفسير العلمي والتَّفسير المادِّي لم يعد له وُجُود في الفكر العلمي الجديد، إنْ لم يكن عائقاً معرفيّاً أمام التَّطوُّر العلمي.

وبسبب استقلال الفكر العلمي عن الرُّؤية المادِّيَّة الضَّيِّقة، فشلت نظريَّة التَّفسير بالرَّدِّ reductive. إذْ إنَّ وُجُود ترابط موضوعي بين العُلُوم الطَّبيعيَّة، أنتج مجالات علميَّة ذات طبيعة مُشتركة مثل البايُوفيزياء، أو البايُوكيمياء. وفي هذه المجالات الطَّبيعيَّة يُمكن أنْ تسود نظريَّة التَّفسير بالرَّدِّ في حُدُود مُعيَّنة. لكنَّ المجال المُشترك بين الميدان النَّفْسي والميدان الفيزيُولُوجي (أيْ السَّيكُوفيزيُولُوجي) يتَّخذ فيه التَّفسير بالرَّدِّ نمطاً مُختلفاً، فهُو يُعبِّر عن تفاعل مجالَيْن مُنفصلَيْن؛ هُما المجال النَّفْسي الموضوعي والمجال الفيزيُولُوجي الموضوعي، من دُون إمكانيَّة افتراض أنَّ أحدهما ناتج عن الآخر. فإذا كانت هُناك أحداث وعمليَّات نَفْسيَّة يُمكن تفسيرها عن طريق عوامل فيزيُولُوجيَّة، وإنَّ هُناك عمليَّات فيزيُولُوجيَّة يُمكن تفسيرها بعوامل نَفْسيَّة، فإنَّ هذا لا يتضمَّن ردَّ أحد المجالَيْن إلى الآخر، بل يُعبِّر عن تفاعل مجالَيْن مُستقلَّيْن فقط. هذا ما ينطبق على المجالَيْن الكيميائي والفيزيائي، فالقول بوُجُود مجال مُشترك بين الكيمياء والفيزياء أو بين هذَيْن والبيُولُوجي، لا يتضمَّن القول بأنَّ أحدهما ناتج عن الآخر، بل لكُلٍّ منهما ميدانه الخاصُّ وقوانينه الخاصَّة.

ويُمكن القول إنَّ ذلك اللَّون من التَّرابُط (وليس الرَّدّ) من شأنه أنْ يُوسِّع حُدُود التَّفسير العلمي. لقد أولى العُلماء هذا الأمر أهميَّة كبيرة، فدرسوا مُشكلة تأثُّر الدِّماغ بالمغناطيسيَّة الأرضيَّة، ولاحظوا أنَّ ظُهُور البقع الشَّمسيَّة يتبعها اضطرابات في المغناطيسيَّة الأرضيَّة، ينتج عنها نسبة عالية من الأمراض الانفعاليَّة والعصبيَّة، والحوادث المُروريَّة، والانتحار، والسَّكتات القلبيَّة.

أولى العُلماء في الاتِّحاد السُّوفيتي سابقاً (رُوسيا الاتِّحاديَّة حاليّاً) عناية خاصَّة بتأثير البيئة الكهرُومغناطيسيَّة على الصِّحَّة. وفضلاً عن تأثيرها على الدِّماغ، تُؤثِّر ـ أيضاً ـ على كُريَّات الدَّم

البيضاء والكبد والكليتَيْن وأجزاء أُخرى من الجسم. ويظنُّ بعض العُلماء أنَّ جهاز المناعة في الجسم حسَّاس جداً للحقُول المغناطيسيَّة، وقد يتعطَّل عمله عندما تكون هذه الحُقُول قويَّة جداً.[119]

ومُقابل ذلك؛ يُؤسِّس العُلماء الأمريكان آراءهم على الدّراسات التي عرَّضوا فيها الحيوانات للموجات الرّاديويَّة Radio Waves ولم يظهر عليها تغيُّرات كبيرة في أنسجتها. وهذا ما دفعهم في اتِّجاه مُخالف لاتِّجاه زُملائهم السُّوفيت. ولذلك لم يهتموا بالضّرر النّاجم عن موجات الطّاقة الواطئة Low- Energy waves للرّاديو والتّلفزيُون وأفران الطّاقة الدّقيقة Microwave، وذلك بسبب عدم وُجُود آليَّة معروفة تُمكِّنهم من إجراء التّجارب على الأنسجة الحيَّة للإنسان. ويُؤكِّدون على أنَّ الطّاقة المُستخدمة كانت غير كافية لإثارة الأعصاب، لذلك؛ فمن غير المُحتمل أنْ تُؤثِّر على الدّماغ. وكان اتِّجاه العُلماء الرُّوس على العكس من ذلك، إذْ وجدوا أنَّ الموجات الدّقيقة قد تُؤدّي إلى الصَّرَع Epilepsy في الحيوانات، ولذلك يتوقَّى هؤلاء ليس - فقط - من الطّاقة العالية للأشعَّة السّينيَّة والإشعاعات النّوويَّة، بل من الأشعَّة الكهرُومغناطيسيَّة أيضاً[120] إنَّ تلك التّأثيرات الدّقيقة للمجالات القويَّة والضّعيفة للطّاقة اتَّخذ منها العُلماء الرُّوس ذريعة للبحث عن تفسير مادّي - نَفْسي Psychophysical لظواهر ساي. أو بالأحرى؛ إنَّ ظواهر ساي ما هي إلاَّ استجابات بايُولُوجيَّة لمُؤثِّرات إشعاعيَّة ضعيفة ربَّما تكون مُهمَلة وفْق المقاييس الفيزيائيَّة الاعتياديَّة. ولذلك؛ يلفتون النّظر إلى إمكانيَّة تلك البدائل التّفسيريَّة مُقابل الرُّؤية الرُّوحيَّة. فيفترضون أنَّ جلدنا يحتوي على وسائل حسيَّة مُتنوِّعة غير الحواسّ الخمس، تقوم بنقل معلومات خاصَّة عن درجات الحرارة، والضّغط، واللّمس، والاهتزاز، والألم، وهُناك - أيضاً - مُستقبلات حسِّيَّة في الجلد لم تُفهَم وظيفتها - بصُورة تامَّة - لحدّ الآن. وتُوجد في أجسامنا أجهزة تحسُّس حركيَّة في عضلاتنا وحول مفاصلنا تُوفِّر سيلاً من التّغذية الاسترجاعيَّة عن مواقع أطرافنا وحركاتنا البدنيَّة. فمثلاً تُوفِّر الحاسَّة المُتَّصلة بدهليز الأُذن معلومات عن التّوازن، كما تُوجد أجهزة تحسُّس عالية الاختصاص تُحافظ على التّوازن الدّقيق للموادّ الكيميائيَّة في أجسامنا، وتُعدُّ هذه وسائل مُراقبة للمعلومات الغريبة في أجسامنا، وأنَّنا - غالباً - ما نميل إلى نسيانها، فنُضيع ثروة المعلومات التي يُمكن أنْ تُوفِّرها بما فيها الحُدُوس الجيِّدة عن حالتنا الصّحيَّة. فعندما يلفت انتباهنا مدخل حسِّي غير مألوف، فإنَّنا قد

---

(119) Krippner, S. :Human Possibilities, Mind Exploration in the USSR and Estern Europe, new York, 1980, P64.

(120) Ibid, P.64.

لا نستطيع تفسيره بصُورة صحيحة، وقد تبدو التّغذية الاسترجاعيَّة الإحشائيَّة الاعتياديَّة شبيهة بالطّاقة الرُّوحيَّة.[121]

ويُمكن أنْ يتأثَّر النّسيج العُضوي البشري والحيواني بالإشعاع الذّرّي بدرجة كبيرة. فقد وجد ما كنلتي، وبيز، وبُوند، أنَّه عند مُرُور جُسيمات مشحونة كالبايُونات Pions والمُيونات muons خلال مقلة العين تنتج احساسات بصريَّة من خلال إشعاع سيرينكوف Cerenkov Radiation. وقد لُوحظت هذه الإحساسات - لأوَّل مرَّة - بشكل ومضات غامضة من الضّوء من لدُن رُوَّاد الفضاء. وأقام بريسمان الدّليل على استجابة الأنسجة الحيَّة من أجناس مُختلفة، بما فيها البشر، للإشعاع الكهرُومغناطيسي الذي يتراوح بين تردُّدات اللاّسلكي العالية جداً والتّردُّدات الواطئة جداً. وقام بارنوثي بمسح دليل إضافي على استجابة الأنسجة للحقُول المغناطيسيَّة القويَّة والضّعيفة وللتّغيُّرات في قُوَّة المجال الكهرُومغناطيسي.[122]

أثبت كُلٌّ من بيكر ومارينو تأثيرات المجال المغناطيسي على التئام الأنسجة، ووصفا استعمالها في الطّبّ. وقدَّم بيكر (1980) دليلاً على أنَّ البشر يستطيعون الاهتداء والعودة إلى الوطن. كما يفعل الحمام الزّاجل باستخدام حاسَّة مغناطيسيَّة بدائيَّة تسمح لها بمُقارنة الاختلافات الجيُومغناطيسيَّة بين مواقعها الحاضرة وموطنها الحقيقي.[123]

وكان اهتمام العُلماء الرُّوس كبيراً بالتّأثيرات الجيُومغناطيسيَّة على الدّماغ وعلى سُلُوك الكائنات الحيَّة، ونظروا إليها بوصفها سبيلاً مُحتملاً في حُدُوث الظّواهر الخارقة.[124]

إنَّ الرُّؤى السّابقة ليست إلاَّ فَرَضيَّات غير مُحقَّقة بطريقة تجريبيَّة تُصادق على انطباق التّفسير على مصاديقه؛ أيْ أنَّها لم تُثبت تفسيرات حاسمة لظواهر ساي، ولم تُعلّل - بطريقة معقولة - التّجاوز الزّماني والمكاني الذي تتَّصف به تلك الظّواهر.

إذنْ؛ إذا كان الإدراك غير مُحدَّد بالحواسِّ الخمس. فهل يُحدِّد علم النَّفْس آليَّات ثابتة ومُحدَّدة للإدراك؟ يذهب هانسل إلى القول بأنَّ التّعريف الشّائع للإدراك في كتابات علم النَّفْس

---

(121) Morris, R.: what Psi is not: The necessity for experiments, In: foundations of parapsychology, P.78.

(122) Ibid, P.78.

(123) Ibid, P. 79.

(124) Krippner. S. OP, Cit. PP 65-66.

هُو: « عمليَّة الإدراك المُناسب لخصائص وعلاقات الأشياء عن طريق أعضاء الحسّ »[125].

ويشتمل هذا التّعريف (في رأي هانسل) على حقيقتَيْن: أوَّلاً « عمليَّة الإدراك المُناسب » وهي معروفة جيِّداً، ولا تحتاج إلى تفسير إضافي، وثانياً إنَّ الاكتشافات التّجريبيَّة عن طبيعة الإدراك صحيحة. والتّعريف السّابق لم يُحدِّد طبيعة الآليَّات التي يتضمَّنها، ولذلك؛ فهُو يُمكن أنْ يُغطِّي كُلَّ أشكال الإدراك، وبضمنها الإدراك فوق الحسِّي.

إنَّ تعريف راين للإدراك فوق الحسِّي بأنَّه الوعي أو الاستجابة لحَدَث أو تأثير خارجي غير مُدرَك عن طريق الوسائل الحسِّيَّة لا يدخل - من وُجهة نظر علم النَّفْس - في طريقة العمل المُتضمَّنة في الجُزء الثّاني من التّعريف السّابق للإدراك، فما هُو مُدرَك عن طريق الإدراك فوق الحسِّي يجب أنْ يكون مُسوَّغاً كالإدراك الحسِّي[126]. وهذا يعني أنَّ التّعريف السّابق للإدراك يستبعد الإدراك فوق الحسِّي، على الرّغم من أنَّ هانسل يُحاول أنْ يجعل أعضاء الحسِّ غير مُحدَّدة بالحواسِّ الخمس، مُحاولاً إيجاد تبرير للإدراك فوق الحسِّي ينسجم مع تبرير الإدراك الحسِّي. وهذا ما يستبعده تعريف راين السّالف.

يُعدُّ الإدراك البصري العُنصُر الرّئيسي في الإدراك الحسِّي، وهُو عمليَّة مُنظَّمة تتطلَّب عناصر مُختلفة لإنجاز المُلاحظة. من هذه العناصر موضوع الرُّؤية، ثُمَّ الضّوء وسيلة لنقل المعلومات عن الموضوع، والعُنصُر الثّالث هُو العين أداة لمُلاحظة الموضوع عن طريق آليَّة قادرة على اكتشاف أشعَّة الضّوء. وتدخل - هُنا - الأدوات البصريَّة، وهي آلات اكتشاف مُتباينة من حيثُ أطوال الموجات الضّوئيَّة التي تتحسَّسها. فالعين الاعتياديَّة - في سبيل المثال - تستطيع أنْ تكشف إشعاعاً كهرُومغناطيسيّاً بأطوال موجيَّة من 4000 إلى 7000 إنكسترُوم (من الطَّيف المرئي) مع أنْ تحسُّسها الطَّيفي الأصحَّ هُو 5500 إنكسترُوم، ويُوصف هذا المُعدَّل بأنَّه مُنحني الإحساس الطَّيفي للعين. والحقيقة؛ أنَّ العين أداة لا تستطيع أنْ تكشف إشعاعاً كهرُومغناطيسيّاً بأطوال موجيَّة خارج حُدُود هذا الخطِّ الطَّيفي. فالتّحديد المُلاحظي يُعزى إلى حقيقة أنَّ العين لا تستطيع أنْ تتفاعل مع إشعاع كهرُومغناطيسي خارج حُدُود خطٍّ مُعيَّن[127].

---

(125) Hansel. C. E. M.: ESP and Parapsychology- A Critical Re –Evaluation – New York, 1980, P. 11.

(126) Ibid, p.12.

(127) Paller. T. B.: Visual Perception, Observation Systems and Empiricism, In: J. of Philosophical Studies, London, V.55, No.1, January, 1989, pp.70-71.

ويُمكن أنْ نفصل القول في ذلك بالشّكل الآتي: يُساهم الإدراك البصري بدور رئيسي في الإدراك الحسِّي. ففي عمليَّة رُؤية الشّخص للكُرسي، في سبيل المثال، تُثار عمليَّة مُتابعة تبدأ بالضّوء المُنعكس من الكُرسي، وتنتهي بإدراك الكُرسي. وتمرُّ هذه العمليَّة بالمراحل التّالية: المرحلة الأُولى هي الحافز، والحافز المُلائم للرُّؤية هُو الضّوء، فينبثق الضّوء من مصدره، ويسقط على الكُرسي، فينعكس جُزء منه من الكُرسي نحو المُلاحظ، فيكشف له عن بعض خصائص الكُرسي. والمرحلة الثّانية هي مرحلة الكشف؛ أيْ سقوط الصُّورة البصريَّة على الجهاز البصري وإحداث العمل الفُوتُوكيميائي، ويُثار العَصَب طبقاً إلى كمِّيَّة وخصائص الضّوء المُمتص في أجزاء مُختلفة من الشّبكيَّة، وإلى توزيع الضّوء في الصُّورة البصريَّة السّاقطة على الشّبكيَّة. فإنَّ إثارات الأعصاب المُتولِّدة من الخلايا الحسَّاسة للضّوء في الشّبكيَّة (مُتسلِّمات الصُّورة) تُنقَل إلى الدّماغ عن طريق ألياف عصبيَّة خاصَّة وظيفتها نقل المُؤثِّرات والحوافز. وترتبط الخصائص الزّمنيَّة لتلك المُؤثِّرات بتوزيع الضّوء في الصُّورة البصريَّة، وبالمناطق المُناظرة للحافز (الكُرسي).

المرحلة الثّالثة هي تعديل وتحديد الشّكل الذي يتَّخذه الإدراك نتيجة الخبرة الماضية. والمرحلة الأخيرة هي الإدراك والوعي الذي يتشكَّل من المعلومات التي حصل عليها المُتسلِّم عن الأشياء والأحداث في البيئة؛ أيْ الوعي بالشّيء وخصائصه؛ مثل لونه وشكله وعلاقته بالمُتسلِّم والأشياء الأُخرى في الزّمان والمكان.[128]

وإذا قارنَّا تلك الصُّورة التي يرسمها العلم للإدراك البصري، بظواهر الباراسيكُولُوجي نجد أنَّنا مع ظواهر تتجاوز تلك الحُدُود بشكل كامل. فالاستشفاف (الجلاء البصري)، والرُّؤية بعيُون معصوبة لا تتقيَّد بالنُّمُوذج البصري للإدراك، ولا يبدو أنَّها تُنجز مراحله الطّبيعيَّة.

دعونا ـ الآن ـ نُناقش الفَرَضيَّات التي تصف وُجُود مراكز للإحساس البصري في مناطق أُخرى من الجسم غير العينَيْن، بوصفها بدائل لتفسير الاستشفاف. لقد أجرينا مُلاحظات واختبارات مُتعدِّدة في مركز البُحُوث النَّفسيَّة والباراسيكُولُوجي التّابع لجامعة بغداد (العراق)، على أطفال لديهم القُدرة على القراءة، وتمييز الصُّور والأشكال، بعيُون معصوبة بشكل مُحكم[129]. وكما نوَّهنا سلفاً، فإنَّ تجربة بسيطة يُمكن أنْ تُثبت لنا بأنَّ الطّفل لا يستخدم عينَيْه الطّبيعيَّتَيْن،

---

(128) Hancel.C. E. M.: Op Cit, P.12.

(129) أُجريت هذه المُلاحظات والاختبارات الأوَّليَّة في مركز البُحُوث النّفسيَّة المذكور، بإشراف مُديره العامِّ الدُّكتُور الحارث عبد الحميد حسن مع نُخبة من العاملين في هذا المجال.

وأنّه ربَّما يستخدم حاسَّة بصريَّـة أو ذهنيَّة أُخرى، تنقـل لـه صُور الأشياء بطريقـة مُشـابهة لطريقـة الإبصار الطّبيعي.

وممَّا يُساهم في إلقاء الضّوء على هذه العمليَّة المُعقَّـدة هُو أنَّ بعـض هـؤلاء الأشـخاص (وهُـم أطفال في الغالـب) مرَّت لديهم هذه الموهبة بثلاث مراحل تقريباً. في المرحلة الأُولى كـانوا يُمـيِّزون الألوان عن طريق اللّمـس فقـط، ويبـدو أنَّ هـذه المرحلـة اللّمسيَّة تتضمَّـن مراحـل مُتداخلـة، فـهي تتطوَّر من اللّمس المُباشر إلى اللّمـس غيـر المُباشـر (وضـع راحتَـيْ الكفَّيْـن أو أطـراف الأصـابع علـى حـاجز زجـاجي تُوجـد خلفـه صُـورة أو شـكل يُطلـب معرفتـه). كمـا لُوحـظ ذلـك علـى الموهـوب (أ ص). المرحلة الثّانية أُسمِّيها مرحلة المنظور، يطلب فيها الموهوب أنْ ننتظره بُرهة من الزّمن، يبدو فيها أنَّه ينتظر انفتاح منظور ما، أو زاوية خاصَّة للرُّؤية، يُشير بعدهـا بسبابته إلـى اتِّجـاه المنظـور أو الزّاوية التي يُمكن أنْ يرى مـن خلالـها، والـذي يطلـب أنْ نعـرض فيـه الشّـيء موضـوع الاختبـار. ولُوحظت الحالة ذاتها لدى الطّفلة (ح ع). المرحلة الثّالثة هي الرُّؤيـة الحُـرَّة، والتـي تحـدث مـن دُون تحديد منظور ما أو استخدام وسائل حسيَّة مُساعدة أُخرى. وفي هذه المرحلة يشعر الموهوب بقُدرتـه على الرُّؤية في جميع الاتِّجاهات، وأنَّ مساحة هذه الرُّؤية مُساوية لمساحة الرُّؤية الطّبيعيَّـة. ويظـهر - أيضاً - أنَّ الحواجز الطّبيعيَّة تمنع الرُّؤية، فعندما كنتُ أضع القلم خلف ستار أسود أو أبيض أو وراء رأس الطّفل نَفْسه، لم يستطع رُؤيته، ويحدث ذلك في الظّلام أيضاً.

واستناداً إلى تلك المراحـل؛ كـان مـن المُؤمَّـل أنْ نصـل إلـى مرحلـة رابعـة يتمكَّـن فيـها هـؤلاء الموهوبون من كَشْف الأشياء من وراء الموانـع والحواجز أو الأشياء المخفيَّة فـي صنـاديق أو حقـائب وغيرها. لكنَّ هذه المرحلة لم تتحقَّق بصُورة تُمكِّننا من القول إنَّها حدثت بالفعل؛ فالحالات القليلة والغامضة التي حدثت فيها يُمكن نسبتها إلى الصُّدفـة، والحقيقـة لـم يستخدم الإحصـاء فـي قيـاس تلك النّسبة، وهي غير موجودة تقريباً.

لقد افتُرض في الاتِّحاد السُّوفيتي (سابقاً) أنَّ الجسم البشري يُمكن أنْ يُبصر باستخدام حواسٍّ أُخرى غير حاسَّة البصر. وأُقيمت التّجارب هُناك لهذا الغرض، وأثبتت أنَّ من المُمكـن للإنسـان أنْ يتوصَّل إلى درجة مُعيَّنة من تحسُّس الرُّمُـوز التّشكيليَّة، لا سيما الألـوان، وذلـك عـن طريـق تنميـة حساسيَّة اليدَيْن.

كان أوَّل مَنْ استرعت هـذه الظَّواهر اهتمامه هُو الرّوائي والمُؤلِّف المسرحي الشّهير (جُول رُومان) الذي أطلق عليها «رُؤية خارج الشّبكيَّة»، في كتاب له بهذا العُنوان نشره جاليمار سنة 1920، وفسَّرها على أنَّها مَلَكَة شبه بصريَّة يُمكن تنميتها بالتّدريب، وهي تُشبه عُيُون صغيرة جداً مُنتشرة على البشرة كُلّها. وزعم أنَّه استطاع بالتّدريب - من خلال تجارب حقيقيَّة - أنْ يُمكِّن بعض الأشخاص من القراءة وهُم معصوبو الأعين.[130]

ويُخبرنا (رُومان) بأنَّ هذه المَلَكَة شبه البصريَّة، يُمكن أنْ تظهر من دُون اللُّجوء إلى التّنويم الإيحائي، وأنَّه من الضّروري أنْ يخضع الشّخص لتدريب خاصٍّ يجعله في حالة يقظة تامَّة أثناء امتداد وعيه. وقد مارس هذا التّدريب على نَفْسه، وعلى بعض الأشخاص الذين فقدوا بصرهم بسبب الحوادث.[131]

وقد أسند رُومان إلى تلميذه «رينيه مُوبلان» - وهُو أستاذ فلسفة - مهمَّة مُمارسة هذا التّدريب شبه البصري على سيِّدة عمياء مُنذُ الولادة. وفي الجُزء الأوَّل من كتابه الذي صدر سنة 1926، بعُنوان «تربية شبه بصريَّة»، يروي مُوبلان المراحل المُتعاقبة من هذا التّدريب. وفي الجُزء الثّاني تُحلِّل السّيِّدة نَفْسها انطباعاتها حين تكتشف هذا العالم المرئي.[132]

يتطلَّب التّدريب شبه البصري قَدْراً كبيراً من الصّبر، وتفاؤلاً لا يتزعزع، سواء من جانب المُجرِّب أو من جانب موضوع التّجربة. وليس من شكٍّ في أنَّ عدم اطِّراد النّتائج يكون في أكثر الأحيان مُخيِّباً للآمال في فترة التّدريب التي ينبغي أنْ تستمرَّ في انتظام تامٍّ. وقد تُؤثِّر حالة الشّخص الصّحيَّة والعقليَّة، وكذلك وُجُود الأشخاص الآخرين، على النّتائج. وعلى المرء أنْ يتعلَّم الرُّؤية كما يتعلَّم القراءة أو يعزف البيانُو. ويبدأ تدريب الوجه برُؤية العلامات، والحُرُوف الموضوعة خلف الزّجاج، يتبعها التّعرُّف على الأوراق المُلوَّنة وتصنيفها. وعلى الرّغم من أنَّ التّجارب التي أُجريت في الاتّحاد السُّوفيتي سابقاً، أكَّدت وُجُود الظّاهرة، لكنَّها رفضت تفسيرها على أساس وُجُود عُيُون صغيرة، وبدلاً من ذلك، فُسِّرت بكونها حاسَّة (أو رُؤية) جلديَّة Skin Vision.

---

(130) دوبيس، إيفُون، هل هناك إدراك شبه بصري؟ مجلَّة العلم والمُجتمع، ترجمة فُؤاد كامل، العدد 9، يُونيُو، 1975، ص94 - 95.

انظر أيضاً:

Duplessis.Y.: The Paranormal Perception of Colour: Parapsychology Foundations, Inc, USA,1975,pp.56-57.

(131) دوبيس، المصدر السّابق، ص96.

(132) المصدر نفسه، ص96.

وأثبتت التّجارب التي أُجريت على الفتاة (روزا كلشُوفا)، التي تستطيع أنْ تُميِّز الألوان على بطاقات مُربَّعة من خلف صفائح زُجاجيَّة، أنَّ الرُّؤية عن طريق الجلد مُمكنة. وهذه الرُّؤية في نظر العُلماء الرُّوس ليست شيئاً خارقاً أو رُوحيّاً، وإنَّما تُعبِّر عن عمليَّة فسيُولُوجيَّة لإمكانيَّة دفينة. إذْ إنَّ جميع أجزاء الجسم حسَّاسة للضّوء، وبما أنَّ ارتباط اللّون والضّوء وثيق، فإنَّ هذا الافتراض واضح من خلال التّجارب التي أُجريت على (رُوزا). وبذلك؛ أثبت علم البصر عن طريق الجلد نَفْسه بقُوَّة بوصفه أحد أكثر المسائل أهمِّيَّة في العلم المُعاصر. وتُعرف هذه الظّاهرة بحالة (رُوزا كلشُوفا).[133]

وأضاف العالم الرُّوسي (ليونتيف) Leontyev أنَّ راحة اليد ربَّما تكون حسَّاسة لأشعَّة الضّوء. وأثبت دينيس ديتروت Denis Diderote أنَّ فاقدي البصر يشعرون بالشّيء إذا كان قريباً من رُؤُوسهم، أو يشعرون بإحساس مُعيَّن في منطقة الجبين، وهُو نوع من الإحساس الغامض وغير المُحدَّد، والذي يُمكن أنْ يُستحَثَّ ويُنمَّى عن طريق التّدريب. وقد أُثبتت هذه الظّاهرة عن طريق عيِّنات جماعيَّة مُختارة من المدارس والمعاهد في الاتِّحاد السُّوفيتي السّابق، ووفقاً لحساب الاحتمالات كانت النّتائج فوق مُعدَّل الصُّدفة. وأُجريت تجارب مُماثلة في كُلٍّ من أُوديسا Odessa، ونيزني تاجل N. Tagil، وماجنيتوجورسك Magnitogorsk، وسيفيردلوفسك Severdlovsk، وكانت النّتائج مُدهشة في كُلِّ مكان.[134]

قام (غالينا بشكرون) بإجراء تجارب في معهده لاستبعاد احتمال الإيحاء والتَّخاطُر، واختلاس النّظر والتّلقين. وكانت المفحوصة هي (لاريسا بيريينوس) في غُرفة مظلمة، وقد وضع فيلماً على جفنَيْها، ثُمَّ عُصبت عيناها بقطعة قماش سميكة، واقتيدت إلى غُرفة منارة، وأُجلست حول منضدة. وُضع أمامها صندوق خشبي مُغلق يحتوي على عدد كبير من قطع مُربَّعة من الورق المُلوَّن، وكانت مخلوطة بعضها ببعض. وقد أُخليت الغُرفة من جميع الأشخاص باستثناء لاريسا. لذلك، فهم لم يتمكَّنوا من رُؤية الصُّندُوق والفتاة. بعد ذلك طُلب منها أنْ تُخرج المُربَّعات المُلوَّنة وأنْ تُحدِّد اللّون، وتُثبتها على مسمار. وكانت الأجوبة تُسجَّل من قِبَل المُجرِّبين في غُرفة مُجاورة، وكانت صحيحة كُلّها. وبعد ذلك فُحص الفيلم، ولم يجدوا أيَّ أثر لنفاذ الضّوء من خلاله. وهكذا استُبعد الإدراك البصري الاعتيادي والتَّخاطُر والإيحاء[135]. وفضلاً عن ذلك؛ فإنَّ تلك

(133) Duplessis.Y.: Op Cit, p.70.

(134) Ibid, p.70.

(135) Ibid, p.70.

التّجربة لم تستبعد الاستشفاف، وهُو نوع من الإدراك لا يتقيَّد بـالنُّمُوذج البصري، ولا بالتّحسُّس الجلدي المُباشر، كما ورد في الفصل السّابق.

فلسفة التّفسير العلمي:

عندما نُتابع سير العلم عبر مراحله التّاريخيَّة نجد أنَّ أُسلُوبه يندرج وُفق صيغة الرّفض والتّصحيح والبناء. ويتطلَّب الرّفض والتّصحيح أُسلُوباً نقديّاً، في حين لا يكتمل البناء من دُون فرض نموذج بديل أو تعديل نموذج قديم. ويحصل ذلك استجابة للتّضارب أو التّضادّ بين المعرفة القديمة والمعرفة الجديدة. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنَّ المعرفة العلميَّة المبنيَّة على نتائج العلم لا تخضع لمنطق ثابت، بالرّغم من أنَّ العلم - بمفهومه العامّ - يخضع لأُسُس منطقيَّة ثابتة. لذلك لا يُمكن تعريف العلم بنتائجه؛ بل يجب أنْ يستند تعريف العلم إلى أُسُسه وأهدافه؛ لأنَّ نتائج العلم مُتغيِّرة، ويتغيَّر وفقاً لها فَهْمنا لطبيعة الأشياء. ويستدعي ذلك القول إنَّ العلم ليس مجموعة نتائج وتصوُّرات ثابتة يُمكن اتّخاذها معياراً لقبول أو رفض مجالات معرفيَّة أُخرى. نعم؛ قد لاتدخل بعض المعارف في إطار النّهج التّجريبي، الذي يُشخِّص المعرفة العلميَّة، لكنَّ حُدُود الطّريقة التّجريبيَّة لا يسعها رفض هذا اللّون من المعارف، بالرّغم من عدم اعترافها بعلميَّته.

ليس العلم مُجرَّد تجميع للحقائق وقوائم من المُلاحظات، فهذه - وحدها - ينقصها التّماسك المنطقي والانسجام الذي يتطلَّبه العلم. والقول بأنَّ العلم هُو «دراسة الاجتهادات التي يُمكن تحقيق اتفاق كُلّي حولها»[136] هُو تعريف جيِّد للعلم، ولكنَّه لا يستوعب سوى ما هُو مقبول من العلم. وستبقى المعرفة التي لا تحوز إجماعاً غير مقبولة وُفق هذا التّعريف. ومن مساوئ تعريف العلم بنتائجه سدُّ الطّريق أمام العديد من الميادين المعرفيَّة التي مازالت تبحث عن آليَّات صحيحة للفَهْم والتّفسير، والنّظر إلى مُختلف الجُهُود البشريَّة القديمة في سعيها لفَهْم طبيعة الحياة بأنَّها ليست علميَّة.

والحقيقة؛ أنَّ العلم - في تعريفه العامّ - يُعبِّر عن الجهد البشري، ومسعى الإنسان الدّائم لفَهْم الكون والحياة بما أُوتي من طاقة عقليَّة، مُستنفداً - في ذلك - شتَّى الوسائل والأساليب النّظريَّة والمادّيَّة لتحقيق ذلك الغرض الإنساني الأسمى، وهُو الفَهْم والتّعقُّل الشّامل لكُلّ جوانب الكون واستكناه حقيقته النّهائيَّة. وعلى الرّغم من العُمُوميَّة التي تطغي على هذا التّعريف، فهُو تعريف للعلم بأُسُسه وأهدافه. وإنَّ النّاحيَّة العُمُوميَّة في هذا التّعريف تجعله يشمل النّشاط الإنساني على

---

(136) كامبيل، نُورمان، ما العلم؟، ترجمة طارق عبد الهادي، ومُحمَّد العاني، مطبعة جامعة بغداد، 1981، ص36.

اختلاف أنماطه؛ سواء الفلسفيَّة أو التّجريبيَّة. ولذلك؛ فهُو يجمع بين نشاطَيْن يُعدَّان - حديثاً - مُنفصلين ومُتميِّزَيْن هُما الفلسفة والعلم. ولكنَّنا - في الوقت الذي نُسوِّغ فيه هذا الانفصال، وسوف نكشف عن مُبرِّراته الواقعيَّة - نُؤكِّد على حقيقة أنَّ النّشاط الإنساني ينبع من جُذُور واحدة، وإنْ اختلفت مُصادرات كُلّ علم عن الآخر وفقاً لطبيعة موضوعه.

- مقياس البداهة والوُضُوح:

عندما كان العلم يعتمد الأُسلُوب النّظري المُجرَّد وموضوعه الكُلّي، لا يُمكن تمييزه عن النّظر الفلسفي الذي يعتمد الأُسلُوب ذاته. وقد توَّج أرسطو ذلك الأُسلُوب باكتشافه قوانين المنطق الصُّوري، واعتمدت منهجاً مُلائماً لدراسة الموضوعات، التي تتَّصف بطابع كُلّي مُجرَّد، ولا يُعير أهميَّة للجُزئي أو المادِّي، وإنَّما كان الاستقراء مُجرَّد طريقة منهجيَّة أوَّليَّة تسعى إلى استخلاص موضوع العلم (المفهوم الكُلّي) من الجُزئيَّات. ولتعلُّق العلم بالكُلّي وازدرائه للجُزئي انفصل عن العمل والواقع التّجريبي، وتوحَّد مع الفلسفة في اتِّجاه وهدف واحد. كان معيار العلم هُو الوُضُوح والبداهة التي تُؤسِّس القياس العقلي. إذْ يكفي لقبُول الحقائق أنْ تكون مُستنبَطة - بوُضُوح - من مُقدِّمات واضحة بذاتها، وإنْ تعارضت مع الواقع العملي.

يُمكن أنْ نعدَّ هذه المرحلة (الإغريقيَّة) للعلم تعبيراً عن تطوُّر طبيعي للفكر الإنساني من الأُسلُوب الحسِّي والمُلاحظي الذي طغى على الفكر - عُمُوماً - في الحضارات الشّرقيَّة القديمة إلى الأُسلُوب المُجرَّد والفكر النّظري. لكنَّ المرحلة الإغريقيَّة أفرزت واقعاً اجتماعيّاً يُقدِّس النّظر، ويزدري العمل، ممَّا شكَّل عائقاً معرفيّاً أمام العلم، إذْ أعاقه عن استكشاف الواقع المادِّي ومعرفة قوانين عمل الاشياء، وبالتّالي؛ أخَّر ظُهُور التّكنُولُوجيا. وعلى الرّغم من أنَّ المُفكِّرين الغربيِّين يذهبون إلى أنَّ الفلسفة اكتسبت هُويَّتها الفكريَّة عند اليُونان، إلاَّ أنَّهم يغضُّون الطّرْف عن المردود السّلبي الذي أحدثته تلك المرحلة تجاه العمل.

- الطّريقة التّجريبيَّة:

بدأت المرحلة التّاريخيَّة الحديثة سنة 1600م، وكانت عودة بالعلم إلى الأُسلُوب التّجريبي القائم على الاستقراء والمُلاحظة، وهُنا نجد خُطوة مُتقدِّمة تنقل أُسلُوب المُشاهدة المُستخدم في الحضارات الشّرقيَّة القديمة، لا سيما البابليَّة، إلى صيغة علميَّة دقيقة. وتضمَّن هذا الانتقال نقداً حادّاً للمنهج القياسي القائم على النّظر المُجرَّد، وتقديماً لمنطق الاستقراء والتّجربة.

كان ذلك بداية اتِّصال العلم بالعمل، وتطوُّر أساليب العمل، واستخدام العلم النّظري لابتكار أساليب عمليَّة جديدة. وتمَّت صياغة ذلك علميّاً عندما استطاع نيُوتن أنْ يستنبط قوانين الميكانيكا العمليَّة من الميكانيكا النّظريَّة. وهكذا انبثقت التّكنُولُوجيا من العلم. وكان اتِّصال العلم بالتّكنُولُوجيا العامل الرّئيسي في انفصاله عن الفلسفة. فقد أرست التّكنُولُوجيا دعائم المنهج التّجريبي والعملي، في حين ظلَّ الأُسلُوب القياسي ومبدأ الوُضُوح والبداهة المنهج المُميِّز للفلسفة.[137]

التّغيُّر الآخر الذي فَرَضه اتِّصال العلم بالتّكنُولُوجيا، يتعلَّق بهدف العلم، ففي زمن اتِّصال العلم بالفلسفة كان الهدف واحداً؛ وهُو الفَهْم والتّعقُّل المُستند إلى معيار البداهة والوُضُوح. وبعد انفصالهما واتِّصال العلم بالعمل تغيَّر هذا الهدف، إذْ ركَّز العلم على امتلاك الطّبيعة وتسخيرها وتحقيق المَدَنيَّة والرّفاهيَّة في شتَّى مجالات الحياة، وبقي الفَهْم والمعقوليَّة هدف المشروع الفلسفي.

بماذا - إذنْ - يختلف العلم الحديث عن علم القُدماء؟ هذا السُّؤال بحاجة إلى تفريع، فمَنْ هُم القُدماء الذين يعنيهم السُّؤال (الحضارات الشّرقيَّة القديمة أم اليُونانيَّة أم الإسلاميَّة)؟ ويُمكن الإجابة بأنَّ العلم الحديث يفترق عن علم الشّرقيِّين القُدامى بعدَّة خواصّ. الخاصيَّة الأُولى هي تجاوز مُستوى المُلاحظة البسيطة إلى صيغة مُنظَّمة تُوجز الفوضى الظّاهرة، وتستكشف النّظام فيها. والخاصيَّة الثّانية هي اتِّضاح سير الطّريقة العلميَّة من المُلاحظة والاستقراء إلى الصّيغة التّنظيميَّة، ثُمَّ العودة من هذه الصّيغة إلى عالم الوقائع، وهذا هُو شرط التَّحقُّق التّجريبي. والثّالثة هي التّأكيد على دور السّببيَّة في صياغة القانون العلمي، والرّابعة تجريد هدف العلم من أيَّة غايات ميتافيزيقيَّة، وتركيز الجُهُود في حُدُود الطّبيعة، وتحقيق مبدأ الاقتصاد في الفكر، وهذه النُّقطة ذات أهميَّة إذا علمنا أنَّ العلم القديم كان يختلط بالفكر الدِّيني، ويستهدف غايات دينيَّة.

أمَّا افتراق العلم الحديث عن العلم اليُوناني القديم، فبالإضافة إلى افتراقاته السّابقة عن علم الشّرقيِّين، فهُو قد نقل موضوع العلم من الكُلِّي المُجرَّد إلى الجُزئي المُجسَّد، ووضع منطق الكثرة (الجُزئيَّات) مُقابل منطق وحدة المفاهيم المُجرَّدة. واستخدام منهج المُلاحظة والاستقراء والتَّحقُّق التّجريبي بدلاً عن القياس وأشكاله. وفصل العلم عن الميتافيزيقا والفكر الفلسفي عُمُوماً، وقدَّم العمل على النَّظَر.

---

(137) فرانك، فيليب، فلسفة العلم، ترجمة علي علي ناصف، بيروت، ط1، 1983، ص51.

في هذا التّطوُّر التّاريخي نجد أنَّ انبثاق العلم ـ ابتداء ـ لم يكن لغايات عمليَّة، ولذلك لا يُمكن القول بأنَّه وليد الحاجة وحسب، إنَّما كانت الدّوافع الأُولى له ذات طابع ميتافيزيقي تأمُّلي. كما إنَّ اتِّصال العلم بالعمل يُعبِّر عن مرحلة تاريخيَّة خاصَّة، وجَّه فيها الإنسان اهتمامه نحو العمل والغايات المادِّيَّة. هذا التّوجيه الجديد للعلم واتِّخاذ التّجربة معياراً للحقائق قلَّل من أهمِّيَّة الفلسفة وأهدافها الميتافيزيقيَّة. إنَّ المسار المعرفي للعلم يجعلنا نُشخِّص هدفاً مُزدوجاً له، فهُو ـ من جانب ـ يُعبِّر عن سعي الإنسان لفَهْم الطّبيعة والحياة، وهُو ـ أيضاً ـ جهد إنساني يُسخِّر الطّبيعة لفائدته، استناداً إلى مبدأ المصلحة. ولمَّا كان الجانب العملي لا يُمكن إنجازه من دُون استيفاء الجانب المعرفي فإنَّ أسبقيَّة الجانب المعرفي على الجانب العملي هُو الذي جعل العلم وليد الفلسفة حقَّاً. ولذلك؛ فإنَّ اتِّصال العلم بالعمل وانفصاله عن الفلسفة يعني تغيير بُؤرة الاهتمام ونقلها من المُستوى المعرفي المحض إلى مُستوى عملي يسعى إلى تحسين الحياة، بقطع النّظر عن درجات الفَهْم والعقلانيَّة، في حين تشخَّصت بُؤرة الاهتمام الفلسفي في تحقيق أكبر قَدْر من الفَهْم والعقلانيَّة في معرفة الكون والحياة، بقطع النّظر عن الجانب العملي ـ المادِّي.

إنَّ الارتباط بالواقع العملي، واستشراف مُستقبل أفضل للحياة المَدَنيَّة من خلال استكشاف أسرار المادَّة والطّاقة هُو الذي بَلْوَرَ أهداف المشروع العلمي. في حين أنَّ اتِّخاذ الطّريقة التّجريبيَّة معياراً للحقائق شخَّصه منهجيَّاً.

من ذلك نفهم أنَّه من الخطأ القول بأنَّ العلم نشأ من أُصُول عمليَّة، فإنَّ هذا تفسير للعلم بمرحلة مُتأخِّرة من حركة الفكر البشري، ألصق بالحياة المادِّيَّة منها بعالم الفكر المُجرَّد. لقد بنى الإنسان المعابد قبل المُستشفيات، وشخص ببصره نحو السّماء قبل الأرض، وعبد الآلهة قبل المادَّة. كان يبحث ـ دوماً ـ عن قُوَّة خارقة لتفسير حركة الكون. وعلى الرّغم من أنَّه تخلَّى عن هذه الآلهة، وأحلَّ محلَّها قوانين الطّبيعة، كما تخلَّى عن التّأمُّل، وأحلَّ محلَّه التّجربة والقياس، تبقى تلك البدايات الجُذُور الحقيقيَّة التي انطلق منها العلم، ونشأ، وهذا يعني أنَّ العامل النَّفْسي كان يتحكَّم في توجيه العلم وحركة الفكر. ولو كان العلم مُستقلاً عن هذا العامل لاتَّخذ نمطاً واحداً لا محيد عنه في جميع مراحل التّاريخ. وبالرّغم ممَّا للعمل وعوامل الإنتاج المادِّي من أهمِّيَّة في مجال الكشف العلمي، إلاَّ أنَّ هذا الكشف لم يكن وليد الحاجة المادِّيَّة دوماً. فحاجة النّاس إلى النّظّارات، مثلاً، قديمة قدَم الإنسان، ومع ذلك بقيت هذه الحاجة تنتظر دورها حتَّى القرن الثّالث عشر الذي أصبحت فيه العوامل الفكريَّة مُهيَّأة لاختراع النّظّارات. ولم يدفع استخدام البحر

الإنسان إلى اكتشاف قُدرة المغناطيس في توجيه السُّفُن عن طريق الإبرة المغناطيسيَّة إلاَّ في هذا القرن أيضاً، بالرّغم من أنَّ الإنسان استخدم البحر في التّجارة لقُرُون عديدة خلت. ذلك يعني أنَّ تاريخ العلم وتطوُّره يرتبط بمجموعة من العوامل السّيكُولُوجيَّة والفكريَّة يتحدَّد أيُّ اكتشاف علمي بمُستوى تطوُّرها واكتمالها. فالظّواهر الخارقة قديمة قدَم النّاس، ولُوحظت، واستُخدمت من قبَل الإنسان البدائي والحديث، ولم يتوصَّل الإنسان - إلى الآن - إلى تفسير علمي معقول لها، ولا إلى اكتشاف مُهمّ في شأنها.

وإضافة إلى كون العلم أُسلُوباً في البحث، وطريقة خاصَّة لتنظيم الخبرة البشريَّة تُضفي وُضُوحاً وعُمقاً وتماسكاً على انطباعاتنا الحسِّيَّة المُباشرة ومُلاحظاتنا[138]؛ هُو أيضاً وليد التّساؤل الذي يطرحه الذّهن البشري عندما يُواجه الكون أو ظاهرة من ظواهره، ولم يُخطئ أرسطو حين عبَّر عنه بالدّهشة. العلم - إذنْ - أصل فطري في الإنسان، وهذا الأصل لم يكن وليد مرحلة تاريخيَّة مُحدَّدة، وما بدَّله التّاريخ هُو الأُسلُوب أو الطّريقة التي تتلاءم مع السّياق التّاريخي لتطوُّر الفكر.

نفهم - ممَّا سبق - أنَّ للعلم جُذُوراً (أُصُولاً) وهُويَّة. وإذا كان أصله ذا بُعْد سيكُولُوجي، فإنَّ هُويَّته تتبلور من خلال الطّريقة التي ينتهجها في البحث، والبناء النّظري الذي يُفسِّر الظّواهر. وبما أنَّ الطّريقة والنُّمُوذج التّفسيري مُتغيِّر عبر الزّمن، ولذلك فإنَّ العلم لا يمتلك هُويَّة ثابتة مُنفصلة عن الإنسان. إنَّما يُعبِّر - بشكل ثابت تقريباً - عن علاقة الإنسان المعرفيَّة بالطّبيعة المُرتبطة بشُرُوط المُلاحظة والاختبار التّجريبي. واستناداً إلى هذه العلاقة المعرفيَّة تتشكَّل بنى معرفيَّة وتفسيريَّة ومفاهيم طرائقيَّة ترتبط بمراحل تاريخيَّة مُعيَّنة.

العلم - إذنْ - مشروع ديناميكي تتشخَّص هُويَّته من خلال استجابته للأخطاء الرّاهنة وللتّغيُّرات التي تُصيب قناعاته وثوابته، فهُو لا ينطوي على نتائج مُطلقة، فإنَّ ثوابت ومُسلَّمات الأمس قد تتغيَّر في علم اليوم. وبدء الشّكّ ينال الافتراضات الأساسيَّة؛ مثل مبدأ حفظ المادَّة أو الطّاقة، واختلفت طريقة مُعالجته للظّواهر عن الصّيغة السّببيَّة والحتميَّة، واتَّخذت صيغة إحصائيَّة واحتماليَّة. ولمَّا كانت المقاييس العلميَّة غير مُقيَّدة بمقاييس المادَّة المُدركة بالحسّ، فإنَّ التّمييز القديم بين طبيعة اعتياديَّة وأُخرى مُتعالية أصبح زائفاً، ذلك التّمييز الذي ارتكز على دُوغمائيَّة علميَّة،

---

(138) Margenau. H.: ESP and modern Physics, In: (R. A. McConnell) Ed: Encounters with Parapsychology, P.120.

افترضت أنَّ كُلَّ شيء في نطاق الحقائق والموضوعـات الأساسيَّة أصبـح معروفـاً، وأنَّـه مـن السّـهل التّميز بين ما هُو مُمكن وما هُو غير مُمكن. ونعلم - في الوقت الرّاهن - أنَّ هُناك العديد من الظّواهر على مُحيط العالم مازالت غير مفهومة، ونأمل إيجاز هذا الفَهْم مُستقبلاً بمَنهج علمي.[139]

إذا كان العلم لا يتضمَّن حقائق مُطلقة في نطاق نتائجه وصيغه التّفسيريَّة، فإنَّ هذا يقتضي أنَّه إذا كان مقدار مُعيَّن من المعرفة يتناقض مع مقدار آخر يقبله العلم بصُورة عامَّـة، لا يعنـي أنَّ المعرفـة الشّاذَّة ينقصها المقام العلمي. وإذا عُـرِّف العلـم بمفـاهيم المعرفة العلميَّـة المقبولـة لما كـان باسـتطاعة كُوبرنيكُوس أنْ يُمارس العلم قبـل كبلـر، ولما أعطـى غـاليلُو الدّعـم التّجريبـي المشـروع للنّظريَّـات الكُوبرنيكيَّـة. بمعنـى آخـر؛ لكـانت المعرفـة المقبولـة عائقـاً أمـام تقـدُّم العلـم وأمـام إبـداع العُلمـاء وابتكاراتهم القائمة على تصحيح أو رفض المقبول القديم. وإذا كان العلم لا يُمكـن تعريفـه بمـا هُـو مقبول من المعرفة في مرحلة من مراحلـه التّاريخيَّة فإنَّه إذا تنـاقض الباراسـيكُولُوجي مـع مجموعـة المعارف القائمة، فهذا لا يعني أنَّ الباراسيكُولُوجي ليس علماً.[140]

- ساي ومنهج العلم:

إنَّ مُشكلة الباراسـيكُولُوجي ليسـت فـي عـدم انسـجامه مـع المَنهج التّجريبي، بـل فـي عـدم انسجامه مع النّسق العلمي - الذّهني الذي تركه العلم في عُقُول العُلماء. المُشكلة - إذنْ - هي مُشكلة تفسير لا منهج. فالطّريقة الإحصائيَّة والاحتماليَّة المقبولة في الفيزياء هـي التي أثبتت الإدراك فـوق الحسِّي باستخدام نظام البطاقات. وكما أنَّ للمنهج التّجريبي حُـدُوده، فللتّفسـير القـائم علـى تلـك الطّريقة حُدُوده أيضاً، فليس كُلُّ ما تكشف عنه المُلاحظة والتّجربة قابلاً للتّفسير بالضّرورة.

إذا كـانت الخاصِّيَّة العامَّـة للعلـم الحديـث هـي اسـتخدامه للطُّـرُق التّجريبيَّـة، فـإنَّ ظـواهـر الباراسيكُولُوجي تستند إلى المُلاحظة المنهجيَّة، وإنَّ تعويل الباراسيكُولُوجي على الطُّرُق التّجريبيَّة هُو الخاصِّيَّة الأساسيَّة التي فصلته عن ميادين الفكر الغيبي.[141]

وإذا كـان العلـم يسـعى إلـى التّكميـم؛ أيْ صياغـة قوانينـه بطريقـة كمِّيَّـة، فـإنَّ هـذه الخاصِّيَّـة تتفاوت فيما بـين العُلُـوم (طبيعيَّـة واجتماعيَّـة)، وبـالرّغم مـن ذلـك؛ فـإنَّ الطّريقـة الإحصائيَّـة فـي

---

(139) Ibid, P. 122- 132.

(140) Edge and Morris: psi & science; op cit, p. 310.

(141) Wheatley. J. & Edge.H. L.: (Ed): philosophical dimensions of parapsychology. P. 369.

الباراسيكُولُوجي تُعَدُّ خُطوة أُولى نحو هذا الهدف. فمُنذُ تأسيس مُختبر راين في الثّلاثينيّات من القرن العشرين كان واحداً من أهدافه الرّئيسيَّة قياس ساي. وإنَّ درجة تقدُّم الباراسيكُولُوجي في هذه النُّقطة مازالت مسألة مُختلف عليها بين الباحثين. ومن دُون شكٍّ؛ هُناك تقدُّم كبير في هذا الاتِّجاه، وإنَّ الأعمال الشّائعة في هذا المجال تستند ـ بشكل مُستمرٍّ ـ إلى قياس البيانات.

تُركِّز الطّريقة التّجريبيَّة على قابليَّة التّكرار التي تتطلَّب التَّحقُّق من الظُّرُوف المُحيطة بالحَدَث أو الظّاهرة، فلكي يحظى الباراسيكُولُوجي بقبول تامٍّ من قبَل العُلماء يجب أنْ تكون تجاريه قابلة للتّكرار، وتُعطي النّتائج ذاتها لباحثين مُختلفين في أماكن مُختلفة. ويذهب جُون بيلوف إلى أنَّ الباراسيكُولُوجيِّين غير مُهتمِّين بهذا الجانب من عملهم بشكل كاف، ويرى بعض الباحثين أنَّ هذه الخاصيَّة ليست ضروريَّة. ويذهب آخرون إلى أنَّ الباراسيكُولُوجي لديه بيِّنة تفي بقابليَّة التّكرار بمُستوى ميادين مثل علم النَّفْس وعلم الفَلَك. ويرى آخرون أنَّه إذا كان وسيط الاختبار بإمكانه أنْ يُعيد عمله في عدد كبير من التّجارب مع الباحث نَفْسه، فإنَّ النّتائج ستكون مُثبتة ـ بشكل كاف ـ حتَّى إذا فشل في إعادتها مع مُجرِّب آخر، أو فَقَدَ قُدرته معه.(142)

يذهب جُون بيلوف إلى أنَّ ثمَّة أسباباً تجعل من الصُّعُوبة تحقيق إمكانيَّة تكرار التّجارب منها، الطّبيعة الوَهْميَّة للظّواهر المدروسة، والقنوات اللاَّواعية التي تعمل من خلالها، ودقَّة المُتغيِّرات المُتضمَّنة في النّتيجة.(143)

إنَّ ما يجعل تكرار التّجربة بالنّتائج نَفْسها مُمكناً هُو السّيطرة على الظُّرُوف والعوامل المُحيطة بالظّاهرة، والتي متى ما توافرت تحقَّقت النّتائج. ولا تعود هذه المسألة للمُجرِّب وحده، كما هُو الأمر في العُلُوم الطّبيعيَّة، لأنَّ الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة تتوقَّف على قابليَّة الوسيط أو الموهوب على الإتيان بالنّتائج ذاتها، في تجارب مُتكرِّرة، مع الباحث نَفْسه أو مع باحثين آخرين، إلاَّ أنَّ الوسيط نَفْسه لم يكن مُسيطراً على قُدراته بشكل إرادي، وليس لديه وعيٌ بالعوامل المُسبِّبة للظّاهرة، لا سيما في الظّواهر التّلقائيَّة، وبالتّالي؛ تبقى مُعظم الأحداث التّلقائيَّة ـ والتي تحدث مرَّة واحدة وعند شخص مُحدَّد ـ غير قابلة للإعادة في وقت الطّلب، سواء مع الباحث نَفْسه أو مع آخرين.

---

(142) Ibid, P. 370.

(143) Beloff. J.: Parapsychology and its neihbors, In: ((Wheatley and Edge)) (Ed): Philosophical dimensions of parapsychology, P.375.

صُعُوبة التّكرار تلك وندرة حُدُوث الظّاهرة التّلقائيَّة دفعت جان فُوراستيه إلى تفسير اعتقاد الطّبيب إلكسس كاريل بالشّفاء المُعجِز - الذي حَدَثَ لمريضته المُصابة بالتهاب الصّفاق السّلّي (حسب تشخيص لجنة من الأطبَّاء بضمنهم كاريل نَفْسه) - بأنَّه ربَّما يعود إلى خطأ التّشخيص. بل إنَّ اعتقاد كاريل لا يعود إلى سلامة ودقَّة تشخيصه، وإنَّما يعود إلى إيمان ديني، وهذا ما يُشكّك بكفاية التّشخيص نَفْسه، بدلالة أنَّ الإنسان قد يشهد حَدَثاً وحيداً، ولكنَّه لا يُؤمن به؛ لأنَّه قد يظنُّ أنَّه أخطأ في ما رأى.[144]

إنَّ ردَّ الفعل تجاه حَدَث وحيد مُنعزل؛ مثل حالة الشّفاء السّابقة هُو الشّكُّ بكفاية التّشخيص، ولإزالة الشّكِّ ينبغي إعادة المُلاحظة، وهُنا تكمن المُشكلة، فإنَّ إعادة المُلاحظة أمر غير مُمكن في هذه الحالة؛ لأنَّ مُلاحظة الحادثة النّادرة لا يُمكن إعادتها؛ لسُرعة اختفاء موضوعها. ولكنْ؛ ليس كُلُّ ظواهر الباراسيكُولُوجي بهذه النّدرة. لقد اعتدنا مُلاحظة بعض تلك الظّواهر بشكل مُتكرِّر، ومن الظّواهر التي لاحظناها بصُورة دقيقة في مركز البُحُوث النَّفْسيَّة (في جامعة بغداد)، ظاهرة الرُّؤية بعُيُون معصوبة التي سبق الحديث عنها. تظهر هذه الظّاهرة لدى الأطفال في الأغلب، وإنَّ تجربة بسيطة تكفي للتّصديق بأنَّ الطّفل يرى بشكل تامٍّ، على الرّغم من أنَّ عُيُونه معصوبة بطريقة مُحكمة. هذا النّوع من الظّواهر قابل للتّكرار في كُلِّ زمن، ومع كُلِّ باحث. إنَّ مسألة اختلاس النّظر استُبعدت تماماً، بدلالة أنَّك كُلَّما ضغطت على عينَيْ الطّفل بقُوَّة (لمنع الرُّؤية) أعلن أنَّ الرُّؤية تتَّضح أكثر، وتكون أوسع.

ومن مُلاحظاتي للظّواهر المدروسة في مركز البُحُوث النَّفْسيَّة وجدتُ أنَّ أصعب الظّواهر تقييماً هي ظواهر الشّفاء Healing ولا يتعلّق الأمر بعدم دقَّة التّشخيص، وإنَّما صُعُوبة مُتابعة الحالات التي قد تخضع لتأثير الإيحاء الذّاتي المُؤقّت. فتشخيص الطّبيب المُتخصّص قبل الشّفاء وبعده، وادّعاءات المُعالج (الشّافي) نَفْسه، وشخصيَّته، وادّعاءات المريض بالتّحسُّن، كُلُّها يجب أنْ تخضع لمُحاكمة علميَّة دقيقة لا يُوفِّرها شخص واحد، وإنَّما تحتاج إلى لجان علميَّة مُتنوِّعة الاختصاصات.

ولا تُسعفنا الطّريقة الإحصائيَّة كثيراً في تقييم حالات الشّفاء، لأنَّ الأمراض مُتنوِّعة، وليست في مُستوى واحد، فمنها سيكُولُوجيَّة، وأُخرى بيُولُوجيَّة، وثالثة وَهْميَّة. كما أنَّ التّشخيص الخاطئ والنّاقص يُسهم في ضياع الحقيقة، فكثيراً ما تُوحي أعراض مثل النّوبة القلبيَّة،

---

(144) فُوراستيه، جان، مصدر سابق، ص165 - 166.

وارتفاع ضغط الدّم أو انخفاضه، واضطرابات أُخرى بأمراض عُضويَّة، في حين أنَّ المريض يُعاني من نوع من العُصاب أو الاضطراب العقلي. وغالباً ما يحصل هذا الخَلْط عندما يُعرَض مثل هذا المريض على طبيب باطنيَّة.

وعلى فرض حُصُولنا على مُعدَّل إحصائي جيِّد عن الحالات النّاجحة، فما يُدرينا أنَّ هذه الحالات الشّفائيَّة النّاجحة لم تكن جُزءاً من أخطاء التّشخيص؟ وهذه المرَّة يتوجب علينا أنْ نُقارن النّسبة الإحصائيَّة لأخطاء التّشخيص مع النّسبة الإحصائيَّة للحالات الشّفائيَّة النّاجحة لاستخراج مُعدَّل إحصائي جديد، وهذا أمر مُستحيل، إذا علمنا باستحالة معرفة المُعدَّل الإحصائي لأخطاء التّشخيص؛ لأنَّ أخطاء التّشخيص مأخوذة على أنَّها تشخيص ناجح، وأنَّ نجاح الحالة الشّفائيَّة هُو الذي يُشكِّك بالتّشخيص، وهكذا سندور في حلقة مُفرغة، فالحالات الشّفائيَّة تكشف عن أخطاء التّشخيص، ثُمَّ نحتاج إلى حساب أخطاء التّشخيص لتقييم الحالات الشّفائيَّة.

الباراسيكُولُوجي والبناء التَّصوُّري للعلم:

الخاصيَّة الأكثر أهميَّة للعلم هي التي درسها (مُورفي). وقد أشار مُورفي إلى أنّه ليس من عمل العلم جمع حقائق غير مُترابطة، والأحرى؛ أنَّ العلم يهدف إلى حقائق تنسجم وُفق مُخطَّط تصوُّري (حقائق راسخة). وعن إمكانيَّة هذا المُخطَّط؛ يُناقش مُورفي مجموعة من الحقائق المُنفصلة - بشكل واضح - من خلال ثلاثة نظريَّات حول ارتباط العقل بالجسم. الأُولى هي النّظريَّة الواحديَّة لـ «إسبينوزا»، والثّانية هي النّظريَّة الثُّنائيَّة لـ «ديكارت» والثّالثة هي النّظريَّة الأثيريَّة (مايرز - نيوبولد). ويرى أنَّه يجب أنْ نُعيِّن الحقائق الرّصينة للبحث الرُّوحي في مناهج مُنظَّمة وذات معنى؛ مثل تلك النّظريَّات الثّلاث للعقل - الجسم. وإنَّ الباراسيكُولُوجي يفتقر إلى ذلك المُخطَّط التَّصوُّري.[145]

هل الباراسيكُولُوجي مُنسجم مع العلم؟ يُشير ميل وسكرايفن إلى أنَّه مُنسجم مع العلم[146]، في حين يُلاحظ شُوفين أنَّه بالرّغم من أنَّ الباراسيكُولُوجي لا يبدو مُنسجماً مع فيزياء اليوم، فذلك لا يعني أنّه لا ينسجم مع الفيزياء على الإطلاق، فربَّما ينسجم مع فيزياء مُتواترة **Perennial**

---

(145) Murphy.G: Are there any solid facts in Psychical Research? In ((Wheatley and Edge)) (Ed): Philosophical dimensions of para., PP. 390-391.

(146) Meehl and Scriven.: Compatibility of Science and ESP, In ((Wheatley and Edeg)) (Ed), op cit, PP.403-409.

physics ؛ أيْ أنَّ فيزياء المُستقبل ربَّما يكون في وسعها أنْ تُصنِّف السّاي وُفق نظريّاتها ، كما أنه لا يُمكن القول إنَّ السّاي يتناقض مع الفيزياء الرّاهنة ، فحتَّى لو لم يكن بإمكاننا اكتشاف القوانين التي تُفسِّر السّاي ، فإنَّ قوانين الفيزياء الرّاهنة صحيحة في مجالها الخاصّ ، بالرّغم من دحضها ـ عُمُوماً ـ بفيزياء آينشتين . فالفيزياء المُعاصرة التي لا يُمكن أنْ نُصنِّف السّاي ضمنها تُعدُّ صحيحة ، بالرّغم من أنَّها ستُستبدل بفيزياء المُستقبل ، التي ربَّما تستطيع تفسير ساي . لذلك يُشير شُوفن إلى أنَّ تفسير ساي لا يتعارض ـ بالضّرورة ـ مع الفيزياء المُعاصرة ، بل يُصحِّحها فقط .[147]

وعلى العكس من ذلك ؛ يُشير جُون بيلُوف إلى أنَّه يجب أنْ لا نتسرَّع في مُحاولة الجَمْع بين الباراسيكُولُوجي والعُلُوم الأُخرى . فمُحاولة رَوْحَنة الفيزياء Spiritualize physics ، أو تطبيع الخارقيَّة Physicalize paranormal تُهمل بعض الاختلافات المُهمَّة جداً بين العالَمَيْن . ويُؤكِّد بيلوف أنَّه لا يُوجد اعتراض منطقي على نظريَّة التّفاعل الثُّنائي بين العالَمَيْن ، وأنَّ الرُّؤية الثُّنائيَّة صحيحة .[148]

الطّريقة التّجريبيَّة في الباراسيكُولُوجي:

إنَّ الصُّعُوبة المُتعلِّقة بطريقة الباراسيكُولُوجي هي أنَّها طريقة إثبات ، لا طريقة تفسير ، بمعنى آخر ؛ إنَّ الطّريقة الإحصائيَّة ـ كجُزء من الطّريقة التّجريبيَّة ـ المُستخدمة في الباراسيكُولُوجي تهدف إلى إثبات وُجُود ظواهره والتَّحقُّق منها . في حين تتضمَّن الطّريقة التّجريبيَّة في عُلُوم الطّبيعة إمكانيَّة عرض الظّاهرة المدروسة بطريقة تكشف الشُّرُوط أو الظُّرُوف المُحدثة لها ، وإعادة بناء هذه الشُّرُوط لاعادة إنتاج الظّاهرة مُختبريّاً ، وهذا هُو جوهر الطّريقة التّجريبيَّة في العلم ، إذْ هي في الوقت الذي تُعدُّ فيه عامل إثبات جازم ، بكشفها عن علل الظّاهرة ، تُعدُّ فيه أيضاً تفسيراً سببيّاً لها . ولا تُوفِّر الطّريقة في الباراسيكُولُوجي من تلك المزايا سوى إثبات مُعدَّل إحصائي مقبول علميّاً يدلُّ على وُجُود ظواهره وصحَّة حُدُوثها . في حين هي تفتقر إلى خاصيَّة تكرار التّجارب ، وإلى خاصيَّة الكشف العلمي والسّيطرة على الظُّرُوف المُحيطة بالظّاهرة . فمن الصُّعُوبة دراسة التَّخاطُر ، في سبيل المثال ، بوصفة ظاهرة إنسانيَّة ، عن طريق تشريح الجسم البشري في المُختبر ، إذْ لا يُعيِّن التَّخاطُر موضعاً له داخل الجسم أو الدّماغ ، ولا يرتبط ـ بشكل واضح ـ بمُتغيِّرات فيزيائيَّة يُمكن

---

(147) Chauvin .R.: To Reconcile psi and physics, In ((Wheatley and Edeg)) (Ed), op cit, pp. 409-412.

(148) Beloff .J.: OP cit, P. 376.

معرفة أثرها على الدّماغ البشري، بل هُو قائم على جُملة من التّصوُّرات العلميّة والفلسفيّة ذات الصّبغة النّظريّة المحضة.

ولكنّ الطّريقة التّجريبيّة في العلم لم تتّخذ نمطاً مُحدّداً، فالمنهاج التّجريبي الذي كان سائداً في القرن التّاسع عشر ليس عين المنهج السّائد اليوم في العُلُوم، بمعنى آخر: تختلف صيغة الطّريقة التّجريبيّة في عالم المقاييس الإنسانيّة عنها في عالم مقاييس البناء الذّرّي والنّووي. ولذلك؛ فإنّ التّفسيرات المُتعلّقة بالبناء الذّرّي ـ الكمّي ليست حاسمة، وهي تتضارب مع نسق المعرفة العلميّة الخاصّ بعالم المقاييس الإنسانيّة. وهذا ما يُسوّغ إدخال طريقة البحث التّجريبي والإحصائي في الباراسيكُولُوجي ضمن الطّريقة العلميّة العامّة المُعترف بها، وإنْ كانت مدلولات ظواهر الباراسيكُولُوجي تتضارب ـ في كثير من الأحيان ـ مع مجال الفكر العلمي السّائد.

إذنْ؛ الخاصيّة الأساسيّة التي تُميز العلم الحديث عن العلم القديم هي اتّخاذه الطّريقة التّجريبيّة أُسلُوباً أساسيّاً في البحث والتّحقيق، بوصفها الأُسلُوب الأمثل لمُعالجة ظواهر الطّبيعة المادّيّة. وكما أوضحنا من قبل فإنّ مُستوى الطّريقة التّجريبيّة مُتفاوت بين العُلُوم، وحتّى في العلم الواحد كما يبدو في الفرق بين الفيزياء الكلاسيكيّة والفيزياء المُعاصرة، ولذلك؛ فإنّ معيار قبُول النّظريّة العلميّة في النّسق العلمي هُو الإثبات التّجريبي أو قابليّة الإثبات. وإذا كان هذا المعيار يصلح في التّميز بين النّظريّة الجيّدة والنّظريّة الضّعيفة، فهُو لا يصلح للتّميز بين العلم واللاّعلم. ولكنْ؛ يبقى بإمكاننا أنْ نُميّز بين علم دقيق وعلم غير دقيق من ناحيتَيْن: الأُولى من ناحية الضّبط التّجريبي، والثّانية من ناحية البناء النّظري التّفسيري المُتماسك. فالنّظريّة الدّقيقة والموضوعيّة والضّبط التّجريبي علامات يُهتدى من خلالها إلى تميز العُلُوم المضبوطة. أمّا فقدان الضّبط التّجريبي والبناء النّظري التّفسيري، وتداخل العوامل الذّاتيّة في الموضوع مُؤشّرات واضحة على علم غير دقيق. والباراسيكُولُوجي علم من النّوع الأخير. من أبرز الصُّعُوبات التي تُواجه الباحث في حقل ساي هي تدخُّل العوامل الذّاتيّة في الظّاهرة النّفسيّة تداخلاً مُباشراً. ويكاد يكون من الصّعب التّميز بين الظّاهرة والعوامل الذّاتيّة الأُخرى سواء العائدة للموهوب أو تلك الخاصّة بالمُجرّب، إلى حدّ يُمكن القول معه إنّ الظّواهر الباراسيكُولُوجيّة هي نمط من الهَلْوَسات. وإذا كانت الهَلْوَسَة المَرَضيّة يُرافقها الإسقاط ***Projection***، وهُو توهُّم الشّخصيّة المَرَضيّة، إنّ موضوع الهَلْوَسَة مُتجسّد في الخارج، في حين يتمخّض الحُكم الموضوعي عن زيف موضوع الهَلْوَسَة المَرَضيّة وعن أنّها مُجرّد خيالات في ذهن المريض. فالهَلْوَسَة التّصويريّة لا يُمكن أنْ تكتسب طابع

الظّاهرة الباراسيكُولُوجيَّة إلاَّ إذا ارتبطت بالواقع الخارجي إلى حَدٍّ يتمخّض عنه حُكْم موضوعي عن ذلك التّرابط، بالرّغم من غُمُوض كيفيَّة التّرابط بين الهَلْوَسَة والواقع الخارجي. ومع ذلك؛ فإنَّ أغلب الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة التّلقائيَّة ذات سمة فرديَّة، بمعنى أنَّ الاعتقاد بوُجُود مُقابل خارجي للهَلْوَسَة الذّهنيَّة حُكْم فردي وقناعة ذاتيَّة، وهي في هذا تتشابه - إنْ لم تتطابق - مع الهَلْوَسَة المَرَضيَّة. وتختلف عن ذلك الظّواهر المُختبريَّة بأنَّ التّرابط يُمكن إثباته بطريقة أكثر موضوعيَّة من قبَل المُجرِّبين.

إنَّ تلك الذّاتيَّة وذلك التّشابه مع الهَلْوَسَة المَرَضيَّة يُمكن أنْ يُثبِّط الجُهُود السّاعيَّة إلى اكتشاف التّطابق. ومتى ما وقعت الحادثة موضوع الهَلْوَسَة السّابقة، حينئذ - فقط - يتبيَّن لنا التّرابط أو التّطابق (التّطابق غير مُنجز في أغلب الأحيان). وفي هذه المرحلة نكون بحاجة إلى دراسة وتمحيص كيفيَّة التّرابط ودلالته. وذلك هُو الذي سيُحدِّد لنا ما إذا كانت الهَلْوَسَة السّابقة هي من النّوع المَرَضي أم هي نمط من الإدراك فوق الحسِّي.

وليس الأمر بهذه البساطة؛ فإنَّ العقبات مُتتابعة في سياق البحث العلمي في هذا المجال، فمن الصُّعُوبة العُثُور على تشابه بين الواقع والظّاهرة الباراسيكُولُوجيَّة، مع وُجُود الاقترانات والاعتقاد بالتّرابط. بمعنى آخر؛ إنَّنا إذا قُمنا بدراسة وتحليل الظّاهرة الباراسيكُولُوجيَّة لا نجد فيها مُؤشّرات على واقع مُباشر، وليس في الإنسان عمليَّات واضحة يُمكن أنْ تُحيلنا إلى الظّاهرة الباراسيكُولُوجيَّة كالعمليَّات المُتتابعة التي تحيلنا إلى الإدراك الحسِّي.

النّظريَّة العلميَّة:

تُعدُّ النّظريَّة العلميَّة شرطاً ضروريّاً للعلم، وهذا ما يُميِّز علم اليوم (صرامة التّنظيم ودقَّة التّفسير) من العُلُوم القديمة التي كانت رُكاماً من مُلاحظات غير مُنتظمة وُفق صيغة بنائيَّة. وهذه الصّيغة البنائيَّة هي ما حقَّقه العلم الحديث. إلاَّ أنَّ العُلُوم تختلف فيما بينها في دقَّة النّظريَّات وتماسكها المنطقي، فنظريَّات الفيزياء ليست كنظريَّات علم النَّفْس أو علم الاجتماع، ولذلك؛ فالنّظريَّة العلميَّة لا تخضع لنمط مُحدَّد من التّماسك المنطقي والاشتقاق التّجريبي، فإذا اتَّخذنا نمط نظريَّات الفيزياء معياراً للتّميز بين العلم واللاَّعلم، فسوف نستبعد مُعظم العُلُوم الإنسانيَّة من مجال العلم.[149]

(149) Mcclenon J.: Deviant Science, The case of parapsychology, U. S. A. 1984, P.15.

ولمّا كانت النّظريّة العلميّة بناء من قوانين مُحدَّدة، فإنّنا سنُناقش نمطَين من القوانين العلميّة، ثُمّ نُحاول معرفة مع أيٍّ منهما ينسجم الباراسيكُولُوجي.

تنقسم قوانين العلم إلى صنفَيْن: قوانين كُلّيَّة (عامّة) تنطبق فيها الخاصيَّة على موضوعها في كُلِّ زمان ومكان. مثل قولنا: «الأجسام تتمدَّد بالحرارة». ولكنْ؛ ليس كُلُّ قوانين العلم كُلّيَّة بهذا المعنى، فالانتظام والتّطابق بين الخاصيَّة وموضوعها قد لا يحدث في كُلِّ الحالات، بل قد يحدث في نسبة مُعيَّنة من الحالات، وإذا حدَّدنا هذه النّسبة، وكمّمنا العلاقة بين الخاصيَّة وموضوعها لحصلنا على الصّنف الثّاني من القوانين العلميَّة وهُو «القانون الإحصائي»، مثال ذلك، «نصف الأطفال المولودين هذا العام، ذُكُور تقريباً»[150]، أو «ينتحر في أميركا أسبوعيّاً 20 - 30 شخصاً» تزيد هذه النّسبة أو تنقص حسب ظُرُوف الأزمات والانفراجات. وتجدر الإشارة إلى أنَّ القوانين الكُلّيَّة أبسط من النّاحية المنطقيَّة. ولذلك؛ يُمكن صياغتها وفقاً لقواعد المنطق الصُّوري.

واستناداً إلى المنطق الصُّوري؛ فإنَّ القضيّة الكُلّيَّة الحمليّة يُمكن التّعبير عنها بالصّيغة الشّرطيَّة، وبما أنَّ قانون التّمدد الحراري القائل «الأجسام تتمدَّد بالتّسخين» يُعبِّر عن قضيّة كُلّيَّة حمليَّة، فإنَّ المقصود به أنَّ «كُلَّ الأجسام تتمدَّد بالتّسخين» لذلك يُمكن التّعبير عنه بشكل مُحكم بصيغة شرطيَّة ثابتة مُستعارة من المنطق الرّياضي. وهذه الصّيغة هي «لكُلِّ شيء إذا كانت له الخاصيَّة (س) فله الخاصيَّة (ص)» فإذا قُلنا «كُلُّ الأجسام تتمدَّد بالتّسخين» فهذا يتضمَّن بأنَّ كُلَّ جسم إذا كانت له خاصيَّة التّسخين أو السُّخُونة فله خاصيَّة التّمدُّد بالضّرورة السّببيَّة. فإذا رمزنا لكُلِّ جسم بالرّمز (أ)، ولخاصيَّة السُّخُونة بالرّمز س، والى خاصيَّة التّمدُّد بالرّمز ص، ينتج أنَّ لكُلِّ أ إذا كانت لـ أ الخاصيَّة س فله الخاصيَّة ص بالضّرورة. والصّيغة المنطقيَّة لذلك هي: (أ) (سأ ←صأ). حيثُ يُشير الرّمز (أ) إلى السُّور الكُلّي (كُلّ الأجسام)، و س هي الخاصيَّة الأُولى لـ(أ)، و ص هي الخاصيَّة الثّانية التي تلزم عن اقتران (أ) بالخاصيَّة (س). وهذه الصّيغة المنطقيَّة تنطبق على جميع القوانين العامَّة من ذلك النّوع الاستقرائي، وإنَّ التّلازم بين الاقترانَيْن الحاصلَيْن لـ أ هُو الذي يُتيح عمليّة التّنبُّؤ العلمي. وتُشير الصّيغة الدّالّيّة الشّرطيَّة السّابقة إلى حقيقة أنّه إذا انعقدت سأ، انعقدت صأ، وبالعكس، إذا انعقدت صأ انعقدت سأ ويُطلق المُناطقة على هذا اللّون من القضايا الشّرطيَّة بالشّرطيَّة المُزدوجة، وهُما قضيّتان شرطيّتان موصولتان.[151]

---

(150) كارناب، رُودلف، الأُسُس الفلسفيَّة للفيزياء، ترجمة الدُّكتُور السّيِّد نفادي، بيروت، ط1، 1993، ص17.

(151) المصدر نفسه، ص18.

فإذا احتفظنا في أذهاننا بالقانون (أ) (س ا ← ص ا) وحدث أنْ انعقدت الواقعة س ا، فإنَّنا يُمكن أنْ نستنتج ص ا. ذلك يعني أنَّ القضايا الشّخصيَّة التي تصف وقائع فرديَّة مُباشرة ترتبط أبستمُولُوجيا بقضايا كُلّيَّة مُضمرة في الذّهن. في سبيل المثال، إذا فقدتُّ كتاب الطّبري من مكتبتي، وسألت مَنْ الذي أخذ كتاب الطّبري؟ وكانت الإجابة «استعاره زيد»، هذا التّفسير لفقدان الكتاب لم يكن مُرضياً لو لم يرتبط بحقيقة أنَّ كُلَّ كتاب مُستعار فهُو غير موجود في المكتبة، ولمّا كان كتاب الطّبري غير موجود في المكتبة، فهُو ـ إذنْ ـ مُستعار. وهكذا؛ رجعت القضيَّة الفرديَّة «استعاره زيد»، كقضيَّة تفسيريَّة، إلى قضيَّة كُلّيَّة عامَّة.

ولكنْ؛ ليس كُلُّ القوانين التّفسيريَّة بهذه الدّقَّة، فبعض القوانين ذُو خاصيَّة إحصائيَّة، ولا تنطبق على موضوعاتها بصفة كُلّيَّة. وفي هذه الحالات ينبغي أنْ نقتنع بتفسير إحصائي. ((يُمكن أنْ يُقرِّر قانون طبِّي إحصائي ـ في سبيل المثال ـ أنَّ خمسة بالمائة من النّاس الذين يتناولون نوعاً مُعيَّناً من الطّعام يُصابون بمَرَض مُعيَّن. ولو ذكر الطّبيب ذلك للمريض على اعتبار أنَّه تفسير لحالته، لما اقتنع المريض ولسأله «لماذا أكون أنا الوحيد ضمن الخمسة بالمائة؟» رُبَّما يكون الطّبيب قادراً في بعض الحالات على طرح تفسيرات إضافيَّة، ورُبَّما يقوم باختبار حساسيَّة المريض لبعض الأطعمة، ويجد عنده فرط حساسيَّة من هذا النّوع من الطّعام، ويُخبر المريض: لو أنَّني عرفتُ هذا لكُنتُ حذَّرتُكَ من هذا الطّعام، فإنَّنا نعلم أنَّ النّاس الذين عندهم مثل هذه الحساسيَّة ويتناولون هذا الطّعام يظهر عند 97 بالمائة منهم مثل هذه الأعراض التي عندك. يُرضي هذا القول المريض على اعتبار أنَّه تفسير قوي. وسواء كانت التّفسيرات قويَّة أو ضعيفة فهي تفسيرات حقيقيَّة. وفي حالة عدم معرفة القوانين الكُلّيَّة تُصبح التّفسيرات الإحصائيَّة ـ غالباً ـ هي التّفسيرات الوحيدة النّافعة)). [152]

إنَّ أساس القوانين الإحصائيَّة في الاقتصاد والعُلُوم الإنسانيَّة هُو معرفتنا المُحدَّدة بالقوانين السّيكُولُوجيَّة، ولذلك؛ من الضّروري صياغة قوانين العُلُوم الإنسانيَّة بطريقة إحصائيَّة.

وإذا عُدنا إلى القوانين الفيزيائيَّة في مجال الفيزياء الكمِّيَّة نجد أنَّها تُعبِّر عن نسب إحصائيَّة. فبسبب تأثير (كمّ) الفعل من المُستحيل وضع قوانين حاسمة التّتابع بين الظّواهر التي يُمكن مُشاهدتها، ولكنْ؛ إذا لم تعد في فيزياء الكمّ قوانين حاسمة، فإنَّ هُناك مع ذلك قوانين احتمال.. فعلى الرّغم من أنَّه ليس من المُمكن أنَّ نُحدِّد ـ مُقدَّماً ـ الظّاهرة الفرديَّة، ولكنَّنا إذا أخذنا عدداً كبيراً من الظّواهر الأوّليَّة نستطيع أنْ نقول إنَّ نسبة مُعيَّنة منها سوف تتولَّد بطريقة مُعيَّنة، ونسبة مُعيَّنة

(152) المصدر نفسه، ص22 ـ 23.

أُخرى سوف تتولَّد بطريقة مُعيَّنة أُخرى. فلو كان مُعدَّل الانتحار ثابتاً أُسبوعياً في بلد ما، وهذا المُعدَّل يزداد أو ينقص حسب الظُّرُوف (بالرّغم من أنَّنا لا نستطيع أنْ نستبعد أنْ تكون إرادة الأشخاص هي صاحبة القرار الأخير في هذه المسألة)، فإنَّ عمليَّة التَّنبُّؤ بأيِّ شخص سينتحر في الأسبوع القادم غير مُمكنة، ولكنْ؛ يُمكن القول إنَّ مُعدَّل الانتحار في هذا الأسبوع هُو بنسبة 20 - 30٪ مثلاً[153]. وهذه النّسبة تُرضي الفيزيائي كمُعدَّل إحصائي. ويُعَدُّ مبدأ اللاَّيقين المشهور لـ هيزنبرغ من أفضل الأمثلة على القوانين الإحصائيَّة في الفيزياء.

ساي وشُرُوط النّظريَّة العلميَّة:

يُشخِّص فلاسفة العلم شُرُوطاً ميتافيزيقيَّة للنّظريَّة العلميَّة، كما يأتي:[154]

- يجب أنْ تكون النّظريَّة العلميَّة مُثمرة منطقيّاً، ومُختلفة عمَّا نُلاحظه ونُفسِّره، وقابلة للاختبار، وتُزوِّدنا بطريقة للفَهْم والتّثبُّت.

- يجب أنْ تكون قابلة للامتداد، فالعلم يرفضها إذا كانت لا تُوضِّح سوى جُزء صغير من خبرتنا المُباشرة، والقليل من الحقائق التي نُريد تفسيرها. ولذلك؛ فإنَّ الأفكار العلميَّة المُفيدة يجب أنْ تكون شاملة.

- يجب أنْ تكون مُترابطة الأجزاء، فضلاً عن إشارتها إلى الوقائع. فالتّماسك الدّاخلي الكبير بين تركيبات التّفسير يجب أنْ يكون مُتحقّقاً، بالرّغم من أنّه غير مُنجَز دائماً.

- يجب أنْ يتوفَّر فيها عامل البساطة Simplicity، فالنّظريَّة العلميَّة يجب أنْ تكون مُصاغة بوسائل أو بمُعادلات رياضيَّة بسيطة إلى حَدٍّ ما.

- يجب أنْ تتوفَّر سيطرة مُمتازة لمُعالجة التّركيبات العلميَّة التي تُفيد كتفسير للحقائق الغامضة.

- يجب أنْ يكون لمبدأ السّببيَّة دور كبير في بناء النّظريَّة.

إنَّ تلك الشُّرُوط لا تتضمَّن شرط إمكانيَّة التّصوير المُفصَّل، لأنَّ النّماذج المُستخدمة في العلم الحديث وتركيبات التّفسير لم تكن قائمة بموجب المفاهيم البصريَّة. فنحن لا نُفسِّر الذَّرَّة دائماً عن طريق مجموعة الإلكترونات التي تتحرَّك تلقائيّاً حول النُّواة، وأنَّ كُلَّ إلكترون له مسار مُعيَّن، ويشغل نُقطة مُحدَّدة من المكان في زمن مُعيَّن؛ لأنَّ حركة الإلكترونات غير قابلة للإدراك البصري

---

(153) برُوليه، سي. دي، الفيزياء والميكرُوفيزياء، ترجمة: الدُّكتُور رمسيس شحاتة، القاهرة، 1967، ص149 - 150.

(154) MarGenau.H: ESP and Modern Physics, In: McConnell. R. A (Ed): Op Cit, PP.120-121.

على الإطلاق؛ ذلك لأنَّها أصغر جداً من طُول أيِّ موجة ضوئيَّة، ولذلك ليس لها لون، ولا يُمكن أنْ يُعيَّن وضعها عن طريق نوع اعتيادي من التّجريب الفيزيائي الذي يتضمَّن انعكاس الكهرُومغناطيسيَّة أو أنواع أُخرى من الإشارات، فمثل هذه الإشارات فاشلة؛ لأنَّ الكيانات صغيرة جداً. ومع ذلك؛ فإنَّ صُعُوبة اكتشاف مكان الإلكترون لا يعني أنَّ تلك الكيانات تفتقر إلى خصائص إمكانيَّة الوُقُوع في الزّمان والمكان، فالعلم يعمل عن طريق الاحتمالات، وهذه ربَّما تُحدَّد - بشكل لا يُمكن انتقاصه - الحوادث الطّبيعيَّة. فإنَّ مُتطلَّبات النّظريَّات - التي بموجبها نُفسِّر العالم الفيزيائي - أصبحت مُجرَّدة وشُمُوليَّة إلى حَدٍّ بعيد.[155]

هذا اللّون من النّظريَّات مُستخلص من طريقة تركيب النّظريَّات الفيزيائيَّة. وهذه الشُّرُوط غير مُستوفاة بمُستوى واحد في كُلِّ العُلُوم. وإذا كان العلم ليس مجموعة من المُلاحظات فحسب، بل هُو مجموعة قوانين تُضفي معنى على المُلاحظات والخبرة الإنسانيَّة، فهُو - أيضاً - ليس مجموعة قوانين مُتناثرة وغير مُترابطة، بل هُو بناء نظري يأتلف من تلك القوانين، وهذه هي النّظريَّة - التي هي بنية - نشتقُّ منها تلك القوانين المُشتملة عليها[156]. وذلك البناء النّظري هُو أقصى طُمُوح العلم، فالنّظريَّة تُضفي معنىً شاملاً ومُجرَّداً على العالم. وعلى الرّغم من أنَّ هذا طُمُوح كُلِّ علم إلاَّ أنَّ الباراسيكُولُوجي مازال بعيداً عن هذه الدّقَّة النّظريَّة.

إذنْ؛ تعامُل النّظريَّة العلميَّة الإلكترون بوصفه حركة لا يُمكن التّنبُّؤ بها بدقَّة. لو تخيَّلنا أنَّنا سألنا الإلكترون عن سُلُوكه فإنَّه لا يعرف الاتِّجاه الذي سيسلكه، وإنَّما يمتلك واقعه العلمي ضمن مُتوسِّط إحصائي من الإلكترونات، ليس من الضّروري أنْ يكون واحداً منها.

هذا ما يحصل - تماماً - في اختبارات الإدراك فوق الحسِّي، فإنَّ صدْقَ تخمين الوسيط الحالة مُفردة لا يعني شيئاً. ولو سألنا الوسيط - أثناء الاختبار عن أيِّ التّخمينات صائبة وأيّها غير صائبة - فإنَّه لا يعرف الجواب، وإنَّما هُو كالمُجرِّب ينتظر النّسبة الإحصائيَّة المُستنتجة في نهاية عدد كبير من المُحاولات والاختبارات. ولو افترضنا أنّه سيستخدم قُدراته المزعومة في معرفة نتيجة الاختبار الإحصائي، فإنَّه سيخضع لنَفْس التّقييدات الإحصائيَّة، ولا يُمكن أنْ ينتهي إلى قضيَّة كُلِّيَّة تحكم بالإيجاب على كُلِّ حالة مُفردة. ويُفسِّر الباراسيكُولُوجيون هذه الحالة بأنَّ قُوَّة ساي تعمل بطريقة لا واعية.

---

(155) Ibid, P.122.

(156) كيميني، جُون، الفيلسوف والعلم، ترجمة: الدُّكتُور أمين الشّريف، مُؤسَّسة فرانكلين، بيروت، 1965، ص248 - 249.

وإذا نظرنا إلى كُلِّ تخمين (بوصفه نشاطاً ذهنيّاً) على أنّه عمليَّة نَفْسيَّة، فهذا يدعونا إلى القول إنَّ من بين عدد كبير من الحالات النَّفْسيَّة هُناك عدد محدود (نسبة إحصائيَّة) منها ينطبق حقّاً على أحداث خارجيَّة. وإنَّ ارتفاع هذه النّسبة وهُبُوطها هُو الذي يُحدِّد مغزى التّرابط «القصدي» بين العمليَّات النَّفْسيَّة والأحداث الخارجيَّة. ولذلك؛ فإنَّ المُتوسِّط الإحصائي هُو الذي يكشف عن «القصديَّة اللاّواعية» التي تعمل بها قُوَّة ساي. وبالمُقابل؛ فإنَّ نشاط هذه القُوَّة لا يتمظهر وُفق صيغة مُتابعة قابلة للتَّنبُّؤ كيما نستطيع صياغة قضيَّة كُلِّيَّة ننسب فيها سببيَّة تلك القوى إلى كُلِّ المُتغيِّرات التي اكتسبت خاصيَّة مُعيَّنة. وإنَّما يتمظهر بطريقة تبدو عشوائيَّة لا يُمكن حسابها إلاّ وُفق مُعدَّل إحصائي. وهذا المُعدَّل هُو الذي أثبت ظواهر الباراسيكُولُوجي في المُختبرات النَّفْسيَّة.

لذلك؛ إنَّ تساؤُل الفيزيائيِّين عن حتميَّة أو لا حتميَّة الظّواهر الذّرِّيَّة والإشعاعيَّة، وعمَّا إذا كانت تخضع لحتميَّة غير منظورة وعلاقات سببيَّة أعمق من أنْ تنالها مُلاحظاتهم وأجهزتهم، هُو التّساؤل عينه الذي يُمكن طرحه تجاه الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة، فيما إذا كان النّشاط اللاّوعي لقُوَّة ساي المُفترضة يخضع لحتميَّة عميقة لا ينالها وعينا الاعتيادي. وأعتقد أنَّ انقسام الفيزيائيِّين حول الإجابة على تساؤُلهم السّابق إلى مدرستَيْن[157]، هُما مدرسة كُوبنهاجن بزعامة بُور، وهايزنبرك والتي تتبنَّى التّفسير الوضعي (الاختباري)، ومدرسة أينشين وزُملائه، وتُسمَّى(EPR) نسبة إلى أينشين، ويُودلسكي، ورُوزين، والتي تتبنَّى التّفسير الحتمي، أقول إنَّ هذا الانقسام سيشمل الباراسيكُولُوجيِّين. وإنَّني أميل إلى تفسير مدرسة (EPR) وأعتقد أنَّ ظواهر الباراسيكُولُوجي، بالرّغم من أنَّها تُقدِّم خاصيَّة إحصائيَّة، إلاَّ أنَّها جُزء من عالم يخضع لنظام دقيق يعمل وفقاً لقوانين سببيَّة ـ حتميَّة.

---

(157) انظر: سالم يفوت، فلسفة العلم المُعاصرة ومفهومها المُعاصر للواقع، بيروت، ط1، 1986، ص194. يُنظر أيضاً: الدُكتُور مُحمَّد عبد اللّطيف مطلب، الخلاف بين أينشين ومدرسة كُوبنهاجن، آفاق عربيَّة، بغداد، 1977، ص95.

الفصل الرّابع:

النّظريّات العلميّة الفيزيائيّة والبايُوفيزيائيّة في الباراسيكُولُوجي

النّظريّة الإشعاعيّة والمجالات الافتراضيّة:

اقتُرِحت النّظريّة الإشعاعيّة من لدُن بي. كازينسكي B. Kazhinsky، إذْ افترض أنّ الواسطة التي تنقل التّخاطُر هُو الإشعاع الكهرُومغناطيسي. وكان اكتشاف الإرسال اللاّسلكي هُو الذي دفعه إلى طرح هذه الفَرَضيّة، وكذلك اكتشاف هانز بيرجر Hans Berger أنّ أدمغتنا تُولّد موجات كهربائيّة يُمكن قياسها على السّطح الخارجي من فروة الرّأس بواسطة الإلكترُوانسيفالُوجراف Electroencephalograph، بالرّغم من أنّها لا تُشبه الإشعاع الكهرُومغناطيسي.[158]

لكنْ؛ تُوجد اختلافات بين الاتّصال اللاّسلكي والاتّصال العقلي يجب أنّ تُشخّص. فكمّيّة الطّاقة المطلوبة في الاتّصال العقلي (والتي ربُّما تأتي من التّفاعل الذّرّي في الدّماغ) يُمكن إهمالها، في حين يتطلّب الاتّصال اللاّسلكي حوالي (*10*) واط لنقل الطّاقة عبر المسافات القصيرة، كما أنّ سلسلة الأعصاب ربُّما تمتلك نظاماً من الحساسيّة مُختلفاً عن أيّ كاشف كهربائي اعتيادي، وإنّ قُوّة النّقل في التّخاطُر واحدة عبر مُختلف المسافات، في حين تكون المسافة محدودة في النّقل اللاّسلكي، وفضلاً عن ذلك؛ فإنّ قُوّة ساي لا تخضع لقانون التّربيع العكسي (التّناقص بازدياد المسافة).[159]

لقد أشار بي. هُوفمان B. Hoffman إلى أنّ قُوّة ساي لا تخضع لقانون التّضاؤل بازدياد المسافة إذا كانت مُجرّد عمليّة معلوماتيّة وليست عمليّة طاقويّة، في سبيل المثال، إنّ الطّاقة الصّوتيّة للرّاديو، بالرّغم من أنّها تتناقص بشكل مُناسب عبر المسافة، فإنّ المرء يُمكن أنْ يكتشف - بشكل واضح - المعلومات الفعليّة عندما يكون طُول الإشارة مُنخفضاً جداً، وعلاوة على ذلك؛ اكتشف

(158) Eisenbarg .H.: Inner Spaces, Canada, 1977, P. 89.

(159) Sudre .R.: Parapsychology, New York، 1962 ، p. 158.

ليونيد فاسيليف Leonid Vasiliev أنْ أقفاص فراداي المعدنيَّة التي تحجب الأشعَّة الكهرُومغناطيسيَّة، من الأطوال الموجيَّة القصيرة والمتوسِّطة، لم تُؤثِّر ـ عكسيّاً ـ على قُدرات ساي.[160]

ويلتقي المرء بظاهرة التّأثير النّفقي أو (الانتفاق) Tunnel Effect في فيزياء الكمّ. وتعني أنَّنا إذا وضعنا عائقاً ما بين جسمَيْن يمنع ـ بشكل طبيعي ـ الاتِّصال الفيزيائي عن طريق الإشارات الكهرُومغناطيسيَّة، أو الفُوتُونات والإلكترُونات، أو أنواع أُخرى من الجُسيمات، فلا يُمكن أنْ نستبعد ـ بشكل جازم ـ كُلّ اتِّصال أو انتقال مُمكن للتّأثيرات.[161]

وتعني ظاهرة الانتفاق الكمّي أنَّ العوائق الفيزيائيَّة ربَّما لا تمنع ـ دوماً ـ مُرُور الجُزيئات، ويبقى الاحتمال قائماً بأنْ تتسلَّل بعض الفُوتُونات أو الإلكترُونات خلال الحواجز الطّبيعيَّة. وهذه الإمكانيَّة قد تُتيح تفسير الاستشفاف عن طريق انتقال فُوتُونات قليلة من حَدَث بعيد إلى وعي المُتسلِّم المُستعدّ للإدراك الاستشفافي. لكنَّ هذه الإمكانيَّة لا تُفسِّر التَّخاطُر والإدراك المُسبَق.

اقترح بعض المُنظِّرين أنَّ ذبذبة لإشعاع كهرُومغناطيسي ذي موجة طويلة، ربَّما تسبب قُوَّة ساي مادام من غير المُمكن حجبها بواسطة أقفاص فراداي التّقليديَّة. لكنَّ هذه الفَرَضيَّة لا تصف أنواع ساي الأُخرى مثل الاستشفاف والإدراك المُسبَق.[162]

واقترح عالم النَّفْس مايكل. أي. بيرسينجر M. A. Persinger مُتغيِّراً فعَّالاً لنظريَّة الذّبذبة الواطئة جدّاً يُمكن أنْ يتجاوز بعض العوائق الطّبيعيَّة. إنَّ الذي دفع بيرسنجر إلى هذه الفَرَضيَّة هُو حقيقة أنَّ إشعاع الذّبذبة الواطئة يتولَّد بصُورة مُستمرَّة بتأثير الاضطرابات الجيُومغناطيسيَّة، والبرق وعمليَّات طبيعيَّة أُخرى. والفرض هُو أنَّه من المُمكن أنْ يُنتج مُرسل تخاطُري ـ بطريقة ما ـ إشعاعاً من نوع الذّبذبة الواطئة جدّاً، يحمل نمطاً ذهنيّاً من المعلومات، قد يُؤثِّر على مُتسلِّم حسَّاس Sensitive Percipient فيجعله يُعيد المعلومات ثانية. واقترح بيرسنجر أمراً بديلاً، أنَّه إذا اشترك شخصان في خبرة مشحونة عاطفيّاً أثناء مُرُور نمط مُميَّز لموجات الذّبذبة الواطئة جدّاً، ثُمَّ افترقا بعد ذلك، فمن المُمكن أنْ تحصل لكُلّ واحد منهما خبرة انفعاليَّة مُشابهة لخبرة الآخر أثناء مُرُور اضطراب مُشابه من الذّبذبة الواطئة جدّاً. وحينذاك سوف يعزوان خبرتَيْهما المُتزامنتَيْن إلى التَّخاطُر.[163]

---

(160) Eisenbarg .H.: op cit, p. 90.

(161) Margenau .H.: ESP and modern physics, In. McConnell R) '. Ed): Encounters with parapsychology, U. S. A, 1981, p. 127.

(162) Eisenbarg .H.: op cit, p. 90.

(163) Rush J.: Physical and quasi- physical theories of psi, In: Rush, Morris & Edge" (Ed): foundations of parapsychology, p. 286.

افترض نينيُون مارشال Ninion Marshall أنَّ التّركيبات الفيزيائيَّة المُعقَّدة، مثل الدّماغ، ربَّما تعمل عن طريق نوع خاصٍّ من الرّنين (رجع الصّدى) المُباشر Resonance، والذي يُمكن أنْ يتجاوز الحُدُود المكانيَّة والزّمنيَّة الاعتياديَّة للعالم الفيزيائي[164]. والمعنى المقصود من ذلك هُو أنَّ تشابُه دماغَيْن ـ بوصفهما منظومتَيْن فيزيائيَّتَيْن، قد يسمح لأحدهما أنْ يُؤثّر في الآخر، فتُثار في كُلٍّ منهما المُحفِّزات والأفكار ذاتها.

لكنَّ مارشال لم يقترح عمليَّة أو طاقة فيزيائيَّة، بل افترض أنظمة مُعقَّدة مُتشابهة سوف يتزامن الرّنين فيها، وهذا يتناسب مع شدَّة تعقيد الأنظمة ويتناقض مع الفُرُوقات بينها باستقلال عن الزّمان والمكان. ومادامت هذه الفَرَضيَّة ليست مُقتصرة على الأنظمة الحيَّة فيجب أنْ تكون قابلة للاختبار تجريبياً. ومع ذلك؛ ففي غياب التّوكيد تبقى فَرَضيَّة شبه فيزيائيَّة[165]. وهي لا تُفسِّر جميع ظواهر ساي أيضاً، وتقتصر على التَّخاطُر فقط.

واقترح شيشكن مجالاً أثيرياً افتراضياً، وافترض أنَّ المعلومات تنتقل عبره بواسطة تردُّدات مُعيَّنة. ولكنَّ هذا الفرض غير قابل للاختبار. لا سيما وأنَّ فَرَضيَّة الأثير الطّبيعي الحامل للموجات الضّوئيَّة تمَّ تفنيده فيزيائياً عن طريقة تجربة ميكلسن ومُورلي المشهورة.

طَرَحَ رُول Roll مفهوم مجال ساي Psi Field الذي يُحيط بكُلِّ الأشياء، وهُو مُشابه للمجالات المغناطيسيَّة والكهرُومغناطيسيَّة. ويفترض رُول أنَّ هذه المجالات يُمكن أنْ تتفاعل مع بعضها ومع المجالات الفيزيائيَّة المُعاكسة، وأنَّها يُمكن أنْ تُستخدم ـ كمصدر ـ ومُستودع لساي[166]. ولذلك؛ فإنَّ ظواهر ساي لا تنطوي ـ وُفق هذه الفَرَضيَّة ـ على مسألة نقل الطّاقة، بل تحدث بسبب تفاعل الأشياء بما فيها الإنسان مع مجال ساي، كما تتفاعل مع المجالات الفيزيائيَّة الأُخرى.

أمَّا هانز بيرجر H. Berger فقد قدَّم فَرَضيَّة نموذجيَّة: افترض ـ لتفسير التَّخاطُر ـ أنَّ بعض الطّاقة الفيزيائيَّة أو الكيميائيَّة التي لها علاقة بعمليَّات التّفكير في الدّماغ تتحوَّل إلى شكل جديد من الطّاقة؛ أطلق عليها الطّاقة النَّفْسيَّة (أو الرُّوحيَّة) Psychic energy، تمتدُّ هذه الطّاقة مسافات كبيرة، فتُؤثّر في أدمغة أُخرى بعيدة، إلاَّ أنَّ هذه الطّاقة غير مُعترف بها في الفيزياء، ولا تُوحي بآليَّة لتفسير الظّواهر الأُخرى؛ مثل الاستشفاف، والإدراك المُسبَق، والتّحريك النَّفْسي.

(164) Eisenbarg H.: op cit, p. 90.

(165) Rush J.: op cit, p. 285.

(166) Eisenbarg H.: op cit, p. 90.

اقترح أدريان دُوبس Adrian Dobbs بأنَّ الدّماغ يبعث - في بعض الأحيان - زخّات من جُسيمات سمّاها السّايترُونات، وهذه الجُسيمات يُمكن أنْ تتفاعل مع النّيُورُونات (الخلايا العصبيَّة) Neurons في دماغ آخر، لتُحدث أفكاراً شبيهة بتلك التي أفرغتها السّايترُونات. لكنَّ هذه الفَرَضيَّة لا تُقدِّم اختباراً تجريبياً جيِّداً، ولا تُقدِّم شيئاً للاستشفاف، والتّحريك النَّفْسي.

واستنبط جي. دي. واسرمان G. D. Wasserman (الرّياضي البريطاني) مجالاً فيزيائيّاً لساي؛ حيثُ رأى أنَّ المجالات الفيزيائيَّة يُمكن استنتاجها - صُوريّاً - من عناصر مُختلفة لصنف من التّعبيرات الرّياضيَّة تُدعى (دالات لاغرانج) Lagrange Functions. وأكَّد أنَّه يستطيع - باختبارات مُناسبة لهذه الدّالات - أنْ يستنبط مجالات فيزيائيَّة تُفسِّر الأنماط التّركيبيَّة والسُّلُوكيَّة في الكائنات الحيَّة، وكذلك ظواهر ساي. وبالرّغم من أنَّه طوّر هذه الفكرة الصُّوريَّة بمُخطَّط تفصيلي، لكنَّه لم يُقدِّم دليلاً على وُجُود هذه المجالات، ولم يقترح أيَّ اختبارات تجريبيَّة لواقعيَّتها وصفاتها.[167]

إنَّ الاعتراض الأخطر على جميع نظريّات الاتّصال هُو أنَّها تُفسِّر التَّخاطُر فقط، وفي بعض الأحيان تُفسِّر درجة محدودة من الإدراك المُسبَق، ومع ذلك؛ فإنَّ الاكتشافات التّجريبيَّة تُشير - وبشكل ساحق - إلى أنَّ جميع أشكال ساي هي مظاهر لمبدأ مركزي واحد، وتلك الأشكال غامضة، ولذلك؛ فأيُّ أسلُوب نظري لا يُحيط بها جميعاً لا يكون مُلائماً.[168]

إذنْ؛ لم تنجح النّظريّات السّابقة في تفسير ظواهر ساي؛ لأنَّه لم يظهر مُتغيِّر واحد مسؤول عن التّأثير في مُعدَّل التّسجيل في اختبارات ساي. إنَّ استقلال ظواهر ساي عن المُؤثّرات الفيزيائيَّة يعود إلى صُعُوبتَيْن: الأُولى، إنَّ ظواهر التَّخاطُر والاستشفاف والتّحريك النَّفْسي ربَّما سيتمُّ تفسيرها بإشعاع لم يُكتشف بعد، أو بوسائل أُخرى لنقل الطّاقة، وبالرّغم من استبعاد هذه القُوَّة أو الإشعاع، فهي ليست مُستحيلة من النّاحية العلميَّة. الصُّعُوبة الثّانية هي أنَّ مفاهيم الإدراك المُسبَق والتّأثير (التّحريك) النَّفْسي المُرتدّ تنتهك مبدءاً فيزيائيّاً مُهماً جداً هُو مبدأ السّببيَّة. وبالرّغم من تلك الصُّعُوبات، فإنَّ هُناك مُبرِّراً تاريخيّاً يبعث على الأمل، لقد افترض العُلماء - قبل قرن من الزّمان - أنَّ الأثير يعمل كوسيط لانتقال الضّوء والإشعاعات الكهرُومغناطيسيَّة الأُخرى، ولذلك؛ فإنَّ سُرعة الضّوء المُشاهدة يجب أنْ تتغيَّر مع سُرعة المُشاهد خلال الأثير، وأوضحت التّجارب الدّقيقة التي صُمِّمت لهذا الغرض أنَّ سُرعة الضّوء مُستقلّة عن حركة المُشاهد تماماً كما تبدو ظواهر ساي

---

(167) Rush J.: op cit, pp. 283-284.

(168) Ibid, p. 286.

مُستقلّة عن المؤثّرات الفيزيائيّة. وسبَّبَ هذا الاكتشاف إرباكاً للفيزيائيّين حتّى مجيء آينشتين الذي افترض أنَّ سُرعة الضّوء ثابتة في الفضاء، واستنتج علاقات المكان - زمان التي تتطلّبها الفَرَضيَّة لكي تكون صحيحة. ويكون - بذلك - قد حلَّ المُشكلة، وتخلَّصت النّظريّة النّسبيَّة من فرض الأثير، وتنبّأت - بنجاح - بنتائج جديدة لا يرقى إليها الشّكُّ أحدثت ثورة في تصوُّرنا للعالم. لذلك؛ ربَّما كان البحث عن الأسباب الفيزيائيَّة لظواهر ساي وَهْميّاً مثل مُحاولات البحث عن اندفاع الأثير، في حين تُشير ساي إلى وُجهة نظر جديدة عن العالم وغريبة كما بدت نظريّة النّسبيَّة لمُعاصري آينشتين. ومع ذلك؛ فإنَّ هذا التّشبيه يجب أنْ لا يتجاوز حُدُوده، فالنّظريَّة النّسبيَّة انبثقت من بين الشّواذّ في داخل بنية الفيزياء، واستُنبطت من نتائج لُوحظت - بصُورة متَّسقة - بين الكيانات الفيزيائيَّة، أمَّا ظواهر ساي؛ فلم يتَّضح أنَّها تتَّفق مع تلك البنية الفيزيائيَّة، ولا تسمح بالقياسات الدّقيقة لحَدِّ الآن.(169)

إذنْ؛ لم تحصل النّظريَّة الإشعاعيَّة على تأييد علمي جيِّد، وذلك للأسباب الآتية:

1 - إنَّ التَّخاطُر والاستشفاف غير محدودَيْن زمانيّاً ومكانيّاً، بمعنى آخر؛ إنَّهما يحدثان بقطع النّظر عن شُرُوط المسافة والزّمن. ولم تُثبت التّجارب أنَّ التَّخاطُر والاستشفاف يحدثان ضمن مسافة مُحدَّدة، بل أثبتت التّجارب أنَّ التَّخاطُر يحدث بين المُرسل والمُتسلِّم في وقت واحد، مهما كانت المسافة بعيدة بينهما، وكذلك الأمر في الاستشفاف. في حين تخضع كُلُّ القوى الفيزيائيَّة المعروفة لشُرُوط الزّمان والمكان، وفي مُقدِّمتها مبدأ التّربيع العكسي، أو التّناقص بازدياد المسافة، كما أنَّ سُرعة حركتها محدودة بسُرعة الضّوء.

2 - إنَّ الطّاقة التي يُنتجها الدّماغ (الفا، بيتا، ثيتا، جاما)، لا تُؤيد النّظريَّة الإشعاعيَّة؛ لأنَّ تلك الطّاقة - وإنْ كانت مُصنَّفة ضمن القوى الفيزيائيَّة الأربع المعروفة - لكنَّها لا يُمكن اعتمادها كحلٍّ لمُشكلة التَّخاطُر، بسبب ضعفها الكبير، إلى حَدٍّ يُمكن فيه إهمالها.

3 - إنَّ افتراض نظريَّة التّأثير النّفقي Tunnel Effect الموجودة في الفيزياء الكمِّيَّة، كبديل عن النّظريَّة الكلاسيكيَّة في انتقال الإشعاع لا يحلُّ المُشكلة في التَّخاطُر ولا في الإدراك المُسبَق. وإنَّ الرُّؤية العلميَّة الصّحيحة تفترض أنَّ أيَّ تفسير علمي يجب أنْ يشمل كُلَّ الظّواهر المعنيَّة، لا جُزءاً منها فحسب. فضلاً عن ذلك؛ فإنَّها غير كافية لتفسير الاستشفاف التي افتُرضت له. فلماذا يتسلَّم

---

(169) Ibid, p. 281-282.

هذا الشّخص بالذّات المعلومات المُنتقلة عبر الحواجز الفيزيائيَّة دُون الآخر، مادامت المسألة يُمكن حصرها بانبعاث جُسيمات من الحَدَث أو من الواقعة؟؟ وهذا يعني أنَّ هذه الفَرَضيَّة لا تُخبرنا عن طبيعة المُتسلِّم، ولا الشُّرُوط الواجب توفُّرها فيه، وهُو العُنصُر الأهمُّ - في رأينا - لكُلِّ نظريَّة تفسيريَّة للظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة، والرُّوحيَّة عُمُوماً.

4 - لو اعتمدنا على التّفاعل السّيكُوفيزيائي في تصوُّر طاقة رُوحيَّة يُنتجها العقل بتوسُّط الدّماغ، تكون هي المسؤولة عن ظواهر ساي، بمعنى آخر؛ إنَّ الإدراك يُمكن أنْ يكون نتيجة تحويل يجري في الدّماغ للطّاقة التي تُنتجها أعصاب الدّماغ من خاصيَّتها الفيزيائيَّة إلى خاصيَّة نَفْسيَّة أو رُوحيَّة، تنتقل - عبر مجالات نَفْسيَّة إلى الآخرين - في الإدراك فوق الحسِّي، فإنَّ هذا التَّصوُّر نَفْسه يصطدم بقانون حفظ الطّاقة؛ لأنَّ هذا التَّصوُّر يُقدِّم التّفاعل السّيكُوفيزيائي، الذي يفترض - بدوره - تحوُّل مُتبادَل للطّاقة من فيزيائيَّة إلى رُوحيَّة، ومن رُوحيَّة إلى فيزيائيَّة. فإنَّ هذا يعني - في نظر العلم (على فَرَض أنَّ الرُّوحي لا فيزيائي) - أنَّ كميَّة من الطّاقة الفيزيائيَّة تتحوَّل إلى العَدَم، أو من المجال الفيزيائي إلى مجال آخر لا فيزيائي، فيحصل فناء تدريجي لها، وتعني - بالمُقابل - تحوُّل طاقة لا فيزيائيَّة (رُوحيَّة) إلى طاقة فيزيائيَّة تدخل المجال الفيزيائي، سواء بسبب التَّخاطُر، أو بسبب التّفاعل الدّاخلي في الشّخص نَفْسه. ففي حالة التَّحوُّل الأوَّل يحصل نقص في طاقة العالم المادِّي، يعني فناء جُزء منها. وفي الحالة الثّانية تُضاف كميَّة من الطّاقة من الخارج إلى العالم المادِّي، وكلتا الحالتَيْن تنتهكان قانون حفظ الطّاقة. ولمَّا كان التَّخاطُر يرتبط بالتَّحوُّلَيْن، من ناحية الإرسال والتّسلُّم، فهُو - إذنْ - ينتهك ذلك القانون.

إنَّ مُجرَّد افتراض نظريَّة التّفاعل السّيكوفيزيائي التي تعني تأثير العقل اللاَّمادِّي على الدّماغ المادِّي ينتهك ذلك القانون. فإنَّ القول بأنَّ إنتاج الحَدَث المادِّي في الدّماغ يتمُّ بوساطة حَدَث عقلي (إرادي)، يعني أنَّ كميَّة إضافيَّة من الطّاقة تدخل إلى العالم المادِّي، وأنَّ القول بإنتاج الحَدَث العقلي عن طريق تيَّار عصبي يعني تلاشي كميَّة مُعيَّنة من الطّاقة خارج العالم الفيزيائي.

ولكنْ؛ قد لا تنتهك النّظريَّة السّيكوفيزيائيَّة، أو النّظريَّة الرُّوحيَّة مبدأ بقاء الطّاقة، إذا كان في كُلِّ وقت تختفي فيه الطّاقة من العالم المادِّي في نُقطة مُعيَّنة منه، كانت هُناك كميَّة مُساوية لها تدخل إليه في نُقطة أُخرى. أيْ إذا كان التّفاعل السّيكُوفيزيائي يُنتج حَدَثاً عقليّاً، فتتلاشى كميَّة من الطّاقة، ومن جهة أُخرى؛ يُنتج العمل العقلي حَدَثاً دماغيّاً، فتدخل كميَّة إضافيَّة من الطّاقة إلى العالم الفيزيائي، فإنَّ هذا يعني وُجُود تعادُل بين الفقدان والإضافة يُحافظ على كميَّة الطّاقة ثابتة في

العالم. وفي التَّخاطُر أيضاً، مادام المُرسل يُفني كمِّيَّة من الطّاقة، ويُولِّد المُتسلِّم كمِّيَّة مُقابلة لها، فهذا يعني أنَّ المُتسلِّم يُعوِّض ما أفناه المُرسل.

وعلى كُلِّ حال؛ إذا أخذنا مُلاحظاتنا في الفُصُول الأُولى حول حركيَّة العلم وتغيُّر مُسلَّماته، يظهر لنا أنَّ مبدأ بقاء الطّاقة مُجرَّد فَرَضيَّة لم يثبت - تجريبيّاً أو عقليّاً - أنّه مبدأ صادق من دُون استثناء، بل هُو شرط يتوافق مع العالم المادِّي إذا نظرنا إليه بوصفه نظاماً معزولاً، ولا يتفاعل - مُطلقاً - مع العالم العقلي. أمَّا نظريَّة التّفاعل السّيكُوفيزيائي؛ فتُشكِّك بالصّحَّة المُطلقة لهذا المبدأ.

إذا فَرَضنا أنَّ الطّاقة الرُّوحيَّة هي شكل من الطّاقة يختلف بالدّرجة - فقط - عن الطّاقة الفيزيائيَّة، فإنَّ ذلك يجعلنا نتحدَّث عن مُستويات مُتفاوتة من الوُجُود يختلف بعضها عن بعض بالدّرجة. فالوُجُود واحد نفهمه في مُستواه المرئي من خلال قوانين الفيزياء المألوفة لدينا، ونفهمه في مُستواه اللاّمرئي وُفق قوانين خاصَّة أيضاً. وبالرّغم من أنّنا نعرف الآن أربعة أنواع من الطّاقة الفاعلة في هذا العالم، فليس هُناك ما يدعو إلى فرض استحالة وُجُود طاقة أُخرى ذات مُستوى أدقّ من مُستويات الطّاقة المعروفة. واستناداً إلى ذلك؛ يتوجَّب علينا أنْ نُعدِّل من نظريَّة التّفاعل السّيكُوفيزيائي، فبدلاً من القول إنَّ الأحداث العصبيَّة في الدّماغ تُولِّد حَدَثاً عقليّاً أو رُوحيّاً، فتُحوِّل الطّاقة من فيزيائيَّة إلى لا فيزيائيَّة (رُوحيَّة)، نقول إنَّ الأحداث العصبيَّة هي مُستوى من مُستويات عمل الدّماغ، وهي مُولِّدة كمَّات مُعيَّنة من الطّاقة التي تأخذ طريقها في التّفاعل الذّرِّي المُتَّصل بالدّماغ إلى أنْ تتحوَّل إلى مُستوى أدقّ من مُستويات إنتاجها الأولي؛ أيْ تتحوَّل إلى طاقة ذات درجة أدقّ من الطّاقة الفيزيائيَّة المعروفة. والاختلاف بين الدّرجتَيْن لا يُعيِّن عالَمَيْن مُنفصلَيْن بشكل مُطلق، بل يُعيِّن اختلافاً كمِّيّاً فقط. ولذلك؛ فبالرّغم من تحوُّلات الطّاقة عبر مُستويات ودرجات مُختلفة، تبقى كمِّيَّة الطّاقة الكونيَّة بمُختلف درجاتها ثابتة.

إنَّ هذه الرُّؤية مُجرَّد مُحاولة للخُرُوج من مأزق التّناقضات، الذي غالباً ما نجد أنْفُسنا فيه كُلَّما حاولنا طرح تصوُّر علمي دقيق للباراسيكُولُوجي. لأنَّ الاختلاف الكمِّي بين شيئَيْن لا يُؤشِّر تناقض فرض وُجُودهما معاً. فإذا فَرَضنا أنَّ الطّاقة الجديدة لا تتناقض مع القوى الفيزيائيَّة المعروفة، وإنَّما تختلف عنها بالدّرجة فقط. ومن المنظور المنطقي، فإنَّ الاختلاف الكمِّي بين شيئَيْن، يجعل من المُمكن لأحدهما أنْ يتحوَّل إلى الآخر، إذْ هُما مُتداخلان. ولذلك؛ فإنَّ الطّاقة العقليَّة أو الرُّوحيَّة مُتداخلة مع القوى الفيزيائيَّة الأُخرى، لأنَّها درجة أرقى منها، بل هي نتاج مُتطوِّر لها. ولذلك؛ فالاتِّصال والتّفاعل بينهما أمر طبيعي.

إنَّ استقلال ظواهر ساي الإدراكيَّة عن الشُّرُوط الزّمنيَّة والمكانيَّة وقياساتها المألوفة يُؤشِّر احتمال كون جُزيئاتها تسير بسُرعة أكبر من سُرعة الضّوء؛ بحيثُ أنَّ فرق السُّرعة هذا يُمكن أنْ يُفسِّر لنا عجز وسائل القياس الحاليَّة عن قياس زمن الإرسال والتّسلُّم في التَّخاطُر والاستشفاف. فالمسافات المحدودة تتحوَّل ـ قياساً إلى هذه السُّرعة ـ إلى أرقام سالبة في نظر إنسان يمتطي شعاعاً من هذه الجُسيمات التي تسير أسرع من الضّوء ـ إذا تجاوزنا حُدُود النّظريَّة النّسبيَّة الخاصَّة ـ فإذا كانت دقَّة قياساتنا مُحدَّدة بسُرعة مُعيَّنة، واستخدمناها في قياس سُرعة الانتقال التَّخاطُري بواسطة تلك الجُسيمات، فإنَّها سوف تُسجِّل وُصُول الإشارات إلى المُتسلِّم، في الوقت ذاته الذي انطلقت فيه من المُرسل (إذا فَرَضنا وُجُود مثلها معه). ذلك إذا فَرَضنا أنَّ المسافة محدودة بالكيلومترات؛ أيْ ضمن الحُدُود التي يكون فيها بُعْد المسافة ـ قياساً إلى هذه السُّرعة الكبيرة ـ عاملاً مُهمَلاً بالنّسبة إلى تلك الجُسيمات.

أمَّا إذا كانت المسافة تُقدَّر بالسّنين الضّوئيَّة، فإنَّ الأمر مُختلف، فسوف يحصل توازن مُعيَّن بين المسافة والسُّرعة، يكون فيه بُعْد المسافة عاملاً إيجابيّاً؛ أيْ يجب حسابه؛ ذلك لأنَّ العلاقة بين المسافة والزّمن طَرْديَّة، وسوف تخضع الجُسيمات لمبدأ التّربيع العكسي، الذي يُمكن حسابه إذا فَرَضنا المسافة بالسّنين الضّوئيَّة. ولذلك؛ فإنَّ عدم تقيُّد قُوَّة ساي بمبدأ التّربيع العكسي ليس أمراً مُطلقاً، بل هُو أمر نسبي مُرتبط بالمسافة المقطوعة.

إنَّ نظريَّتنا السّابقة تأمُّليَّة محضة، فوُجُود جُسيمات تسير بسُرعة أكبر من سُرعة الضّوء أمر غير ثابت في الفيزياء دُون الذّرّيَّة، ولا يُجيزه أغلب العُلماء. وحتَّى فَرَضيَّة التّايكوانات Taychyons التي زعم بعض الفيزيائيِّيْن أنَّها مسؤولة عن قُدرات ساي، يرى بعضهم أنَّ هذه الجُسيمات غير موجودة في الفيزياء. وعلى فَرَض وُجُودها، فإنَّ سُرعتها ـ التي يُفترض أنَّها أكبر من سُرعة الضّوء ـ تتناقض ـ منطقيّاً ـ مع النّتائج المُثبتة جيِّداً للنّظريَّة النّسبيَّة الخاصَّة.[170]

النّظريّات الباراسيكُوفيزيائيَّة:

يُشير هذا الموضوع إلى مجالات التّفاعل الافتراضيَّة بين المُستوى الباراسيكُولُوجي والمُستوى البارافيزيائي، والقائمة على التّشابه بين ساي البارافيزياء وساي الباراسيكُولُوجي، ذلك التّشابه

(170) Gardner M.: Parapsychology and Quantum Mechanics In ((Kurtz & Paul)) (Ed) A skeptics of parapsychology, U. S. A, 1985, p. 586.

الذي يتَّضح في المُستوى الطّاقوي الدّقيق للعالم. وهي تنطوي على نظريَّة في التّفاعل الثُّنائي العقلي - الجسمي على مُستوى أدقّ من المُستوى الفسيُولُوجي قد تُسوِّغ وُجُود بُعْد بارافسيُولُوجي.

إنَّ التّفاعلات الميكانيكيَّة الكميَّة لحُقُول ساي الفيزيائي Physicists Psi التي تشغل وظيفة مُهمَّة في نظريَّة القياس يشوبها غُمُوض وتجريد في التّفسير، وهي - في هذا الأمر - تُشبه ساي الباراسيكُولُوجي Parapsychologists Psi، المقصود بساي الفيزيائي هُو تأثير المُلاحظ على وسيلة القياس أو الموضوع المُقاس، وساي الباراسيكُولُوجي هي القُوَّة الباراسيكُولُوجيَّة المُؤثِّرة والمُصنَّفة مُسبقاً في هذا الكتاب. والتّشابه المقصود هُو بين تأثير المُلاحظ على نظريَّة القياس ونتائجه وبين تأثير القوى الباراسيكُولُوجيَّة على الأشياء الخارجيَّة.

وتلك التّفاعلات الكميَّة لساي الفيزيائي أو الباراسيكُولُوجي ليست ماديَّة تماماً، وهي موصوفة - في الوقت الرّاهن - بمُعادلات أساسيَّة ومُهمَّة في ميكانيكا الكمّ، وهذه المُعادلات لا تصف حركة الكتل، بل تُنظِّم سُلُوك حُقُول مُجرَّدة جداً، وهي - على كُلّ حال - ليست حُقُولاً ماديَّة، وغالباً ما تكون غامضة كالجَذْر التّربيعي للاحتمال.[171]

وانبثقت من تلك الدّراسات أيضاً فكرة أنَّه لا يُمكن أنْ يكون هُناك ارتباط سببي بين حَدَثَيْن في نقاط مُختلفة من المكان، إذا كان الحَدَثان مُستقلَّين عن المسافة التي يُمكن أنْ يقطعها الضّوء ضمن الزّمن المُستغرق بين الحَدَثَيْن. وهذا يعني يجب أنْ تُوجد سببيَّة من نوع آخر. وهذا هُو معنى السّببيَّة في الفيزياء الحديثة، فهي ليس لها حَدٌّ حقيقي لما يحدث فعلاً في العالم، فإذا افترضنا صحَّة ذلك المبدأ فسوف لا تكون لدينا حُدُود فعليَّة في دراستنا للإدراك فوق الحسِّي وحوادث خارقة أُخرى. فالتّقييدات التي تفرضها السّببيَّة تتضمَّن أنْ تكون في مُتناول مُلاحظتنا بالتّقنيَّات المُتاحة حاليًّا. وأنَّ مبدأ السّببيَّة كما هُو معروف الآن من لدُن رجل الفيزياء - عديم الأهميَّة - تقريباً - بالنّسبة للأحداث الخارقة.[172]

وفي هذا الإطار نتجاوز مُستوى الفيزياء الاعتياديَّة، ونتعامل مع أُسُس البناء الدّقيقة للعالم. والموضوع هُو دقائق الطّاقة، وليس المادَّة. إذْ إنَّ المادَّة مُجرَّد تركيب رياضي لتلك الدّقائق، ولذلك؛ يُمكن تحوُّل أحدهما إلى الآخر. ولكنَّ تحوُّل المادَّة إلى طاقة يُعَدُّ في دائرة الإمكان العلمي

---

(171) Margenau H.: op cit, p. 126.

(172) Ibid, p. 126.

النّظري، ولذلك؛ فإنَّ مُعادلة آينشتين ذات شقَّين: الأوَّل منهما يُعبِّر عن دائرة الإمكان العملي $E=m \times C2$، والشّقّ الثّاني يُعبِّر عن دائرة الإمكان النّظري وهُو $m = E/c^2$.

ويُمكن أنْ ينعكس ذلك التَّصوُّر على العلاقة بين العقل والجسم، فيكون العقل انبثاقاً عن ارتقاء جوهري، وليس حاصل انبثاق لتركيب مادِّي في الجسم. فإذا كان الجسم يرتقي وفقاً لحركة ميكانيكيَّة ظاهرة فإنَّ العقل يرتقي وفقاً لحركة جوهريَّة غير مُباشرة[173]. ولذلك؛ لا يُمكن ردُّ العقل إلى ارتقاء جسمي فحسب، بل إلى ارتقاء ثُنائي (إذْ لا يستقيم الارتقاء الجسمي والعصبي ويتكامل من دُون ردِّ فعل مُتبادَل ومُتسلسل مع البناء النَّفْسي والعقلي). كما أنَّ التّفاعل مع البيئة الخارجيَّة لا يستقيم من دُون انسجام وتناغم بين التّركيب العصبي والبناء النَّفْسي والعقلي.

وفي ذلك الإطار الفيزيائي الدّقيق افترض مُوريس ديراك أنَّه بالإضافة إلى مُستوى الطّاقة الإيجابيَّة فإنَّ الفضاء مملوء ببحر لا قرار له من الإلكترُونات ذات الكتلة السّالبة، والتي هي خارج حُدُود تصوُّر الإنسان. فإذا دفعنا الجُسيم ذي الكتلة السّالبة إلى أمام فإنَّه سيندفع إلى الوراء، وإذا ما نفخنا عليه يندفع إلى داخل رئتَيْنا بدلاً من أنْ يبتعد عنَّا. ولأنَّ المكان ملاء فلا يحصل تفاعل بين هذه الجُسيمات السّالبة. ولكنْ؛ عندما تصطدم أشعَّة كونيَّة عالية الطّاقة بأحد هذه الإلكترُونات الشّبحيَّة، وتنقل إليها جُزءاً من طاقتها، فسوف ينتج عن ذلك خُرُوج الإلكترون الشّبحي من البحر، ليتحوَّل إلى إلكترُون اعتيادي ذي كتلة وطاقة مُوجبتَيْن. ولكنْ؛ سوف تكون هُناك فجوة في البحر الذي كان فيه الإلكترُون. وتنبَّأ ديراك سنة 1931 أنَّ الفجوة في المُحيط الكوني هُو جُسيم من نوع جديد سمَّاه الجُسيم المُضادّ. وبعد عام من ذلك؛ اكتشف كارل دي أندرسُون هذا الجُسيم عندما كان يدرس مسار الإلكترُونات للأشعَّة الكونيَّة في المُختبر، فاكتشف أنَّ الإلكترُونات عندما تخترق حقلاً مغناطيسيّاً جاسئاً يرتدُّ بعضها في اتِّجاه مُعاكس للاتِّجاه الذي تتبعه الإلكترُونات الاعتياديَّة ذات الشّحنة السّالبة، وافترض أندرسون أنَّ هذه الإلكترُونات ذات شحنة مُوجبة أطلق عليها اسم «البُوزيترُونات»[174].

---

(173) الجدير بالذِّكر أنَّ الفيلسوف الإسلامي الشّهير صدر الدِّين الشّيرازي كان قد قدَّم تصوُّراً جديداً على المُستوى الفلسفي، أطلق عليه ((الحركة الجوهريَّة))، يُفسِّر الاختلاف بين النَّفْس والجسم على أنَّه اختلاف درجة، إذْ تظهر النَّفْس كنتاج لارتقاء الحركة الجوهريَّة للجسم أو المادَّة. انظر: آل ياسين، الدُّكتُور جعفر، الفيلسوف الشّيرازي، ص130 ـ 137.

(174) كُوستلر، آرثر. جُذُور المُصادفة، ترجمة فوزيَّة ناجي، مُراجعة . د. قُدامة الملاَّح، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، بلا تاريخ، ص5.

ووضع فاينمان مُخطَّطاً آخر لا يقلُّ صعُوبة، فالجُسيمات - وفقاً لذلك المخطَّط - يُمكن أنْ تتحرَّك إلى الأمام أو الوراء، أمَّا البُوزيترُون الذي يتَّجه نحو المُستقبل مثلنا؛ فإنَّه ينتهج سُلُوكاً مُطابقاً لإلكترُون يرحل إلى الماضي، وهذه الانقلابات الزّمنيَّة قصيرة الأمد؛ لأنَّ الجُسيمات المُضادَّة في عالمنا قصيرة العُمر.[175]

والمثال الآخر تُبرزه الرُّسُوم البيانيَّة للإلكترُوديناميكا الكميَّة لـ (فاينمان) التي تظهر فيها النّتيجة قبل السّبب. بافتراض أنَّ النُّواة تنفجر قبل أنْ تصل إليها القذيفة (الفُوتُونيَّة). والتّفسير الصّحيح لتلك الرُّسُوم هُو أنَّها لا تُظهر ارتباطاً سببيّاً في تلك الحالات، لأنَّ الانفجار يحدث للنُّواة باحتماليَّة مُحدَّدة (صغيرة جداً) وبشكل تلقائي قبل وُصُول القذيفة (الفُوتُون)، والتّابع السّببي هُنا زائف؛ لأنَّ آخر بُوزترُون مُنبثق (من الانفجار) يتصادم مع الإلكترُون المارّ قُرب النُّواة في فعل إلغاء مُتبادل Mutual Annihilation. وهذه الفَرَضيَّة تجعل الزّمن مُتعدِّد الأبعاد، وتُجيز الانتقال المُرتدَّ (التّراجعي) للزّمن، وتجعل الفواصل الإيجابيَّة في بُعْد واحد من الزّمن، تُصبح سلبيَّة (النّتيجة قبل السّبب) في بُعْد آخر، وهذا يصلح كإجراء نظري للإدراك المُسبَق (التّنبُّؤ).[176]

واستناداً إلى مُخطَّطات فاينمان تلك، افترض أدرين دوبس بُعْداً ثانياً للزّمن، لتفسير التّخاطُر والإدراك المُسبَق (التّنبُّؤ)، واستفاد - أيضاً - من أبحاث السّير جُون أكلس (عالم الفسيُولُوجيا العصبيَّة) عن تأثير الإرادة على العمليَّات الدّماغيَّة، إذْ ذهب أكلس إلى أنَّ المعلومات - من النّاحية الفسيُولُوجيَّة - تتواجد على شكل نُقط مُتوزِّعة انفرادياً على العُصبيات الفرديَّة الهائلة في لحاء المُخّ، وإذا نظرنا إليها وهي مُجزَّأة فلن تُعطي معنىً مُحدَّداً. ولذلك؛ افترض أكلس مفهوم الذّهن ذاتي الوعي Self- Conscious mind الذي يقوم بتوحيد المعلومات المُتناثرة في اللّحاء، ليكُوِّن منها بنية معلوماتيَّة ذات معنى. أمَّا العمليَّات العصبيَّة بذاتها؛ فلا تُقدِّم وحدة مُتكاملة من المعلومات؛ بل أشتاتاً مُتفرِّقة غير ذات معنى. في حين أنَّ وحدة العالم الفيزيائي المُوعى بها تُعزى إلى عمل عقلي قصدي، وهُو ما يُنتجه الذّهن ذاتي الواعي بسبب سيطرته على الطّواقم العصبيَّة المُنتشرة في لحاء المُخّ.[177]

---

(175) Margenau H.: op cit, p. 124.

(176) Ibid, p. 128.

انظر أيضاً:

Nash C.: Physical and metaphysical parapsychology, In. Journal of parapsychology, No. 27, 1963, p. 286.

(177) Rao K.R.: Theories of Psi, In)) : Krippner S.)) (Ed), Advances in parapsychology Research, New York, 1978, pp. 252-254.

ولَمّا كان الذّهن ذاتي الوعي (وهُو مرادف لمفهوم الإرادة) يستطيع التّأثير على الطّواقم العصبيّة للدّماغ، فإنَّ هذا دفع أكلس إلى الافتراض بأنَّ الإدراك فوق الحسِّي وتحريك الأشياء عن بُعْد يتضمَّن حركة مُرُور بطريقَيْن، بين العقل والمادَّة، وحركة مُرُور مُباشر بين عقل وآخر. ويعتقد أكلس أنَّ ظواهر الإدراك فوق الحسِّي والتّحريك النَّفْسي هي مظاهر ضعيفة وغير اعتياديَّة للمبدأ نَفْسه الذي يُتيح لإرادة الشّخص التّأثير على دماغه المادِّي، ويُتيح للآخر أنْ يُفرز الخبرات الواعية.

واستناداً إلى ذلك؛ اقترح دويس أنَّ حامل هذه التّأثيرات في حركتها المُرُوريَّة بين العقل والمادَّة، أو بين عقل وآخر هُو «البُوزيترُون»، الذي يستطيع إثارة ردِّ فعل مُتسلسل من الأحداث العصبيَّة عند ارتباطه بالأعصاب ذات التّوازن الحرج في الدّماغ.[178]

الباراسيكُولُوجي وفيزياء الكمّ:

يرى مُعظم فلاسفة العلم أنَّ ميكانيكا الكمّ تنتهك ـ بشكل واضح ـ انطباعات فَهْمنا العامّ للعالم، ويستحيل تفسيرها ـ بصُورة واضحة ـ إلاَّ بأساليب رياضيَّة، ولكنْ؛ يُمكن وصف بعض مضامينها.

عندما نصل إلى وصف كامل لجُزيئات النّظام وحركاتها في الميكانيكا الكلاسيكيَّة نستطيع أنْ نُحدِّد ـ بالضّبط ـ بناء على حالتها الأساسيَّة ساي صفر (Psi-0) ما سوف تكون عليه المرحلة الأخيرة، ساي واحد (Psi- 1)، فإذا سخَّنَّا السّائل، نستطيع التّنبُّؤ بأنّه سيتغيَّر إلى شرط الغليان الذي نعرف عنه كُلَّ عناصر ومقاييس الحالة كما هي موصوفة في الفيزياء والمُختبرات العلميَّة. أمَّا في ميكانيكا الكمّ؛ فالأمر مُختلف تماماً. إنَّ الحالة الأساسيَّة ساي صفر (Psi- 0) تُنتج دائماً المجموع الكُلِّي للحالات المُمكنة Psi- 1, Psi- 2, Psi- 3, ..Psi- N، وأنَّ مجموع هذه الحالات يُدعى مُتَّجهة حالة ساي Vector Psi state، ولا تعرض تلك الحالات علاقات سببيَّة، إنَّما هُناك دلالات عمليَّة بأنَّ مجموع حالات ساي أعطت مكاناً لساي فردي. ويتحدَّث عُلماء الفيزياء اليوم عن انهيار مُتَّجهة نظام ساي، وأنَّ عمليَّة المُلاحظة (القياس) هي التي تُسبِّب هذا الانهيار[179]. وهكذا؛ فإنَّ الإلكترُونات والبرُوتُونات والجُسيمات الذّرِّيَّة الأُخرى لا تسلك وفقاً للقوانين السّببيَّة الدّقيقة التي تنطبق على العمليَّات الفيزيائيَّة المألوفة، ويُمكن التّنبُّؤ بسُلُوكها ـ بصُورة مُنفردة ـ ضمن مدى

---

(178) كُوستلر، آرثر، مصدر سابق، ص7.

(179) Chauvin .R.: Parapsychology, *when the Irrational Rejoins Science*, Mcfarland, Co., Inc, U. S. A, PP. 126-127.

محدود من الإمكانات فقط. ولكنَّ التَّنبُّؤ بسُلُوك أعداد كبيرة من هذه الجُسيمات يتمُّ بطُرُق إحصائيَّة. ولذلك؛ تُثبت نظريَّة الكمِّ أنَّ نظام السّبب والنّتيجة هُو - في الحقيقة - نظام إحصائي ينبثق من السُّلُوك غير المُتوقَّع، بصُورة مُنفردة، لعدد هائل من الذّرَّات. وتُبرهن - أيضاً - على أنَّ الدِّقَّة النّهائيَّة للقياسات الفيزيائيَّة مُحدَّدة، فقياس الحَدَث يُؤثِّر على حالته الفيزيائيَّة.[180]

ويُشير وُوكر Walker إلى أنَّ هُناك ثلاث خواصّ تجعل نتائج ميكانيكا الكمِّ مُنسجمة مع مُعطيات الباراسيكُولُوجي هي:

1 - أنَّ أحداث ميكانيكا الكمِّ لم تكن في موقع مُحدَّد، وهذا ينسجم مع النّتائج الغريبة التي اكتُشفت في تجارب ساي عندما كانت المسافات المكانيَّة المُختلفة مُشابهة لتلك التي في ميكانيكا الكمِّ.

2 - والخاصيَّة الثّانية أنَّه مادامت الصّياغات الفيزيائيَّة تُعامل الزّمن كالمكان بالمقياس ذاته، فالأحداث أيضاً تكون في زمن نسبي، وهذا ينسجم مع مُعطيات تجارب الاستشفاف والإدراك المُسبق.

3 - إنَّ تنبُّؤات ميكانيكا الكمِّ إحصائيَّة، وهذا ينسجم - بدوره - مع حقيقة كون تنبُّؤات الباراسيكُولُوجي فعَّالة وُفق مُعطيات مُتوسّطة (أيْ مُعدَّل البيانات) وليس وفقاً لأحداث دقيقة. وفضلاً عن ذلك؛ فإنَّ ميكانيكا الكمِّ لا تتعامل مع نقل الطّاقة، بل مع أحداث مُترابطة ومُتفاعلة، وبالمثل؛ فإنَّ مُعطيات الباراسيكُولُوجي تتعامل مع أحداث مُترابطة، ولا تنقل طاقة بين الشّخص والهدف.[181]

إضافة إلى ذلك؛ فإنَّ نظريَّة الكمِّ تُبقي الباب مفتوحاً لإمكانيَّة احتواء ظواهر ساي؛ لأنَّها تنطوي على تناقُضات لم يتمّ حَلُّها إلى الآن.[182]

اهتمَّ وُوكر بالتّأثير الكبير لنظريّات الفيزياء؛ لأنَّها كانت مُتطوِّرة بتفصيل رياضي كبير، ولأنَّها نموذجيَّة في جعل العديد من التَّنبُّؤات الكمِّيَّة قابلة للاختبار. تأمَّل الإلكترُون داخل الذّرَّة، فهُو يمتلك احتماليَّة معروفة عن وُجُوده في أحد مداراته المُمكنة. وطبقاً إلى تفسير كُوبنهاجن (المقبول - بشكل عام - من لدُن عُلماء الفيزياء) فإنَّ الإلكترُون قبل أنْ يكون ملحوظاً (مُقاساً) لا يُوجد في

(180) Rush .J.: Physical and quasi- Physical theories of psi, In: ((Rush, Morris & Edge)) (Ed) Foundations of parapsychology, pp. 280-281.

(181) Schmeidler .R.: pk Research: Findings and theories, In: ((Krippner. S) ((Ed) Advances in parapsychological Research. Part. 3., U. S. A. 1982, pp. 133-134.

(182) Ruch .J.: op cit, p. 281.

واحد من تلك المدارات، وقبل المُلاحظة يجب وصفه عن طريق مُتَّجهة حالته Its state Veetor وهي مجموع حالاته المُمكنة مع احتمالاته. وعندما يكون ملحوظاً (مُقاساً)، يكون هُناك تحديد للمدار (انهيار مُتَّجهة الحالة). وهذا يصدق عليه؛ سواء بوصفه حقيقة مُلاحظاتيَّة (اختباريَّة)، أو بوصفه حقيقة فيزيائيَّة. وبالرّغم من أنَّ المُلاحظة لا تُغيِّر الطّاقة الكُلّيَّة، فهي تُغيِّر توزيع الطّاقة، وتتفاعل مع الموضوع المُلاحظ، وتُؤدِّي إلى اختيار حَدَث واحد من الحالات المُمكنة.[183]

لقد شكَّكت نظريَّة الكمِّ بصلاحيَّة مبدءَيْ الاتِّساق والسّببيَّة، وأدخلت تقييدات خاصَّة على مُلاحظة الأنظمة الفيزيائيَّة.

يقول جيمس جينز: «... إنَّ ذريَّة الإشعاع تُحطِّم مبدأ اتِّساق الطّبيعة، وأنَّ ظواهر الطّبيعة لم تعد محكومة بقانون سببي، أو على الأقلِّ، إنْ كانت محكومة بقانون سببي، فإنَّ الأسباب تقع وراء سلسلة الظّواهر كما نعرفها. فإنْ كُنّا نتمسَّك برغبتنا في تصوير أحداث الطّبيعة على أنَّها محكومة بقوانين سببيَّة، فعلينا أنْ نفترض وُجُود طبقة سُفليَّة تقع من وراء الظّواهر، وعلى هذا؛ فهي بعيدة عن مُتناولنا، وفي هذه الطّبقة تتقرَّر الأحداث في عالم الطّبيعة بكيفيَّة ما».[184]

ويقول فيليب فرانك أستاذ الفيزياء النّظريَّة في جامعة براغ: «إنَّ السُّؤال عمَّا إذا كان قانون السّببيَّة لا يزال باقياً في الفيزياء الذّرّيَّة بالقرن العشرين هُو سُؤال لا يُمكن الإجابة عنه ببساطة بكلمة نعم أو لا. فهُناك تغيُّر تدريجي - فالحتميَّة لنيُوتُن ولابلاس القائمة على تعريف الحالة التي يُمكن فيها الإبقاء على الموضع والسُّرعة ضمن حُدُود ضيِّقة، يجب أنْ تَحلَّ محلَّها نظريَّة التّتاميَّة لبُوهر؛ حيثُ ينطوي (اللاّيقين) أو تشتُّت الموضع على حُدُود مُعيَّنة للزّخم».[185]

وهذا الكلام ينسجم مع تفسير كُوبنهاجن بزعامة بُور وهايزنبرك، الذي يستبعد السّببيَّة والاتِّساق. لكنَّ آينشتين لم يُوافق على هذا التّفسير، وأصرَّ على أنَّه يجب أنْ يكون هُناك وصف كامل للنّظام الفيزيائي، يقول آينشتين: «لا يُمكنني أنْ آخذ بالنّظريَّة الإحصائيَّة بصُورة جدِّيَّة؛ لأنَّها تتعارض مع المهمَّة الأساسيَّة للفيزياء؛ أيْ وصف الواقع في الزّمان والمكان... وإنِّي مُقتنع - تمام الاقتناع - بأنَّنا سننتهي بنظريَّة تكون الرّوابط والعلاقات فيها حقائق لا احتمالات».[186] واقترح

---

(183) Schmeidler. R.: op cit, p. 134.

(184) جينز، جيمس، الفلسفة والفيزياء، ترجمة: جعفر رجب، القاهرة، 1981، ص192.

(185) فرانك، فيليب، فلسفة العلم، ترجمة: علي علي ناصف، بيروت، ط1، 1983، ص419.

(186) عن الدُكتُور مُحمَّد عبد اللّطيف مطلب، الخلاف بين آينشتين ومدرسة كُوبناهجن، آفاق عربيَّة، بغداد، حُزيران، 1977، ص95.

عام 1935، تجربة فكريَّة مُستندة إلى رياضيَّات فيزياء الكمِّ، سُمِّيت بـ مُفارقة EPR (آينشتين، بُودُولسكي، رُوزين).

تفترض تلك التّجربة أنَّه لو كانت هُناك جُزيئة من ذرَّتيْن مجموع برمهما صفر، وحلَّلنا الجُزيئة، وانطلقت كُلٌّ ذرَّة باتِّجاه مُعاكس للأُخرى في أقصى الكون، فإنَّنا نستطيع - إذا قسنا إحداهما، وعرفنا أنَّ زخمها الزّاوي (البرم) هُو $-\frac{1}{2}$ - أنْ نستنتج بأنَّ زخم الثّانية هُو $+\frac{1}{2}$ حتَّى لو كانت في أقصى الكون، من دُون حاجة إلى قياسها[187]. وبتعبير آخر؛ إنَّ جُسيمَيْن يشتركان في الشّرط الذي يُعرف باسم حالة التّآحُد (كأنْ يكونا نصفَيْن من جُسيم أكبر) يحتفظ أحدهما بعلاقة خاصَّة مع الآخر حتَّى بعد انفصالهما ومضيهما كُلٌّ في طريقه الخاصِّ.

« فحين ينشطر الجُسيم الأكبر الأصلي، ويقذف جُسيمَيْه المُكوِّنَيْن في اتِّجاهَيْن مُتعاكسَيْن، فإنَّ موقعَيْ هذَيْن الجُسيمَيْن وسُرعتَيْهما تبقى مُتعالقة، مع أنَّ أحدهما يتَّجه إلى نيُويُورك، مثلاً، والآخر إلى باريس. ولذا؛ فإنَّ معرفة موقع أحدهما تُتيح لنا معرفة موقع الآخر، الأمر الذي يصحُّ - أيضاً - على سُرعتَيْهما »[188]. أمَّا تفسير كُوبنهاجن؛ فيذهب إلى أنَّ قياس موقع أحدهما يجعل من المُستحيل قياس سُرعته أيضاً. وهذا هُو التّقييد الذي جاء به هايزنبرك. وذهب آينشتين وزُملاؤه (EPR) إلى إمكانيَّة قياس موقع أحد الجُسيمَيْن وسُرعة الآخر، واعتماداً على هذا القياس وتعالُق موقعَيْ الجُسيمَيْن وسُرعتَيْهما نستطيع أنْ نصل إلى معرفة كاملة بهما. لكنَّ بُور لم يُوافق على تفسير EPR ؛ حيثُ يرى أنَّهم فصلوا فصلاً مُصطنعاً قياس كلا الجُسيمَيْن. ذلك أنَّ إجراء قياس على واحد منهما لابُدَّ أنْ « يُزيل وُضُوح الإطار المرجعي » للآخر على نحو فعَّال ومُؤثِّر. وما ينطوي عليه ردُّ بُور هُو أنَّ استقلال الجُسيمَيْن لم يزدد بعد مُغادرتهما حالة التّوحُّد قياساً بما كان عليه قبل ذلك... ويلزم من ذلك أنَّه من غير المُمكن مُعاملة الجُسيمَيْن كشيئَيْن مُنفصلَيْن، على الرّغم من أنَّهما يشغلان موضعَيْن مُختلفَيْن في المكان، وقد يكونان بعيدين كثيراً واحدهما عن الآخر.[189]

---

(187) الجابري، صلاح: التّحليل الفلسفي للعُلُوم الجديدة - دراسة تحليليَّة نقديَّة للاعتراضات العلميَّة والفلسفيَّة ضدَّ الباراسيكُولُوجي - بحث أُلقي في النّدوة العلميَّة الثّانية للباراسيكُولُوجي، بغداد، مركز البُحُوث النَّفسيَّة، 1992، ص 8 فما بعدها.

(188) آلان كُومبس، مارك هُولند، التّزامُن، العلم والأُسطُورة والأُلعبان، ترجمة: ثائر ديب، دار مكتبة إيزيس، دمشق، ط1، 200، ص67.

(189) المصدر نفسه، ص67 - 68.

وهذا في الحقيقة جانب نظري في الفيزياء ينسجم مع ظواهر الباراسيكُولُوجي، مثل، التَّخاطُر والطَّرْح الرُّوحي والاستشفاف. بالنّسبة لظاهرة الطَّرْح الرُّوحي أو خبرة الخُرُوج من الجسد يُجيز هذا التَّصورُّ للفيزياء أنْ يكون الشّخص في موضعَيْن مُختلفَيْن في وقت واحد، بالرّغم من أنَّ جسمه الفيزيائي في مكان واحد. مع شُعُوره بالتّرابط والتّناظر بين الكيانَيْن المُنفصلَيْن. وفي ظاهرة الاستشفاف يُسمح للمجال النَّفْسي أنْ ينفصل إلى مجالَيْن مُترابطَيْن مهما بعدت المسافة بينهما، ولذلك؛ يُمكن للمجال النَّفْسي الذي يشغله الجسد الفيزيائي ودماغه أنْ يتلقَّى معلومات مُباشرة عن الموضع الذي يشغله المجال النَّفْسي المُنفصل. ويُمكن أنْ نفترض فَرَضيَّة أُخرى تذهب إلى أنَّ المجال النَّفْسي للشّخص قد يتناظر مع مجال نَفْسي مُشابه في البيئة لشخص آخر (حي أو ميِّت) يرتبط به ارتباطاً مُباشراً، فيحصل على معلومات تخصُّ البيئة التي يشغلها ذلك المجال. وهذا ما يُفسِّر التَّخاطُر.

إنَّ ظاهرة التّكهُّن الرُّوحي (السّيكُومتري) **Psychometry**، هي مظهر من مظاهر الاتّصال بين مجالَيْن مُنفصلَيْن مكانياً، ولكنّهما مُتّصلان بالمعنى الكمومي. ولذلك؛ فإنَّ هذه الظّاهرة التي تعني أنَّ الموهوب يُمسك بأحد مُمتلكات شخص ما (مفقود أو ميِّت) فيُعطي تفصيلات دقيقة عن ذلك الشّخص، لم تكن سوى اتّصال بالمجال النَّفْسي للشّخص المفقود عن طريق التّركيز الذّهني (حالة مُتغيِّرة للوعي). وإنَّ الشّيء الذي يُمسك به الموهوب ما هُو إلاَّ مُناسبة لتفعيل التّركيز الذّهني تمهيداً للاتّصال بالمجال النَّفْسي، ولو أبدلنا ذلك الشّيء بشيء آخر لا يعود للشّخص المفقود، لما كان لذلك أثر على قُدرة الموهوب على إعطاء معلومات عن الشّخص بشرط نجاحه في الاتّصال بالمجال النَّفْسي؛ لأنَّ الأمر لا يتعلّق بالشّيء المادِّي الذي يعود إلى ذلك الشّخص، بقدر ما يتعلّق بالشّفافيَّة التي تتمتّع بها ذات الموهوب القادرة على الامتداد إلى مجالات نَفْسيَّة بعيدة عنه.

إنَّ «الخاصيَّة الكُلِّيَّة في ردّ بُور على مُفارقة **EPR** هي ما ركَّز عليه في عام **1965**، الفيزيائي البريطاني جُون بِل، الذي أعاد صياغة أفكار بُور على نحو قابل للاختبار في المُختبر. فقد اقترح مجموعة من البراهين الرّياضيَّة، اشتهرت باسم تفاوُتات بِل، تُوضح أنَّ جُسيمَيْن كانا مرَّةً في حالة تأحُّد يحتفظان بارتباط فيما بينهما، على الرّغم من اختلاف موقعَيْهما لاحقاً. وتوضيح بِل هذا للتّرابط المُتبادل على الرّغم من المسافة يُوجِّه نقاش بُور الأصلي وُجهة الإلحاح على مكنون كُلِّي يُطلق عليه اسم اللاَّموضعيَّة، ومفاده أنْ لا حاجة بالجُسيمَيْن لأنْ يشتركا في الموضع نَفْسه من المكان، لكي يكونا مُرتبطَيْن فيما بينهما ارتباطاً صميمياً»[(190)].

---

(190) المصدر نفسه، ص68.

يُوضح البُعْد الجديد للفكرة أنَّ الكيانَيْن المُنفصلَيْن لم يفقدا توحُّدهما، بالرّغم من المسافة الفاصلة بينهما. بمعنى آخر؛ إنَّ الطَّرْح الرُّوحي أو انفصال المجال النَّفْسي لا يعني تفكُّك الشّخصيَّة؛ لأنَّ التّوحُّد في بنية واحدة يبقى يحتفظ بهُويَّته الفرديَّة في مُستوى أعلى. وهذه الوحدة يُمكن أنْ يرتبط بها شخصَيْن أو أكثر أو جميع بني البشر، كما تذهب الرُّؤية الصُّوفيَّة. وربَّما يُمكننا أنْ نفترض مجالاً دقيقاً (دُون ميكروي) يقع تحت المجال الفيزيائي الدّقيق نَفْسه، ترتبط به الجُسيمات المُنفصلة، والمجالات النَّفْسيَّة المُنفصلة أيضاً، سواء للشّخص نَفْسه أو لأشخاص مُختلفين. وقد عبَّر بُور عن ما يُشبه هذا البُعْد دُون الميكروي، عندما ذهب إلى أنَّنا نرى الجُسيمَيْن على نحو مُنفصل في مكان ثُلاثي الأبعاد، بينما لا وُجُود - في الواقع - سوى لجُسيم واحد يُوجد في مكان سُداسيّ الأبعاد، فالجُسيمان هُما الجُسيم ذاته (الأصلي) عندما يُنظَر إليهما من هذا المنظور ذي الأبعاد الأرفع. كما افترض وُوكر بُعْداً دُون كمّي تترابط فيه الأحداث الخارقة، كما سوف نتناوله في موضوع قادم.

النّظريَّة الميكانيكيَّة الكمّيَّة للوعي:

إنَّ الوصف الكامل للحالة الابتدائيَّة للنّظام الفيزيائي في الميكانيكا الكلاسيكيَّة تسمح للمرء أنْ يُحدِّد - بالضّبط - الحالة التّالية له. في حين يُمكن أنْ تتطوَّر الحالة الابتدائيَّة المُعطاة في ميكانيكا الكمِّ إلى عدد من الحالات المُمكنة أو الاحتمالات. ويُشار إلى تلك الحالات المُمكنة بـ «مُتَّجهة الحالة». وهكذا؛ بينما يتطوَّر النّظام في الميكانيكا الكلاسيكيَّة بشكل حتمي، يتطوَّر النّظام الفيزيائي في ميكانيكا الكمِّ بشكل احتمالي. وتُوجد هذه الاحتماليَّة قبل تعيين النّظام (الحالة)، ولكنْ؛ بعد التّعيين (القياس) يُصبح النّظام حتمياً.

ولذلك؛ فإنَّ مُتَّجهة حالة النّظام تتطوَّر - بشكل حتمي - في ميكانيكا الكمِّ، استناداً إلى مُعادلة شرويدنجر الشّهيرة في الفيزياء الكمّيَّة:[191]

$$H\Psi = i\hbar \frac{\partial}{\partial t}\Psi \qquad (1)$$

من الواضح أنَّ حالة واحدة فقط من تلك الاحتمالات سوف تقع - بالفعل - فتحقّق النّظام. وذلك استناداً إلى تفسير كُوبنهاجن الذي يُقرِّر أنَّ المُلاحظة تُحقِّق النّظام في حالة من حالاته المُمكنة باحتماليَّة مُعطاة p؛ أيْ أنَّها تُحقِّق ψi من المُتَّجهة ψ. وذلك استناداً إلى:

(191) Oteri .L (Ed): Quantum Physics and parapsychology, proceedings of an international conference, New York, 1974, pp. 3-5.

$$P = \int \psi_i{}^* \psi_i \, dv \qquad (2)$$

إنَّ مطلب أو شرط المُعادلتَيْن السّابقتَيْن هُو أنْ تكون الأُولى حتميَّة ، والثّانية ليست حتميَّة ، وعند إجراء المُلاحظة فقط يحصل ما يُسمَّى بمُشكلة القياس في ميكانيكا الكمّ.

أعطت العديد من بُحُوث الفيزيائيِّين أهميَّة كبير لدالَّة المُلاحظة في نظريَّة الكمّ. إذْ أشارت تلك البُحُوث إلى وظيفة وعي المُلاحظ في ضمان انهيار مُتَّجهة الحالة. وأوضحت بعض تلك البُحُوث أنَّ تفسير كُوبنهاجن لميكانيكا الكمّ يقود - بالضّرورة - إلى صُورة فيزيائيَّة يلعب فيها الوعي دوراً مُهمّاً.

فبعد أنْ كانت السّمة المُميّزة للميكانيكا النّيُوتنيَّة هي الفصل المُطلق بين المادَّة والعقل. وعن طريق رفض الغائيَّة الأرسطيَّة ، استطاع كُلٌّ من غاليلُو ونيُوتُن أنْ يُثبتا اليَّتهما. فكان العقل والمادَّة مملكتَيْن مُستقلَّتَيْن بشكل كامل. أمَّا الميكانيكا الكميَّة الجديدة ؛ فإنَّ نظريَّة المُلاحظة فيها ، وما يُسمَّى مُشكلة القياس ، دفعت العديد من عُلماء الفيزياء المُعاصرين إلى إعادة تقديم فكرة الوعي إلى الفيزياء. فقد اقترح عالم الفيزياء ، والحائز على جائزة نُوبل ، يُوجين وجنر Eugene Wigner (1967)، بأنَّه ربَّما كان الوعي هُو المُتغيِّر الخفي الذي افترضه آينشين عام 1935. واقترح جُون ويلر John Wheeler (عالم فيزياء في جامعة برنستُون)، بأنْ يُستعاض بمُصطلح «المُشارك» Participator ، بدلاً من المُصطلح التّقليدي «مُشاهد» Observer ، إشارة إلى أثر المُلاحظ في وضع الأحداث الفيزيائيَّة الدّقيقة. وقد ألحَّ دافيد بُوهم (1980 David Bohm)، المُتعاون مع آينشتين ، على نظريَّة أُخرى أُدخل فيها الوعي كمبدأ أساسي في الطّبيعة.[192]

من المُلاحظ أنَّ النّظريّات السّابقة ذات طابع تأمُّلي ، لكنَّ النُّقطة الرّئيسيَّة فيها أنَّها تتضمَّن التّشكيك بالفكرة التي تذهب إلى الفصل المُطلق بين الميدان الفيزيائي والميدان العقلي. ورفض الواحديَّة المادّيَّة في الفيزياء.

كان الهدف الرّئيس للعديد من تلك البُحُوث هُو إثبات أنَّ تفسير كُوبنهاجن غير موثوق به ، ولكنْ ؛ اتّضح أنَّ تلك الجُهُود جميعاً ، مع البراهين المُضادَّة التّالية ، قدَّمت قائمة كبيرة من التّقييدات التي يجب رفعها عن طريق تفسير أو توسيع نظريَّة كُوبنهاجن عن القياس. ومن المُلاحظ أنَّ تفسير كُوبنهاجن وكُلّ التّفسيرات البديلة تفترض ثُنائيَّة أساسيَّة.

---

(192) Rush. J, Morris & Edge, (Ed): foundations of parapsychology. P. 310.

فَرَضيَّة المُتغيِّرات الخفيَّة (Hidden Variables):

إحدى الفَرَضيَّات البديلة عن تفسير كُوبنهاجن، فَرَضيَّة المُتغيِّرات الخفيَّة، التي قدَّمها ويجنر[193]. وهذه المُتغيِّرات مُفيدة في إعطاء نظريَّة مُتكاملة تشتمل على مُعادلة واحدة فقط، وتُقدِّم عمليَّات تُحدِّد الحالة التي يتطوَّر فيها النِّظام الفيزيائي. وقد قدَّم الجَدَل الدَّائر حول المُتغيِّرات الخفيَّة قائمة من الخصائص التي يجب أنْ تفي بها تلك المُتغيِّرات، وهذه الخصائص هي[194]:

1 ـ يجب أنْ تكون المُتغيِّرات الخفيَّة، خفيَّة بالفعل، وليس في مُتناول القياس الفيزيائي. وأنَّ قياس هذه الكمَّات مُشابه للقياسات السّيكُولُوجيَّة، إذْ يتضمَّن ارتباطاً بين حالات فيزيائيَّة وحالات عقليَّة مُقرّرة.

2 ـ يجب أنْ تكون المُتغيِّرات الخفيَّة c_i مُستقلَّة زمانيَّاً ومكانيَّاً، بمعنى أنَّها يجب أنْ لا تكون دالات لإحداثيَّات زمانيَّة ومكانيَّة. وهذا الانفصال أو الاستقلال الزّماني والمكاني يُمثَّل له ـ رمزيَّاً ـ بالمُعادلتَيْن التّاليتَيْن:

$$\frac{\partial c_i}{\partial xi} = 0 \qquad (3)$$

$$\frac{\partial c_i}{\partial t} = 0 \qquad (4)$$

حيثُ تُمثِّل المُعادلة رقم (3) الاستقلال المكاني، في حين تُمثِّل المُعادلة (4) الاستقلال الزّماني.

3 ـ يجب أنْ تكون المُتغيِّرات الخفيَّة مُقيَّدة أيضاً، ذلك بأنَّ هُناك حالة واحدة تقع، هي الحالة الملحوظة أو المُقاسة، وهذه الحالة واحدة لدى كُلّ المُلاحظين.

ولذلك؛ فإنَّ هُناك علاقة تقييد تُشير إليها المُعادلة التّالية:

$$G^{(n)}(c_1, c_2, ..., c_n) = 0. \qquad (5)$$

---

(193) E. P. Wegner.: On Hidden Variables and Quantum Mechanical Probabilities, in Am. J. phys. 38, 1005 (1970).

(194) Oteri .L. (Ed): op cit, pp. 5-6.

تُشير هذه المُعادلة إلى أنَّ التّقييد يتوقّف على انتخاب المُتغيِّرات الخفيَّة ci ولا تسمح أنْ تكون الحالة النّهائيَّة الواحدة للنّظام ـ والتي يُخبر عنها المُلاحظ الأوَّل ـ مُختلفة عن تلك التي يُخبر عنها المُلاحظ الآخر عند انهيار مُتَّجهة حالة النّظام نَفْسه.

4 ـ في أيِّ نظريَّة لمُتغيِّر خفي، تحتفظ عمليَّة القياس بتلك الجوانب التي تجعلها عمليَّة فريدة، لا يُمكن وصفها جُزءاً من التّفاعل المُقاس، ومعنى هذا، أنَّ عمليَّة القياس مُتميِّزة عن العمليَّات الفيزيائيَّة الأُخرى، لأنَّها تُبقي فعل المُلاحظ مُستقلاً عن العمليَّات الفيزيائيَّة.

الوعي الكمِّي:

بُنيت نظريَّة الوعي ـ التي طوَّرها وُوكر ـ على مبادئ ميكانيكا الكمِّ. وللنّظريَّة صياغة رياضيَّة هي موضوع للتَّحقُّق التّجريبي. وأثبتت ستَّة تحقيقات ـ للتّنبُّؤات النّظريَّة لها ـ أنَّها مُتَّفقة مع المُعطيات التّجريبيَّة.

والنّظريَّة ـ باختصار ـ تُشبِّه الوعي بعمليَّة ميكانيكيَّة كمِّيَّة تجري في الدّماغ. إنَّ حوادث الانشباكات العصبيَّة المُتنوِّعة مُرتبطة بعمليَّة مُشابهة لعمليَّة التّوصيل المُباغت h opping conduction في الأجسام العُضويَّة. وبالرّغم من أنَّ النّقل (التّوصيل) من خلال الانشباك العصبي يحدث ـ بشكل كبير ـ بوسائل كيميائيَّة، فهُو يتضمَّن انتفاقاً ميكانيكيّاً كمِّيّاً عبر شقِّ الانشباك العصبي Synaptic Celft. وترتيباً على هذه النّظريَّة؛ تُوجد ثلاث عمليَّات في الدّماغ تتضمَّن درجات بيانيَّة، هي: [195]

ـ مُعالجة المعلومات في الدّماغ على مُستوى دُون واعٍ، وتمتلك الدّرجة الآتية:

$$S = 2.4 \times 10^{12} \text{ bits/sec} \qquad (6)$$

يُشير الحرف S في هذه الدّرجة إلى الحرف الأوَّل من الكلمة الإنجليزيَّة المُركَّبة، Subconsiousness وتعني دُون الوعي (أو تحت عتبة الوعي).

ـ الدّرجة التي تكون فيها البيانات أو المعلومات مُنطبعة في الوعي عن طريق العمليَّات الفيزيائيَّة للدّماغ:

$$C = 7.5 \times 10^{8} \text{ bits/Sec} \qquad (7)$$

---

(195) Ibid. p. 6.

ويُشير الحرف C إلى الحرف الأوَّل من الكلمة الإنجليزيَّة Consciousness وتعني الوعي.

ـ الدّرجة التي ينقل فيها انهيار مُتَّجهة الحالة المعلومات إلى فعاليَّة الدّماغ (أو العكس بالعكس):

$$W = 6 \times 10^4 \text{ bits/Sec} \qquad (8)$$

ويُشير الحرف (W) إلى الحرف الأوَّل من الكلمة الإنجليزيَّة Will، وتعني الإرادة.

تُشير الدّرجة الأُولى إلى مُعالجة المعلومات في الدّماغ قبل أنْ تُصبح خبرة واعية، وإنَّما عبارة عن نقاط مُنتشرة في عُصبيات الدّماغ في لحاء المُخّ. أمَّا الدّرجة الثّانية؛ فتُشير إلى تحوُّل العمليَّات الدّماغيَّة، من مُجرَّد كونها نقاطاً فيزيائيَّة وتفريغات كهربائيَّة مُنتشرة في اللّحاء إلى خبرة مُوحَّدة ذات معنى، حاضرة لدى الوعي. وتُمثِّل الدّرجة الثّالثة قُدرة الوعي على اختيار المعلومة المُنتخبة، التي تُمثِّل الواقع الموعى به، ونقل هذه المعلومة إلى فعاليَّة الدّماغ؛ أيْ تحويلها من مُجرَّد عمليَّة عقليَّة واعية إلى عمليَّة دماغيَّة فيزيائيَّة. وهذه تُقابل الدّرجة الثّانية التي تتحوَّل فيها المعلومات من كونها عمليَّات فيزيائيَّة إلى عمليَّات عقليَّة. هذه الدّرجة الثّالثة تُعبِّر عن الفعل الإرادي للوعي.[196]

وتُشير الدّرجات الثّلاث إلى عمليَّة تفاعل ثُنائي. وينحصر هذا التّفاعل أو التّبادل بين النُّقطة الثّانية والثّالثة. في النُّقطة الثّانية تكون العمليَّات الفيزيائيَّة للدّماغ هي سبب انطباع المعلومات في الوعي، بينما يكون الوعي هُو سبب نقل المعلومات إلى فعاليَّة الدّماغ الفيزيائيَّة، في النُّقطة الثّالثة. إذْ إنَّ انهيار مُتَّجهة الحالة يعني تحقُّق الوعي بالنّظام المُنتخب وتحويله إلى فعاليَّة الدّماغ كحالة فريدة مُتحقِّقة وليست مُحتملة، بينما يشتمل النّقل من العمليَّات الدّماغيَّة إلى الوعي، في النُّقطة الثّانية، على مُتَّجهة تتضمَّن عدَّة احتمالات.[197]

يبدو واضحاً أنَّ تلك الدّرجات مبنيَّة على نظريَّة ثُنائيَّة، بل مُنسجمة مع تلك النّظريَّة التي قدَّمها عالم الفسيُولُوجيا العصبيَّة، والحائز على جائزة نُوبل، جُون أكلس John Eccles. فيُمكن أنْ يُقابل تلك الدّرجات السّابقة ما قدَّمه أكلس لوصف التّفاعل الثُّنائي بين العمل العصبي والخبرة الواعية، على التّوالي:[198]

---

(196) Ibid. P. 7.

(197) Ibid. P. 7.

(198) Eccles J.: The Human Psyche, Gifford lectures, University of Edinburgh 1978-1979, London, 1980, PP.27.

ـ يُقابل الدّرجة الأُولى مفهوم الوحدات القياسيَّة (النّماذج)، وعددها أربعة ملايين نموذج، مُوزَّعة على الكفاية الكُلّيَّة للمُخَيخ البشري. وبواسطة هذه الوحدات القياسيَّة، وأربعة أُخرى للعمل القياسي، يستطيع اللّحاء المُخّي أنْ يُولِّد أعداداً لا مُتناهية من الأنماط الزّمانيَّة والمكانيَّة، لتكوِّن أشياء ماديَّة فريدة لكُلٍّ خبرات وذكريات الحياة.

ـ إنَّ عمل الآليَّة العصبيَّة ينتهي إلى خبرة واعية في ما يُسمِّيه أكلس (الذّهن ذاتي الوعي). ولذلك؛ فإنَّ وحدة الخبرة الواعية لم تنتج عن عمل الآليَّة العصبيَّة، بل هي نتاج لذلك الذّهن ذاتي الوعي. ويرى أكلس أنَّه ليست هُناك آليَّة فسيُولُوجيَّة تصف كيفيَّة تحوُّل أحداث الدّماغ المُتنوِّعة والمُنفردة أو المُبعثرة إلى خبرة واعية مُوحَّدة، ذات خاصيَّة كُلّيَّة (جشطالتيَّة).

ـ ويُقابل الدّرجة الثّالثة وصف أكلس لأثر الإرادة. فإذا كانت النُّقطة الثّانية تصف تحوُّل العمل العصبي للدّماغ إلى خبرة واعية، فإنَّ النُّقطة الثّالثة تتمثَّل في وصف أكلس لتأثير الذّهن ذاتي الوعي على وحدات القياس (النّماذج) الدّماغيَّة، فيُعدِّل من أنماطها الزّمانيَّة والمكانيَّة الدّيناميكيَّة. ومن هُنا ينطلق العمل الإرادي في مُقابل التّأثير العصبي. فعندما تُسبِّب الإرادةُ الحركةَ، يُؤثِّر الذّهن ذاتي الوعي على المجال العصبي، بشكل مُستمرٍّ، وعلى نطاق واسع. ونتيجة لهذا التّأثير يحدث تزايد في النّشاط العصبي على تلك المنطقة الواسعة من اللّحاء المُخّي، ومن ثَمَّ عمليَّة تشكيل مُعقَّدة وطويلة تقود إلى التّأثير الفعلي على الخلايا الهَرَميَّة الحركيَّة التي تكون مُلائمة لإحداث الحركة الإراديَّة.[199]

يبدو واضحاً من هذا التّقابل ـ الذي عملناه ـ أنَّه يُوجد تشابه كبير بين النّظريَّة الكمِّيَّة للوعي التي طوَّرها وُوكر، وبين الأساس الفسيُولُوجي للنّظريَّة الثُّنائيَّة الذي طرحه جُون أكلس. بل يُمكن القول ـ بثقة ـ إنَّ نظريَّة وُوكر مبنيَّة على أساس نظريَّة جُون أكلس.

انهيار مُتَّجهة حالة الوعي:

تُنقل الطّاقة ـ في نظريَّة الوعي المذكورة أعلاه ـ عن طريق جُزيئات توالُديَّة يفترض أنَّها مُستقرَّة في نهاية الانشباك العصبي المُنشّط، إذا كانت الجُزيئات موجودة هُناك بمُستوى طاقوي مُناسب. وسواء كان نقل الطّاقة ضروريّاً، من أجل أنْ يُسبِّب الدّفع العصبي الذي يحدث في نهاية الانشباك العصبي، أو كان ليس ضروريّاً، فهُو لا يحدَّد عن طريق الميكانيكا الكمِّيَّة. والذي يُعطى عن طريق

(199) Ibid, P. 84.

ميكانيكا الكمّ هُو الاحتمال فقط. وإنَّ النّظريَّة تُشبِّه الوعي بالمُتغيِّرات الخفيَّة التي تُسبِّب نقل الطّاقة في ميكانيكا الكمّ، وإنَّ الوعي يُسبِّب انهيار مُتَّجهة حالة النّظام بعمليَّة ميكانيكيَّة كميَّة.[200]

ولقد قدَّم آينشين وزُملاؤه نظريَّة تُعارض تفسير كُوبنهاجن للنّظريَّة الكميَّة، وتفترض هذه النّظريَّة - بناء على اعتبارات نظريَّة - انتفاء الحاجة الدّائمة إلى القياس. ويكفي لمعرفة نظام مُعيَّن، قياس نظام آخر مُنفصل عنه، وليس في حالة تفاعل فيزيائي معه.

وأوضح (ياخ) Jauch، بدراسة مُفصَّلة للمُشكلة، بأنَّ ميكانيكا الكمّ غير مُتَّسقة مع ما افترضه آينشتين وزُملاؤه. ويتَّفق (هُوكر) Hooker مع رأي (ياخ) بأنَّ تفسير كُوبنهاجن مُنسجم مع تلك النُّقطة. وفيما يتَّصل باعتراض آينشتين وزُملاؤه يقول: «وهذا يفترض، على كُلّ حال، الصُّورة - غير القابلة للتّصديق - الآتية: إنَّ حالة النّظام المُنفصل فيزيائيَّاً (وهذا هُو أحد عناصر الجُزيئة الأصليَّة)، يُمكن أنْ تكون مُتأثِّرة باختيار القياس على نظام فيزيائي آخر، من دُون أنْ يكون في حالة تفاعل فيزيائي معه. وهذا يفترض أنَّنا نقوم بقياس الدّوران في الاتِّجاه Z في النّظام الأوّل، فتُخبرنا النّظريَّة - بعد ذلك - إنَّنا سنكتشف أنَّ دوران النّظام الثّاني، في ذلك الاتِّجاه نَفْسه، كان مُساوياً ومُعاكساً لدوران النّظام الأوّل».[201]

واستناداً إلى ميكانيكا الكمّ، فإنَّ هذا يحصل قبل قياس النّظام الأوّل. فالدّوران في الاتِّجاه Z مُعطى عن طريق مُتَّجهة حالة تُمثِّل كُلَّ النّتائج المُمكنة للقياس. بمعنى آخر؛ إنَّ النّظام لا يمتلك أيَّ قيمة واحدة مجهولة، ثُمَّ تُصبح معلومة عند إجراء القياس، وإنَّما هُو مجمع لكُلّ القيَم المُمكنة المُعطاة من قبَل مُتَّجهة الحالة، وتُصبح قيمته (أيْ النّظام) مُتعيِّنة عن طريق اختزال مُتَّجهة الحالة بعد القياس. ويستمرُّ هُوكر بالقول: «إنَّ النّظريَّة تُخبرنا - أيضاً - بأنَّنا غيَّرنا عُقُولنا في اللّحظة الماضية (بعد أنْ انقطع التّفاعل بين النّظامَيْن) وقسنا الدّوران في الاتِّجاه X أو Y بدلاً من أنْ نكتشف مرَّة أُخرى أنَّ النّظام الثّاني يُقدِّم - أيضاً - دوراناً مُحدَّداً مُساوياً، ولكنْ؛ مُعاكساً، في الاتِّجاه نَفْسه. ومادام الدّوران في الاتِّجاهات الأُخرى غير مُحدَّد، فمن الصُّعُوبة الاستنتاج أنَّه عن طريق تغيير عُقُولنا، التي بوساطتها نُجري القياس على أحد الأنظمة، نكون قادرين على تغيير حالة نظام آخر».[202]

---

(200) Oteri L. (Ed): op cit, p. 8.

(201) Ibid, p. 8.

(202) Ibid, p. 8.

على كُلِّ حال؛ إنَّ تفسير كُوبنهاجن يبقى مقبولاً، بوصفه تفسيراً مُبسَّطاً للمُعادلات الكميَّة. وهُو - بالفعل - جُزء مُكمِّل an integral part في تطبيق تلك المُعادلات لتفسير النّتائج التّجريبيَّة. وفي ضوء تفسير كُوبنهاجن وتلك الاعتبارات، فإنَّ عمل الوعي لإحداث انهيار مُتَّجهة الحالة له نتيجة فيزيائيَّة تُحدِّد الحالات التّالية لذلك النّظام بطريقة مُشابهة لمفهوم الإرادة.

لنضع تلك النّتيجة بشكل مُختلف. تفترض ميكانيكا الكمّ بأنَّ أيَّ نظام فيزيائي، مثل الدّماغ، يتطوَّر (من خلال حركة وتفاعل الجُزيئات المُكوِّنة) مع الزّمن من شكل مُعطى إلى عدد كبير من الحالات المُمكنة، التي تُصبح حقيقة فيزيائيَّة بالفعل، قابلة للمُلاحظة، وغير مُحدَّدة بتقييدات فيزيائيَّة. إنَّ تطوُّر النّظام أو الدّماغ احتمالي، ولكنْ؛ بعد المُلاحظة (باستخدام اصطلاح الفيزيائيِّين)؛ أيْ بعد تعيين قيم c_i (المُتغيِّرات الخفيَّة للوعي)، تنهار مُتَّجهة النّظام إلى حالة جُزئيَّة فرديَّة. فالحالات المُمكنة المُختلفة تُصبح حالة فيزيائيَّة فرديَّة للدّماغ. وتستمرُّ هذه العمليَّة بدرجة من السُّرعة مثل المجرى المُستمرّ الحالي للوعي. ولا يشترط تطوُّر حالة النّظام الفيزيائي أنْ تكون كُلُّ قيَم الوعي مُتعيِّنة لتقرير نتيجة التّطوُّر لحظة وراء لحظة. وإنَّما يكفي تعيين نسبة من مُتغيِّرات الوعي c_i ونسبة من مُتغيِّرات الإرادة Wi فقط.[203]

ولذلك؛ فإنَّه قبل تعيين حالة المُتغيِّرات c_i يكون النّظام الفيزيائي احتماليَّاً. وبعد تعيين المُتغيِّرات c_i (الوعي) يُصبح النّظام حتميَّاً. ولكي يُصبح النّظام المُتعيِّن حتميَّاً، ليس من الضّروري تعيين كُلِّ الكمات c_i، بل يكفي تعيين القليل منها. وهُو ذلك الجُزء من الخبرة الواعية للإنسان، المُسلَّم به في الفلسفة - الذي يسمح للإنسان بالسّيطرة على الأحداث الفيزيائيَّة - والذي يُدعى الإرادة The Will، ويستهدف ذلك التّبرير تبنِّي هذا المُصطلح المألوف في الفلسفة.[204]

فيما يتعلَّق بظواهر ساي، كما سنرى في أدناه، فإنَّ هذا التّفاعل له نتائجه التي تمتدُّ وراء حُدُود الدّماغ. ومادام الدّماغ يستجيب لمُدخلات حسيَّة من أحداث خارج الجسم، يرتبط بها الدّماغ فيزيائيَّاً، فهُو - إذنْ - جُزء من نظام فيزيائي كبير يُجسِّد العالم الخارجي. وأيَّاً كانت الحالة التي فيها الدّماغ (أيضاً للنّظام حالات مُمكنة مُختلفة، كما تتطلَّبه الميكانيكا الكميَّة)، فهي يجب أنْ تكون مُنسجمة مع حالة العالم الخارجي. ولذلك؛ فإنَّ تعيين مُتغيِّرات الإرادة Wi يُؤدِّي إلى تغيير كُلٍّ من الدّماغ والأحداث التي خارج الجسم.

---

(203) Ibid, p. 9.

(204) Ibid ، p. 9.

إنَّ انهيار مُتَّجهة الحالة المشروط بعمليَّة المُلاحظة مُقيَّد ـ أيضاً ـ بمُلاحظي العمليَّة غير المُنفصلين؛ (أيْ أنَّ اختيار الأشكال الجائزة للنّظام الفيزيائي تتوقَّف على مُلاحظة النّظام). ويرتبط المُلاحظون بالنّظام الكُلّي الفعلي، إلى حَدٍّ الاتفاق حول الحالة النّهائيَّة للنّظام. وهذا الارتباط يكون مُباشراً؛ لأنَّه يعتمد على مُسبِّبي انهيار مُتَّجهة حالة النّظام، وهذا يعني ـ من النّاحية العمليَّة ـ أنَّ مُحتوى ما دُون الوعي و وعي مُلاحظَين اثنَين غير مُقيَّدَين بشكل كبير. وعلى أيِّ حال؛ فإنَّ الإرادة أو القرار الواعي الذي يُؤكِّد استمراريَّة الوعي مُرتبط بهذه العمليَّة بقُوَّة. ويتأكَّد ارتباط المُلاحظَيْن عن طريق المُتغيِّرات الخفيَّة للوعي c_i، وهي مُتغيِّرات لها خاصيَّة الاستقلال الزّماني والمكاني، كما هُو مُعطى في المُعادلتَين (3) و (4).[205]

تشترط تجارب التَّخاطُر وسيطاً ومُجرِّباً، الأوَّل يقوم بالتّخمينات، والثّاني يُدقِّق، في نهاية الاختبار، التّخمينات مُقارنة بقائمة الهدف (أيْ يقوم بمُقارنة كُلِّ تخمين أو تسمية مُسجَّلة بالبطاقة المُخمَّنة حسب التّرتيب الذي أُجري فيه التّخمين). فإذا كانت تلك التّخمينات تنبثق من انتخاب واعي يتضمَّن قنوات المعلومات الإراديَّة، فإنَّ حالات تالية مُختلفة سوف تنشأ اعتماداً على الانتخاب الذي يُوضحه سجلُّ التّخمينات. لأنَّ تغيُّر العقل حيال كُلِّ تخمين يُؤدِّي إلى تسجيل مُختلف، وكُلُّ تسجيل مُمكن هُو حالة مُمكنة مُتميِّزة من مُتَّجهة الحالة الكُلِّيَّة. وأخيراً؛ يقوم المُجرِّب بتدقيق إصابات التّسجيل. لكنَّ المُجرِّب الذي يُدقِّق التّخمينات مُقابل قائمة الهدف، هُو مُلاحظ أيضاً، وإذنْ؛ فهُو يُشارك في انهيار مُتَّجهة حالة النّظام. وعندما ينتخب كُلٌّ من الوسيط (كمُلاحظ أوَّل)، والمُجرِّب (كمُلاحظ ثان) حالة الإرادة نَفْسها، فإنَّ التّقييد المُعطى عن طريق المُعادلة (5) يكون مُنجزاً. وهكذا؛ فإنَّ إرادتَي الوسيط والمُجرِّب يعملان معاً لانتخاب حالة خاصَّة، ينهار فيها النّظام، من بين تلك الإمكانيَّات التي ترتبط بها تسجيلات تخمين الهدف. ويتحقَّق الارتباط عن طريق المُتغيِّرات الخفيَّة للوعي c_i المُستقلَّة مكانيّاً. ولذلك لا يتأثر التَّخاطُر بالمسافة التي تفصل بين المُرسل والمُتسلِّم. وبطريقة مُماثلة فإ؛نَّ مُتغيِّرات الوعي c_i مُستقلَّة زمنيّاً أيضاً، ولذلك تكون النّتائج مُستقلَّة عن العلاقات الزّمنيَّة، (إلى الحَدِّ الذي تكون فيه الأحداث المُستقبليَّة غير مُقيَّدة بأحداث الماضي المُدركة بطريقة واعية). ولذلك يُفهم التَّنبُّؤ المُسبَق بالعمليَّة الأساسيَّة ذاتها الموصوفة في التَّخاطُر كما يفترض الدّليل التّجريبي.[206]

---

(205) *Ibid*, p. 9.

(206) Ibid, p. 10.

إذنْ؛ لا يبدو أنَّ هُناك رسالة ـ بالمعنى الاعتيادي ـ تُنقل من المُرسل إلى المُتسلِّم. وأنَّ الذي يحصل هُو مُقارنة التّسجيل مع التّخمينات المُدركة بطريقة واعية من لدُن المُلاحظ الذي يفرض التّقييد على النّظام. ونتيجة لذلك؛ فإنَّ العمليّات العقليّة للمُلاحظ ـ المُجرِّب عملت تمثيلاً رمزيّاً واضحاً في دماغه للتّخمينات وقائمة الهدف. فلا يُوجد جُزء خاصٌّ في الدّماغ يمتلك خارقيّته المُرتبطة باختزال مُعطيات حسيّة بصريّة وسمعيّة. . إلخ. وكما ذكرنا آنفاً، لا تُوجد رسالة منقولة بالمعنى الاعتيادي، وإنّما يُوجد انتخاب لحالة مُستقبليّة. ولهذا السّبب؛ فإنَّ المُرسل لم يكن مطلوباً، ولذلك؛ فإنَّ الاستشفاف (الجلاء البصري) يحدث بالعمليّة ذاتها التي يحدث فيها التّخاطُر، والإدراك المُسبَق. [207]

أشرنا إلى أنَّ الوسيط والمُجرِّب كمُراقبَيْن يجب أنْ يكونا مُقيَّدَيْن باختيار الحالة ذاتها من أجل انهيار مُتّجهة الحالة الكُلّيَّة. ولا يتبع ذلك ـ بالضّرورة ـ أنْ تكون الحالة المُنتخَبة هي الحالة التي يُفضي فيها تسجيل هدف التّخمين إلى إصابة. ويبدو أنَّ الفشل في تحقيق إصابة ينشأ من وَهْم قناة مُعطيات الإرادة المُتضمَّنة في قنوات مُعطيات الوعي، إلى الحَدّ الذي يُمكن أنْ يحصل فيه ترابط قنوات الإرادة للوسيط والمُجرِّب، وهذا ما حصل بالفعل. إنَّ تفسير هذا السُّلُوك المثالي لقنوات الإرادة هُو ارتباط القنوات بقرارات انفعاليَّة Emotional Sets، وطالما كان كُلٌّ من الوسيط والمُجرِّب لديهما القرار الانفعالي ذاته تجاه الإصابة، ويشرط أنْ تكون قناة الإرادة هي أساس انتخاب التّخمين (أيْ بالإضافة إلى تأثيرات الوَهْم)، فإنَّ حالة هدف التّخمين المُرتبطة سوف تتحقَّق. فإذا كُنّا نُؤمن بالظّواهر الخارقة، فإنَّ حالة المُستقبل التي يحصل فيها الارتباط بين الهدف والتّخمين سوف تكون مُخبَرة بطريقة ما إيجابيَّة أو مُفضَّلة. وإلى مدى محدود، فإنَّ الخبرة هي جُزء من خبرة الوسيط في الوقت الذي أُجري فيه التّخمين. فإذا كان الوسيط مثل أغلب الأشخاص (يميل إلى إجراء اختبارات مُخبَرة بصُورة مُفضَّلة)، فهُو سيقوم باختيارات مُتحيِّزة لصالح الاتِّفاق. ومن جهة أُخرى؛ فإنَّ الشّخص الذي يُجرِّب الاستياء من اتِّفاق هدف التّخمين سوف يكون مُتحيِّزاً ضدَّ هذه التّخمينات، وكأنَّ خبراته الحاليَّة تمتدُّ إلى إمكانيَّة المُستقبل الذي يجده كريهاً، ليختار حالة حاضرة مُختلفة.

والسُّؤال المُحتمل طرحه الآن هُو «إذا كانت مثل هذه التّقييدات مُستغَلّة، لماذا تقترب الإصابات في اختبارات البطاقات من درجة إصابة الصُّدفة؟» السّبب بسيط إذا أشرنا إلى نظريّة الوعي. أوضحنا هُناك أنَّ جُزءاً صغيراً فقط من المعلومات في الخبرة الواعية المُستمرَّة يكون مُملاة

(207) Ibid, p. 11.

عن طريق انهيار مُتَّجهة الحالة. وأنَّ نسبة المعلومات المُملاة بسبب انهيار مُتَّجهة الحالة، بوصفها عمليَّة مُستمرَّة، تكون مُعطاة عن طريق W (الإرادة)، في حين النّسبة الكُلّيَّة للخبرة الواعية هي C (الوعي). وفضلاً عن ذلك؛ فإنَّ تحقيق هذا الارتباط هُو اتِّفاقي - بشكل كبير - بالنّسبة لغالبيَّة الأشخاص، وإنَّ تعلُّم إنجاز هذه القابليَّة محدود تماماً بين النّاس.

أخيراً؛ تتضمَّن السّايكُوكينسيز Pk العمليَّة ذاتها التي تحدث في التّخاطُر والاستشفاف. باستثناء اختلاف واحد، وهُو أنَّ النّظام النّاتج ليس عمليَّة ميكانيكيَّة كمِّيَّة تُحدِّد التّخمين داخل الدّماغ، بل إنَّ التّأثير مُنتَج بعمليَّة فيزيائيَّة تمتلك خاصيَّة التّشعُّب **divergent**. وأنَّ اللاّأيقين في الحالة الابتدائيَّة للنّظام - كما تفترضها الميكانيكا الكمِّيَّة - تقود إلى حالات احتماليَّة مُختلفة ماكرويَّة (قابلة للمُلاحظة). كما أنَّ التّقييدات التي تفرضها علاقات اللاّأيقين لـ(هايزنبرغ) المُنطبقة على آليَّات ارتداد النّرد على سطح مُنبسط، تتضمَّن لا يقين (لا تحديد) صغير إلى الحَدّ الأقصى، في الشُّرُوط الابتدائيَّة المطلوبة، من أجل تحديد الاتِّجاه التّالي للنّرد. ولأنَّ العمليَّة مُتباعدة إلى حَدٍّ كبير، فليس من المُمكن تقرير الشُّرُوط الأوَّليَّة بقرار يسمح بالحساب الحتمي للوضع الأخير للنّرد، عندما يُوجد عدد كبير من الارتدادات المُتشابكة. وأنَّ الشُّرُوط الابتدائيَّة تُعيِّن عدداً كبيراً من الحالات النّهائيَّة المُمكنة للنّظام؛ أيْ تُعيِّن مُتَّجهة حالة النّظام. وتنهار هذه المُتَّجهة عن طريق مُلاحظة النّرد. فيرتبط المُلاحظ بمُتَّجهة حالة النّرد (المُعتمدة على اللاّأيقين الميكانيكي الكمِّي الابتدائي) عن طريق المُتغيِّرات الخفيَّة c_i التي تدخل الخبرة الواعية للمُلاحظ، وتقود إلى انهيار مُتَّجهة حالة النّظام.[208]

إنَّ العمليَّات الفيزيائيَّة المُتشعِّبة مُهمَّة في بحث السّايكُوكينسز، مادام إنتاج التّأثيرات القابلة للمُلاحظة مشروطاً بمقدار قليل من المعلومات المُتعيِّنة بشكل خارق. ويستطيع المرء - بسيطرة جيِّدة وواسعة على قناة المعلومات الإراديَّة - أنْ يُؤثِّر على حَدَث تسمح به الميكانيكا الكمِّيَّة، فيُسبِّب وُقُوعه. إنَّ خصائص هذه الظّاهرة ربَّما تكون مُختلفة - من النّاحية الدّراميَّة - عن السّايكُوكينسز الاعتياديَّة، لأنَّها تفترض الحاجة إلى منهجيَّة مُستقلَّة[209]. إنَّ تأثيرات التّحريك النَّفْسي Pk على درجات الحرارة المُسجَّلة - بشكل مُستمرٍّ - دُرست من قبَل شميدلر[210] الذي استخدم انجو سوان وهُو مثال

---

(208) *Ibid*, p. 11.

(209) Ibid, p. 12.

المسجَّلة ـ بشكل مُستمرٍّ ـ دُرست من قبَل شميدلر[210] الذي استخدم انجو سوان وهُو مثال على هذا التّحريك النَّفْسي القوي الذي كان موضوعاً لاستقصاء مُختبري ومسجَّل في الأدبيَّات.

مُلخَّص نظريَّة وُوكر في تفسير ظواهر ساي:

يفترض وُوكر وُجُود مُستوى دُون كمِّي Subquantum Level، وأنَّ العقل الإنساني ـ كأيِّ نظام فيزيائي ـ مُجرَّد عمليَّة ميكانيكيَّة كمِّيَّة مُتواصلة. ويرى أنَّ الإرادة تختزل ـ بشكل مُستمرٍّ ـ الحزم الموجيَّة Wave Packets في الدّماغ، لكي تُنشئ حالات عقليَّة جديدة. هذه العمليَّة تتضمَّن وُجُود «نفق كهربائي عبر شُقُوق نقاط الاتِّصال العصبي». ليس هُناك بيِّنة تجريبيَّة على هذا التَّصوُّر، ولكنَّ وُوكر يرى أنَّها ستأتي في المُستقبل؛ لأنَّ الكون مُترابط في المُستوى دُون الكمِّي، فلا يرى سبباً يمنع الإرادة الإنسانيَّة من أنْ تستخدم هذا المُستوى لتدمير الحزم الموجيَّة للأنظمة الكمِّيَّة خارج الدّماغ.[211]

الافتراض الثّاني لـ وُوكر هُو أنَّ العقل يستطيع أنْ يُغيِّر الحزم الموجيَّة بالطّريقة السّابقة ليُحقِّق القيمة المرغوب فيها لواحد من المُتغيِّرات.

فإذا صدقت افتراضات وُوكر فإنَّها ستُقدِّم حلاً للإدراك فوق الحسِّي والتّحريك النَّفْسي. ويرى وُوكر أنْ تأثير ساي ليس قُوَّة تنقل من دماغ إلى آخر، أو من دماغ إلى شيء، أو من شيء إلى دماغ. ولا تُوجد رسالة تنتقل من هُنا إلى هُناك، وإنَّما يحصل حَدَث ساي عندما يُوحِّد شخص أو مجموعة أشخاص قواهم الميكانيكيَّة الكمِّيَّة لتدمير الحزم الموجيَّة بهذه الطّريقة، ويختارون ـ سويّاً ـ الحالة المُستقبليَّة المرغوب فيها من بين كُلِّ الحالات المُمكنة المُنبثقة عن دالات موجيَّة مُناسبة.[212]

إذنْ؛ كيف يحدث التَّخاطُر؟ في نظريَّات ساي الكلاسيكيَّة، يُرسل العقل موجة من نوع ما تُنشئ معلومات في العقل الآخر. أمَّا الأُسلُوب الميكانيكي الكمِّي لـ وُوكر؛ فيختلف بشكل تامٍّ. يفترض أنَّ المُرسل يُقلِّب بطاقات الإدراك فوق الحسِّي (ESP) والمُتسلِّم يُسجِّل التّخمينات، وسوف تكون قائمة المُتسلِّم مُطابقة فعلاً لقائمة الهدف. فإذا كان كُلٌّ من المُرسل والمُتسلِّم يُريدان نتيجة

---

(210) G. R. Schmeidler, Pk Effects upon Continuously Recorded Temperature, in J. Am. Soc. Psychical Res. 67, 1973, p.325.

(211) Gardener M.: Parapsychology and quantum Mechanics In: ((Kurtz P)) (Ed) A skeptics Handbook of Parapsychology, U. S. A, 1985, p. 590.

(212) Ibid, p. 90.

ناجحة فإنَّ عقلَيْهما سيتعاونان لتغيير الأنظمة الكميَّة المتضمَّنة كُلّها، ويُسبِّبان الحالة المرغوب بها بشكل مُتكافئ. أمَّا في الاستشفاف؛ فالمُجرِّب يختار الأهداف (دُون رُؤيتها)، والوسيط (المُتسلِّم) يُحاول رُؤيتها بعقله، والموقف الكُلّي هُو الموقف السّابق (في التَّخاطُر) نَفْسه. فالوُسطاء المُشتركون في الاختبار والمُلاحظون الجانبيُّون يتعاونون جميعاً لإحداث النّتيجة. فالمسألة ليست نقل معلومات من الهدف إلى المُتسلِّم (الوسيط) إنَّما هُو موقف المُشتركين جميعاً، يستخدمون فيه إراداتهم لانتخاب الحالة المُستقبليَّة من بين عدد لا يُحصى من الحالات المُمكنة المُنبثقة عن دالات موجيَّة مُلائمة. والإدراك المُسبق (التَّنبُّؤ) يُفسَّر بالطّريقة ذاتها. ولذلك؛ فإنَّ التَّخاطُر والاستشفاف والإدراك المُسبَق هي أسماء مُختلفة للعمليَّة الكمّيَّة ذاتها.[213]

أمَّا بالنّسبة للتّحريك النَّفْسي؛ فإنَّ ميكانيكا الكمِّ لا تُعطي الحالة الفعليَّة للجُزيء (مثل وضعه وسُرعته)، بل تُعطي - فقط - احتماليَّة الحالات المُختلفة. فأقصى حَدٍّ مُمكن هُو أنَّ الجُزيئات - كما في زهر النّرد *Die* - تكون فيها اللاَّتحديدات الفرديَّة مُتوسِّطة تقريباً، أمَّا حالة الزّهر المُركَّب **Composite die**؛ فمُحدَّدة جداً. ومن النّاحية الإحصائيَّة؛ فإنَّ اللاَّتحديد الكمِّي للزّهر هُو أساساً صفر، وهُو أقلُّ بكثير من ظُهُور اللاَّتحديد في أفعال جُزيئاته الفرديَّة. وعلى أيِّ حال؛ فإنَّ اللاَّتحديد ليس صفراً بشكل دائم. لنفترض أنَّ الزّهر يعمل مقداراً كبيراً من الدّحرجات، ثُمَّ يدور في مسار طويل، ويسقط على سطح مُنبسط، فإذا كان العقل يستطيع أنْ يُدمِّر الحزمة الموجيَّة للزّهر في بداية دورانه، فيجب أنْ يجعل الرّمية تقع على واحدة من حالاته المُمكنة، وهذا يُؤدِّي - بشكل واضح - إلى تأثير مايكروي (دقيق) سوف يكبر عن طريق عمليَّة مُتشعِّبة **Divergent Process** من الدّحرجات، فالتّغيُّر الصّغير في البداية سيكون له تأثير أكبر - بشكل واضح - بعد الدّحرجة الأُولى، ثُمَّ أكبر بعد الثّانية، وهكذا. فمثل هذه التّأثيرات المُتزايدة غير مألوفة في العالم الكبير. فإذا كانت دحرجات الزّهر كافية عندما يدور فمن المُمكن أنْ يكون التّغيُّر الحاصل في وضعها في البداية مُكبَّراً - بشكل كاف - في نهاية الدّوران لإحداث الحالة الكبيرة المرغوبة[214]. وهكذا؛ فإنَّ تنبُّؤات نظريَّة وُوكر في (ط ن م) مبنيَّة على علاقات بين أحداث خارجيَّة، والإرادة، والعمليّات العقليَّة الأُخرى.

واستناداً إلى نظريَّة وُوكر؛ فمن المُتوقَّع أنْ يكون التّأثير النَّفْسي في الاختبارات التي تجعل الزّهر يعمل دحرجات كثيرة أقوى ممَّا في اختبارات الزّهر ذي الوثبات القليلة. أيضاً؛ إنَّ الزّهر

---

(213) Ibid, p. 90.

(214) Ibid, p. 91.

الكثير من المُتوقَّع أنْ يكون التّأثير النَّفْسي فيه أقوى. وتمتدُّ الفكرة الأساسيَّة إلى الوسائل القياسيَّة، مثل المُقاومات الحراريَّة Thermistors، ومقاييس المغناطيسيَّة Magnetometers، والكاشفات الإشعاعيَّة Radiation Detectors وغيرها. فإذا كانت القراءات النّهائيَّة تنتج عن طريق نوع ما من الضّوضاء الطّبيعيَّة، التي تنشأ عبر عمليَّة ميكانيكيَّة كميَّة، فالضّوضاء تُقدّم نتيجة مُتباعدة يُمكن أنْ تتطابق مع الزّهر المُتدحرج. وهذا ما سيُثبت نجاح الشّخص في تغيير هذه القراءات عن طريق الـ PK (ط ن م).[215]

نقد نظريَّة وُوكر:

افترض وُوكر أنَّ الدّماغ يُمكن أنْ يُدمِّر الحزم الموجيَّة في داخله، ليُنتج عمليَّات عقليَّة جديدة، ومادام الكون مُترابطاً في مُستوى دُون كمّي، فإنَّ الإرادة الإنسانيَّة يُمكن أنْ تستخدم هذه المُستوى دُون الكمّي لتدمير الحزم الموجيَّة للأنظمة الكمّيَّة التي تقع خارج الدّماغ، وبهذا؛ يكون قد فسَّر الإدراك فوق الحسّي والتّأثير النَّفْسي بآليَّة واحدة.

لكنَّ الأمر لا يبدو بهذه السُّهُولة، فالقول إنَّ العقل أو الإرادة أو الدّماغ يُمكن أنْ يعمل هذا الأمر مسألة تأمُّليَّة خالصة. ففي ميكانيكا الكمّ ليس المُلاحظ هُو الذي يُدمِّر الحزم الموجيَّة، بل أدوات المُلاحظة. فالمُلاحظ البشري ينظر إلى تركيبات ماكرويَّة مُعيَّنة، مثل الصُّور الفُوتُوغرافيَّة، أو القراءات التّلميحيَّة لكي يعلم نتيجة قياسات المُستوى الميكروي (الدّقيق). فالجُزيئات تترك آثاراً فُقاعيَّة في حُجرة الفُقاعات (المُختبر)، والذي يحدث داخل الحُجرة هُو اختزال الحزم الموجيَّة إلى آثار ترسم أوضاعها وأشكالها الدّقيقة. وبعد سلسلة طويلة من التّفاعلات الماكرويَّة، يستطيع العقل البشري أنْ يرى الآثار بالطّريقة ذاتها التي يرى فيها نجمة أو شجرة. والافتراض بأنَّ هذه المُلاحظة يُمكن أنْ تُغيِّر النّتيجة ليس أكثر من الافتراض بأنَّ النّظر إلى الشّجرة يُمكن أنْ يُغيِّر الشّجرة. وباختصار؛ ليس هُناك إثبات للفكرة التي ترى أنَّ الدّماغ يُمكن أنْ يُغيِّر حالة النّظام الكمّي خارج ذاته.

ويذهب وُوكر إلى حَدِّ القول بأنَّ العقل يُمكن أنْ يُغيِّر الحزمة الموجيَّة، ويُحدث القيمة المرغوب بها لواحد من المُتغيِّرات. وهذا القول ادِّعاء خيالي لا دليل مُعتمَد عليه، وهُو يتعارض - بالفعل - مع رمزيَّة ميكانيكا الكمّ التي تُؤكِّد أنَّ القيمة التي يحصل عليها المُتغيِّر بعد اختزال الحزمة الموجيَّة هي نتيجة للصُّدفة المُطلقة.

---

(215) Gardener M.: op cit, p. 591.

إنَّ افتراض وُوكر للتّأثير المُكبَّر عن طريق عمليَّة مُتباعدة من الدّحرجات التي يعملها الزّهر، هُو من أجل تعويض النّقص في اللاّتحديد الكمّي للزّهر المُفرد. فالمُتغيِّر الصّغير في الدّحرجة الأُولى سوف يكون أكبر في الدّحرجة الثّانية، وهكذا حتّى يُؤدّي إلى تحديد النّتيجة النّهائيَّة بالطّريقة التي يُريدها العقل. هذه التّأثيرات المُتباعدة غير مألوفة في العالم الكبير (الماكروي)، وهي تُشبه القول بأنَّ الشّرارة التّائهة يُمكن أنْ يبدأ منها حريق غابة، أو أنَّ خفقان أجنحة الفراشة في بغداد يُمكن أنْ تبدأ منها سلسلة مُتباعدة من الأسباب والنّتائج تنتهي بإعصار في مدينة البصرة.

مُناقشة منهجيَّة لنظريَّة وُوكر:

يبدو أنَّ وُوكر يُماثل بين الحالات الاحتماليَّة في الفيزياء الكميَّة، والحالات الاحتماليَّة للإدراك فوق الحسِّي والتّحريك النَّفْسي. ونعلم أنَّ الحالات الاحتماليَّة هي حالات ذهنيَّة فقط؛ سواء كانت في الفيزياء أو في الباراسيكُولُوجي. وهُناك فرق واضح بين هذه السّلسلة من الاحتمالات ـ كحالات ذهنيَّة ـ وبين تعيين القيمة الاحتماليَّة المُطابقة للموضوع الخارجي كحالة موضوعيَّة، وليست ذهنيَّة فحسب. وليست المُشكلة في عمليَّة تحقيق التّطابق بين حالات ساي الباراسيكُولُوجيَّة وحالات ساي الفيزيائيَّة، إنَّما المُشكلة في إمكانيَّة تسويغ التّطابق بين تعيين الحالة الاحتماليَّة والحقيقة الموضوعيَّة، بمعنى آخر؛ اكتشاف مغزى التّطابق بين الإدراك والمُدرَك.

إذا علمنا أنَّ الاحتمالات (مُتّجهة نظام ساي) ذاتيَّة، وأنَّ فَرَضيَّة نقل الطّاقة مُلغاة في نظريَّة وُوكر، فما هي العلاقة بين العمليَّة دُون الكميَّة للوعي (التي يفترضها وُوكر) وبين الموضوع الخارجي (في البيئة)؟

قد يُجيب وُوكر أنَّ في اختبار بطاقات الإدراك فوق الحسِّي يعلم المُتسلِّم ـ مُسبقاً ـ مجموع البطاقات ورُمُوزها، وهُو يُحاول أنْ يُدمِّر مجموعة الاحتمالات الموجودة في ذهنه قبل التّخمين، ويختار (بصُورة لا واعية طبعاً) القيمة الاحتماليَّة المُتطابقة مع الهدف، وهذه العمليَّة تتكرَّر في كُلِّ مُحاولة تخمين على طُول الاختبار، وفي هذه الحالة يبقى التّخمين الذي يجب أنْ يكون ذي مغزى غامضاً، علماً أنَّ التّخمين ذا المغزى ليس مُحاولة مُفردة، بل هُو مُعدَّل إحصائي من التّخمينات. فما الذي قاد الوسيط إلى التّخمين الصّائب في كُلِّ مُحاولة صائبة؟ هل هي الصُّدفة المحضة التي افترضها وُوكر مسؤولة عن تعيين قيمة احتماليَّة واحدة عن طريق القياس في الفيزياء الكميَّة؟ أعتقد أنَّ الحساب الإحصائي كان مُطبَّقاً لاستبعاد فَرَضيَّة الصُّدفة، فإذا كانت المُحاولة الصّائبة من التّخمين

نتيجة للصُّدفة المُطلقة، لا يُمكن أنْ يكون المُعدَّل الإحصائي للإصابات ذي مغزى. ولذلك؛ فإنَّ قياس حالة النّظام الفيزيائي يُمكن أخذها كحالة فرديَّة، في حين لا يُمكن أنْ نأخذ كُلَّ مُحاولة تخمين فرديَّة، لأنَّنا سوف لا نعرف عنها شيئاً، بل ننظر إليها من خلال نظام التّخمينات المُتعدِّدة ونستخلص المغزى من ذلك النّظام ذي الخاصيَّة الإحصائيَّة، وليس من حالة فرديَّة. والمغزى في الباراسيكُولُوجي ذُو مضمون قصدي، أمَّا أنْ تفعل بشكل واع أو لا واعي، وعلى فَرَض أنَّها توجيه واع؛ فهذا يستلزم أنْ يكون المُتسلِّم عارفاً بتطابق تخمينه مع الهدف، وهذا ما لم يحصل في كُلِّ الاختبارات الإحصائيَّة، ويبقى أنَّ آليَّة التّخمين آليَّة لا واعية، بمعنى آخر؛ إنَّ القصديَّة يُوجِّهها عامل خفي يحتجب خلف ستار الوعي لا زالت التّجارب العلميَّة تُلاحقه.[216]

لقد بُنيت فَرَضيَّة وُوكر على أساس حركة الإلكترُون الذي لا نعرف عنه سوى مُتَّجهة من الاحتمالات أو أنَّه يُوجد في أحد مداراته المُمكنة دُون تعيين، ولا يُمكن تحديد موضعه قبل القياس. ويفترض وُوكر أنَّ وعينا يُدمِّر مُتَّجهة الاحتمالات، ويختار احتمالاً واحداً يُمثِّل موضع الإلكترُون في مدار مُعيَّن، أو في نُقطة مُحدَّدة. وبما أنَّنا لا نُدرك الإلكترُون بالحواسِّ، ومع ذلك؛ نستطيع أنْ نُحدِّد القيمة الاحتماليَّة بشكل ناجح، فإنَّنا نفعل الشّيء نَفْسه بالنّسبة لاختبار بطاقات الإدراك فوق الحسِّي. بمعنى آخر؛ لمَّا كان التّنبُّؤ بحالة الإلكترُون لا يُعبِّر عن علاقة بين الإلكترُون كشيء خارجي ووعينا كذات، بل هُو علاقة بين وعينا والعمليَّات الكمِّيَّة «مُتَّجهة الاحتمالات» المُتضمَّنة فيه، فإنَّ الشّيء ذاته يحدث في اختبار بطاقات الإدراك فوق الحسِّي. ولكنَّ فكرة «الحالة المرغوبة» لا وُجُود لها في حالة الإلكترُون مادُمنا لا نُحدِّد القيمة التّرجيحيَّة لموضع الإلكترُون وفقاً لرغبتنا، بل وفقاً للقياس. وهذا عكس التّوجيه القصدي الذي تسعى الطّريقة الإحصائيَّة إلى الكشف عنه، بالرّغم من أنَّ هذه القصديَّة تجري بطريقة لا واعية بالنّسبة للإنسان. يقول وُوكر: «.. يتعاون المُرسل والمُتسلِّم، في التَّخاطُر، لتغيير كُلِّ الأنظمة الكمِّيَّة المتضمَّنة في الوعي، ويُسبِّبان الحالة المرغوب فيها بصُورة مُتكافئة». لكنَّ هذا القول يتضمَّن أنَّ المُرسل والمُتسلِّم يعرفان النّتيجة المرغوب بها مُسبقاً، إذْ كيف تتولَّد رغبة من دُون وعي بالحالة المرغوبة؟! ولكنَّ شُرُوط التّجريب - باستثناء التَّخاطُر - لا تسمح بهذه المعرفة المُسبَقة في حالات الاستشفاف والإدراك المُسبَق (التّنبُّؤ). وإذا كان وُوكر يقصد أنَّ المُرسل والمُتسلِّم يعرفان - مُسبَقاً - النّظام الكُلِّي للبطاقات (كذكرى) فهذا يعني أنَّهما - الآن - يتذكران رُمُوز البطاقات، ويرغبان - معاً - في تحقيق أحدهما في

---

(216) انظر هذه المُناقشة في مجلَّة عُلُوم، العدد (72) لسنة (1993)، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة، بغداد، ص48 فما بعدها.

كُلّ مُحاولة، وهـذا يتضمَّن إلغاء التّطابق الخارجي بين التّخمين والموضوع الخارجي، وبالتّالي؛ يُصبح الإدراك فوق الحسّي مُجرَّد تذكُّر معلومات سابقة منسيَّة، وهذا يتعارض مع المغزى الإحصائي للتّطابق الخارجي. وحتّى لو بقينا في حُدُود التّخاطُر؛ فإنَّ تعاون المُرسل والمُتسلِّم لإحداث حالة مرغوب بها هُو نَفْسه بحاجة إلى تفسير، فكيف تمّ نقل هذه الرّغبة من المُتسلِّم إلى المُرسل أو بالعكس؟. وحتّى إذا قبلنا تفسير وُوكر لحالات الاختبار ببطاقات الإدراك فوق الحسّي، فهُو لا يُفسِّر الحالات التّلقائيَّة التي تُلاحظ مرَّة واحدة فقط.[217]

وإذا استخدمنا فاعليَّة الذّهن ذاتيّ الوعي التي طرحها أكلس سابقاً، ربَّما نستطيع القول بأنَّ هذه الفاعليَّة الإراديَّة تقوم بوظيفة الاختيار القصدي للقيمة الاحتماليَّة المرغوبة، والمُطابقة مع الهدف، التي افترضها وُوكر على المُستوى دُون الكمّي. ولذلك؛ فإنَّ الذّهن ذاتيّ الوعي هُو الذي يُسبِّب انهيار مُتَّجهة احتمالات الوعي. ومع ذلك؛ فإنَّنا لا نستطيع التّخلُّص من الطّابع الحَدْسي لذلك الاختيار، أو التّطابق بين القيمة الاحتماليَّة والواقع الموضوعي للأحداث؛ لأنَّنا ننظر إلى القيَم الاحتماليَّة بوصفها عمليّات ذاتيَّة، وليست موضوعيَّة.

نموذج فيزيائي نظري للإدراك المُسبَق (التّنبُّؤ الخارق):

تمتلك المُعادلات التي تصف مسار الزّمن في الظّواهر الفيزيائيَّة شكلاً بسيطاً طبقاً لما جاء في النّظريَّة النّسبيَّة. والمثال النُّمُوذجي الذي يُوضّح النّقاط الرّئيسة هُو مُعادلة الموجة في بُعْد فضائي واحد بالشّكل:

$$\frac{\partial^2 \phi}{\partial x^2} - \frac{1}{c^2}\ \frac{\partial^2 \phi}{\partial t^2} = \rho(x,t) \qquad (1)$$

والتي تُمثّل فيها c سُرعة الضّوء التي تتحرَّك فيها الموجات خلال المكان. وتُمثِّل Ø في هذه المُعادلة قيمة ظاهرة موجيَّة ما (مُرتبطة زمكانياً). وتُمثّل ρ شدَّة المصدر المادّي للموجة. في سبيل المثال، إنَّ ϕ تُمثّل قُوَّة مجال كهربائي، وتُمثّل ρ توزيع الشّحنة أو التّيَّار الذي يُنتج المجال. وفي التّطبيقات الفيزيائيَّة لهذه المُعادلة، نفرض ρ دالَّة للمكان والزّمن، ونستخدم المُعادلة لحساب ϕ لكُلّ قيَم x و t.[218]

---

(217) المصدر نفسه، ص49.

(218) Fienberg G.: Precognition, A memory of things future, In: ((Oteri L.)) (Ed): Quantum physics and parapsychology, pp. 59-62.

إنَّ القِيَم المُحصَّلة لـ ϕ سوف تعتمد على قيمة ρ ، ولكنْ؛ بطريقة مُعقَّدة. وبشكل عامٍّ؛ فإنَّ التّغيُّر في ρ في نُقطة واحدة من المكان والزّمن سيُؤدّي إلى تغيُّر في ϕ في عدَّة نقاط من المكان والزّمن، بالطّريقة المفروضة في المُعادلة. فالكائن البشري أو أيَّة آلة ذات حساسيَّة بقيمة ϕ في منطقة ما من الزّمن ـ مكان سوف تتسلَّم بواعث مُختلفة Different Impulses تعتمد على قيمة ρ في مناطق أُخرى من الزّمن ـ مكان، ولذلك؛ سوف نعرف شيئاً ما حول ما يحدث في تلك المناطق. ويبدو ـ بشكل واضح ـ أنَّ العلاقة بين ρ و ϕ هي العامل الحاسم Critical Factor في تحديد مناطق الزّمن ـ مكان التي تكون في مُتناول مُلاحظ خاصٍّ من خلال قياس أو معرفة قيمة ϕ في موقعه. ولمَّا كانت المُعادلة السّابقة هي مُعادلة تفاضليَّة جُزئيَّة ثُنائيَّة النّظام في الزّمن، فهي تمتلك مجموعتَيْن عامَّتَيْن من الحُلُول. إنَّ الشّكل الخاصَّ للمُعادلة السّابقة هُو أنَّ المجموعة الأُولى يُمكن أنْ تكون حاصلة من مجموعة أُخرى عن طريق تغيير t إلى $-t$ في كُلٍّ من ϕ و ρ . ويُمكن أنْ ندرس خاصيَّة تلك الحُلُول عن طريق تأمُّل الحالة البسيطة التي تكون فيها ρ اضطراباً عابراً Transient Disturbance تُشبه مصدراً ضوئيّاً يتوهَّج وينطفئ في فترة قصيرة من الزّمن، ويكون محدوداً بمنطقة صغيرة من المكان.[219]

سوف ندعو النُّقطة الواقعة فيها ρ بـ t_0 و x_0 . والحُلُول في هذه الحالة يُمكن وصفها كالآتي: الحلُّ الأوَّل يُدعى الحلَّ المُتأخِّر Solution Retarded، فيه $\phi = 0$ في كُلِّ الأزمنة السّابقة على t_0، وفي أيِّ نُقطة من المكان. أمَّا بالنّسبة للأزمنة التي بعد t_0 ؛ فإنَّ قيمة ϕ فيها ليس صفراً في النّقاط $x = ct \pm x_0$. وهذا يتطابق مع توليد باعثين للإشعاع؛ كُلُّ واحد منهما ينتقل نحو الخارج من مكان المصدر وبسُرعة الضّوء c . فالمُراقب الذي على مسافة d من النُّقطة x_0 سيكشف هذا الإشعاع في الزّمن t ، ومُتأخِّر عن t_0 عن طريق d/c وهُو الزّمن الذي يستغرقه الإشعاع ليقطع المسافة d . هذا الحلُّ المُتأخِّر مُتَّفق عليه بشكل عامٍّ، ويُمثِّل الظّاهرة الفيزيائيَّة الموصوفة عن طريق مُعادلة الموجة.

الحلُّ الآخر ناتج عن الحلِّ المُتأخِّر بجعل $t \longrightarrow -t$ ويُعرَف بالحلِّ المُتقدِّم Advanced Solution. وهُو يمتلك خاصيَّة أنَّ $\phi = 0$ في كُلِّ الأزمنة المُتأخِّرة عن t_0 ، في أيِّ نُقطة من المكان. أمَّا إذا كانت t سابقة على t_0 ، فإنَّ ϕ ليس صفراً في النّقاط $x = ct \pm x_0$. هذا الحلُّ ربَّما يُمكن تفسيره إمَّا عن طريق باعثَيْن لإشعاع ينطلقان من المصدر إلى الخارج، ولكنْ؛ إلى الوراء في

(219) Ibid., pp.59-62.

الزّمن، أو باعثَيْن يأتيان من اللاّتناهي المكاني ولكنْ؛ إلى الأمام في الزّمن، ليلتقيا المصدر في t_0.

وارتبط بالاضطراب في الزّمن t_0، في تفسيره الحلّ المُتقدّم، تأثيرات في أزمنة مُتقدّمة على الزّمن، t_0 وليست مُتأخّرة عنه، كما بالنّسبة للحلّ المُتأخّر. فالملاحظ الذي على بُعْد d من النُّقطة x_0 سيكتشف الإشعاع، استناداً إلى الحلّ المُتقدّم، في الزّمن t السّابق على الزّمن t_0 عن طريق d/c. ففي حالة الموجة الكهرُومغناطيسيَّة التي تنتقل بسُرعة الضّوء يكون هذا الزّمن - عادة - قصيراً جداً. فعندما تُعبِّر d عن مسافة أمتار قليلة، فإنَّ d/c تساوي حوالي $\frac{1}{100}$ جُزء من الميكرو ثانية. وأنَّ المُلاحظة المُتقدِّمة للاضطراب المُتيسِّر بهذه الطّريقة سوف لا تكون مُفيدة كثيراً. وعلى كُلّ حال؛ فإنَّ التّأثيرات غير المُباشرة للموجات المُتقدِّمة واعدة بالنّجاح.[220]

إذنْ؛ نحنُ نتحدَّث عن وُجُود موجات مُتقدِّمة، ويجب علينا أنْ نتساءل عمَّا إذا كانت تلك الموجات تقع - فعلاً - في العالم كحَدَث مُقابل للحُلُول الرّياضيَّة. وقد اعتاد عُلماء الفيزياء الافتراض بأنَّ معامل الحلّ المُتقدّم هُو صفر، والحلُّ المُتأخّر هُو الموجود فقط، وسبب ذلك هُو أنَّ التّأثيرات المُتقدّمة لا يبدو أنّها تحدث - على الأقلّ - ضمن مدى مُعيَّن من الصّحَّة. والدّليل على ذلك بسيط. إذا كانت هُناك مُؤثّرات مُتقدّمة يُمكن مُقارنتها بالحجم بالمُؤثّرات المُتأخّرة، فسوف تُلاحظ العديد من الظّواهر الفَلَكيَّة الغريبة، في سبيل المثال، سوف تكون هُناك صُورتان للنّجم، أو لأشياء فَلَكيَّة أُخرى، معزولتان بالمسافة التي يتحرَّك بها الشّيء مرّتَين في الزّمن الذي يستغرقه الضّوء في انتقاله من الشّيء إلى الأرض. وبالنّسبة لكوكب المرّيخ؛ فإنَّ هاتَيْن الصُّورتَيْن سوف تكونان مُنعزلتَيْن بمسافة أكبر من القطر الظّاهر للكوكب، وسيكون من السّهل اكتشافهما. المثال الآخر هُو أنَّ الظّاهرة التي تقع في زمان مُحدَّد جيِّداً في مكانها الأصلي، مثل انفجار السّحابة الشّمسيَّة Solar Prominence ستبدو أنّها تقع مرّتَيْن في نَفْس الموضع. مرَّة طبقاً إلى وُصُول الموجة المُتقدّمة، وأُخرى طبقاً إلى وُصُول الموجة المُتأخّرة. ولمّا لم تُذكَر تلك الظّاهرة من لدُن الفَلَكيّيْن، فإنّنا يُمكن أنْ نستنتج بأنَّ الموجات المُتقدّمة لم تنتج بقُوَّة الموجات المُتأخّرة. ولكنَّ هذا لا يلزم منه أنّه لا يُمكن استنتاجها على الإطلاق. وإذا كانت نسبة قُوَّة الموجات المُتقدّمة صغيرة جداً، لكنّها ليست صفراً، فإنَّ هذا لا يعني أنّها عديمة الجدوى بالنّسبة للتّنبُّؤ بالمُستقبل، بل يعني أنَّ التّنبُّؤ بالمُستقبل لم يكن فعّالاً مثل الإدراك الاعتيادي أو ذاكرة الماضي، إذْ إنَّ هُناك بيِّنة واضحة على تأثيره.

---

(220) Schmeidler R.G.: PK Research Findings and theories In: ((Kreppner S.)) (Ed) Advances in Parapsychological Research, Part. 3., PP. 137-138.

إنَّ التّجارب لاكتشاف مقدار صغير نسبياً من الموجة الضّوئيَّة المُتقدِّمة ليست صعبة على التَّصوُّر، وكان بعضها قد صُمِّم من لدُن البرُوفيسُور رايلي نيُومان Riley Newman في جامعة كاليفورنيا. ففي واحدة من أبسط التّجارب كان مصدر الضّوء مُنطلقاً في زمن مُحدَّد بشكل دقيق هُو 10^{-9} ثانية. وكان الكاشف موجوداً على مسافة عشرة أمتار من المصدر. وسوف يُشير الكاشف ـ عادة ـ إلى وُجُود الموجة المُتأخِّرة بعد مضي 3×10^{-8} ثانية تقريباً، استناداً إلى زمن انتقال الضّوء عبر عشرة أمتار، فإذا كانت الموجة المُتقدِّمة موجودة أيضاً، فإنَّ الكاشف سيتفاعل معها في زمن 3×10^{-8} ثانية قبل أنْ يتوهَّج الضّوء، وهذا الزّمن كبير بشكل يكفي لجعل الإشارات المُتأخِّرة والمُتقدِّمة مُدركة بسُهُولة. ويعتقد البرُوفيسُور نيُومان أنَّ قُوَّة الموجة المُتقدِّمة أقلُّ من الموجة المُتأخِّرة بنسبة جُزء واحد من 10^{19}، وهي يُمكن اكتشافها بهذه الطّريقة.[221]

باختصار؛ إنَّ المُعادلات الفيزيائيَّة التّفاضليَّة عن الزّمن تُقدِّم نوعَيْن من الحُلُول؛ هُما: الحُلُول الإيجابيَّة، والحُلُول السّلبيَّة (كما تُعبِّر عن ذلك الإشارة المُزدوجة $\pm$ في المُعادلة السّابقة). الحُلُول الإيجابيَّة تصف الموجات المُتأخِّرة Retarded Waves التي تتحرَّك إلى الأمام في الزّمن، ولمّا كان من المُسلَّم به أنَّ الزّمن يتحرَّك إلى الأمام، فإنَّ الحُلُول الإيجابيَّة من المُعادلات الفيزيائيَّة مُفيدة ومُطبَّقة. أمَّا الحُلُول السّلبيَّة؛ فتصف الموجات المُتقدِّمة Advanced Waves التي تتحرَّك تراجعياً في الزّمن، والحُلُول السّلبيَّة مُتَّسقة من النّاحية الرّياضيَّة، لكنَّها مُهمَلة؛ لأنَّه لا يُوجد ما يُقابلها في العالم الفيزيائي. وإذا كان الإدراك المُسبَق قد لُوحظ وأُثبت، فإنَّ الحُلُول السّلبيَّة تكون مُفيدة ومُطبَّقة. وهذا يعني أنَّ التّنبُّؤ المُسبَق ينسجم جيِّداً مع جُزء مُهمَل من النّظريَّة الفيزيائيَّة.[222]

يفترض فاينبرج بأنَّه عندما تصل المُدخلات الحسيَّة إلى الدّماغ، يحدث تغيُّر تذبذبي لأنماط داخليَّة فيه، ناشئ من المُدخلات الحسيَّة. يستمرُّ هذا التّذبذب لفترة من الزّمن في جُزء من الدّماغ على الأقلّ. فعندما يتذكَّر الشّخص المعني الحوافز، فما يحدث هُو أنَّ النّمط التّذبذبي المخزون كان قد أثَّر على جُزء من الدّماغ، وجلب الذّاكرة إلى الوعي، أو على الأقلّ؛ إلى شيء ما في مُتناول الوعي. ويرى فاينبرج بأنَّ هذا يصف لنا نمط ذاكرة الأمد القصير. ويدلُّ على أنَّ ذاكرة الأمد الطّويل تتضمَّن آليَّات مُختلفة.

---

(221) Fienberg G.: op cit. P. 65.

(222) Schmeidler R.G.: PK Research Findings and theories, In: ((Kreppner S.0) (Ed) Advances in Parapsychological Research, Part. 3., PP.137-138.

ثُمَّ يفترض بأنَّ النَّمط التَّذبذبي المُثار عن طريق حوافز خارجيَّة لا يمتلك جُزءاً مُتأخِّراً فقط، يتحرَّك إلى الأمام في الزّمن، بل يمتلك - أيضاً - جُزءاً مُتقدِّماً يتحرَّك تراجعيّاً في الزّمن. وبالرّغم من أنَّنا لا نعرف ما هي المُعادلات التي يستوفيها هذا النَّمط، فليس من اللاَّمعقول أنْ تكون تلك المُعادلات مُشابهة - بشكل كاف - للمُعادلة (1) التي يُوجد فيها كلا النّوعَيْن من الحلِّ. وكما في حالة الموجات الصّوتيَّة؛ فإنَّ المقادير النّسبيَّة للموجتَيْن (المُتأخِّرة والمُتقدِّمة) اللّتَيْن تتضمَّنهما حالة فعليَّة، غير مُحدَّدة عن طريق المُعادلة، ويجب أنْ تُقرَّر عن طريق التّجريب. سأفترض بأنَّ الجُزء المُتقدِّم ليس صفراً؛ بل أقلّ من الجُزء المُتأخِّر، طالما كان التَّنبُّؤ المُسبَق - من النّاحية العمليَّة - ليس طريقاً فعَّالاً جداً لاكتساب المعلومات. ومادام الجُزء المُتأخِّر من التّذبذب، الذي يسمح في هذا النُّمُوذج بوُقُوع ذاكرة الماضي، معروف باستمراره لزمن ما على الأقلّ من دُون ضعف كبير، فمن المُمكن، ولكنْ؛ ليس مُؤكَّداً، أنْ يكون التّذبذب المُتقدِّم قادراً على أنْ ينتقل - لزمن مُشابه - إلى الماضي قبل أنْ تقع المُحفِّزات[223]. وفي نهاية هذه الفترة من الزّمن، وبواسطة عمليَّة مُشابهة لذاكرة الماضي، التي يُمكن أنْ يُولِّدها النّمط المُتقدِّم في الوعي، يستطيع الشّخص المعنيُّ أنْ يتذكَّر الحوافز المُستقبليَّة المُرتبطة بالنّمط المُتقدِّم.

هذا الوصف المُختصر هُو النُّمُوذج الذي يُقدِّمه فينبرج للتَّنبُّؤ المُسبَق. وهُناك معالم نوعيَّة عديدة لهذا النُّمُوذج يُمكن أنْ نُبيِّنها في الآتي:[224]

1 - يستطيع المرء أنْ يتذكَّر - فقط - الأشياء التي سوف يحسُّها، أو يتعلَّمها - بالفعل - من خلال تقرير شخص ما آخر. هذا هُو الوضع على الأقلّ إذا كان المرء لا يكترث لإمكانيَّة المعلومات فوق الحسيَّة الحاصلة في زمن مُتأخِّر والمُتذكَّرة بهذه الآليَّة في زمن سابق. وعلى الرّغم من أنَّ عدم الاكتراث هذا ربَّما غير مُبرَّر تماماً، لكنَّه يبدو فَرَضيَّة عمل مُفيدة، طالما كان مقدار المعلومات الحاصلة عن طريق الوسائل فوق الحسيَّة - في أيّ حدَث - أقلّ، مُقارنة بالمصادر الأُخرى التي نقبلها عادةً.

2 - إذا كان النّمط التّذبذبي المُتأخِّر مُرتبطاً بذاكرة الأمد القصير، وإذا كان عمل الأخيرة ذا أمد قصير نسبيّاً، إذنْ؛ سوف نتوقَّع بأنَّ النّمط المُتقدِّم سيكون له كذلك مدى قصير مُشابه في الماضي. يلزم عن هذا بأنَّ التَّنبُّؤ المُسبَق سيكون فعَّالاً فقط بالنّسبة لأحداث ليست في المُستقبل البعيد جداً، وربَّما في مُستقبل يُقاس بالسّاعات. ومن المُتوقَّع أنْ يُظهر التَّنبُّؤ في تلك الفترة الزّمنيَّة تضاؤلاً مُشابهاً لذلك الذي تُظهره الذّاكرة الاعتياديَّة. ولذلك؛ فإنَّ التَّنبُّؤ المُسبَق يُصبح أسهل؛ مثل الأحداث التي يُدركها المُتسلِّم في الزّمن بإحكام كبير.

---

(223) Fienberg G.: op cit. p.59.

(224) Ibid. pp. 60 – 61.

3 ـ سوف تكون هُناك رابطة ضعيفة، أو قد لا تُوجد رابطة بين الموضع المكاني للحَدَث الأوَّلي وقابليَّة التَّنبُّؤ به. وسبب ذلك هُو أنَّ التَّنبُّؤ يعمل على حالة مُستقبليَّة لدماغ المُتسلِّم الخاص، ولا يعمل على الحَدَث البعيد بشكل مُباشر. في سبيل المثال، إذا كان هُناك انفجار فائق الاستعار في مجرَّة بعيدة، سيصل ضوؤه إلى الأرض بعد 15 دقيقة من الآن، فإنَّ التَّنبُّؤ المُسبق يكون قادراً على أنْ يُعطي معرفة بالانفجار قبل وُصُول الضَّوء إلى الأرض بزمن ما مثلما يُمكنه أنْ يُعطي معرفة عن حَدَث يقع في الجوار المُباشر للمُتسلِّم.

4 ـ من المُتوقَّع أنْ تكون أنواع العوامل الدَّاخليَّة والخارجيَّة المعروفة بأثرها على الذَّاكرة الاعتياديَّة، مثل الكُحُول، والإعياء، والعُمر، والتَّمرين، لها تأثيرات مُشابهة على التَّنبُّؤ. وإنَّ إثبات هذه التَّأثيرات المُتباينة سيكون ـ طبعاً ـ مُثيراً جداً بالنِّسبة للدَّارسات الباراسيكُولُوجيَّة.

5 ـ إذا أهملنا اعتبار القُيُود التَّنبُّؤيَّة التي ناقشناها تحت النُّقطة (2) أعلاه، فمن غير المُمكن لأيِّ شخص أنْ يتنبَّأ ـ مُسبَقاً ـ بأيِّ حدث سيقع بعد موته، مادام من غير المُمكن وُصُول مُدخلات حسيَّة عن الحَدَث إلى دماغه. هذه النَّتيجة مُستقلَّة عن طُول الزَّمن الذي يُمكن أنْ ينتقل فيه النَّمط المُتقدِّم إلى الماضي. وهي تتَّسق مع خُرافة قديمة واحدة بالنَّتيجة التي تذهب إلى أنَّ المُتنبِّئين لا يُمكنهم أنْ يُخبروا ـ مُسبَقاً ـ عن موتهم، لكنَّها لا تتَّسق مع خُرافات أُخرى. طبعاً؛ حتَّى إذا كان صحيحاً أنَّ التَّنبُّؤ المُسبَق لا يُمكن أنْ يكون مُستخدماً لرُؤية الشَّخص موته مُسبَقاً، فإنَّ تفسيرات أُخرى مُتوفِّرة لوصف هذا، وهي ـ لذلك ـ ليست استنتاجاً دقيقاً جداً من النُّمُوذج الحالي.

يفترض النُّمُوذج السَّابق أنَّ المُثيرات الحسيَّة الدَّاخلة إلى الدِّماغ لا تمتلك عُنصُراً مُتأخِّراً فقط، بل فيها عُنصُر مُتقدِّم أيضاً أضعف من المُتأخِّر (موجة تتحرَّك تراجعياً في الزَّمن). لذلك؛ فالعُنصُر المُتقدِّم يُمكن أنْ يُطلق أحداث الدِّماغ التي تسبقه، فالحَدَث الدِّماغي المُثار بسبب الموجة المُتقدِّمة يسمح لنا أنْ نكون واعين بمُعطيات المُدخلات الحسيَّة التي سوف تأتي إلينا في المُستقبل القريب[225]، بوساطة الموجات المُتأخِّرة.

إنَّ الحَدَث الدِّماغي الذي يُخبرنا عن المُستقبل المُباشر ربَّما يُؤسِّس مجموعة أُخرى من الموجات المُتقدِّمة التي تطرح مجموعة أُخرى من أحداث الدِّماغ السَّابقة في الزَّمن، وهذه السِّلسلة يُمكن أنْ تستمرَّ بشكل محدود، وأنَّ مجموعة الأحداث الدِّماغيَّة تلك يُمكن أنْ تُمثِّل فعليَّاً المُستقبل البعيد. وعندما يكون الإدراك المُسبَق للحَدَث الفعلي مُشابهاً لتذكُّر الماضي، فإنَّ الاثنَيْن

(225) Schmeidler R. G. op cit. p. 137.

مُتشابهان، وربَّما يُعتبَر الأوَّل مُعاكساً للثَّاني. ففي كلتا الحالتَيْن تُنتج المُثيرات الحسِّيَّة تغيُّرات دماغيَّة، فمع الموجات المُتأخِّرة تتحرَّك التَّغيُّرات الدّماغيَّة إلى الأمام في الزّمن، ولذلك نتذكَّر الماضي، أمَّا الموجات المُتقدِّمة فتُنتج تغيُّرات دماغيَّة تتحرَّك تراجُعيّاً في الزّمن، فتسمح لنا بإدراك (تذكُّر) المُستقبل.[226]

السَّببيَّة التَّراجعيَّة (المُرتدَّة):

تفترض الظّواهر الخارقة أنَّ للسَّببيَّة المُتقدِّمة بُعْدَيْن: الأوَّل هُو البُعْد الاعتيادي باعتبارها سببيَّة مُتقدِّمة إلى الأمام في الزّمن، وهي موقعيَّة؛ أيْ ترتبط بزمان ومكان. أمَّا البُعْد الثّاني؛ فهُو البُعْد الخارقي، بوصفها تشتمل على التّسبيب الخارق أو التّأثير النَّفْسي الخارق، وهذا النّوع من التّسبيب لا يخضع لشُرُوط الزّمان والمكان. والمقصود بالبُعْد الخارقي للسّببيَّة المُتقدِّمة هُو كون الأحداث الخارقة لا يسلك فيها التّأثير والتّأثُّر سُلُوكاً عكسيّاً في الزّمن.

أمَّا السّببيَّة المُرتدَّة؛ ربَّما تشتمل - أيضاً - على بُعْدَين هُما: التّسبيب الموقعي في حُدُود الزّمان والمكان، والتّسبيب اللاَّموقعي (تأثير النَّفْس على المادَّة PK)، وهذا التّسبيب الموقعي في مساره التّراجعي في الزّمن لا يُمكن أنْ يتجاوز سُرعة الضّوء. وعلى العكس منه التّسبيب اللاَّموقعي أو التّأثير النَّفْسي المُرتدُّ Retro – PK، فإنَّه يُمكن أنْ يُؤثِّر تأثيراً فوريّاً على الأحداث التي تسبقه في الزّمن.[227]

وهكذا؛ فإنَّ السّببيَّة المُتقدِّمة تشتمل على أحداث خارقة مُرتبطة بالمسار المُتقدِّم للزّمن؛ أيْ أحداث خارقة تتَّجه من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المُستقبل، وهي خارقة؛ لأنَّها لا تخضع للشُّرُوط الفيزيائيَّة للزّمان والمكان.

وتشتمل السّببيَّة المُرتدَّة (التّراجعيَّة) على أحداث خارقة تتَّجه في مسار عكسي في الزّمن من المُستقبل إلى الحاضر، فالماضي، وهي عندما تسير بسُرعة لا تتجاوز سُرعة الضّوء تقف عند نُقطة في الحاضر، ولكنْ؛ عندما تتجاوز سُرعة الضّوء، فإنَّها تتجاوز الحاضر إلى الماضي.

إذنْ؛ السّببيَّة المُرتدَّة - سواء كانت موقعيَّة أو لا موقعيَّة - فهي - ربَّما - تسير تراجعيّاً في الزّمن من المُستقبل إلى لحظة حاضرة فقط، وهي لحظة ربَّما تكون فيها الأحداث مُحدَّدة وغير قابلة للتّغيير. إنَّ عدم قابليَّة أحداث الماضي للتّغيير، باعتبار أنَّ ما حَدَثَ فقد حَدَثَ، ولا يُمكن تغييره،

---

(226) Ibid. P. 138.

(227) Nash C. B.: Parapsychology- The Science of Psiology, P. 240.

لا يمنع الإدراك المُرتدّ لها. فليس من غير المنطقي أنْ يكون هُناك شخص قادر على أنْ يُدرك - تراجعيّاً - أحداث الماضي من دُون أنْ يكون قادراً على إيقافها أو منعها باستخدام التّأثير النَّفْسي المُرتدّ (أو التّراجعي).

لا يستدعي التَّنبُّؤ بالمُستقبل أنْ يسير فيه التّسبيب المُرتدُّ بسُرعة تتجاوز سُرعة الضّوء، وكذلك الأمر بالنّسبة للتّأثير النَّفْسي المُتقدّم على الأحداث المُستقبليّة أو الحاضرة، ذلك لأنَّ الحَدَث المُستقبلي هُو الذي يُمارس تأثيراً مُرتدّاً على الوعي في التَّنبُّؤ. فإنَّ نُقطة البداية لم تكن من الحاضر لكي يُمكن أنْ تنعكس عندما تتجاوز سُرعة الضّوء، إنّما تبدأ الحركة من المُستقبل في مسار تراجعي، لتُؤثِّر على الحاضر. وكذلك الأمر بالنّسبة للتّأثير العقلي المُتقدّم؛ فهُو يفترض أنْ يُؤثِّر على أحداث حاضرة ومُجاورة أو أحداث مُستقبليّة، فإذا أمكن إدراك المُستقبل مُباشرة فمن المُمكن التّأثير عليه في الوقت ذاته بفعل تأثير مُتقدّم نحو المُستقبل مُعاكس للتّأثير المُرتدّ من المُستقبل إلى الحاضر. وفي ذلك كُلّه فإنَّ الحركة لا تتجاوز مُعدّل سُرعة الضّوء. وعلى العكس من ذلك؛ السّببيّة المُرتدّة اللاّموقعيّة فهي تسير بسُرعة تتجاوز سُرعة الضّوء، لكي تُؤثّر على أحداث سابقة عليها في الوُجُود (ماضية)، وهذا ما تفرضه ظاهرة الإدراك المُرتدّ نحو الماضي. وتفترض ظاهرة التّأثير النَّفْسي المُرتدّ Retro – PK أيضاً أنَّ القُوَّة تسير عكس الزّمن بسُرعة تفوق سُرعة الضّوء، لكي تصل إلى نُقطة قبل وُجُودها. فالسّببيّة المُرتدّة - سواء كانت موقعيّة أو لا موقعيّة - تسير من المُستقبل مُتّجهة إلى لحظة زمنيّة في الحاضر تكون فيها الأحداث مُتحقّقة، وغير قابلة للتّغيير، ولا يُمكن منع وُقُوعها، ولكنْ؛ من المُمكن معرفتها والتّأثير عليها.

الأبعاد الميتافيزيائيّة للنّظريّة النّسبيّة:

في النّظريّة النّسبيّة الخاصّة تلعب سُرعة الضّوء دوراً أساسيّاً. هذه السُّرعة $c = 3\times10^{10}\ cm/\sec$، هي النّهاية العظمى لسُرعة أيّ جُسيم مادّي، وهي - أيضاً - النّهاية العُظمى لسُرعة انتقال الطّاقة أو المعلومات في الحيّز الفيزيائي. فوُجُود هذه السُّرعة يمدُّنا بمعيار طبيعي وبسيط نُقرّر على أساسه متى يُمكن لظاهرة فيزيائيّة أنْ تُناقَش في « حُدُود اللاّنسبيّة » ومتى تُناقش في « حُدُود النّسبيّة ». وعلى وجه التّقريب؛ تكون المُعالجة اللاّنسبيّة مُناسبة؛ أيْ دقيقة بدرجة كافية، طالما أنَّ كُلَّ السّرعات المُتضمّنة صغيرة عند مُقارنتها بسُرعة الضّوء.(228)

---

(228) ويكمان، هـ، ايفيند، الفيزياء الكمّيّة، ترجمة: الدُّكتُور خليل مُحمّد إبراهيم عبدة، والدُّكتُور مُحمّد عبد الله سمري، الدّار الدّوليّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، الطّبعة العربيّة الرّابعة، 1997، ص35.

واستناداً إلى ذلك؛ تنقسم الحُدُود الفيزيائيَّة إلى حُدُود نسبيَّة وحُدُود لا نسبيَّة، فالحُدُود النّسبيَّة هي تلك التي تكون فيها سُرعة الجُسيمات المادّيَّة بسُرعة الضّوء أو مُقاربة لها، أمّا الحُدُود اللاّنسبيَّة؛ فالمقصود بها حُدُود عالمنا المرئي الذي تتحرَّك فيه الأشياء بسُرعات مُنتظمة وصغيرة. لكنّنا سننتقل خُطوة أُخرى خياليَّة في هذا البحث، وننظر إلى الحُدُود اللاّنسبيَّة نظرة مُزدوجة تقسمها إلى قسمَيْن مُتناقضَيْن تماماً، فبالإضافة إلى الحُدُود الطّبيعيَّة التي تكون فيها سُرعات الأشياء صغيرة مُقارنة بسُرعة الضّوء، نفترض حُدُود لا نسبيَّة أُخرى تتجاوز فيها سُرعة الجُسيمات سُرعة الضّوء، وفي هذه الحالة تنقلب حسابات كُلٍّ من النّظريَّة النّسبيَّة والنّظريَّة الكلاسيكيَّة على حَدٍّ سواء.

استناداً إلى النّظريَّة النّسبيَّة الخاصَّة؛ فإنَّ السّاعة ستتباطأ كُلَّما اقتربت من سُرعة الضّوء، وسوف تتوقَّف عن العمل نهائيّاً إذا بلغت سُرعة الضّوء، وهي نُقطة يتوقَّف فيها مُرُور الزّمن بالنّسبة للسّاعة. وهذا يفترض أنَّ السّاعة والزّمن سيتحرّكان بنَفْس السُّرعة، ولذلك؛ فإنَّ الزّمن ينتقل بسُرعة الضّوء. فإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ كُلَّ الأشياء يجب أنْ تتحرَّك زمنيّاً إلى الأمام بسُرعة الضّوء، لكي تبقى في الحاضر المُتقدّم دائماً، وبالعكس؛ فإنَّ كُلَّ الأشياء تبقى - عادةً - في الحاضر، ولا ترتدُّ إلى الماضي، بشرط أنْ تتحرَّك إلى الأمام بسُرعة الضّوء. والشّيء الذي يتوقَّف عن الحركة إلى الأمام في الزّمن بسُرعة الضّوء، فإنَّه سيختفي.[229]

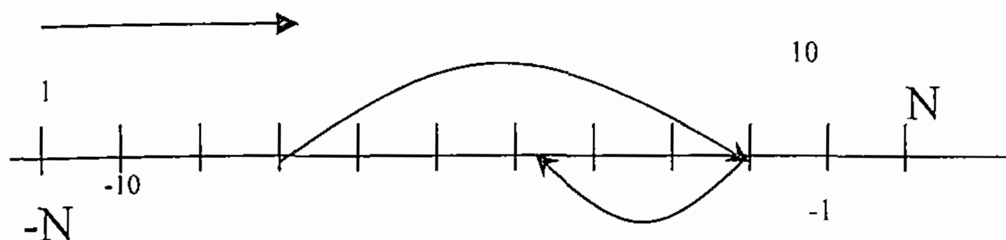
تخيَّل إنساناً حاملاً ساعة يمتطي شُعاعاً بسُرعة الضّوء (وإنَّ كان هذا غير مُمكن عمليّاً؛ لأنَّه سيتحوَّل إلى طاقة)، فإنَّ السّاعة سوف تتوقَّف عن العمل حالما يبلغ هذا الإنسان في حركته سُرعة الضّوء. لأنَّ السّاعة - كمقياس - مُصمَّمة لقياس زمن حركة الأشياء التي تسير بسُرعة أقلّ من سُرعة الضّوء، بما فيها السّاعة ذاتها، فإذا تحرّكت السّاعة بسُرعة تحرُّك الإحداثي الثّابت وهُو سُرعة الضّوء، فإنَّ عملها سيتوقَّف تماماً. مثلما إذا كُنّا نقيس حركة جسم مُتحرِّك قياساً إلى حركة جسم ثابت أو أقلّ سُرعة منه، فإذا تحرَّك الجسم (الإحداثي الثّابت) بنَفْس سُرعة الجسم المُتحرِّك، فسينتفي القياس. كذلك الأمر في السّاعة المُتحرّكة بسُرعة الضّوء بأنَّها مُساوية لسُرعة تحرُّك الإحداثي الثّابت، فينتفي القياس، وبالتّالي؛ ينتفي عمل السّاعة كمقياس للزّمن، ولذلك؛ سوف يتوقَّف مُرُور الزّمن بالنّسبة للسّاعة، فلا يُوجد شيء يفوقها في السُّرعة نقيس حركتها استناداً إليه. فلكي تكون الأشياء موجودة وحاضرة بالنّسبة لهذه السّاعة يجب أنْ تتحرَّك جميعها إلى الأمام بسُرعة الضّوء.[230]

---

(229) Ibid, P. 240.

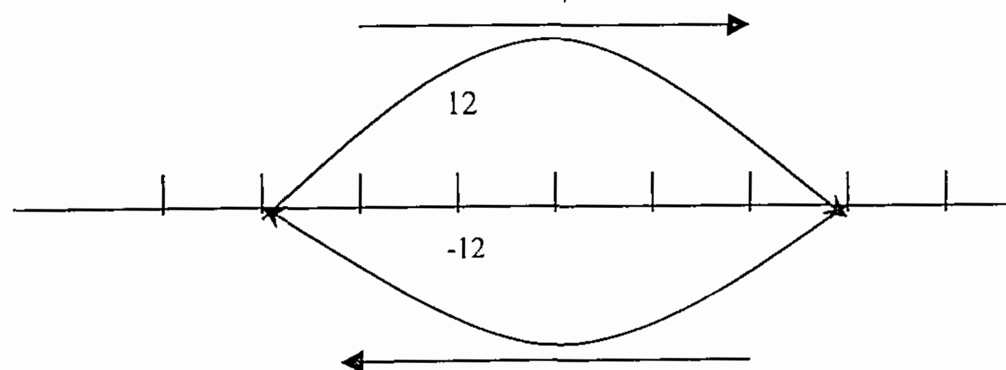
(230) Ibid, P. 241.

إنَّ الشّيء الذي يتحرَّك مُرتدّاً في الزّمن بسُرعة ضوئيَّة أقلّ من سُرعة الضّوء، فإنَّه سوف يتحرَّك فعلاً في اتِّجاه زمني مُتقدِّم إلى الأمام. والسّبب في ذلك هُو أنَّ الحركة المُتقدِّمة للشّيء بسُرعة الضّوء ستتجاوز بمُرُور الزّمن مُعدَّل تراجعه. وسيحدث هذا بالرّغم من أنَّ الشّيء سيبتعد بشكل مُتزايد عن الحاضر المُتقدِّم أبداً.[231]



إلى الوراء بأقلّ من سُرعة الضّوء

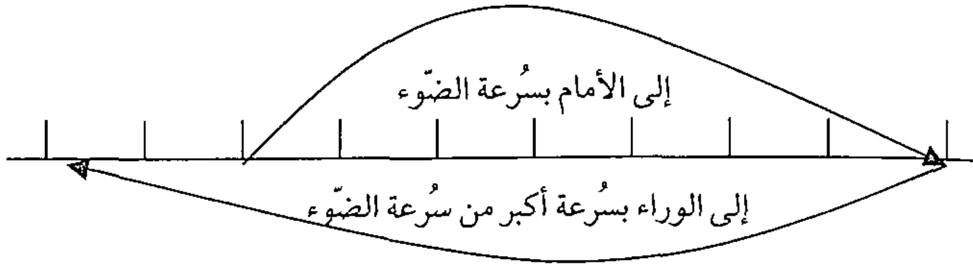
أمَّا الشّيء الذي يتحرَّك تراجعيّاً في الزّمن بسُرعة الضّوء تماماً؛ فسوف يبقى إلى الأبد في اللّحظة التّاريخيَّة لبداية رحلته؛ ذلك لأنَّ حركته المُتقدِّمة مع مسار الزّمن سوف تكون مُساوية تماماً لحركته المُرتدَّة. ويُمكن أنْ نُوضّح ذلك بالرّسم البياني التّالي:



إلى الوراء بسُرعة الضّوء

(231) Ibid, p. 241.

أمَّا إذا ارتدَّ الشّيء بسُرعة تفوق سُرعة الضّوء ؛ فإنَّه سوف يدخل في زمن موجود قبل بداية رحلته (انظر الشّكل أدناه) . فلكي تعمل السّببيَّة المُرتدَّة فإنَّ الشّيء ـ سواء كان قُوَّة أو جُسيماً ـ يجب أنْ يكون مُستقلاً عن الزّمان ؛ أيْ لا موقعياً[232] non – local :

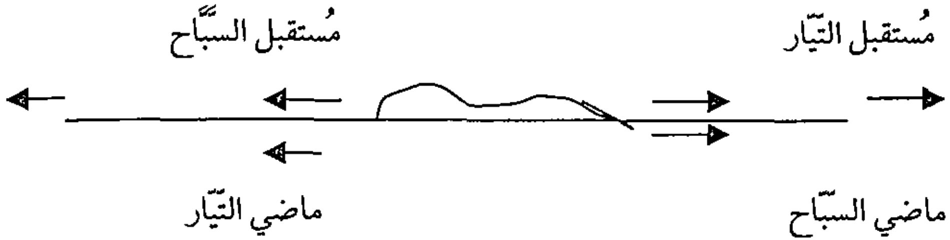


ولتوضيح ما سبق دعونا نُشبِّه مسار الزّمن بحركة واتِّجاه تيَّار المياه في نهر ، ونُشبِّه الحركة المُرتدَّة في مسارها الزّمني بحركة السَّبَّاح الذي ينطلق باتِّجاه مُعاكس لاتِّجاه التَّيَّار . فإذا كانت سُرعة السَّبَّاح أقلّ من سُرعة التَّيَّار ، فإنَّ مُعدَّل حركة التَّيَّار المُتقدِّمة إلى الأمام سوف تتغلَّب على مُعدَّل حركة السَّبَّاح المُرتدَّة ، وتكون المُحصِّلة لصالح الحركة المُتقدِّمة ؛ لأنَّه بالرّغم من أنَّ السَّبَّاح يتحرَّك باتِّجاه مُعاكس للتَّيَّار ، إلاَّ أنَّ التَّيَّار يقوم بسحب السَّبَّاح وحركته المُرتدَّة إلى الأمام (وهذا ما يُوضِّحه الرّسم البياني الأوَّل) . أمَّا إذا كانت سُرعة الحركة المُرتدَّة للسَّبَّاح مُساوية ـ تماماً ـ لسُرعة الحركة المُتقدِّمة للتَّيَّار ، فإنَّ السَّبَّاح يبقى يُراوح في نُقطة واحدة لا يبرحها أبداً هي بداية تحرُّكه (وهذا ما يُوضِّحه الرّسم الثّاني) . وفقط إذا كانت سُرعة الحركة المُرتدَّة للسَّبَّاح أكبر من سُرعة الحركة المُتقدِّمة للتَّيَّار ، فإنَّ المُحصِّلة سوف تكون لصالح الحركة المُرتدَّة للسَّبَّاح ، وسوف يصل السَّبَّاح إلى نُقطة مكانيَّة في التَّيَّار سابقة على بداية تحرُّكه ، لكنَّه لا يصل إلى لحظة زمنيَّة سابقة على بداية تحرُّكه إلاَّ إذا تجاوزت سُرعته السُّرعة الضّوئيَّة ، وهي سُرعة تخرق الشُّرُوط الفيزيائيَّة ، لكنَّها لا تخرق شُرُوط الخيال العلمي (وهذا ما يُوضِّحه الرّسم البياني الثّالث) .

ولإيضاح التَّصوُّر أكثر نُحدِّد اتِّجاهات الحركتَيْن ، فنقول إنَّ المُستقبل بالنّسبة لتيَّار المياه هُو اتِّجاه حركته الأماميَّة ، وماضيه هُو اتِّجاه الحركة المُرتدَّة للسَّبَّاح . أمَّا المُستقبل بالنّسبة للسَّبَّاح ؛ فهُو اتِّجاه ماضي التَّيَّار ؛ أيْ اتِّجاه حركته المُرتدَّة ، وماضيه هُو اتِّجاه الحركة الأماميَّة للتَّيَّار . ولذلك ؛ فإنَّ السَّبَّاح إذا تحرَّك مُرتَّداً بسُرعة تفوق سُرعة التَّيَّار فإنَّه سيصل إلى نُقطة أو لحظة هي ماضية بالنّسبة للتَّيَّار ،

(232) Ibid, p. 241.

ومُستقبليَّة بالنّسبة للسبَّاح، لأنَّ لحظة انطلاقه من المُستقبل (بالنّسبة لتيَّار المياه والزّمن معاً) هي ماضية بالنّسبة له، والنُّقطة التي يصلها ستُشكّل لحظة حاضرة له؛ لأنَّها سوف تكون مُدركة أو موعاة له.



وطبقاً لـ « ديُوكاس » فإنَّ مسار الزّمن لا يمتلك اتّجاهاً حقيقيّاً خارج الوعي، فالأحداث الفيزيائيَّة ليس لها اتّجاه زمني مُحدَّد عندما تكون خارج الوعي، وهي تمتلك اتّجاهها الزّمني فقط عندما تكون مُدركة كأحداث سيكُولُوجيَّة[233]. وهذا ينطبق على مثالنا السّابق، فإذا استبدلنا الزّمن بالتيَّار والوعي بالسبَّاح، فإنَّ مسار الزّمن لا يمتلك اتّجاها حقيقيّاً خارج الوعي، وأنَّ هذا الأخير هُو الذي يُرتِّب الأحداث وفقاً لمواضع زمنيَّة مُحدَّدة تُتيح له التّصرُّف بهذا التّرتيب والتّنبُّؤ به مُسبقاً.

وعندما نعود إلى النّظريَّة النّسبيَّة، التي تفترض أنَّ الزّمن محدود بسُرعة الضّوء، فإنَّ كُلَّ الأشياء يجب أنْ تتحرَّك بسُرعة ضوئيَّة، لكي تكون حاضرة. فإذا تجاوز شيء ما سُرعة الضّوء، فإنَّه سوف يعود إلى نُقطة سابقة على وُجُوده بحركة مُرتدَّة مُعاكسة لمسار الزّمن المُتقدِّم إلى الأمام. والسُّؤال هُو، هل يُمكن لهذا الانعكاس الزّمني أنْ يُتيح إمكانيَّة تغيير أحداث الماضي أو منعها من الحُدُوث؟ والحقيقة؛ أنَّ هذا السُّؤال - على فَرَض صحّته - لا يُمكن أنْ نُجيب عنه بالإيجاب؛ لأنَّ ما حَدَثَ فقد حَدَثَ، ولا يُمكن تغييره أو منعه، وهُو مُستقلٌّ - تماماً - عن النُّقطة التي نُلاحظه منها. فإذا أمكن - نظريّاً - الانعكاس في الزّمن، فإنَّنا ننعكس في مجال عقلي - سيكُولُوجي محض، وسوف تكون مُلاحظتنا للأحداث القديمة السّابقة على وُجُودنا، وربَّما حتَّى واقعة ميلادنا من أبوينا، تُشبه - إلى حَدٍّ ما - مُلاحظتنا لشريط أحداث سينمائي أو تلفزيوني نُشاهده ولا نملك وسيلة إحداثه أو بثّه، فضلاً عن تغييره أو منعه.

---

(233) Ducasse T. C.: Theory of Relation of Causality to Precognition, In: ((Wheatley and Edge)) (Ed): Philosophical dimensions of Parapsychology, pp. 227 –231.

نظريَّة التَّزامُن:

النّظريَّة البديلة عن السّببيَّة هي المُسمَّاة بـ التَّزامُن Synchronicity، التي وضعها الطّبيب النّفْسي كارل يُونغ بالاشتراك مع عالم الفيزياء باولي (Jung and Pauli, 1955). وطبقاً لهما؛ فإنّه لا يُمكن تصورُّ أيّ تفسير سببي للظّواهر الخارقة؛ مثل الإدراك فوق الحسّي ESP؛ لأنَّ التّفاعل السّببي في الظّواهر الطّاقويَّة يتحدَّد ـ دائماً ـ بشُرُوط الزّمان ـ مكان، في حين معروف عن الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة أنّها مُستقلَّة ـ جُزئيَّاً على الأقلّ ـ عن الزّمان والمكان، ولذلك؛ فهي يجب أنْ تنتمي إلى نظام آخر للكون مُختلف. وعلى العكس من النّظام السّببي المألوف يُسلّم يُونغ بنظام لا سببي يتألَّف من ظواهر تزامُنيَّة. ويعني يُونغ بالتَّزامُنيَّة الارتباط اللاَّسببي الذي يربط حَدَثَيْن معاً بطريقة ذات مغزى، فهي نوع من الاتّفاق الذي يُشير إلى معنى. ويقول يُونغ إنَّ التَّزامُنيَّة تُشكّل تلك الحالات من الحُدُوث التَّزامُني لشرط سيكُولُوجي مع ظاهرة موضوعيَّة واحدة أو أكثر، يكون فيها معنى الأوّل مألوفاً للآخر الذي يتبعه[234]. وما التَّزامُنيَّة إلاَّ حالة خاصَّة للتّرتيب غير الخاضع لسبب كوني: وهي بالتّأكيد حالة تطابق السّياقات النّفْسيَّة والفيزيائيَّة التي تضع المُراقب في موقع يتمكّن من خلاله التّعرُّف على القرينة الثّالثة[235].

يُعبِّر التَّزامُن عن التقاء سلسلتَيْن سببيَّتَيْن أو أكثر في لحظة مُعيَّنة لإحداث واقعة فريدة مُحمَّلة بالدّلالة. والحقيقة؛ أنَّ التَّزامُن هُو نوع من الصُّدفة النّسبيَّة. يُمكن أنْ نُميِّز على الصّعيد الفلسفي بين نوعَيْن من المُصادفة؛ النّوع الأوّل هُو الصُّدفة المُطلقة، والثّاني هُو الصُّدفة النّسبيَّة. والنّوع الأوّل لا وُجُود له في الطّبيعة، فهُو مرفوض من النّاحية الفلسفيَّة؛ لأنّه يستند إلى قانون مُستحيل من النّاحية المنطقيَّة يذهب إلى إمكانيَّة حُدُوث شيء من لا شيء. فمن الصّعب على العقل البشري أنْ يتصوّر وُقُوع شيء لا سبب له، كما أنَّ العلم لا يُمكنه أنْ يفهم هذا اللّون من الحُدُوث. ولذلك؛ فمن النّاحية المبدئيَّة إذا حَدَثَ شيء فلابُدَّ أنْ يكون هُناك عامل أو جُملة عوامل قريبة أو بعيدة، مُدركة أو غير مُدركة، تضافرت لإحداث هذا الشّيء أو الحَدَث في الزّمان والمكان المُحدَّدَيْن. أمَّا بالنّسبة للصُّدفة النّسبيَّة؛ فهي لا تُعبِّر عن حُدُوث شيء من لا شيء، وإنَّما تتضمَّن

---

(234) Rao R.: Theories of Psi, In: Krippner S (Ed): Advances in parapsychological Research, ESP, 2, New York, 1987, p.284.

See also: Eisenberg H.: op cit, p.91.

(235) التَّزامُنيَّة، تأليف نُخبة من الأساتذة، ترجمة سعد هادي سُليمان، مُراجعة: الدُّكتُورة عقيلة الهاشمي، سلسلة كتاب الباراسيكُولُوجي، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، 1990، ص28.

عمليَّة التقاء سلسلتَيْن سببيَّتَيْن مُستقلَّتَيْن لإحداث شيء ما أو حَدَث ما. في سبيل المثال، شخص يخرج للنُّزهة، فيمرُّ قُرب مبنى قديم، فينهار عليه. إنَّ الأسباب التي قادت الشّخص للنُّزهة يبدو - ظاهريّاً على الأقلّ - مُستقلّة عن أسباب انهيار المبنى القديم، ولذلك نقول إنَّ الحَدَث وقع مُصادفة، أو اتّفاقاً.

لكنَّ بعض الأحداث الاتّفاقيَّة ليست اعتياديَّة كما يبدو من الحادثة الاتّفاقيَّة السّابقة. وإنَّما تأتي بعض الاتّفاقات مُحمَّلة بالمعنى بشكل عميق، ممَّا يدفع المرء إلى التّساؤل عن مصدر ذلك المعنى، أو عن القَصْديَّة التي تكمن خلف تلك الاتّفاقات، التي تُشير إلى شيء ما يكمن خلفها، أو تُثير الإحساس بصوت خفي يدعونا إلى التّساؤل، ويُثير فُضُولنا. وهذا المعنى أو القَصْديَّة هُو الذي دفع كامير، ويُونغ، و بولي، إلى تأمُّلها ودراستها، ومُحاولة فرض نظام خاصٍّ لها.

من الأمثلة البارزة التي حَدَثَتْ لـ يُونغ، التَّزامُن الذي حَدَث عندما كان يُعالج إحدى مريضاته. عندما كان يُونغ يستمع إلى إحدى مريضاته وهي تعرض عليه حلم البارحة، سمع حركة أو طنيناً، التفت خلفه، فرأى خنفساء خلف زُجاج النّافذة تُحاول الدُّخُول إلى الغُرفة، والمُدهش في الأمر أنَّ مريضته كانت تُحدثُه في تلك اللّحظة عن خنفساء ذهبيَّة ظهرت لها في الحلم. أمسك يُونغ بالخنفساء، فوجد أنَّها مُطابقة للخنفساء التي رأتها مريضته في الحلم. ويذكر أنَّ هذه الواقعة أحدثت تحوُّلاً إيجابيّاً في العلاج، إذْ بدأت المريضة تستجيب له جيِّداً بعد أنْ تغيَّرت صُورة الواقع في ذهنها، وانتهى الأمر بشفائها. دفعت هذه الحادثة يُونغ إلى أنْ يجمع الكثير من الأحداث التَّزامُنيَّة بالتّعاون مع صديقه باولي عالم الفيزياء الكمِّيَّة.

ومن الطّريف أنَّ مُؤلِّف هذا الكتاب - عندما كان يقرأ كتاباً عن التَّزامُن - حصلت معه حادثة تزامُنيَّة مع طفله الصّغير. بدأتُ بالصّلاة، فحدّثتني نَفْسي بأنْ آكل شيئاً من التُّفَّاح بعد الصّلاة، وأنْ أُشارك فيه ولدي الصّغير الذي كان يلعب في الغُرفة المُجاورة. لكنَّني نسيت أمر أَكْل التُّفَّاح بعد أنْ أنهيتُ صلاتي، جلستُ في مكتبي، وتناولتُ كتاب التَّزامُن، وقبل أنْ أقرأ شيئاً دخل ولدي الصّغير عليَّ قائلاً «بابا أُريد تُفَّاحاً!» ابتسمتُ، ونهضتُ لتنفيذ رغبته أو رغبتي التي تزامنت مع رغبته، أو التي رُبَّما انتقلت له بطريقة ما.

إذنْ: التَّزامُن هُو التّفسير المُقابل للتّفسير السّببي، الذي يُمكن أنْ يصف لنا الظّواهر الخارقة، فضلاً عن أنَّه يُمكن أنْ يصف لنا العديد من الظّواهر الكمِّيَّة في الفيزياء المُعاصرة. ومن أمثلة تزامُن العمليَّات الكمِّيَّة، التّجربة التَّأمُّليَّة التي تصوَّرها آينشتين وزُملاؤه عن ارتباط جُسيمَيْن مُتباعدَيْن

مسافات هائلة؛ بحيثُ يُمكن أنْ نستنتج موضع أحدهما من قياس موضع الآخر، وكذلك سُرعة أحدهما من قياس سُرعة الآخر. وتكتسب هذه الحادثة معنى التَّزامُن من فَرَضيَّة أنَّ ما يحدث للجُسيم الأوَّل من تغيُّر يتبعه تغيُّر مُباشر ومُساو تماماً في الجُسيم الثَّاني مهما كانت المسافة الفاصلة بينهما (انظر الجُزء الأوَّل من الفصل الحالي).

وتجد التَّزامُنيَّة مُسوِّغاتها في الفيزياء المُعاصرة، فهي تَستمدُّ من النَّظريَّة النِّسبيَّة ونظريَّة الكمِّ ذلك الإحساس بالوحدة الكونيَّة الذي كان سائداً في عُصُور ما قبل العلم الحديث، والذي قضت عليه الفيزيائيَّة النِّيُوتنيَّة عندما صوَّرت الكون تصويراً ميكانيكيّاً جامداً مُفرَّغاً من شاعريَّته وحيويَّته. فالنَّظريَّة النِّسبيَّة لا ترى المكان بوصفه فراغاً تسبح فيه ذرَّات غير قابلة للانقسام، بل تُصوِّر الكون بوصفه نسيجاً مُتماديّاً، لا انقطاع فيه. بمعنى آخر؛ إنَّ المكان ملاء، والكون قطعة واحدة، مُمتلئ بذاته، مثل لوحة مُمتلئة بذاتها. وإذا كان ثمَّة مناطق تُمثِّل الخلفيَّة ومناطق تُمثِّل المُقدِّمة، إلاَّ أنَّ القماش واحد مُتمادٌ.[236]

وترى نظريَّة الكمِّ أنَّ كُلَّ فعل مُتمادٍ ومُتواصل لا انقطاع فيه. وهي تتعامل مع تجربة تشتمل على جُسيمات ذرِّيَّة عديدة بوصفها عمليَّة أو سيرورة كُلِّيَّة واحدة. فالجُسيمات ليس لها وُجُود فردي، وإنَّما هي تُسهم - وحسب - في حَدَث التَّجربة الكامل. وما تُعنى به النَّظريَّة هُو الوضع الكُلِّي، فتتعامل مع الأجزاء على أنَّها ثانويَّة ليس لها جوهر أساسي.

ويُعقِّب مُؤلِّفا التَّزامُن على هذه الصُّورة الكونيَّة بالقول بأنَّها «أكثر انسجاماً مع التَّزامُن قياساً إلى النُّمُوذج الميكانيكي للكون. ذلك أنَّ التَّزامُن ذاته ينطوي على الكُلِّيَّة، ويدا على علاقات مُحمَّلة بالمعنى بين الحوادث غير المُترابطة سببيّاً. وفي نظريَّة الكمِّ نحنُ نستعيد رُؤية للعالم تراه نسيجاً لا انقطاع فيه ولا حوادث مُنفصلة ومعزولة، بل حوادث تُشكِّل قطعاً مُتحابكة في قماش مُطرَّز واحد مُشترك».[237]

والفائدة الأُخرى لا تتعلَّق بشكل الكون الهندسي، وإنَّما بشكل العلاقات السَّببيَّة، ففي النَّظريَّة الكمِّيَّة يُؤدِّي فرط الشَّحنة الكهربائيَّة الذي يُعزى إلى فرط الشَّحنة في البرُوتُونات إلى انفجار نوى ذرَّات بعض العناصر الكيميائيَّة، فيتسبَّب في إطلاق إشعاعات، ومن هُنا؛ يُمكن أنْ نُحدِّد السَّبب بأنَّه الشَّحنة المُفرطة، والنَّتيجة هي الانشطار. ولكنْ؛ عندما نسأل عن سبب انفجار هذه الذَّرَّة أوَّلاً، وليس

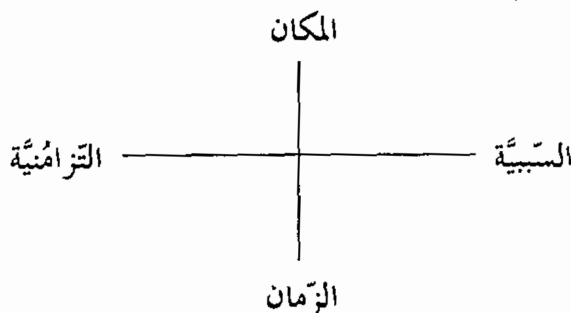
---

(236) ألان كُومبس، ومارك هُولند، التَّزامُن، العلم والأُسطُورة والأُلعبان، ترجمة ثائر ديب، دار مكتبة إيزيس، دمشق، ط1، 2000، ص40.

(237) المصدر نفسه، ص40.

تلك، نقع في اللاَّسببيَّة، وذلك يعني أنَّنا نتعمَّق في إحدى الصِّفات الكُبرى لتزامُنيَّة يُونغ. ولا نُريد الإسهاب والتّكرار، فقد ذكرنا مُعظم الأمثلة النُّمُوذجيَّة في النّظريَّة الكمِّيَّة في بداية الفصل الحالي.

ورأى يُونغ وباولي ضرورة تزويد الثُّلاثي التّقليدي في الفيزياء الكلاسيكيَّة ـ المكان، والزّمان، والسّببيَّة ـ بعُنصُر رابع، هُو التّزامُن، كيما تُشكِّل رباعيّاً. أمَّا هذا العُنصُر الرّابع؛ فهُو عُنصُر يُحمَل على نحو لا سببي، ويُمثِّل القطب المُعاكس للسّببيَّة. وقد رسم يُونغ وباولي هذا التّقاطب مُتعامداً مع تقاطب المكان والزّمان (انظر الشّكل أدناه). وكان باولي يرى إلى هذه السّيرورة اللاَّسببيَّة بوصفها سيرورة «ميتافيزيقيَّة»، تعمل على مُستوى جوهري أكثر من المُستوى الذي تعمل عليه قوانين السّببيَّة المادّيَّة.[238]



لا تتضمَّن الاتِّفاقات التّزامُنيَّة النّتائج ذات المغزى في تجارب ساي وحالات ساي التّلقائيَّة فحسب، وإنَّما تشمل ـ أيضاً ـ التّكهُّنات، والنُّبوءات التّنجيميَّة النّاجحة، وجميع النّتائج الفيزيائيَّة التي ليس لها تفسير طبيعي.

يكشف مفهوم التّزامُنيَّة عن ثلاثة مُستويات: الأوَّل مُستوى وقائعي؛ حيثُ يكون الحَدَث في لا سببيَّته الخاصَّة هُو الذي يُنشئ معنى أمام الشّخص. والمُستوى الثّاني هُو مُستوى تنظيمي: يُؤدِّي إلى ترتيب يكون حَدَثه هُو الدّلالة. والثّالث مُستوى ميتافيزيقي يُؤدِّي إلى طرح سُؤال، ما هي حقيقة الكون الذي نحيا فيه؟ وهل لهذه الحقيقة من معنى؟ وهل تُشير التّزامُنيَّة إلى العالم المُوحَّد (الميتافيزيقي)؛ أيْ إلى مفهوم الحقيقة الكامنة، والتي تتعايش مع وُجُود الرُّوح، والتي تضمُّ المادَّة والرُّوح ـ (مادَّة رُوحيَّة) و(رُوح مادّيَّة) بين عالمَيْن.[239]

---

(238) المصدر نفسه، ص144.

(239) المصدر نفسه، ص29 ـ 30.

في الحقيقة؛ إنَّ مفهوم التَّزامُنيَّة هُو تعبير جديد عن غائيَّة كونيَّة كان العلم قد هجرها مُنذُ بدايات العصر الحديث، تلك الغائيَّة التي وجدت لها موضعاً مركزياً في فيزياء أرسطو، ودعا إليها العديد من العُلماء والفلاسفة حديثاً؛ في مُقدِّمتهم هنري برجسُون، وتحدَّث بعض المُثقَّفين الغربيِّين عن حقيقة أنَّ العلم أو النَّسَق المعرفي الذي لا يتضمَّن مكاناً للإرادة أو للقَصْديَّة إنَّما هُو عقبة تعوق التَّطوُّر الإنساني، وهُو - في هذه النُّقطة بالذَّات من التَّاريخ - يُعَدُّ عُنصُراً خطير الضَّرر.

إنَّ فَرَضيَّة يُونغ هذه ما هي إلاَّ فَرَضيَّة لا سببيَّة، بمعنى آخر؛ إنَّها فَرَضيَّة سلبيَّة، فهي تفترض مكاناً بدُون مكان، وزماناً بدُون زمان، وسبباً بدُون سبب. وقد يصدق القول إنَّها عالم للا - عالم، وفراغ. والذي من دُون هذا الفراغ لن يكون للامتلاء، والزَّمان - المكان وسببيَّته أيُّ معنى؛ لأنَّها - حينئذ - ستكون مُتعذِّرة على الفَهْم، سواء في مفهومها الفيزياوي للتَّسبيب، أو في عَقْلَنة الاستيعاب والدّلالة. ويُؤكِّد لنا يُونغ أنَّ التَّزامُنيَّة تطرح معنى مُتَّصلاً بالشُّعُور الإنساني الموجود خارج الإنسان، وهذا في الحقيقة مُشابه لفلسفة أفلاطون التي أقرَّت وُجُود الصُّور المُتعالية ونماذج أوَّليَّة للأشياء التَّجريبيَّة، وللأشكال والأنواع التي تُكوِّن الأشياء.

ويُؤكِّد يُونغ أنَّ الأسباب الغائيَّة تفرض في بعض المعاني علماً مُسبَقاً ذا طبيعة ما، لهذا السَّبب هي ليست معرفة مُرتبطة بـ « الأنا » ومعرفة « واعية »، والأحرى هي معرفة « لاشُعُوريَّة » موجودة في ذاتها، يُسمِّيها يُونك « المعرفة المُطلقة ». وهي ليست معرفة بالمعنى الدَّقيق، بل هي كما صاغها لايبنتز بطريقة مُدهشة، عرض يتكوَّن من صُور من دُون موضوع، وهذه الصُّور رُبَّما تُمثِّل - كما يرى يُونك - ما أطلق عليه هُو نَفْسه اسم « النَّماذج البدائيَّة » التي تنكشف بوصفها عناصر شكليَّة في النَّتاجات الذَّاتيَّة للمُخيِّلة.[240]

التَّزامُنيَّة على اتِّصال بالسَّببيَّة، و بـ(الطَّاقة غير القابلة للاستنفاذ)، و بـ مُتَّصل الزَّمان - مكان، لكنَّ هذه الصِّلة على عكس الصِّلة السَّببيَّة غير مُستقرَّة عبر إمكانيَّة حُدُوثها، وناقلة لتماثل الفكر السَّبق تأمُّلي والحسّ. ويُمكن أنْ يُقال عنها أيضاً حاملة لمعنى الدَّالّ والمدلول. وذلك الحسُّ هُو حسٌّ قبلي، يُوجد خارج الوعي الإنساني؛ أيْ حسٌّ من دُون موضوع، على غرار أفكار أفلاطون التي تظهر على شكل صُور من دُون مادَّة. وهذا المعنى الأولي، حسب تعبير لايبنتز، وهُو المعنى عينه عند هيجل، أطلق عليه يُونك « المعرفة المُطلقة » للكون، وهي ذاتها معرفة لا شُعُوريَّة.[241]

---

(240) التَّزامُنيَّة، تأليف نُخبة من الأساتذة، ص67.

(241) المصدر نفسه، ص 68.

فَرَضيَّة الطَّاقة البيُولُوجيَّة:

كان اهتمام الاتِّحاد السُّوفيتي وأُورُوبا الشَّرقيَّة بالظَّواهر الخارقة كبيراً إلى حَدٍّ ما. وقدَّمت البُحُوث هُناك مُفردات ومفاهيم تعكس الرُّؤية الفلسفيَّة المادِّيَّة. فبدلاً من الباراسيكُولُوجي أو الإدراك فوق الحسِّي استُخدمت مُصطلحات مثل السَّايكُوترُونيك (التِّقنيَّات النَّفسيَّة) Psychotronics أو الاتِّصالات الحيويَّة Bio – Communication، ونُسبت ظواهر ساي إلى الطَّاقة الحيويَّة Bioenergy وإلى الهالة Aura، ونُسبت بعض الظَّواهر الأُخرى إلى البلازما الحيويَّة Bioplasma. وتُشير هذه المُصطلحات - ضمنيّاً - إلى الرَّفض الثَّابت للثُّنائيَّة Dualism ونسبة ظواهر الحياة كافة إلى آليَّة الكيمياء الحيويَّة.[242]

بدأت البُحُوث الباراسيكُولُوجيَّة في رُوسيا (الاتِّحاد السُّوفيتي سابقاً) مع الدُّكتُور Dr. Vaciliev، «برُوفيسُور الفسيُولُوجيا في جامعة لينينغراد (بطرسبُورغ حاليّاً)». ويختلف هدف البُحُوث الباراسيكُولُوجيَّة في رُوسيا تماماً عنها في أمريكا. فقد بدأت في أميركا بهدف إثبات خُلُود النَّفس بعد الموت الطَّبيعي للإنسان، في حين بدأت في رُوسيا بهدف رفض الدِّين والخُرافة معاً. وكان الشَّعب السُّوفيتي سابقاً (الرُّوسي الاتِّحادي حاليّاً) يعتقد - في البدء - أنَّ الظَّواهر الخارقة؛ مثل التَّخاطُر والتَّأثير النَّفسي (السَّايكُوكينيسز) يُمكن تفسيرها بوصفها نوعاً من ظواهر التَّنويم المغناطيسي Hypnotic Phenomena، أو عن طريق نظريَّة إشعاع الجسم الحي A living body as a radio، أمَّا الدِّين والوُجُود الرُّوحي؛ فلا ينسجم مع الرُّؤية العامَّة للحياة في الاتِّحاد السُّوفيتي (سابقاً).

إنَّ نظريَّة إشعاع الجسم الحي تفترض أنَّ من المُمكن قراءة عقل شخص ما عن طريق الاتِّصال به من خلال عُضو حسِّي أو عُضو عصبي لا يزال مجهولاً للعلم، أو الاتِّصال به مُباشرة بوساطة موجات كهرُومغناطيسيَّة دماغيَّة ذات تردُّد عال جدّاً أو واطئ جدّاً، بالرَّغم من أنَّها - ربَّما كانت، من النَّاحية الفسيُولُوجيَّة - ضعيفة جدّاً، وليست قويَّة بما فيه الكفاية لإعطاء تحفيزات لأعصاب شخص آخر. وتظهر هذه الموجات الكهرُومغناطيسيَّة عندما يُثار الإنسان عاطفيّاً، وعندما تُثار الخليَّة العصبيَّة للدِّماغ المُتوسِّط diencephalon أو الجهاز اللِّمبي أيضاً limbic System.[243]

---

(242) رُوش، جُوزيف، ما هُو الباراسيكُولُوجي، الفصل الأوَّل مُستلٌّ من الجزء الأوَّل من كتاب أُسُس الباراسيكُولُوجي (إعداد مجموعة من الخُبراء) ترجمة: الأُستاذ سلمان يعقُوب العبيدي، وهُو مخطوط مُعَدٌّ للنَّشر، بغداد، مركز البُحُوث النَّفسيَّة.

(243) Motoyama H.: The Present situation of *Parapsychology in the world*, Tokyo, 1969, p. 28.

وطَرَحَ الـرُّوس فَرَضيَّة أُخرى لتفسير السّايكُوكينيسز (ط ن م) تُدعى ظاهرة ليترا Leitra Phenomena . كان الفسيُولُوجي ليترا ذات يوم يفحص بواسطة الميكرُوسكُوب العُضو الإفرازي الدّاخلي لحشرة an insect فوجده يرتعش . وقد راقبها - بعناية - لمعرفة سبب الارتعاش ، فاكتشف - بعد ذلك - أنَّ عضلات يدَيْه وقدمَيْه أو عضلات أعضائه التّنفُّسيَّة كانت مُتوتِّرة ومُثارة عندما كان ينظر من خلال الميكرُوسكُوب بتوتُّر ، وكان العُضو الإفرازي الدّاخلي للحشرة يرتعش كذلك . فعرف العُلماء الرُّوس - مُنذُ ذلك الوقت - ظُهُور نوع من الموجة الكهرُومغناطيسيَّة عندما تتوتَّر العضلات . وتمَّ تفسير تلك الظّاهرة بأنَّها ناتجة عن نوع من الموجات الكهرُومغناطيسيَّة التي تتولَّد عن طريق إثارة في عضلات اليدَيْن أو القَدَم أو عضلات الأعضاء التّنفُّسيَّة للشّخص النّاظر من خلال الميكرُوسكُوب بتوتُّر ، تنتقل إلى العُضو الإفرازي الدّاخلي للحشرة ، فتُثيره - بدورها - وتجعله يرتعش .(244)

بعد ذلك حاول العُلماء الرُّوس تطبيق تلك الفَرَضيَّة (الكهرُومغناطيسيَّة أو إشعاع الجسم الحي) على التَّخاطُر . فأقاموا تجربة استخدموا فيها غُرفتَيْن مطليَّتَيْن بالرّصاص . وضع في إحداهما المُجرِّب وفي الثّانية الوسيط . وكانت الفكرة المبدئيَّة هي أنَّه إذا كان التَّخاطُر يحدث بسبب ظاهرة إشعاع الجسم الحي أو ظاهرة ليترا المذكورتَيْن ، فيجب أنْ لا يحدث في غُرفة معزولة بحائط من الرّصاص يمنع مُرُور الموجات الكهرُومغناطيسية . ولكنْ ؛ قد حصل العكس ، إذْ استمرَّ التَّخاطُر بالحُدُوث ، لذلك ؛ اكتشفوا أنَّ من الخطأ تفسير التَّخاطُر عن طريق نظريَّة إشعاع الجسم الحي أو عن طريق ظاهرة ليترا . وأخيراً ؛ لم يستطع المادِّيون تجاهل أو رفض النّتيجة التي تذهب إلى أنَّ عقل الإنسان الذي بإمكانه إحداث الظّواهر الرُّوحيَّة مثل التَّخاطُر لم يكن ذا بُعْد فيزيائي كموجة كهرُومغناطيسيَّة ، وإنَّما يجب أنْ يكون شيئاً آخر غير مُحدَّد بالزّمان والمكان ، بالرّغم من أنَّهم بدؤوا بفَرَضيَّة مُعاكسة لهذه النّتيجة ، وهي رفض واستبعاد البُعْد الرُّوحي أو الدِّيني عن تلك الظّواهر .(245)

ويفهم السّيكُوترُونيك الوعي بوصفه مُتماهياً مع الطّاقة والمادَّة ، بمعنى آخر ؛ يُصنّف الوعي ضمن الطّاقة والمادَّة ، وإنَّ دراسة تفاعل الوعي مع الطّاقة والمادَّة يُقدِّم فَهْماً جديداً للقابليَّات الطّاقويَّة في الكائن البشري ولعمليَّات الحياة والمادَّة بشكل عامٍّ . والمهمَّة الرّئيسة للسّايكُوترُونيك هي الفَهْم الإنساني الواسع والمُتقدِّم لقوانين الطّبيعة الحيَّة وغير الحيَّة ، وبأنواع جديدة من المعرفة

---

(244) Ibid, p. 28.

(245) *Ibid*. p. 29.

مُشتقَّة من دراسة ظُهُور العمليَّات الطّاقويَّة داخل النَّفْس الإنسانيَّة. إنَّ الخاصيَّة الأساسيَّة للظّواهر في حقل السّيكُوترُونيك هي التّفاعلات البعيدة التي تحدث بين الكائنات العُضويَّة الحيَّة مع بعضها (سواء كانت حيوانيَّة أو بشريَّة) وبين المادَّة الحيَّة والمادَّة غير الحيَّة وبين هذه والمجال المعلوماتي للبيئة.[246]

تصنيف التّفاعلات المُفترضة لقُوَّة ساي كما يطرحه السّايكُوترُونيك:

ذكرنا سابقاً أنَّ السّايكُوترُونيك يفترض مجموعة من التّفاعلات التي تحدث على ثلاثة مُستويات: تفاعلات المادَّة الحيَّة مع مادَّة حيَّة أُخرى، وتفاعلات الموادِّ الحيَّة مع الموادِّ غير الحيَّة، ثُمَّ تفاعلات المادَّة مع المجال المعلوماتي للبيئة[247]، وبالأشكال التّخطيطيَّة التّالية:[248]

1 ـ المادَّة الحيَّة في البيئة ⇄ المادَّة الحيَّة.

2 ـ المادَّة غير الحيَّة في البيئة ⇄ المادَّة الحيَّة.

3 ـ البيئة ⇄ المادَّة الحيَّة.

يتَّخذ التّفاعل الأوَّل في ضوء الكيمياء الحيويَّة الأشكال الآتية:

الاتِّصال Communication ← الاتِّصال الحيوي Biocommunication

العلاج Therapy ← العلاج الحيوي Biotherapy

التّشخيص Diagnostics ← التّشخيص الحيوي Biodiagnostics

التّغيُّر التّركيبي Structural Change ← التّنشيط الحيوي Bioactivation

التّغيُّرات الحركيَّة في البيئة ← التّحريك الحيوي Biotelekinesis

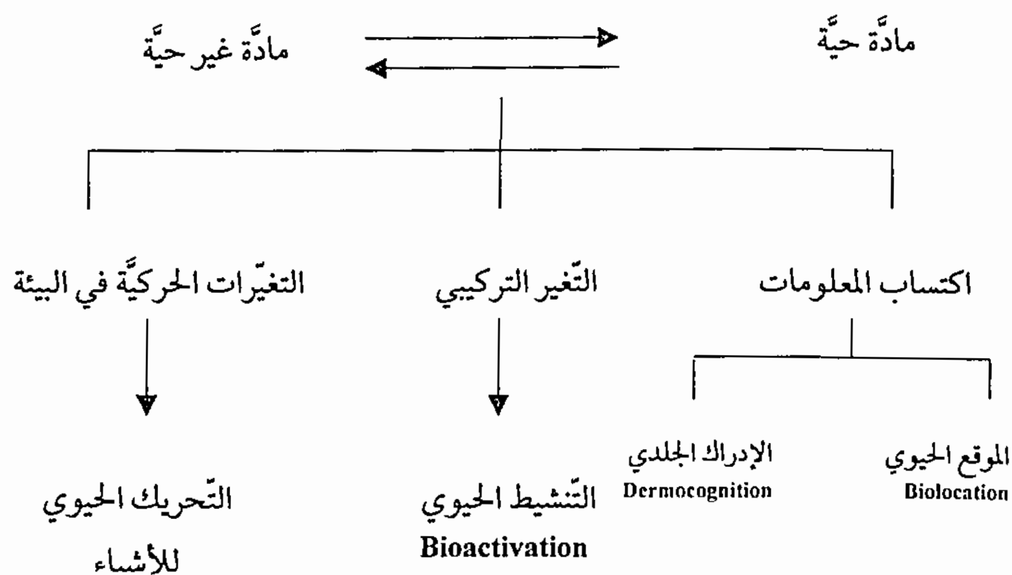
Movement changes in the environment

(246) Rejdak .Z.:A bout Psychotronics and Yoga, In: Religion and Parapsychology, J A R P, Japan, Nu. 24, Nov. 1970, pp. 8-10.

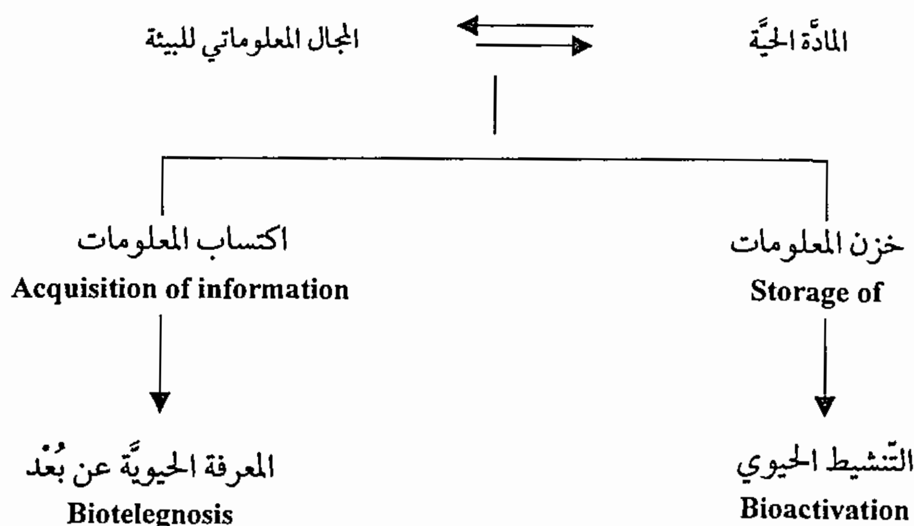
(247) Ibid. p. 10.

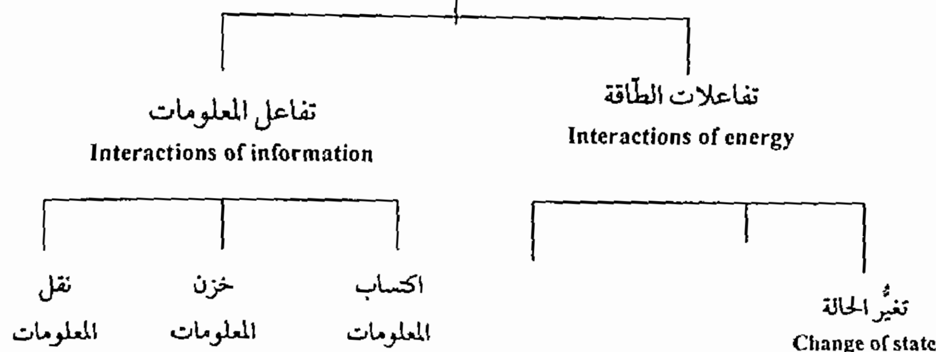
(248) حسن، الدُّكتُور الحارث عبد الحميد، بُحُوث مُعدَّة لمركز البُحُوث النَّفْسيَّة والباراسيكُولُوجي، طبع خاصّ في المركز.

ويتمُّ النّوع الثّاني من التّفاعل (بين المادّة الحيَّة وغير الحيَّة) وُفق المخطط الآتي:



ويتمُّ التّفاعل الثّالث عن بُعْد بين المادّة الحيَّة والمجال المعلوماتي للبيئة بالشّكل الآتي:





مجال ساي المعلوماتي:

يذهب سي تي كي شاري C. T. K. CHARI إلى أنَّ هُناك ثلاثة أنواع من المعلومات ذات أهميَّة في الأنظمة البيُولُوجيَّة. هُناك - أوَّلاً - المعلومات الوراثيَّة genetic information التي لا تُقدِّم تغذية استرجاعيَّة للعُضويَّات الفرديَّة، لكنَّها تنتقل من جيل إلى جيل. وثانياً؛ هُناك المعلومات البيئيَّة النّاشئة بشكل مُباشر في الأجهزة العصبيَّة، وهي تُقدِّم تغذية استرجاعيَّة واضحة، إيجابيَّة أو سلبيَّة، مُعمَّمة ودقيقة، في أنظمة خزن العُضويَّات الفرديَّة، لكنَّ المعلومات لا تنتقل من جيل إلى جيل. ثالثاً؛ في مُستوى إنساني مُتميِّز، نحصل على معلومات اتِّصاليَّة تمتلك تغذيَّة استرجاعيَّة مُهمَّة، وهي تنتقل - أيضاً - إلى الجيل القادم عن طريق لُغة مكتوبة أو نظام مُسجَّل من الرُّمُوز.[249]

ويذهب الباراسيكُولُوجي بعيداً وراء كُلّ تلك الأنظمة. وفي مُحاولة لجعل اكتشافات الباراسيكُولُوجي مقبولة أكثر ممَّا يبدو، يفترض شاري نمط معلومات ساي Psi-information أعلى من الأنماط الثّلاثة من المعلومات البيُولُوجيَّة المألوفة في العلم. إنَّ معلومات ساي البيُولُوجيَّة ناشئة بوصفها جُزءاً من أنظمة ساي العامَّة بضمنها أنظمة ساي الطّاقويَّة Psi-energetic systems التي تظهر في التّحريك النَّفسي Pk والتّجلّيات المُرتبطة (التّحريك عن بُعْد telekinesis، والجراحة عن بُعْد teleplasticity، والشّفاء الرُّوحي Psi-healing، والضّوضاء الإلكترُونيَّة أو الرّاديويَّة.. إلخ).

(249) Chari. C. T. K.: Parapsychology, Quantum Logic, And Information Theory, In Laura Oteri (Ed): Quantum physics and parapsychology, pp.74-75.

وأثبتت التّجارب الدّقيقة لباحثين من ثلاثة بلـدان مُختلفـة بـأنّ الإدراك فـوق الحسّـي التّنبُّـؤي Precognitive ESP، يُمكن أنْ يُثير سُلُوك القوارض. ويدلُّ هذا علـى أنّ معلومـات سـاي تتفـاعل مع عمل أكثر أنظمة المعلومات البيُولُوجيَّة شُيُوعاً، وتُعدِّل منها، وهذا التّفاعل نادر، وغير نظامي، ومحدود، ولكنَّه ليس تافهاً.[250]

يفترض شاري أنّ نظام ساي المعلوماتي يُقدِّم مُفارقة للمنطق الذي تُغيِّر فيـه العلاقـة الإلزاميَّة (إذاً . فإنّ) دلالتها غير الغامضة. إنّ نظير نظام الاتّصال الإلكترُوني يفشل في نُقطة حاسـمة. يمتدُّ نظام ساي المعلوماتي إلى مُستقبل البيئة الزّمانيَّة ـ المكانيَّة للعُضويَّات، فضلاً عن ماضيها، وهُـو أمر شاذٌّ قياساً إلى كُلّ النّظريّات الثّرمُوديناميكيَّة الشّائعة للمعلومات القابلة للتّسجيل. افرض أنّ الجـرذ يستخدم الإدراك فوق الحسّي التّنبُّؤي، ليتمكَّن من تجنُّب صدمة كهربائيَّة، فمـن المعقـول أنَّه يُمكن أنْ يشتقّ المعلومات بوساطة القفص التّجريبي، الشّبكة الكهرُبائيَّة، الجرذان التّالية، عقل المُجـرِّب. كُلُّ تلك الارتباطات معقولة في نظام اتّصال ساي، لكنْ؛ لا واحـدة منها تُشـكِّل سبباً فريـداً قـابلاً للإثبات للإدراك فوق الحسّي.

إنّ نظام اتّصال ساي ـ مثل الأنظمة الأُخرى ـ ربَّما يمتلك مصادر عديدة، ولـه غايـة مُشـتركة. إذنْ؛ منطقه لايُمكن أنْ يكون بعيداً عن المنطق البولي الثُّنائي القيمة Two-Valued Boolean logic والذي فيه وحده يُمكن للمنطق الشّرطي أو الرّيـاضي أنْ يتخلّـى عـن التّفسير التّقليـدي. سأُجادل ـ بإلحاح ـ على أنّ انهيار منطق العلاقات الرّسمي التّقليـدي فـي تفسيرنا العلمـي للعـالم واضـح فـي الباراسيكُولُوجي كوُضُوحه في ميكانيكا الكمِّ. وأعتبر النّظريَّة التّزامُنيَّة لـ يُونغ طريقة رائعة لوصف انهيار الوصف الزّماني ـ المكاني التّقليدي. وما يفتقده المرء في النّظريَّة هُو وصف تفاعل نظـام سـاي المعلوماتي مع الأنظمة المعلوماتيَّة الأُخرى. والانفصـال المُطلـق لسـاي عـن عـالم السّـبب ـ الزّمـان ـ المكان لا يُقدِّم أيَّ تأمُّل إضافي.[251]

علاقة الطّاقة البيُولُوجيَّة بظواهر ساي:

يستند التّفسير المادّي (السّايكُوترُونيك) للظّواهر الخارقة إلى مجموعة تصوُّرات علميَّـة ناتجة عـن تفـاعل المجـالات الكهرُومغناطيسيَّة مع الجـهاز العصبـي المركـزي. مـن هـذه التَّصـوُّرات أنّ

(250) Ibid, p.75.

(251) Ibid, p.77.

السّايكوترُونيك يفهم الزّمن فَهْماً ماديّاً ينزع عنه الطّابع الصُّوري المحض؛ أيْ بوصفه إطاراً صُوريّاً للأشياء، ويُضفي عليه الطّابع الشّيئي، ممَّا يُسوِّغ تصوُّر إسهامه في توليد الطّاقة وإحداث النّظام، وهذا يستدعي - بدوره - تصوُّر تفاعل الطّاقة التي يُنتجها الزّمن مع الأبنية البايُولُوجيَّة، وهُو ما افترضه العالِم الفيزيائي السُّوفيتي سابقاً كُوزيريف كعامل أساس للرّبط بين نُشُوء الكون وظُهُور الحياة.

تُمثِّل الخلايا الدّبقيَّة Glial Cells مراكز للنّشاط الكهربائي في الجسم البشري، وهي خلايا تمتدُّ على طول الجهاز العصبي المركزي. وتُؤثِّر المجالات الكهرُومغناطيسيَّة الكونيَّة على تلك الخلايا، فتُحدث تغييراً في نشاطها، فينعكس ذلك على وظيفة الخليَّة العصبيَّة الاعتياديَّة. وعلى الرّغم من أنَّ هذا التّأثير ينتقل - بشكل بطيء - من دُون مُساعدة النّبضات العصبيَّة، فإنَّه يُؤثِّر على نشاط الخلايا العصبيَّة البعيدة عنها. فقد أظهرت التّجارب التي أُجريت على السّرطانات البَحْريَّة أنَّ التّغيُّرات البطيئة في الجهد الكهربائي لغلاف حُجيرة كبيرة يُؤثِّر على إطلاق ذبذبات الحُجيرات الصّغيرة البعيدة عنها. وقد حَدَثَ هذا التّأثير من دُون مُشاركة النّبضات العصبيَّة. ولاحظ بيكر 1976، أنَّ ذلك يُساعد على تفسير حالات الشّفاء عن طريق الوخز بالأبر. [252]

ولتفسير كيفيَّة تفاعل قُدرات ساي مع الخواصِّ الفيزيائيَّة للدّماغ تمَّ مُقارنة ذلك باكتشاف كارل بربرام (1971) للجهد ذي الموجة البطيئة Slow Wave Potentials. إنَّ هذا الجهد أو الطّاقة عبارة عن نبضات بطيئة لنشاط كهربائي يحدث بين الحُجيرات العصبيَّة، وبما أنَّ طاقة الجهد البطيئة المُتغيِّرة هذه يُمكن اكتشافها داخل الحُجيرة، في غياب النّبضات العصبيَّة، وأنَّها يُمكن أنْ تتأثَّر بكمَّات صغيرة جداً من الطّاقة، فإنَّ هذا شبيه بتجاوز قُدرات ساي لمسار النّبضات العصبيَّة، وتأثُّرها بالمجالات الخارجيَّة للطّاقة. [253]

وقدَّم دُوبرُوف (1974) فكرة الجاذبيَّة البيُولُوجيَّة، إذْ افترض أنَّ الكائنات الحيَّة تُطلق موجات جاذبة، فالذّبذبات ذات التّردُّد العالي لجُزيئات الحُجيرة العصبيَّة يُمكن أنْ تُولِّد موجات من الجاذبيَّة البيُولُوجيَّة (الحيويَّة) Bio – Gravitational waves وتنشرها لمسافات طويلة، وأنَّه من المُمكن مُشاهدة الفُوتُونات تنبعث من الحُجيرات أثناء الانقسام، وكذلك انبعاث صوت فوق سمعي مُصاحب لها. وافترض - أيضاً - أنَّ الدّماغ البشري يُمكنه توحيد هذه التّأثيرات الإيقاعيَّة لموجات

---

(252) Krippner .S.: Human Possibilities ((Mind Exploration in the USSR and Eastern Europe)), New York, 1980. PP. 64 –65.

(253) Ibid, p. 65.

الجاذبيَّة الحيويَّة وتنسيق هذه الموجات لإنتاج تأثيرات مرئيَّة، مثل تحريك الأشياء عن بُعْد، وتأيين الهواء بواسطة النّشاط العصبي، وعرض تصوير فُوتُوغرافي لمسافات بعيدة؛ أيْ التّأثير على فلم كاميرة التّصوير من مسافة قريبة أو بعيدة لطبع صُورة عقليَّة فيه. وكذلك التّفاعل العُضوي مع الزّمن وتغيير الحركة الجُزيئيَّة للسّوائل وغيرها ممَّا يقع تحت مُصطلح السّايكُوكينيسز. بعبارة أُخرى؛ إنَّ الوعي يُمكنه تنسيق الموجات الجاذبة للكائن الحي المُنبعثة من انقسام الخلايا لتُؤدِّي إلى عدد من ظواهر ساي. وتنبَّأ دُوبرُوف بأنَّ نظريّته قد تُفسِّر انبعاث الطّاقة خلال عمليَّة تحويل جُسيمات الخلايا من الحالة السّائلة إلى الحالة البلُّوريَّة عند انقسام الخليَّة. وقد أطلق الباحثون الرُّوس (السُّوفيت سابقاً) على هذه الظّاهرة اسم ((إشعاع الانقسام الخلوي)) أو ((الإشعاع الحيوي))، إلاَّ أنَّها رُفضت من لدُن غالبيَّة عُلماء البيُولُوجيا في العالم الغربي، بوصفها فَرَضيَّة لا معنى لها.[254]

المجال المغناطيسي وظواهر ساي:

تُؤكِّد الدّراسات التي أُجريت في أمريكا وكندا على التّرابط بين المجال المغناطيسي وظُهُور قُدرات ساي؛ مثل التّحسُّس عن بُعْد، والتَّخاطُر، والأحلام. فبعض الظّواهر يظهر بتزايد كُلَّما كان المجال المغناطيسي هادئاً نسبيّاً. فالظّواهر السّابقة ترتبط بالمجال المغناطيسي ارتباطاً عكسيّاً، في حين ترتبط به ظواهر ساي أُخرى ارتباطاً طرديّاً، مثل ظواهر الأشباح الضّاجَّة، وبعض الظّواهر المَرَضيَّة؛ مثل حالات الهلاوس في داء الحُزن، وظاهرة الإدراك المُسبَق. و أظهرت بعض الدّراسات أنْ التَّخاطُر يحدث أكثر في الأيَّام التي تكون فيها فعاليَّة المجال المغناطيسي أقلَّ من فعاليَّته في الأيَّام التي يزداد فيها حُدُوث الإدراك المُسبَق (التّنبُّؤ)، بل وأقلّ من مُعدَّلاته الشّهريَّة والسّنويَّة.[255]

والمأخذ العلمي على تلك التّجارب والدّراسات هُو أنَّها تفتقر إلى إجراء القياس الموقعي للمجال المغناطيسي، ممَّا دفع بعض الباحثين إلى اصطناع ذلك المجال وقياس تأثيره على الغدَّة الصّنوبريَّة كدراسة مبدئيَّة.

إذا كانت هُناك علاقة بين المجال المغناطيسي وظواهر ساي فيجب إيجاد تفسير فسيُولُوجي لهذه العلاقة؛ أيْ البحث عن نُقطة اتّصال بين ظواهر ساي والتّغيُّرات الجيُومغناطيسيَّة. وقد افترض

---

(254) Ibid, pp. 65-66.

(255) حسن، د. الحارث عبد الحميد، المجال المغناطيسي وقُدرات ساي، بحث مخطوط مُقدَّم إلى مركز بُحُوث الباراسيكُولُوجي، بغداد، 1988.

بعض الباحثين أنَّ نُقطة الاتِّصال تلك هي الغدَّة الصّنوبريَّة (وهذا هُو تفسير ديكارت للعلاقة بين العقل والجسم أو مُشابه له، لكنَّ تفسير ديكارت كان ينطوي على عناصر مرفوضة علمياً).

وقد بُنيت تلك الفَرَضيَّة الجديدة على مُلاحظات كُلٍّ من رُوني دُوكال (1989) وبيرسنجر (1988) التي تُشير إلى أنَّ الغدَّة الصّنوبريَّة تُنتج مادَّة الميلاتُونين المُنتجة - بدورها - لمادَّة البيتا - كربُولين التي يفترض أنَّها ذات فعاليَّة على إطلاق قُدرات ساي.[256]

ولا يبدو أنَّ خصائص ظواهر ساي ناتجة عن تفاعلات كيميائيَّة وفسيُولُوجيَّة، بالرّغم من أنَّ تفاعلها مع التّركيب الكيميائي و الفسيُولُوجي أمر مفروغ منه. وهُناك فرق جوهري بين مفهوم الإنتاج ومفهوم التّفاعل. فالمفهوم الأوَّل يُؤدِّي إلى الأُحاديَّة الماديَّة، ويُلغي استقلاليَّة بُعْد ساي في الإنسان، في حين تُثبت التّفاعليَّة هذه الاستقلاليَّة، لكنَّها تُؤكِّد على وُجُود علاقة سببيَّة مُتبادلة بين بُعد ساي والتّركيب الفسيُولُوجي والكيميائي. ومثال الماديَّة الأُحاديَّة هُو النّظريَّة التي تذهب إلى أنَّ قُدرات ساي نتاج لتفاعل بايُوفيزيائي بين المجال المغناطيسي والغدَّة الصّنوبريَّة وهي امتداد للنّظريَّة القائلة بأنَّ العمليَّات العقليَّة إفراز للعمليَّات العصبيَّة الدّماغيَّة. ولمَّا كانت خصائص قُدرات ساي التي درسناها في الفُصُول السّابقة لا تُوحي بذلك الإنتاج أو الإفراز، فإنَّ أقصى ما يُمكن الخُرُوج به من الدّراسات التي نذكرها في هذا الفصل هُو وُجُود تفاعل لا يُنكَر بين قُدرات ساي والعمليَّات البيُولُوجيَّة في الجسم، كما أنَّ تفاعل المجالات المغناطيسيَّة أو الكهرُومغناطيسيَّة، سواء مع الغدَّة الصّنوبريَّة أو مع الجهاز العصبي المركزي، يبقى محصُوراً في إطار العمليَّات البيُولُوجيَّة التي لم يكن ساي نتاجاً لها، بل عُنصُراً مُتفاعلاً معها، وإذنْ؛ يُمكن أنْ يكون ذلك التّفاعل مصدراً لظُهُور ساي، وليس لإنتاجه.

إنَّ مُعظم التّجارب والبُحُوث أُجريت على الحيوانات من أنواع مُختلفة، لذلك؛ يجب توخِّي الحذر في تعميمها على الإنسان. وقد أظهرت تلك التّجارب أنَّ الغدَّة الصّنوبريَّة والخلايا اللاَّإراديَّة تستجيب للمجالات المغناطيسيَّة الضّعيفة. وللخُرُوج من دائرة الافتراضات النّظريَّة إلى التَّحقُّق التّجريبي لابُدَّ من استخدام مجال مغناطيسي اصطناعي يختلف - في شدَّته - عن المجال المغناطيسي الأرضي قليلاً. وأظهرت تجارب ويلكير وزُملائه (1983)، التي استخدم فيها هذا المجال

(256) المصدر نفسه.

الاصطناعي، أنّه يُثبط النّشاط الحيوي اللّيلي للغدَّة الصّنوبريَّة عند الفئران من خلال تثبيط أنزيم NAT.[257]

وأظهرت التّجارب أنَّ ذلك المجال يُؤثّر في التّخليق الحيوي لهرمُون الميلاتُونين في كُلٍّ من الغدَّة الصّنوبريَّة وشبكيَّة العين، كما يزداد إنزيم NAT توافقياً مع التّعرُّض المُكثَّف للمجال المغناطيسي الأرضي، ويتناقص مع انخفاض المجال المغناطيسي الأرضي، وبناء على ذلك؛ فإنَّ إنزيم NAT يُمثّل عُنصراً هاماً في خلق حالة من التّناغم بين الغدَّة الصّنوبريَّة والمجال المغناطيسي الأرضي، وهُو يُؤدِّي هذه الوظيفة من خلال انخفاض كُلٍّ من الميلاتُونين والمجال المغناطيسي الأرضي معاً.

ويبدو أنَّ عمل السّاعة البيُولُوجيَّة لا يرتبط بالضّوء فقط، وإنَّما يتأثّر بالمجال المغناطيسي الأرضي أيضاً. فقد بيَّن ويفر (1968) أنَّ حجب المجال المغناطيسي الأرضي عن الكائن الحي (بما فيه الإنسان) يُؤدِّي إلى تفاوت التَّزامُن المطلوب للسّاعة البيُولُوجيَّة، على الرّغم من بقاء الاتّصال الحسِّي بالضّوء قائماً. ولمَّا كانت الدّورة الواحدة لحركة القمر حول الأرض تستغرق 25 ساعة، تتفاوت خلالها شدَّة المجال المغناطيسي الأرضي - بسبب تأثير جاذبيَّة القمر - حيثُ يصل إلى أدنى مُستوى له عندما يكون القمر بدراً، فإنَّ هذا يُفسِّر نتائج ويفر حول استمرار عمل السّاعة البيُولُوجيَّة في الحيوان لمُدَّة 25 ساعة عندما يُوضع في ظلام تامٍّ مُستمرٍّ.[258]

إنَّ الآراء المذكورة أعلاه لا تعدو كونها افتراضات قائمة على تصوُّر علاقة ما بين الغدَّة الصّنوبريَّة والتّغيُّرات المغناطيسيَّة والجيُومغناطيسيَّة وأثر ذلك على إنتاج مادَّة البيتا - كربُولين سواء من السّيرُوتُونين، أو من الميلاتُونين (المُتولِّد - بدوره - من السّيرُوتُونين بتوسُّط إنزيم NAT). ويفترض - أيضاً - أنَّ مواد البيتا - كربُولين في الغدَّة الصّنوبريَّة هي التي تتحكّم بحُدُوث الأحلام، وهذا ما يُسوِّغ - في ضوء تلك الفَرَضيَّة - تصوُّر مسؤوليَّتها عن قُدرات ساي.

لذلك؛ فإنَّ البُحُوث السّابقة تسعى إلى تبرير فَرَضيَّة أنَّ قُدرات ساي هي حالات شاذَّة بسبب تأثير عوامل خارجيَّة، مثل التّقلُّبات الطّبيعيَّة الخاصَّة بالمجال المغناطيسي الأرضي، على العمليَّات النَّفْسيَّة والعقليَّة للإنسان بتوسُّط الغدَّة الصّنوبريَّة، وهي جميعاً تُمثّل وسائط فسيُولُوجيَّة مُلائمة

(257) المصدر نفسه.

(258) المصدر نفسه.

تُساهم في نقل التّأثير وترجمته إلى عمل نَفْسي مُختلف (شاذ). لكنَّ هذا التَّصوُّر لا يُفسِّر لنا الجانب الموضوعي لقُدرات ساي، ولا يصف حقيقة كونها تتعامل مع واقع، وتستكشف حقيقة موضوعيَّة. فهي لو كانت مثل الأمراض النَّفْسيَّة والاضطرابات العقليَّة لما كانت هُناك صُعُوبة في إيجاد تعليل مُناسب لها، فهي تختلف عن المرض النَّفْسي في كونها ظاهرة تُترجم واقعاً موضوعيّاً، وترتبط بأشخاص أسوياء من النّاحية النَّفْسيَّة. وهذا العامل هُو الذي جعل منها إشكاليَّة تتحدَّى التّعليل العلمي.

حاولت بعض البُحُوث في مجال الطِّبِّ النَّفْسي أنْ تُعطي تفسيراً كيميائيّاً أو بيُولُوجيّاً لبعض الأمراض النَّفْسيَّة؛ مثل الكآبة، والاضطرابات العقليَّة؛ مثل الذّهان، عن طريق الرّبط بين النّشاط العصبي للميلاتُونين والسّيرُوتُونين والذّهان. فقد أظهرت البُحُوث العلميَّة أنَّ اللّيالي الطّويلة المُظلمة في الشّتاء تُؤدِّي إلى زيادة نسبة الميلاتُونين وارتفاع مُستوى الكآبة، ممّا يدعو إلى الرّبط بين الميلاتُونين والكآبة. ويحدث العكس في الأيّام الطّويلة والمُضيئة صيفاً، إذْ أظهرت اقتراناً بين الهَوَس الذّهاني والسّيرُوتُونين. ولذلك؛ فإنَّ انخفاض نسبة الميلاتُونين بسبب التّعرُّض للضّوء اللاَّمع يُؤدِّي إلى انخفاض في مُستوى الكآبة.[259]

وعلى الرّغم من أنَّ الدّراسات التّجريبيَّة أظهرت ترابطاً بين المُستوى البيُولُوجي والكيميائي من جهة، والنَّفْسي والعصبي من جهة أُخرى، فلا يبدو أنَّ هُناك بينة تجريبيَّة واضحة عن ارتباط قُدرات ساي بالذّهان أو غيره من الأمراض النَّفْسيَّة، أو بأيِّ مادَّة مُفترضة سواء في الغدَّة الصّنوبريَّة أو في مراكز الدّماغ الأُخرى. وتقتصر البيّنة على وُجُود تفاعل مُتبادل، ولكنَّ هذا التّفاعل لا يُؤسّس أحدهما على الآخر.

هل يُمكن أنْ تكون الأمراض النَّفْسيَّة مُناسبة لحُدُوث الظّواهر الخارقة؟ تُصاحب مرض ذهان الفصام خبرات تُشبه الإدراك فوق الحسِّي، لكنَّها لا تلفت الانتباه؛ بسبب كونها حادثة من لدُن مَرضى نَفسيّاً، أو قد يُفسِّرها الطّبيب بأنّها أحد أعراض المرض النَّفْسي أو هي حالات وَهْميَّة. أحد الأمثلة في الطِّبِّ النَّفْسي الحالة التي يعتقد فيها شابٌّ راقد في المُستشفى أنَّه يقرأ تخاطريّاً ـ وبشكل مُستمرٍّ ـ ذهن زميله الرّاقد إلى جنبه. ويعتقد بعض المرضى أنَّ أذهانهم تُقرَأ من لدُن الآخرين، إلى حَدِّ أنَّهم لا يُعيرون أهميَّة لتوقُّع الطّبيب ما يجول في أذهانهم. و أحياناً أُخرى؛ يُسيطر عليهم

(259) المصدر نفسه.

الوَهْم بأنَّ أجسادهم تتأثَّر خارقياً بالآخرين. وذكر الطَّبيب المُشرف مكارك أنَّ ذلك الشّابَّ كان يقرأ عقلي من دُون علمي. وعندما سأله مكارك متى وكيف بدأ مرضه، أجاب فوراً: قبل سنّ الخامسة. ويعتقد الشّابُّ أنَّ ذلك كان بسبب جدال دار بين والدَيْه آنئذ حول مفهوم التَّزامُنيَّة للدُكتُور كارل يُونغ. ويقول مكارك: في الحقيقة؛ كُنتُ في ذلك الوقت مُنهمكاً بهذا المفهوم، وكان موضع اهتمامي الأوَّل في وقت تلك المُقابلة، وبعد عدَّة سنين، وبالمُصادفة، التقيتُ والد المريض (كان قد هجر العائلة قبل أنْ يبلغ المريض سنَّ الخامسة) الذي أكَّد لي أنَّه لم يسمع باسم يُونغ من قبل.[260]

وقد تحدث الظّواهر الخارقة مُصاحبة للخَبَل Dementia، وهُو تحلُّلٌ عقلي عامٌّ نتيجة تلف كبير في الحُجيرات العصبيَّة للدّماغ. مثال ذلك، الظّواهر الخارقة التي حَدَثَت لسيِّدة عجوز تُعاني من خَبَل الشّيخُوخة المُتقدِّمة Advanced Senile Dementia. كانت هذه العجوز هادئة - عادة - ومُطمئنَّة في جناحها الخاصِّ في المُستشفى، لكنَّها أصبحت قلقة جداً ومُتوتِّرة، بصُورة مُفاجئة، في اليوم ذاته الذي اتُّهم فيه ابنها بارتكاب جريمة (من دُون أنْ تعلم بذلك). اكتشف ماك ذلك صُدفة عندما طُلب منه تقييم الصّلاحيَّة العقليَّة لشابٍّ يترافع أمام القضاء، والذي ثبت - فيما بعد - أنَّه ابنها. وبعد أُسبوع أو أُسبوعَيْن هدأت العجوز تدريجيّاً، وأظهرت هُدُوءاً مُفاجئاً غير اعتيادي، وسُلُوكاً طافحاً بالمرح نحو الطّبيب ماك خلال زيارته لها في جناحها الخاصِّ في المُستشفى، وذكر ماك أنَّه لم يندهش عندما علم - فيما بعد - أنَّ ابنها قد ثبتت براءته، وأُفرج عنه في ذلك اليوم نَفْسه.[261]

المثال الآخر يُعبِّر عن تطابُق تزامُني بين سيِّدة وأخيها الذي فارقها مُنذُ فترة طويلة، كان ذلك التّطابق قد تمَّ تفسيره باختصار عام (1973) بأنَّها كانت تُعاني من ذهان الإحساس بالاضطهاد غير القابل للتّفسير Unexplainable Paranoid Psychosis. لكنَّ الصُّورة التي كانت تحدث هي أنَّ السّيِّدة (E) أُصيبت - في أواخر الخمسينيَّات من عُمرها - بحالة من الذّهان الحادِّ، إذْ سيطر عليها وَهْم بأنَّها وشقيقتها مُهدَّدتان بخطر هُجُوم عُملاء حاقدين مجهولي الهُويَّة، في اللّحظة ذاتها كانت تُجرى لأخيها البعيد عنها فُحُوصات مُختبريَّة عاجلة أظهرت وُجُود تغيُّرات سرطانيَّة خبيثة في

---

(260) ماك هارك، جي، أف، البارسيكُولُوجي والطّبُّ النَّفسي، ترجمة الأستاذ سلمان يعقُوب العُبيدي، التّرجمة غير منشورة، وهي ترجمة لدراسة مُستلَّة من كتاب:

Grattan .I., (Ed): Psychical Research, chapter. 24. London, 1982. PP. 316 –323.

(261) المصدر نفسه، الصّفحات نفسها.

النّسيج الرّئوي، والتي تمّ تحديدها فيما بعد. بعد ذلك؛ سيطر عليها وَهْم أنّها تسعل بهائم في الوقت ذاته الذي كان فيه أخوها يسعل بالفعل الخلايا الخبيثة من رئتَيْه التي ثبت وُجُودها في بصاقه فيما بعد. واتّضح ـ فيما بعد أيضاً ـ زوال التّوهُّم بطريقة غامضة، وذلك عندما تمّ استئصال سرطان الرّئة من أخيها ـ جراحيّاً ـ بنجاح. بعد ذلك؛ ظهر لديها وَهْم آخر بأنّ وحشاً قابعاً في أُذنها اليُسرى ينهش ما بطريقه مُتّجهاً إلى دماغها، وتبين أنّ ذلك كان يحدث في الوقت الذي شُخّص فيه ورم خبيث في العصب السّمعي للأُذن اليُسرى لأخيها، والذي لم يُشخّص في حينه من قِبَل المُتخصّصين لعدم وُجُوده آنئذ، والذي حَدَثَ فيما بعد، وسار باتّجاه الدّماغ. يقول ماك: لقد اكتشفت هذه التّرابطات حقّاً، والتي لم تكن مُمكنة لولا التّوثيق السّريري الدّقيق لحالة المريضَيْن من لدُن أطبّاء مُحايدين.[262]

(262) المصدر نفسه، الصّفحات نفسها.

الفصل الخامس:

الخبرة الصُّوفيَّة وتطوُّر الوعي

البُعْد الرُّوحي للإنسان في فلسفة ابن سينا:

يُقدِّم ابن سينا (370 ـ 428 هـ) تصوُّراً للقوى الخارقة يجمع فيه ـ بصُورة منطقيَّة ـ بين التَّعليل العلمي ـ النَّفْسي، والتَّصوُّر الدِّيني للحياة الذي طرحه الإسلام. ويبني رُؤيته في التَّعليل على تصوُّره لمفهوم الإنسان. يرى ابن سينا أنَّ الإنسان يمتلك استعداداً فطريَّاً لبُلُوغ أقصى درجات الكمال الرُّوحي، ويتحدَّد مفهوم الإنسان لديه وُفق تلك الدّرجات. والكمال الرُّوحي هُو الدّرجة القُصوى والمرتبة العُليا التي تتحرَّك نحوها الإنسانيَّة الحقيقيَّة. وارتبط مفهوم النُّبُوَّة بتلك الدّرجة الرُّوحيَّة أيضاً، لذلك؛ فإنَّ النُّبُوَّة ترتبط بالاستعداد الفطري لدى الإنسان، لكنَّ هذا الاستعداد مُجرَّد إمكانيَّة عارية لا قيمة لها إنْ لم تقترن بالفعل، والفعل هُو أنْ يبلغ الإنسان الدّرجة العُليا في الكمال الرُّوحي، وفي هذه الدّرجة يتحدَّدُ الإنسان بمعناه الحقيقي الكامل. لذلك؛ فليس لكُلِّ إنسان استعداد فعلي للنُّبُوَّة، وإنْ كان لكُلِّ إنسان استعداد محض (فطري) لذلك، وأنَّ الإنسان الذي يبلغ مُستوى الكمال الرُّوحي نادر الوُجُود، وهذا هُو النَّبي.[263]

إنَّ الذي يهمُّ البحث من ذلك هُو أنَّ ماهيَّة الإنسان ترتبط ببُعْده الرُّوحي، ولهذا البُعْد مراتب ودرجات. ويتفاوت النّاس في بُلُوغ درجات الكمال الرُّوحي، فأعلى الدّرجات هُم الأنبياء، يليهم الفلاسفة، ثُمَّ عامَّة النّاس. ووفق ذلك التّفاوت في المُستوى الرُّوحي تتحدَّد درجة امتلاك الإنسان قُدرات خارقة في الإدراك والتّأثير. والجدير بالذِّكْر أنَّ ابن سينا لا يقصر تلك القابليَّات على الفُضلاء، بل تشمل هؤلاء والأشرار، ولكنَّ مصدر انبثاقها في الفُضلاء قواهم الرُّوحيَّة القُدسيَّة، في حين الذي يُسبِّبها في الأشرار قُوَّة شيطانيَّة.[264]

---

(263) ابن سينا، أبُو علي الحسين بن عبد الله، الإشارات والتّنبيهات، شرح نصير الدِّين الطُّوسي، تحقيق الدُّكتُور سُليمان دُنيا، القسمان الثّالث والرّابع، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ، ص850.

(264) المصدر نفسه، ص850.

يُؤمن ابن سينا بالظّواهر الخارقة، انطلاقاً من فَهْم عقلاني يُوضِّحه النّصُّ الآتي: ((. . إذا بلغك في علم الغيب أنَّ عارفاً حدَّث في غيب، فأصاب مُتقدِّماً ببُشرى أو نذيراً، فصدِّقْ، ولا يتعسَّرنَّ عليك الإيمان به، فإنَّ لذلك في مذهب الطّبيعة أسباباً معلومة.))[265] ومصدر العقلانيَّة أنَّه يعزو ذلك إلى أسباب تنتمي إلى طبيعة الإنسان والعالم.

ويُحدِّد الباراسيكُولُوجيون اليوم تقنيَّات مُحدَّدة لإطلاق وتنمية القُدرات النَّفْسيَّة الفائقة؛ مثل التَّأمُّل والتّركيز، والغانزفيلد أو العزل الحسِّي Ganzfeld، والتّنويم المغناطيسي أو الإيحاء، وتحصل تلك القُدرات على شكل أحلام أثناء النّوم أو اليقظة لا سيما ما يتعلَّق منها بالتَّنبُّؤ المُسبَق. ويُطلق على تلك الحالات مُصطلح الحالات المُغيِّرة للوعي Altered States of Consciousness. ويدخل ضمن تلك الحالات التّجربة الصُّوفيَّة بوصفها شكلاً من التَّأمُّل وتمريناً نَفْسيّاً حادّاً ومُؤثِّراً. إذنْ؛ يُثبت الباراسيكُولُوجي - تجريبيّاً - أنَّ تلك القُدرات تحدث في النّوم واليقظة، وفي أثناء الغيبوبة أيضاً. وهذا مُؤشِّر على ضرورة تخلُّص النَّفْس من شواغل الجسد والعالم الخارجي. وفي هذا الإطار ينسجم رأي ابن سينا عندما يقول: ((إذا كانت النَّفْس تنال من علم الغيب في حالة المنام، فلا مانع من أنْ يحصل ذلك النَّيْل في حالة اليقظة، إلاَّ إذا كان هُناك سبب يمنعه؛ مثل الانشغال بالمحسوسات. وإذا استمكنت النَّفْس من الحس الباطن ووضعته تحت تصرفها وتجردت من الحواس عند ذلك ترتسم الصُّور التي تأتي من الحسِّ الباطن في الحسِّ المُشترك، ويدوم الارتسام مادام الرّاسم والمُرتسم موجودين. .))[266] وكأنَّ الإدراك فوق الحسِّي عند ابن سينا هُو علاقة بين النَّفْس والحسِّ الباطن، وهذه العلاقة لا تتَّضح - بشكل إيجابي - إلاَّ إذا تخلَّصت النَّفْس من انشغالها بالعالم الحسِّي، والنَّفْس - هُنا - تقابل الوعي في الباراسيكُولُوجي. وكأنَّ ابن سينا يقول إنَّ الوعي لا يتسلَّم إدراكاً فوق حسِّي إلاَّ إذا تغيَّرت علاقته بالعالم الخارجي، وعرفنا - سابقاً - أنَّ الباراسيكُولُوجي أناط هذا العلاقة بالحالات المُغيِّرة للوعي، التي تجعل علاقة الوعي بالعالم الحسِّي علاقة سلبيَّة، في حين تكون علاقته بالمُستوى الباطني إيجابيَّة.

ولذلك؛ يرى ابن سينا أنَّ ارتسام الصُّور (المعلومات) في الحسِّ المُشترك (الوعي الاعتيادي) من الحسِّ الباطن لا يحصل دائماً، وسبب ذلك هُو وُجُود موانع، المانع الأوَّل هُو المانع الحسِّي الذي

---

(265) رسائل الشّيخ الرّئيس أبي علي الحُسين بن عبد الله بن سينا، ضمن أسرار الحكمة المشرقيَّة، تصحيح ميكائيل بن يحيى المهرني، طبع مدينة ليون المحروسة بمطبعة بريل المسيحيَّة / 1889، الجُزء الأوَّل، النّمط العاشر من أسرار الآيات، ص22.

(266) المصدر السّابق نفسه، ص22.

يشغل الوعي، بما يُورده عليه من الصُّور الخارجيَّة، عن قبُول الصُّور من الحسّ الباطن، فيمنعه عن التّخيُّل، والمانع الثّاني هُو العقل الذي يشغل التّخيُّل والتّفكير عن التّصرُّف في الحسّ المُشترك (الوعي) عندما يتأمَّل في غير الصُّور المحسوسة، ويعني ابن سينا هُنا عمليَّات الاستدلال العقلي. وهذان السّببان هُما اللّذان يمنعان معرفة ما يقذفه الحسُّ الباطن (مَلَكَات الإدراك فوق الحسِّي) من معلومات إلى الحسّ المُشترك (الوعي الاعتيادي). وهذا يُفسِّر لنا الإشكاليَّة التي تُعاني منها القُدرات الباراسيكُولُوجيَّة وهي أنَّها لا تعمل بشكل دائم في الإنسان؛ مثل الإدراك الطّبيعي، بل تعمل في بعض الأحيان وتحت شرُوط مُعيَّنة غير معروفة جيِّداً. ويبدو أنَّ فيلسوفنا قدَّم الجواب قبل أنْ يُصبح الباراسيكُولُوجي موضوعاً للعلم بمئات السّنين. ويُريد ابن سينا بذلك أنَّ الشّواغل الحسِّيَّة إذا قلَّت أمكن أنْ تجد النَّفْس فُرصة للاتِّصال بالعالم القُدسي تخلَّص فيها عن اشتغال الخيال، فيرتسم فيها شيء من الغيب على وجه كُلِّي، ويتأدَّى أثره إلى التّخيُّل، فيُصوِّر التّخيُّل في الحسّ المُشترك صُورة جُزئيَّة مُناسبة لذلك المُرتسم الفعلي.[267]

وهُنا يتَّضح تصوُّر ابن سينا أمام استفهامات عديدة كان يجب أنْ يضعها القارئ العزيز، الأوَّل أنَّ ابن سينا بيَّن العلاقة بين الوعي والحسّ الباطن، لكنَّه لم يُوضِّح من أيِّ مصدر استقى الحسُّ الباطن معلوماته التي زوَّد بها الوعي؟! وجواب ابن سينا لم يخرج عن الجوّ الدِّيني الذي يعيشه، وهُو أنَّ الحسَّ الباطن يكتسب معلوماته عن العالم الخارجي بتوسُّط العقل الفعَّال، والمعرفة النّاتجة - بالتّالي - هي معرفة إشراقيَّة أو إلهاميَّة. وفي هذه النُّقطة قد يفترق عن الباراسيكُولُوجي الذي يُصوِّر الإدراك فوق الحسِّي بأنَّه علاقة بين الذّات والعالم الخارجي، ويُصوِّرها بعضهم بعلاقة بين المجال النَّفْسي للإنسان والمجالات النَّفْسيَّة الأُخرى في البيئة، أو بلُغة ابن سينا بين الحسّ الباطن والعالم الخارجي (المادِّي والنَّفْسي).

ولكنْ؛ مهلاً، فإنَّ هذا الافتراق ليس حادّاً، فالحديث شائع في مجال الباراسيكُولُوجي عن المجالات المعلوماتيَّة والنَّفْسيَّة والرُّوحيَّة، وعلى الرّغم من أنَّه ليس هُناك إثباتات تجريبيَّة حاسمة لهذه المجالات، فلا يُمكن رفضها من الوُجهة النّظريَّة مادامت مُنسجمة مع عدد هائل من الظّواهر التي لم تحظ بتفسير مادِّي لحَدِّ الآن. فما يُدرينا لعلَّ ما نُسمِّيه بالعقل الفعَّال، أو المجال القُدسي هُو مجال أدقُّ من المجال الفيزيائي الذي تقيسه أدواتنا الحاليَّة. وهذا الافتراض قابل للتَّصوُّر في ضوء الحقيقة العلميَّة التي تُصوِّر الفرق بين المادَّة والمجالات الذّرِّيَّة ودُون الذّرِّيَّة بدرجة التّذبذب أو الطُّول

---

(267) المصدر السّابق نفسه ص23.

الموجي. وهكذا؛ يُصبح الإنسان الذي بلغ درجة رُوحيَّة عالية قادراً من النّاحية النّفسيَّة على الاتّصال بالمجالات الأُخرى اللاّفيزيائيَّة، والتي تنعكس فيها أحداث العالم الفيزيائي بطريقة لا زمنيَّة ولا مكانيَّة؛ لأنَّها مجالات سالبة قياساً إلى المجال الفيزيائي، أو بالأحرى؛ ينعكس فيها التّرتيب الزّمني، فما هُو حاضر هُناك يُشكّل مُستقبل العالم المادّي، وينعكس مُستقبل العالم المادّي حُضُوراً في المجال السّلبي، لذلك؛ فالشّخص الذي بلغ وعيه درجة اختراق المجال السّلبي سوف يُدرك مُستقبل المجال المادّي (العالم المادّي).

ويرى ابن سينا بأنَّه مادامت النَّفْس غير مطبوعة في البدن، وأنَّها مُنفصلة عنه، فلا نستبعد أنْ تكون لبعض النُّفُوس مَلَكَة يتجاوز تأثيرها البدن المُتَّصلة به إلى سائر الأجسام الأُخرى، وهذا هُو تأثير العقل على المادَّة (أو السّايكُوكينيسز).

وينتهي ابن سينا في نمطه العاشر من أسرار الآيات بنصيحة منهجيَّة يقول فيها ((أنْ لا يجعلنا التّكيُّس والتّبرُّؤ من العامَّة أنْ نُنكر كُلَّ شيء؛ لأنَّ ذلك ضرباً من العَجْز والطّيْش، وليس الخرق في تكذيبك ما لم تستبن لك بعد جليَّته دُون الخرق في تصديقك ما لم تقم بين يدَيْك بيِّنته، بل عليك التّريُّث، وإن عجَّل استنكارك ما لم تتبرهن استحالته لك، فالصّواب لك أنْ تضع أمثال ذلك في مجال الإمكان ما لم يكن هُناك بُرهان يرفضها، واعلم أنَّ في الطّبيعة عجائب، وللقوى العالية الفعَّالة وللقوى السّافلة المُنفعلة اجتماعات على غرائب)).[268]

الوعي الصُّوفي:

التّصوُّف تجربة حياتيَّة وفلسفة عمليَّة تتعامل مع مُستويات الوعي العُليا. ومن الطّبيعي أنْ يتعارض المنهج المُؤدّي إلى هذه المُستويات مع المناهج المادّيَّة للحياة. فالطّريقة الصُّوفيَّة تسعى إلى التّخلُّص من أيّ تعلُّق مادّي، وتُجرِّد النَّفْس من المُيُول والرّغبات لغير العالم الرُّوحي، استعداداً للاتّصال به. وتُمثّل الإرادة هُنا المبدأ الأوَّل أو مُنطلق السّالك، والشّرط الضّروري الذي تنتظم بموجبه لبنات السّلَّم الصّاعد نحو المُطلق. وما يُوضّح دور الإرادة هُنا هُو أنَّ المُتصوِّف في بداية سُلُوكه الطّريق يُسمَّى بـ(المُريد). وبعد الإرادة تبدأ الرّياضة، وهي عبارة عن مجموعة من التّقنيَّات التي يُمارسها المُريد لتهذيب النَّفْس وتدريبها على ترك المُيُول الدُّنيويَّة وترويضها على حياة الخلوة والفَردانيَّة.

---

(268) المصدر السّابق نفسه، ص23.

إنَّ التَّأمُّل هُو السَّبيل الجوهري للغياب عن الحسّ والاقتراب من المُطلق. وعندما يتحقَّق عُنصُرا الإرادة والرِّياضة تبدأ درجات الإيغال في التّجريد. إنَّ الهدف الأساس من وراء هذه المقامات هُو بُلُوغ مرحلة الكشف والإلهام والتّوحُّد بالمُطلق. إذنْ؛ يتعيَّن الجانب الإبستمُولُوجي للتّصوُّف في الكشف والإلهام الذي هُو مصدر اكتساب المعرفة اليقينيَّة. أمَّا الجانب المنهجي؛ فيتعيَّن في مجموعة المراحل والمقامات التي يقطعها السّالك في الوُصُول إلى غايته.

ويذهب حُجَّة الإسلام الغزالي إلى أنَّ دليل الكشف عند الصُّوفيَّة أمران: الأوّل، عجائب الرُّؤية الصّادقة، فإنَّه ينكشف فيها الغيب، وإذا جاز ذلك في النّوم، فلا يستحيل أيضاً في اليقظة. والثّاني، هُو إخبار النّبي (ص) عن الغيب، وأمور المُستقبل، كما اشتمل عليه القرآن. وإذا جاز ذلك للنّبي جاز لغيره من بعض النّاس، ولكنَّ هؤلاء ليسوا بأنبياء، بل هُم أولّياء.[269]

ويقول أيضاً: مَنْ آمن بالأنبياء، وصدَّق بالرُّؤيا الصّحيحة يلزمه أنْ يُقرَّ بأنَّ القلب له بابان: باب إلى الخارج؛ وهُو الحواسُّ، وباب المَلكُوت من داخل القلب (وهُو باب الإلهام والنّفث في الرّوع، والوحي). وبهذا؛ فلا يُمكن أنْ يُحصَر العلم بالتّعلُّم، ومُباشرة الأسباب المألوفة. بل يجوز أنْ تكون الرّياضة والمُجاهدة طريقاً إليه.[270]

ويذهب صدر المُتألّهين الشّيرازي إلى أنَّ الإنسان صراط ممدود بين عالَمَيْن: عالم الرُّوح، وعالم المادَّة أو الجسد، وهُو يعمل جاهداً للتّخلُّص من عالمه الأسفل، ليرتفع إلى عالمه الأسنى، والنَّفْس تجهد صادقة لتربأ بنَفْسها عن المادَّة، وتخلص إلى العقل الفعَّال، أو نُور الأنوار باستخدام الرّياضة، وبالاتّصال بالعقل الفعَّال تفيض المعارف عليها بالإشراق؛ حيثُ يتمُّ التّفاعل بين الرُّوح الجُزئيَّة والرُّوح الإلهيَّة الكُلّيَّة. وهكذا؛ فنظريَّة المعرفة الصُّوفيَّة نظريَّة إشراقيَّة خالصة تنحصر عندها السّعادة الإنسانيَّة في بُلُوغها العقل الفعَّال. وهي المعرفة الحقَّة، ولا شيء سواها؛ لأنّها الغاية من الحياة في بدئها ومُنتهاها.[271]

إنَّ أبرز ما يتميَّز به طريق المعرفة الصُّوفيَّة هُو طابعها المُباشر؛ لأنَّ كُلَّ مصدر آخر يُعطينا معرفة غير مُباشرة. إذْ إنَّ هُناك شيئاً يقف بيننا وبين الواقع، قد يكون الجهاز الحسّي أو خُطوات الاستدلال أو

---

(269) مُحمَّد، عبد الحليم. المُنقذ من الضّلال لحُجَّة الإسلام الغزالي، مع أبحاث في التّصوُّف ودراسات عن الإمام الغزالي، القاهرة، بلا تاريخ، ص70.

(270) المصدر نفسه، ص71.

(271) آل ياسين، الدكتُور جعفر، صدر الدّين الشّيرازي مجدد الفلسفة الإسلاميَّة بغداد، الطّبعة الأُولى، 1955، ص120-124.

المخطوطات التي نُقلت بها المعلومات إلينا. ففي كُلِّ حالة، نكون بعيدين عن العالم الحقيقي مرحلة واحدة، أمَّا المعرفة المُباشرة؛ فلا نكتسبها إلاَّ بالحَدْس والتّجربة الصُّوفيَّة. فهي تستبعد كُلَّ توسُّط من عمليَّة المعرفة، أو جلب الذّات أمام الموضوع وجهاً لوجه بطريقة لا نظير لها. بل إنَّ الذّات والموضوع يُصبحان في بعض التّجارب الصُّوفيَّة شيئاً واحداً، وهُنا يبلغ الطّابع المُباشر أعلى درجاته.[272]

والتّجربة الصُّوفيَّة، وإنْ اتصفت بالذّاتيَّة والمعرفة الذّوقيَّة التي تعجز المُفردات اللُّغويَّة الاعتياديَّة في التّعبير الدّقيق عنها، إلاَّ أنَّ هذا لا يمنع من التّأكيد - بحقٍّ - أنَّ هُناك كما يقول (برتراند رسل) مصدر آخر للمعرفة غير الحواسّ والاستدلال العقلي هُو الحَدْس أو الإلهام، وأنَّ هُناك وحدة تحت الكثرة والتّعدُّديَّة الظّاهرة للأشياء في العالم الطّبيعي، وأنَّ الزّمن وَهْم، والشّرَّ مُجرَّد مظهر.[273]

وهكذا نرى أنَّ هذه الخصائص الأربع تتجاوز - بشكل واضح - خصائص العالم الفيزيائي ثُلاثي الأبعاد وحُدُود اشتراطه الحسِّي. ومن هُنا؛ فمن العَبَث مُحاولة تفسير طبيعة المعرفة الصُّوفيَّة باصطلاحات معرفتنا الاعتياديَّة.

وَرَدَتْ فيما سبق مفاهيم: الإرادة، الرّياضة، الكشف والإلهام. ونجد لمعنى هذه المُصطلحات حُضُوراً في الباراسيكُولُوجي. لقد اكتشف الباراسيكُولُوجيون أنَّ للإرادة دوراً كبيراً في النّتائج التي يحصلون عليها في تجاربهم. وقد أثبتت تجارب راين في جامعة ديُوك في أمريكا ذلك الدّور بشكل واضح. كانت التّجارب تجرى عن ظاهرة التّحريك النَّفْسي (تأثير العقل على المادَّة) عند بعض الأشخاص الذين كانوا يُؤثِّرون على حركة زهر النّرد، وكان ذلك التّأثير يُحسب إحصائياً. فالنّتائج - في بداية التّجارب - كانت مُذهلة وذات مغزى، ولكنَّ راين وزُملاؤه اكتشفوا أنَّ هُناك انخفاضاً مُفاجئاً في مُعدَّل الإصابات كُلَّما تقدَّم التّجريب أو طال تكرار التّجارب. فافترض مع مُساعديه - بعد تعديل لا جدوى فيه لطريقة الاختبار والوسائل المُستخدمة - بأنَّ الأمر يرجع إلى اضمحلال إرادة الأشخاص الخاضعين للاختبار، والذي يُؤيِّد ذلك أنَّ الانخفاض في مُعدَّل الإصابات لم يكن تدريجياً، بل كان مُفاجئاً؛ أيْ أنَّ الانخفاض كان ذا دلالة ومغزى. وكان الإجراء لاختبار هذه الفَرَضيَّة هُو تبديل الأشخاص بعد كُلِّ عدد مُعيَّن من التّجارب، فكانت النّتائج إيجابيَّة وذات مغزى في صالح الفَرَضيَّة. ما تُظهره نتائج راين - بوُضُوح - هُو أنَّ قُدرات الإنسان الرُّوحيَّة تكون عند أقصى إمكانيَّاتها حينما تُستثار إرادته، ثُمَّ تخبو - بشكل جذري - حينما تضمحلُّ.

---

(272) ميد، هنتر. الفلسفة أنواعها ومُشكلاتها، ترجمة الدُّكتُور فُؤاد زكريا، القاهرة، الطّبعة الثّانية، 1975، ص184.

(273) Russell B.: Mysticism and logic, and other essays, London, Third impression, 1970, pp. 14-51.

ويُوجد في الباراسيكُولُوجي ما يُسمَّى بالحالات المُغيِّرة للوعي Altered States of Consciousness، وهي عبارة عن عمليَّات انقطاع الاتِّصال الحسِّي بالعالم، تمهيداً لإطلاق القُدرات الكامنة في مُستوى أعمق من الوعي الاعتيادي. إنَّ تقنيَّات الحالات المُتغيِّرة للوعي؛ مثل التَّأمُّل الفكري، والتّنويم المغناطيسي، وأسلُوب العزل الحسِّي، تعمل على حَثِّ القُدرات الكامنة، وبعد ذلك يُسأل الأشخاص الذين يُمثِّلون موضوع التّجربة عن الهدف المُعيَّن لهم مُسبَقاً، سواء أكان هدفاً تخاطُرِيّاً أم استشفافاً أم تنبُّؤيّاً، فيُخبرون عن المعلومات التي تسلَّموها نتيجة حَثِّ قُدرة نَفْسيَّة كامنة بواحدة من الحالات المذكورة.

إنَّ الغاية من الحالات المُغيِّرة للوعي هُو الإدراك فوق الحسِّي لهدف ما، وإنَّ الغاية من الرّياضة ومُجاهدة النَّفْس هي الاتِّصال بالمُطلق المصحوب بمعرفة كشفيَّة أو إلهاميَّة تتضمَّن التَّنبُّؤ بالمُستقبل، والكشف عن حوادث مُعيَّنة، وقراءة الأفكار، وكثيراً من الظّواهر الرُّوحيَّة الأُخرى.

تشترك الظّواهر الباراسيكُولُوجيَّة مع الظّواهر الصُّوفيَّة في بعض الخصائص؛ منها تخطّي الأبعاد المكانيَّة ـ الزّمانيَّة، وتوقُّف السّببيَّة الطّبيعيَّة، وعدم الانسجام مع القوانين الطّبيعيَّة.

ويُمكن أنْ نضع أهمَّ مفاهيم الباراسيكُولُوجي وما يُقابلها في التّصوُّف في النّقاط الآتية:

1 ـ الإدراك فوق الحسِّي، يُقابله في التّصوُّف الكشف والإلهام.

2 ـ الاستشفاف (الجلاء البصري)، ويُقابله الاتِّصال، والبصيرة، والتّجلّي، والفَرَاسَة أو مُعاينة الغيب.

3 ـ التَّخاطُر، ويُقابله الخاطر، ومن هذا ربَّاني لا يُخطئ أبداً، ونَفْساني يُسمَّى هاجساً، ومَلَكي؛ أيْ إلهام، وشيطاني، ويُطلق عليه (الوسواس). والرُّؤية هي خواطر ترد على القلب أيضاً.

4 ـ التَّنبُّؤ بالمُستقبل. ويُقابله البصيرة والقُوَّة القُدسيَّة والاتّحاد (لأنَّه ينفي أو يُلغي بُعْد الزّمن)، والرُّؤية (لأنَّ مُعظمها تنبوئيَّة).

ولتعيين المُستوى الذي تحصل فيه الظّاهرة الرُّوحيَّة في الحالات المُغيِّرة للوعي يُميِّز لندبلوم (1962) الحالات السّيكُولُوجيَّة المُرتبطة بالنُّبُوَّة بأنَّها تقع بين الحالات القُصوى للإلهام الإبداعي من جهة والمراحل العُليا للتّجربة الصُّوفيَّة من جهة أُخرى. فالمُتنبِّئ يكون مُركِّزاً على مُحتوى الرُّؤى الباطنيَّة التي أُوحيَ بها إليه من مصدر خارجي، وأنَّ قُوَّة تلك الخبرات الإلهاميَّة مُتنوِّعة بشكل

كبير. فمن وُجهة نظر المُلاحظ الخارجي هي درجة من لحظات قصيرة من التّجريد المُستمرّ لفترات زمنيَّة طويلة كان فيها المُتنبِّئ داخلاً في غيبوبة. ومن وُجهة نظر المُتنبِّئ نَفْسه؛ فإنَّ كُلَّ الإمكانيَّات المألوفة من نظرتنا المُتكرِّرة والقصيرة لوساطة الغيبوبة تعتمد على قُوَّة التّدفُّق.[274]

إلاَّ أنَّنا نستطيع أنْ نُعيِّن - من النَّاحية الموضوعيَّة - فرقاً كبيراً بين الباراسيكُولُوجي والتّصوُّف. إنَّ حقيقة التّوجُّه الصُّوفي - في حَدِّ ذاتها - ذات هدف إلهي، وهدفها هُو الاتِّصال بالله والاتِّحاد به، ومن ثَمَّ معرفته معرفة تامَّة. إذْ ينحصر الجانب الإبستمُولُوجي في اتِّجاه صاعد، وبعد ذلك تتمُّ المعرفة، ولكنْ؛ هل إنَّ هدف التّصوُّف هُو معرفة العالم الخارجي معرفة تامَّة؟ لا يبدو أنَّ هذا هُو هدف التّصوُّف. فالقُدرات الفائقة أو الخارقة التي يعرضها الصُّوفي تُعَدُّ عَرَضيَّة وثانويَّة بالنّسبة إلى هدفه الرّئيس؛ وهُو الاتِّصال بالمُطلق. أمَّا الباراسيكُولُوجي؛ فهُو كالإدراك الحسِّي من حيثُ الهدف، فهُو يستهدف معرفة العالم الخارجي، والفرق بينه وبين الإدراك الحسِّي في العُلُوم الطّبيعيَّة هُو أنَّه لا يستخدم الحواسَّ المألوفة، بل يستخدم مَلَكَات نَفْسيَّة باطنيَّة تتجاوز القُيُود التي تفرضها الحواسُّ على معرفة العالم الخارجي. وهكذا؛ يبدو أنَّ الباراسيكُولُوجي أكثر اتِّصالاً بالعالم أو الواقع من التّصوُّف.

الخبرة الصُّوفيَّة وتطوُّر العلم:

في مُنتصف القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين تطوَّر العلم المادِّي، وتعقَّدت التّقنيَّة، وتعقَّدت معها الحياة المادِّيَّة للإنسان، فازدادت شواغله وحاجاته طَرْدياً مع زيادة تقدُّمه في تحقيق انتصاراته على الطّبيعة واستثمارها. وبدأ الإنسان يُحاول إضفاء الصّفة الشّيئيَّة على كُلِّ موضوعات الكون وتحويلها إلى أدوات لتحقيق مآربه. وفي غمرة انشغاله هذه اصطدم بذاته، وحاول تشيئتها. فالإنسان وُفق هذا المنظور - مثل أيِّ ظاهرة طبيعيَّة - يُمكن دراسته وُفق قوانين الطّبيعيَّة وحسب، فإنَّ الإنسان ذُو بُعْد مادِّي وحيد، وليس هُناك مُؤشِّر على وُجُود عقل أو رُوح يتفوَّق على المادَّة، ويتجاوز قوانينها. لكنَّ ذلك التَّصوُّر نَفْسه دفع الإنسان إلى التّساؤل: أنَّه إذا كانت موضوعات الطّبيعة أشياء بالنّسبة له، فبالنّسبة إلى ماذا يكون هُو ذاته شيئاً[275]؟.

---

(274) Kelly F.E and Lock G.: Altered States of Consciousness and Psi: An Historical Survey and Research Prospectus. Parapsychology Foundation. New York, 1980. PP. 17-18.

(275) تيليس، بُول، البُعْد المفقود في الدِّين، في: مُغامرات العقل (مجموعة مقالات) تحرير: رتشارد ترُولسن، جُون كُوبلر، ترجمة: د. مُحمَّد الفيَّاض، بيروت، 1962، ص93.

أدرك الإنسان ـ من خلال ذلك ـ أنّه كُلّما حاول دراسة ذاته كما يفعل مع ظواهر الطّبيعة اصطدم بعقبة منهجيَّة، إذْ تُراوغ ذاته أدوات التَّحقُّق العلمي المُستخدمة في دراسة الطّبيعة المادِّيَّة. فهذه الذّات لا تسلك مثل الظّواهر المادِّيَّة التي تخضع لنَسَق واحد في ظُرُوف مُتشابهة، وتسلك بدلاً من ذلك، وفقاً لآليَّات نَفْسيَّة لا يُمكن التّحكُّم بها.

وانسياقاً مع تلك الرُّؤية المادِّيَّة؛ افترض العديد من عُلماء النَّفْس بأنَّ العمليَّات العقليَّة هي ـ في حقيقتها ـ عمليَّات طبيعيَّة مادِّيَّة. بمعنى آخر؛ إنَّ أيَّ ظواهر عقليَّة يتعذّر تفسيرها وفقاً لتلك الرُّؤية يتعيَّن إهمالها. وبالرّغم من ذلك كان هُناك العديد من العُلماء مثل فرُويد، ويُونغ، فحصوا العقل باهتمام يتجاوز الاعتبارات المادِّيَّة، واكتشفوا طبقة من الوعي تقع وراء وأسفل الوعي الفردي الاعتيادي. كما استنتج الباراسيكُولُوجيون من دراساتهم وُجُود أشكال غير حسِّيَّة من الإدراك / الوعي تتجاوز حُدُود الزّمان والمكان ثُلاثي البُعْد. فعُلُوم النَّفْس الحديثة تُحاول أنْ تستكشف الطّبيعة الدّقيقة والعميقة للوعي. فكانت التّشييئيَّة عقبة معرفيَّة تقف دُون تحقيق ذلك الفَهْم. إلاّ أنَّ الفيزياء الحديثة أوضحت أنَّ التّشييئيَّة الشّاملة total objectification لم تَعُدْ طريقة واقعيَّة لاستكشاف الظّواهر. وكما يُؤكِّد التّقليد الصُّوفي دوماً، فمن المُستحيل فَهْم الطّبيعة الحقيقيَّة للوعي بتقسيمه إلى أجزاء مُصنَّفة. وإنَّه ـ للحُصُول على فَهْم صحيح له ـ من الضّروري أنْ نتجاوز ثُنائيَّة الفكر العقلاني إلى التّوحُّد مع الشّيء ذاته، لنخبره من الدّاخل.[276]

إنَّ العقيدة الأساسيَّة للتّصوُّف تُجاه العالم تذهب إلى أنَّ كثرة الأشياء التي نخبرها كوُجُود حقيقي مُتميِّز هي تجلّيات للمُطلق، وإنَّ هُناك وحدة ضمنيَّة وسط التّنوُّع المرئي للوُجُود. كما أكَّد المُتصوِّفة بأنَّ الإدراك العقلي، بالرّغم من وظيفته الحيويَّة للبقاء البيُولُوجي، إلاّ أنَّه غير قادر ـ أصلاً ـ على إدراك الطّبيعة المُوحَّدة للواقع، ولذلك؛ ليس بوسعه التّعامل مع الرُّوحيَّة الإنسانيَّة والحاجات الدِّينيَّة وكُلّ ما يتطلّب فَهْماً عميقاً للطّبيعة الحقيقيَّة للوُجُود. ويرى هؤلاء أنَّه من حُسْن الحظّ أنّنا غير مُحدَّدين بالإدراك العقلي، فإنَّ أشكال أُخرى من قوى الإدراك / الوعي قاطنة في الإنسانيَّة تتجاوز ثُنائيَّة الذّات والموضوع، التي هي خاصيَّة الوعي الذي يعتمد الإدراك الحسِّي. وتلك الأشكال الأُخرى من الوعي يجب أنْ تُعرَف وتُطوَّر إنْ كُنّا نُريد معرفة الحقيقة وإدراك معنى الوُجُود.[277]

---

(276) Motoyama, H. and Brown R.: Science and Evolution of consciousness, Chakras, Ki and Psi, Utumn Press, USA, 1978, p.29.

(277) Ibid, p.23.

حدَّد العلم الكلاسيكي الواقع بما هُو مُدرَك حسيّاً، وبهذا؛ فقد خالف الرُّؤية الصُّوفيَّة. إلاَّ أنَّ نظريَّة النّسبيَّة لـ آينشتين وما جاءت به من تصحيحات للنّظرة الكلاسيكيَّة أثبتت أنَّ الزّمان والمكان ليسا مُطلقَيْن، بل هُما مُترابطان، وما الانفصال الذي تدَّعيه الفلسفة الميكانيكيَّة سوى تركيبات للعقل الإنساني نسبة إلى وضع وحركة المُلاحظ، وأنْ ترابط الزّمان والمكان هذا يُدعى بمُتَّصل الزّمان ـ مكان (الزّمكان). وليس بوسع عُقُولنا إدراك مُتَّصل الزّمان ـ مكان بالوعي الاعتيادي بسبب حُدُود الاشتراط الحسّي.

يبدو أنَّ الفيزياء الحديثة تجاوزت عناصر الاختلاف في الطّبيعة، لتُسلِّم بالتّرابط الدّاخلي للأشياء، ولقد عملت النّظريَّة النّسبيَّة على توحيد الكيانات التي تبدو مُتعارضة ومُنفصلة، وذلك عندما اكتشفت مُتَّصل الزّمان ـ مكان أو العالم رُباعي الأبعاد. وهذا العالم هُو الذي تتوحَّد فيه المادَّة والطّاقة، وتظهر فيه المادَّة على شكل جُسيمات غير ثابتة أو حقل مُستمرّ. وفي هذه الحالة لا نستطيع أنْ نرى الوحدة جيِّداً بالتَّصوُّر الاعتيادي. ويستطيع الفيزيائيُّون أنْ يتعاملوا مع عالم الزّمان ـ مكان رُباعي الأبعاد عن طريق الرّمزيَّة الرّياضيَّة المُجرَّدة لنظريَّاتهم. ولكنَّ تصوُّرهم المرئي ـ مثل تصوُّر أيِّ شخص آخر ـ مُقيَّد بعالم الحواسّ ثُلاثي الأبعاد. فإنَّ لُغتنا وأنماط تفكيرنا مُحدَّدة بهذا العالم ثُلاثي الأبعاد، ولذلك؛ من الصُّعُوبة علينا التّعامل مع الواقع الرُّباعي الأبعاد للنّظريَّة النّسبيَّة.[278]

كما تمَّ تجاوُز حُدُود الإدراك العقلي في التّجريب وفَهْم الطّبيعة في نظريَّة الكمّ. وُلدت هذه النّظريَّة من التّناقض الاختباري الذي أظهر سُلُوكَيْن مُتناقضَيْن للمادَّة؛ أحدهما يتَّخذ شكل مجموعة من الجُسيمات المُنطلقة بطاقة مُحدَّدة، والآخر يتَّخذ شكل الموجات المُتَّصلة. وبيَّن البحث العلمي ـ بعد ذلك ـ أنَّ هذه الجُسيمات يجب أنْ لا نتصوَّرها كأشياء، إنَّما هي عمليَّات لا يُمكن تحديدها من دُون أنْ نأخذ بعين الاعتبار تفاعلاتها مع العمليَّات الأُخرى. فليس هُناك قوالب بناء أساسيَّة للكون، بل تُوجد تفاعلات مُستمرَّة لعمليَّات مُترابطة، والتي هي ـ في الحقيقة ـ تجلِّيات لنظام كُلِّي مُوحَّد ندعوه الواقع.

وقد دُحض دور العُلماء كمُلاحظين مُستقلِّين، وثبت أنَّ الطّريقة التي يشترطونها في دراسة الطّبيعة تُحدِّد ما يكونون قادرين على اكتشافه. ويرى فرنز هايزنبرغ: أنَّ ما نُلاحظه ليس الطّبيعة

---

(278) Ibid, p.23.

في ذاتها، بل الطّبيعة مكشوفة لطريقتنا في التّساؤل. بمعنى آخر؛ إنَّ الطّبيعة هي انعكاس للطّريقة التي تُصنّف بها عقُولهم المُلاحظة، أو إنَّ ما كانوا قادرين على إدراكه ليس الواقع، بل تركيب مُصاغ بشكل تقريبي يُسقطونه على الواقع. والنّتيجة هي أنَّ العُلماء ليسوا موضوعيّين بشكل مُطلق، بل ارتبطوا ـ ذاتياً ـ بعمليّات الطّبيعة التي يُلاحظونها. فالعالِم ليس أنا مُستقلّة محبوسة داخل قشرة الجسم، فالاستقلال الذّاتي لعقل المُلاحظ مُرتبط ـ بشكل كبير ـ بما هُو قادر على إدراكه.[279]

وعندما تختزل ثُنائيّة الذّات / الموضوع على الصّعيد العلمي، ويتّجه البحث العلمي صوب توحيد النّظريّات الجُزئيّة في نظريّة واحدة لتفسير الكون، فسوف يحدث نوع من التّقارب ـ على ما يبدو ـ بين العلم والتّقليد الصُّوفي. فالتّقدُّم في العُلُوم الطّبيعيّة وخَلْق إمكانيّة الوُصُول إلى المعلومات عن التّجربة الصُّوفيّة أجبرت المدرستَيْن إلى أنْ تأخذ إحداهما بمُلاحظات الأُخرى. ودليل التّراكم يُشير إلى أنَّ أكثر التّصوُّرات العلميّة والصُّوفيّة المُتطوِّرة عن الواقع صحيحة، وأنَّ إمكانيّة التّعاون بين المدرستَيْن فتح آفاقاً جديدة للبحث، ومن المُحتمل ـ وفقاً لذلك ـ أنْ تتحقّق القفزة الهائلة المرجوّة في فَهْم الإنسان لذاته وللواقع الذي هُو جُزء منه.

وكجُزء من ذلك التّطوُّر لم يكن الاعتماد على التّجربة الحسّيّة هُو السّبيل الوحيد لفَهْم العالم، كما هُو الحال في بدايات العلم الحديث، وأنَّ فكرة البساطة ـ بمعناها الذي يُشير إلى ضرورة الاعتماد على الحواسّ الخمس والوعي المُطابق لها، باعتبارها عاكسات ومُترجمات صادقة للواقع ـ قضت عليها الفيزياء المُعاصرة ومجالاتها الدّقيقة. كما ألقت اكتشافات الباراسيكُولُوجي ظلال الشّكّ على هذه الرُّؤية.

إنَّ الوحدة التي يتصوّرها التّصوُّف في العالم تنتمي إلى البُعْد اللاّماديّ منه، ولذلك؛ لا يبدو من السُّهُولة التّحقُّق منها بالوسائل العلميّة المُتوفّرة. فإنَّ المنهج العلمي المُحدّد بالأبعاد الحسّيّة للقياس لا ينسجم مع حقائق ذلك البُعْد، وهذا ربّما هُو ـ أيضاً ـ وجه الصُّعُوبة في الباراسيكُولُوجي.

كيف ـ إذنْ ـ يتمُّ التّثبُّت من الوُجُود المزعوم للأبعاد اللاّماديّة للعالم؟ وكيف تتوضّح الآليّة التي ترتبط ـ من خلالها ـ وظائف العالم اللاّفيزيائي المُفترض بالعالم الفيزيائي؟. من الواضح أنَّ الوُجُود اللاّماديّ لا يُمكن التّحقُّق منه بالوسائل العلميّة بصُورة مُباشرة، مادامت الطّريقة العلميّة تعتمد ـ كُلّيّاً ـ على الإدراك الحسّي. والفيزياء دُون الذّرّيّة التي تنتقل وراء ثُنائيّة الذّات والموضوع

(279) Ibid, p.23-24.

تقيس الظّواهر - أيضاً - كما تتّضح في بُعْدنا الحسّي. فالجُزئيّات - في سبيل المثال - يُمكن اكتشافها من خلال الآثار التي تتركها في حُجرة الفُقاعات، وإنَّ مُلاحظة تلك الصُّور - بدلاً من الجُزئيّات نَفْسها - تلقي ضوءاً على النّظريّات الحاليَّة. وهذا يعني أنَّه من المُمكن للظّواهر غير المُدركة بالحسّ أنْ تتجسَّد - بشكل غير مُباشر - على خُطَّة مرئيَّة. فإنَّ الاعتماد الكُلّي على المُلاحظة الحسيَّة المُباشرة للموضوع المدروس تحبس المرء في البُعْد الماديّ. وعلى كُلّ حال؛ فإنَّ الطّريقة العلميَّة - إذا استُخدمت بمهارة - تُمكّن المرء من أنْ يتبيَّن الظّواهر اللاّماديَّة وكأنَّها تتجسَّد وُفق خُطَّة ماديَّة. وقد صرَّح المُتصوِّفة - بشكل مُتكرِّر - بأنَّ الجسم هُو مرآة العقل، والحقيقة أنَّ كُلَّ جوانب الوُجُود مُترابطة مثل ترابط الجسم والعقل. واستناداً إلى ذلك؛ يُمكن الافتراض بأنَّ أيَّ تبدُّل في الوعي يسبب تغيُّرات فيزيُولُوجيَّة وسيكُولُوجيَّة مُقابلة، وهذه التّغيُّرات يُمكن قياسها بوساطة أدوات العلم. ويقوم هذا التَّصوُّر على فرض أسبق هُو أنَّ الإنسان يستطيع تجاوز حُدُود الوعي الفردي، ويبلغ الوعي المُتعالي للأبعاد الأُخرى للواقع. فالأفراد الذين يدَّعون مُمارسة هذا التّجاوز، فإنَّ ذلك يُوقظ فيهم مُستويات الوعي التي لا تعتمد على ثُنائيَّة الأجهزة الحسّيَّة، وهي - لذلك - أوسع من الإدراك العقلي. ويبدو أنَّه من المُمكن للفرد الذي بلغ هذا الاختراق أنْ يعرض إدراكاً خارقاً يُمكن التّثبُّت منه موضوعيّاً من جهة، وتغيُّرات فيزيُولُوجيَّة مُرتبطة به نتيجة لتلك التّجربة.

إنَّ العلم عامَّة وعلم النَّفْس شقَّا طريقهما دُون التفات للمفاهيم الصّحيحة التي قدَّمها الاعتقاد الصُّوفي والدّيني؛ سواء الشّرقي أو الغربي. ولم يُحاول العُلماء اختبار بعض الادّعاءات التّجريبيَّة الأساسيَّة حول الطّبيعة الإنسانيَّة التي جاء بها الدِّين. ولكنْ؛ بعد التّطوُّر العلمي والتّقني في القرن العشرين يُمكن إنجاز مثل هذا العمل. وإنَّ المنهج الصُّوفي والمنهج العلمي يُمكن مُمارستها معاً في وقت واحد، إذْ إنَّ أحدهما يُمكن أنْ يُدرَس من خلال الآخر، وأنَّ الأبعاد الرُّوحيَّة ووحدة الوعي يُمكن استكشافها بأدوات العلم.

الوعي الصُّوفي والطّريقة العلميَّة:

- تقييم فُرُوض مُوتُوياما واختباراته:

حاول العالم الياباني هـ. مُوتُوياما تطبيق الطّريقة العلميَّة على الاعتقادات الصُّوفيَّة والدِّينيَّة. كان مُوتُوياما طبيباً وعالماً نَفْسيّاً ورُوحانيّاً في الوقت نَفْسه، لذلك راقب التّغيُّرات الرُّوحيَّة والفسيُولُوجيَّة التي تحصل أثناء مُمارسته للرّياضة الرُّوحيَّة والصّيام واليُوغا، وهي مُمارسات تهدف إلى تطهير العقل والجسد، وتفترض أنَّ الكائنات البشريَّة تمتلك طاقة كامنة أعظم بكثير من الطّاقة

الماديَّة. وكان يعتقد أنَّ هذه القوَّة الكامنة لا تُمثِّل عاملاً أصيلاً في تطوُّرنا فحسب، بل ذات أهميَّة حتميَّة في حفظ الجنس البشري.

ـ تحديد العيِّنات:

تطلَّب بحث مُوتُوياما أشخاصاً مارسوا تغيُّرات في الوعي نتيجة المُمارسة الدِّينيَّة الطَّويلة. ومن خلال وظيفته ـ كرجل دين ـ اتَّصل بمثل هؤلاء الأشخاص، ولكونه عالماً؛ فقد سافر مسافات طويلة، لكي يجد أشخاصاً مُلائمين للبحث.

قسَّم الاختبار إلى ثلاث مجموعات: المجموعة (A) وتتكوَّن من الأشخاص الذين حقَّقوا تحوُّلاً هائلاً في الوعي، والمجموعة (B) تُمثِّل الأفراد الذين مازالوا في طريقهم إلى تحقيق التَّحوُّل، ويعملون ـ جاهدين ـ في هذا الاتِّجاه. وتتألَّف المجوعة الثَّالثة (C) من أشخاص لايشعرون بأيِّ خبرة ذات مغزى بالواقع غير الاعتيادي (الخارق)، وهؤلاء يُشكِّلون مجموعة ضابطة في الاختبار.[280]

وبالرَّغم من أنَّ بحث (مُوتُوياما) كان فسيُولُوجياً، إلاَّ أنَّه يستهدف الفَهْم السّيكُولُوجي والباراسيكُولُوجي. إذْ أراد أنْ يستكشف ارتباط الوعي الفردي بالجسد، والعلاقة بين الحالات اللاَّحسِّيَّة للوعي والعالم الفيزيائي. وأراد أنْ يُقارن بين تلك المجموعات الثّلاث بعد أنْ حدَّد الاختلافات ذات الدّلالة إحصائيّاً بينهما. وبعد كُلِّ ذلك أراد التّثبُّت ما إذا كانت التّجربة الصُّوفيَّة المُسجَّلة خلال القُرُون تمتلك أساساً واقعيّاً مشروعاً من النّاحية العلميَّة.

أثبت مجموعة المُتأمِّلين (A) ـ الذين كانوا يلتقون ـ معاً بشكل مُنتظم، مُنذُ عام 1953، برعاية مُرشد رُوحي ـ أنَّهم أشخاص مثاليُّون. وكانت هذه المجموعة تلتقي مرَّتيْن في الشّهر للتَّأمُّل والنّقاش، كما كانوا يُمارسون التَّأمُّل يوميّاً في بُيُوتهم. وكُلُّ عُضو في المجموعة لديه حالة مُختلفة من العمليَّة التَّأمُّليَّة. ادَّعى ستَّة من أعضاء المجموعة المُؤلَّفة من مائة شخص أنَّهم مارسوا توحُّداً مع حالات من الوعي لا تعتمد على الإحساس، واعتقدوا أنَّهم تجاوزوا الشُّرُوط الطّبيعيَّة، وأظهروا قابليَّات من الإدراك فوق الحسِّي والتّحريك النَّفْسي. وأحد هؤلاء السّتَّة مُرشدة مُوتُوياما الرُّوحيَّة (أودياساما) التي سجَّلت عدداً من الخبرات التَّنبُّؤيَّة تحقَّقت فعلاً كما يذكر مُوتُوياما نَفْسه، كما قامت بالعديد من العلاجات الرُّوحيَّة. وخلال السّنوات الثّمان الأُولى من الاجتماع كان حوالي عشرون شخصاً من المجموعة لديهم خبرات يُمكن أنْ تُعزى ـ بشكل واضح ـ إلى الاتِّصال بالأبعاد

(280) Ibid, p30.

غير الاعتياديَّة للواقع. وصاحبت العمليَّة أعراض فيزيائيَّة ونَفْسيَّة. بعد هذا التّطوُّر الذي حصل في المجموعة(A) نتيجة مُمارستهم التّأمُّل الطّويل، بدأ مُوتُوياما اختباراته.[281]

- تحديد الفُرُوض:

حدَّد مُوتُوياما أوّلاً الفَرَضيَّة التي يُريد إثباتها، على المُستوى السّيكُولُوجي، وهي أنَّ الإدراك فوق الحسِّي يرتبط باللاَّوعي من ناحية تسلُّم المعلومات. لكنَّ هذه الفَرَضيَّة لا يُمكن اختبارها - تجريبياً - بشكل دقيق ومُباشر؛ لأنَّها تتركَّب من مُصطلحات ومعان غير حسيَّة أو فيزيائيَّة. ممَّا دفعه إلى صياغة الفَرَضيَّة بطريقة علميَّة أُخرى، بإضافة جزاء شرطي لها، وبالصُّورة التّالية: إذا كان الإدراك فوق الحسِّي مُرتبطاً باللاَّوعي، فإنَّه يجب أنْ يُؤثِّر على الجهاز العصبي اللاَّإرادي، حتَّى إذا كان الشّخص (الوسيط) لا يعي المعلومات التي تسلَّمها.

وتلك الفَرَضيَّة كانت قد أُثبتت - سابقاً - من لدُن دُوكلاس دين **D. Dean** من جامعة ديُوك، والذي استخدم في اختباره جهاز (البلثيسمُوجراف) ***Plethysmograph*** الذي يُسجِّل مُعدَّل نقصان وتزايد كميَّة جريان الدّم في الأوعية الدّمويَّة تحت الجلد، وتلك التّغيُّرات تُسبِّبها الأعصاب اللاَّإراديَّة، والتي ثبت أنَّها تُوسِّع وتُضيِّق الشّرايين الدّمويَّة استجابة للحافز العاطفي اللاَّواعي.

صمَّم دين اختباراً للإدراك فوق الحسِّي، استخدم فيه عشرين بطاقة، كَتَبَ في الخمسة الأُولى منها أسماء اختارها من دليل الهاتف بشكل عشوائي. وكَتَبَ في الخمسة الثّانية أسماء أصدقاء المُجرِّب، وفي الخمسة الثّالثة أسماء أشخاص يرتبط بهم الشّخص المفحوص عاطفيّاً. وترك البطاقات الخمس الأخيرة فارغة. وقد ربط الشّخص المفحوص بجهاز البلثيسمُوجراف، وبآلة تسجيل موضوعة في غُرفة أُخرى مع المُجرِّب والمُلاحظ. بعد ذلك قام المُجرِّب بخلط رزمة البطاقات العشرين جميعاً، ثُمَّ التقط البطاقة العُليا، وركَّز على الاسم، مُحاولاً الاتِّصال بالشّخص المفحوص (المُتسلِّم) بشكل فوق حسِّي.

اكتشف دين بيِّنة ذات دلالة إحصائيَّة، إذْ رأى قاعدة البلثيسمُوجراف تتموَّج بشكل ملحوظ، عندما كان المُجرِّب يُركِّز على أسماء الأشخاص الذين يرتبط بهم المفحوص عاطفياً. والحقيقة؛ أنَّ الاتِّصال حصل بين المُجرِّب والشّخص المفحوص، وأنَّ دالة الإدراك فوق الحسِّي سُجِّلت عن طريق الجهاز العصبي اللاَّإرادي.

---

(281) Ibid, p.64.

اختُبِرت هذه الفَرَضيَّة - أيضاً - من لدُن شارلس تارت C. Tart من جامعة كاليفُورنيا؛ حيثُ قام بدراسة كان فيها الأشخاص المُتسلِّمون موصولين بالبلثيسمُوجراف، والإلكترُوكارديُوجراف electrocardiogram (ECG) الجهاز الذي يُراقب النّشاط الكهربائي لعضلة القلب. وكان المُرسلون في غُرفة مُنفصلة يُعرَّضون لصدمات كهربائيَّة مُعتدلة. لم يعلم المُتسلِّمون شيئاً عن طبيعة وموضوع التّجربة، ولم يعرفوا مكان المُرسلين، ولكنَّهم كانوا يعرضون تغيُّرات مُفاجئة في سماتهم الفسيُولُوجيَّة عندما كانت تُعطى الصّدمات للمُرسلين. وهذا الدّليل يُؤيِّد اكتشاف دين السّابق حول استجابة الجهاز العصبي اللاَّإرادي للنّقل اللاَّحسِّي للمعلومات.

أمَّا افتراض مُوتُوياما؛ فيذهب إلى أنَّ الجهاز العصبي اللاَّإرادي يتأثَّر بالتَّأمُّل الفكري، وحاول أنْ يُثبت هذا الفرض عن طريق مجموعاته السّابقة التي نظَّمها لهذا الغرض. فبحث أوَّلاً عن الطّريقة التي يتمكَّن بوساطتها مجموعة الأشخاص الاعتياديِّين من أنْ يُؤثِّروا على الوظيفة اللاَّإراديَّة من خلال قُوَّة العقل، ومن ثَمَّ اتَّجه نحو بحث كيفيَّة تشابه الأفراد في قُدراتهم على فعل الشّيء نَفْسه عن طريقة خبرة التَّأمُّل الفكري.[282]

- إجراء الاختبارات:

في سلسلة التّجارب التي أجراها مُوتُوياما، استخدم الـ(ECG)، وجهاز البلثيسمُوجراف، وجهاز تسجيل مُقاومة الجلد الجلفانيَّة galvanic skin resistance (GSR) وهُو آلة تُراقب وظيفة الأعصاب السّمبثاويَّة عن طريق اكتشاف التّغيُّرات في الجهد الكهربائي للجلد، واستخدم - أيضاً - النّيوماتُوجراف pneumatograph وهُو آلة تُراقب نَمَطَ التّنفُّس. واستخدم - أيضاً - جهاز (الإلكترُوانسيفالُوجراف) electroencephalograph وهُو جهاز تخطيط الدّماغ الكهربائي.

الحقيقة الأُولى التي أراد مُوتُوياما اختبارها هي ما إذا كان الوعي يُمكن أنْ يُؤثِّر على وظيفة الجهاز العصبي اللاَّإرادي. في التّجربة الأُولى قام بمُقارنة الاختلافات الفسيُولُوجيَّة المُصاحبة للحساب الرّياضي العقلي بالتّغيُّرات النّاتجة بفعل تركيز واحد شديد. فاستنتج أنَّ الحساب العقلي يُسبِّب تهيُّج الأعصاب السّمبثاويَّة (المُوضَّحة عن طريق التّزايد في التّنفُّس الضّحل Shallow Respiration)، في حين يُسبِّب التّركيز الشّديد استرخاء الجهاز العصبي السّمبثاوي، ويُؤدِّي إلى تنفُّس أطول وأعمق وأوطأ.

---

(282) Ibid, pp.70-71.

وفي التّجربة الأُخرى؛ قام مُوتُوياما بفحص الاختلافات المُصاحبة للتّركيز المُنفّذ في أعداد مجموعتَيْ A و C . فطلب من الأشخاص أنْ يُركّزوا وعيهم لفترة مُعيّنة من الزّمن على نُقطة بين الحاجبَيْن. ولأغراض السّيطرة؛ استخدم البلثيسمُوجراف والنّيُوماتُوجراف، والـGSR تُقرأ لمُدّة أربعة دقائق، عندما كان الشّخص مُضطجعاً بشكل هادئ، وبعد انتظار دقيقة واحدة بدأ مُوتُوياما بالقياس مرّة أُخرى، وتركهم لمُدّة دقيقة واحدة، قبل أنْ يطلب منهم أنْ يبدؤوا التّركيز. وكانت القراءات مُستمرّة عندما كانوا يُحاولون الحفاظ على التّركيز لمُدّة ثلاثة دقائق. أوضحت نتائج هذه التّجربة - مرّة ثانية - أنّ التّركيز العقلي يُؤثّر على العمليّات الفيزيُولُوجيّة الدّقيقة للجسم. لقد أظهر غالبيّة أشخاص المجموعة C تزايداً في درجة التّنفُّس. وكانت درجة تنفُّسهم تُعادل 16,8 نَفَس بالدّقيقة في السّيطرة (المُعدّل الإحصائي هُو 16) ويظهر بمُعدّل حوالي 23 نَفَس بالدّقيقة أثناء التّركيز. والمجموعة A من جهة أُخرى؛ أظهرت نُقصاناً حادّاً في درجة التّنفُّس أثناء التّجربة. ويُعادل حوالي 15 أثناء السّيطرة و5 بالدّقيقة أثناء التّركيز.[283]

لقد أظهرت المجموعة A درجة في التّغيُّر أثناء التّركيز أكبر إحصائيّاً من مجموعة C. ويدلُّ هذا الاختلاف على أنّ مجموعة A قادرين على إحداث تأثير على أجسامهم أكثر من مجموعة C. والعلاقة المُباشرة - هُنا - من المُحتمل أنّها بين الدّرجة التي طوّر فيها أشخاص المجموعة A وُصُولهم إلى مُستويات لا حسيّة للوعي، ومقدار السّيطرة التي كانوا قادرين على مُمارستها على أجسامهم.

فكُلُّ تلك النّتائج تُبيّن أنّ المُتأمّلين يتعرّضون لتغيُّر في درجات التّنفُّس والنّبض أثناء التّمرين. ودراسات مُوتُوياما تفترض أنّ التّغيُّرات في الوظيفة الفيزيُولُوجيّة تعتمد على طُول الزّمن الذي يتأمّل فيه الشّخص الطّريقة الخاصّة المُستخدمة.

والنّتيجة من هذا - أيضاً - أنّ العقل والجسد يُؤثّر أحدهما على الآخر، وقد ثبت هذا - بشكل مُتكرّر - في دراسات التّغذية الاسترجاعيّة الحيويّة biofeedback. وأنّ تقنيّة التّغذية الاسترجاعيّة مبنيّة على افتراض أنّ الإرادة بمُساعدة التّغذية الاسترجاعيّة الحيويّة تكون قادرة على التّأثير على الجهاز العصبي اللاّإرادي وبرنامج التّفاعلات المُهمّة.

إنّ قُوّة الوعي في التّأثير على العمليّات الجسديّة هي - في ذاتها - مُذهلة تماماً، ولكنّ الأكثر فائدة هُو أنّ الوعي يستطيع - بشكل قابل للإثبات - أنْ يُسبّب تغيُّرات في الوظيفة الفيزيُولُوجيّة التي تقع - كُلّيّاً - خارج المجال الاعتيادي للنّشاط اللاّإرادي.

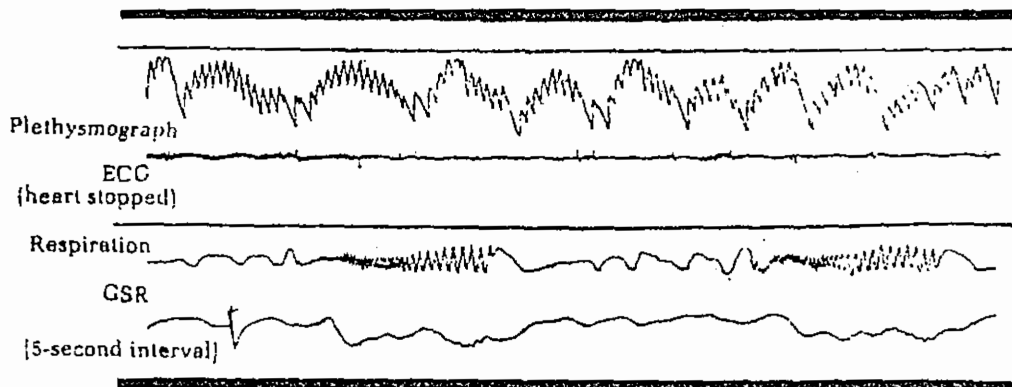
---

(283) Ibid, p.72.

ففي الشّخص السّليم هُناك توازن في وظيفـة نصفَـيْ الجـهاز اللاّإرادي. وأنَّ خطأً مُعيَّناً من النّشاط تُسيطر عليه العمليّات، فعلى سبيل المثال؛ إنَّ دقات القلب يتراوح مُعدَّلها تقريباً بين 70 إلى 180 في الدّقيقة (70 في الرّاحة، و 180 خلال العمل العضلي الشّديد) وأيُّ شيء أعلى أو أوطأ من هذا المُعدَّل يُعتبَر شاذّاً، وفي أغلب الحالات يُعبِّر عن حالة فَرَضيَّة. فإذا كان الجهاز اللاّإرادي مجبوراً على العمل وراء مُعدَّله، وإذا كانت بعض الحوافز مُعطاة، فهُو لا يستطيع ضمن مجاله الاعتيادي للنّشاط، فإنَّ الألم أو علامات خطر أُخرى ستحدث. ولكنَّ بعض النّاس؛ مثل اليُوغي الهندي شُوهدوا بأنّهم قادرين على أنْ يزيدوا نبضات قُلُوبهم إلى 300 نبضة في الدّقيقة بدُون خطر ظاهر. البحث الباراسيكُولُوجي والتّعليم الصُّوفي كلاهما يُؤكّد أنَّ الوعي من المُمكن أنْ يتجاوز حُدُوده الفيزيائيَّة (الاعتماد الحسّي) ومن الواضح أنَّ الجسم يستطيع ذلك أيضاً.

يُمثّل الشّكل(1) النّشاط الكهربائي المُذهل لعضلة القلب (ECG) لليُوغي الهندي، أُخذت في مُؤسَّسة لُونافالا الطّبّيَّة لبحث اليُوغا، **Lonavala Yoga Research Institute** من قبيل برُوفيسُور في الطّبّ في جامعة بُومباي. كان اليُوغي مُركّزاً لمُحاولة إيقاف حركة قلبه، حوالي 30 أو 40 ثانية بعد بدء القياس، وأصبحت الفترات الفاصلة بين النّبضات (1) إلى (2) ثانية، وبعد دقيقة واحدة أظهر الـ(ECG) خمس ثواني فاصلة عندما توقّف القلب بشكل كامل.[284]

الشّكل 1: قراءات قياس تخطيط القلب واستجابة الجلد الجلفانيَّة مأخوذة ليُوغي هندي استطاع إيقاف حركة قلبه.



(284) Ibid, p.73-74.

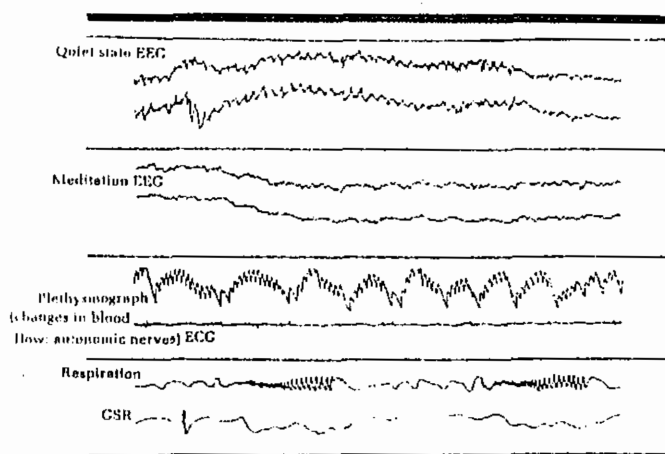
انظر - أيضاً - تجربتَيْ ج. أس. شينا و بي. كي. أناندا المُقتبستَيْن من المجلّة الهنديَّة للبُحُوث الطّبّيَّة في:

Ramananda Yogi, My Experience with yoga, In: Religion and Parapsychology, IARP, Nov 1976, No. 14, Japan, pp.38-39.

ومن الواضح بأنَّ المقدرة الطّبيعة للقلب على النّبض - والتي هي واحدة من أكثر المواهب اللاَّإراديَّة والأساسيَّة التي نمتلكها - لم تكن تحت سيطرة الوعي بشكل كامل. فالوعي يستطيع السّيطرة على الظّواهر المُتأصّلة بشكل عميق في الوظيفة الدّقيقة للعالم الفيزيائي كهذه الظّاهرة.

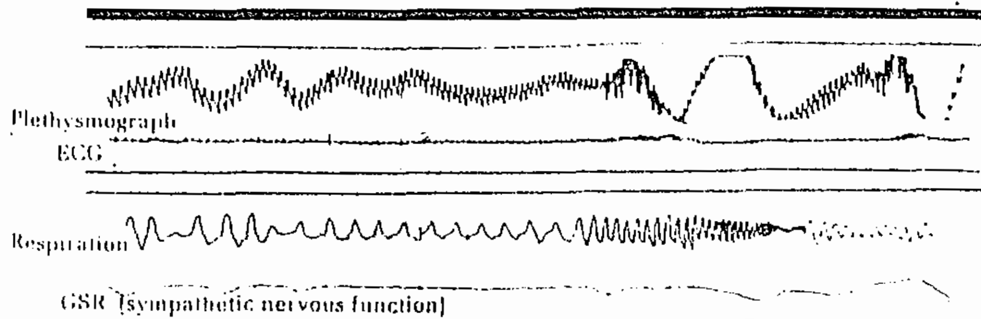
ثُمَّ أوضح الفحص الفيزيُولُوجي لـ ساتيانارايانا Sr. Satyanarayana (الشّكلان 2، 3) الذي ادَّعى أنَّه قد بلغ مُستويات أُخرى من الوعي عن طريق إطلاق طاقة كُونداليني Kundalini، وكان من النّوع الذي يسمح بأنْ يُؤخذ له تخطيط طبِّي تحت شرُوط مُعيَّنة. وأوضحت الاكتشافات في الأشكال 2، 3، التي كانت تُؤخذ عندما كان المُرشد الرُّوحي Guru يُنفِّذ تقنيَّة البرانایاما Pranayama للتّنفُّس السّريع المعروفة بالباستريكا Bastrica وكانت الفترة المُمتدَّة للتّنفُّس السّريع خطيرة إذا أُقيمت بدُون تمرين كاف. إذْ إنَّ جهاز الأعصاب اللاَّإرادي لا يستطيع أنْ يتحمَّل التّحفيز المُفرط. وتزيد الباستريكا بشكل كبير من استنشاق الأوكسجين، والتي من ثَمَّ تُنقص الضّغط الدّاخلي للدّماغ. يستطيع ساتيانا رايانا أنْ يتنفَّس بمُعدَّل 200 مرَّة بالدّقيقة (الدّرجة الاعتياديَّة هي 16) وبناء على الرّسم البياني؛ فإنَّ المُرشد الرُّوحي يتحرَّك داخل وخارج الباستريكا، ويتنفس بشكل مُهلهل أسرع من الاعتيادي أثناء الفترة التي تتألَّف من (18) ثانية عندما لا يعمل الباستريكا.[285]

الشّكل 2: قراءات بأجهزة قياس كهربائيَّة الدّماغ (EEG)، وقياس كمِّيَّة جريان الدّم تحت الجلد، وقياس حركة القلب (ECG)، وجهاز الـ (GSR). مأخوذة ليُوغي هندي يُمارس التّنفُّس السّريع بتقنيَّة الباستريكا.



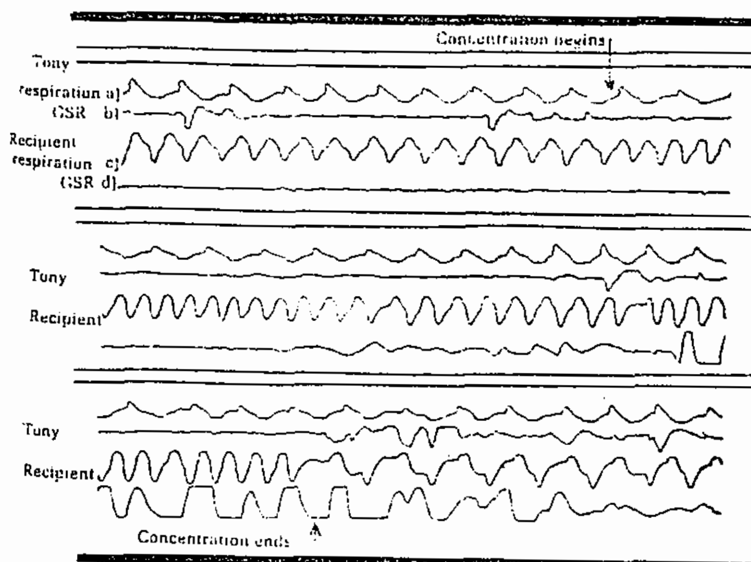
(285) Motoyama & Brown: Op Cit, p.77.

الشّكل 3: بيانات تمرين الباستريكا لرُوحاني مُبتدئ.



وتُبيِّن الكُشُوفات الطِّبِّيَّة المذكورة أنَّ البلثيسمُوجراف(الشّكل 4) يُظهر تموُّجات إيقاعيّة كبيرة في الخطِّ القاعدي. والخاصيَّة المُشابهة يُمكن أنْ تُشاهد في مُخطَّط التّنفُّس (الشّكل نَفْسه)، ونُشاهد هيجاناً كبيراً في جهاز قياس مُقاومة الجلد الجلفانيَّة (GSR) (الشّكل نَفْسه) وتلك التّموُّجات تفترض شُذُوذاً وظيفيّاً في داخل الجهاز اللاّإرادي، ولكنْ؛ لو كانت هذه حالة من تشخيص الأمراض فسوف لا نُشاهد تكراراً مُنظّماً في تموُّج الخطِّ القاعدي للجهاز. وعلى أيِّ حال؛ فإنَّ هذا التّموُّج قد لُوحظ في أشخاص مُتشابهين بشكل مُتكرِّر، ولذلك فهُو لا يُشير إلى مرض، بل يُشير إلى مجال عمل أوسع من المُعتاد.

الشّكل 4: بيانات اختبار مُتسلِّم الهدف مع طُوني آجبو الذي يعمل مُرسلاً قبل وأثناء وبعد التّركيز.



وإنَّ هذه البيانات تختلف عن القياسات الفسيُولُوجيَّة المأخوذة للأشخاص في التَّأمُّل الصُّوفي. ففي أثناء التَّأمُّل يميل النّبض والتّنفُّس إلى الانخفاض. فالأنماط الفسيُولُوجيَّة تنتج بسبب حالات أعلى تتغيَّر بطريقة ما. استناداً إلى الطّريقة المُستخدمة في الوُصُول إليها. والنُّقطة المُهمَّة هي أنَّ وظيفة الأعصاب اللاَّإراديَّة تكون مُتغيِّرة نتيجة لذلك.

إنَّ المعلومات أعلاه تُبيِّن لنا حقيقتَيْن: الأُولى؛ أنَّه عن طريق عمل عمليَّات فسيُولُوجيَّة لا واعية يستطيع الشّخص الواعي أنْ يُغيِّر بشكل طبيعي عمليَّات جسمه الدّقيقة بالإرادة. وهذا التّغيُّر يحصل في داخل المجال الاعتيادي للنّشاط الفيزيائي. ثانياً؛ أنَّ خطَّ النّشاط اللاَّإرادي ذاته يكون مُتوسِّعاً، وربَّما نتيجة لتجاوزه حُدُود الوعي الفردي.

فإذا كان العقل يمتلك طاقة للتّأثير على المادَّة إلى هذه الدّرجة، فما هي الإمكانيَّة التي تُمكِّن عقل شخص مُعيَّن من أنْ يُؤثِّر بشكل واع على جسم شخص آخر،؟ صمَّم مُوتُوياما تجربة أُخرى للإجابة عن هذا السُّؤال. كان المُرسل والمُتسلِّم فيها موجودَيْن في غُرفتَيْن معزولتَيْن كهربائيّاً بحاجز رصاصي (لا يُمكن لحُقُول الطّاقة الكهربائيَّة أنْ تجتاز بينهما) ولم يعلم كُلٌّ من المُرسل والمُتسلِّم أيَّ شيء عن إجراء الاختبار. وكلاهما موصولان بمعدَّات الاختبار الفسيُولُوجيَّة. ثُمَّ طلب من المُرسل أنْ يُركِّز طاقة الإرسال Sending Energy على المُتسلِّم في الغُرفة الأُخرى. القياسات كانت مأخوذة في كُلِّ مكان لتحديد ما إذا كانت أيُّ تغيُّرات ذات دلالة حصلت تحت شُرُوط الاختبار. وفي العديد من الاختبارات كانت تُوجد تغيُّرات ذات دلالة، وبعض النّتائج كانت مُدهشة بشكل كبير، كالحالة التي عمل فيها تُوني آغبو Tony Agpoa الجراح الرُّوحاني الفليبيني المعروف كمُرسل، وقد أجرى الدُّكتُور مُوتُوياما العديد من الاختبارات على الادّعاءات الشّائعة حول قُدرة بعض الرُّوحانيِّين على إجراء عمليَّات جراحيَّة بدُون استخدام أدوات الطّبِّ أو التّخدير الموضعي أو الكُلِّي. وكانت اختباراته بايُوكيميائيَّة على الدّم والأنسجة المُزاحة من الأشخاص الحقيقيِّين. ويعزوها مُوتُوياما إلى تأثير الرُّوح أو العقل على المادَّة.[286]

وبهذا؛ فإنَّ الاعتقادات الدِّينيَّة والصُّوفيَّة حول العالم اللاَّمادِّي وتأثيره على العالم المادِّي التي رُفضت سابقاً من قبَل أكثر العُلماء دُون فحص أو اختبار تجريبي نراها ـ اليوم ـ تترسَّخ جيِّداً

---

(286) Ibid, pp.77-78.

انظر أيضاً:

Motoyama H.: The Non-physical in the correlation between Mind and body, the Institute of Religious Psychology, Tokyo, October, 1972, p. 20.

على قاعدة تجريبيَّة، وأنَّ المشاكل الميتافيزيقيَّة ـ التي برزت نتيجة البحث في حقيقة العقل أو الرُّوح وعلاقته بالمادَّة أو الجسد، أو أنَّ هُناك مُستوى رُوحانيّاً في الوُجُود لا يخضع لمقاييس المُستوى المادِّي ـ أصبحت تجد لها حُلُولاً ـ أو على الأقلّ ـ طريقاً مُمهَّداً للحلّ عبر الطَّريقة التَّجريبيَّة التي يستخدمها العلم الحديث. وهكذا تترسَّخ بشكل أقوى من ذي قبل الاعتقادات الميتافيزيقيَّة في النَّفْس والله أو السّبب الأوَّل باعتباره عقلاً كُلّيّاً أو رُوحاً مُطلقاً. وستجد الفلسفة المُبرِّرات المشروعة في نظر العلم لمُناقشة النَّفْس والله كحقائق موضوعيَّة تنتمي إلى أبعاد أُخرى من العالم لا تخضع لمقاييسنا العاديَّة، وهي من جهة أُخرى؛ تُمارس تأثيراً وتوجيهاً لعالمنا المادِّي الخاضع لهذه اليد الغيبيَّة. ومن هُنا؛ يتبلور بُعْد ميتافيزيقي واضح في أبحاث الباراسيكُولُوجي ونتائجه.

اختبر العالم مُوتُوياما ـ أيضاً ـ الاعتقاد الصُّوفي الهندي القديم الذي يدَّعي أنَّ هُناك مراكز للطّاقة تُسمَّى الشّاكرا Chakra هي المسؤولة عن الظّواهر غير الاعتياديَّة التي يُظهرها اليُوغي، وهذه المراكز هي مثل (المُولاهارا) Mulahara وتقع في أسفل العمود الفقري، ويزعم أنَّها شكل قوي جدّاً من الطّاقة يُسمَّى في السّنسكريتيَّة Kundalini [287]. والمركز الثّاني يُدعى (سوادهستانا) وواقعة حوالي ثلاث سنتمترات أسفل السّرَّة Navel هذه الشّاكرا تتحكَّم في الوظائف التّناسليَّة (الجنسيَّة) والعمليَّات الأوَّليَّة، وهي مُرتبطة ـ بشكل عميق ـ بالتّشعُّبات الدّقيقة لـ اللاَّوعي [288]. والمركز الثّالث هُو المانيبورا Manipura (النّوم) واقعة بالقرب من الظّفيرة الشّمسيَّة Solar plexus (شبكة من الأعصاب في فم المعدة) هذا المركز يُقال إنَّه قُوَّة كبيرة مُتحكِّمة في اللاَّوعي الفردي والجهاز الهضمي digestive system وتتضمَّن الرّغبة بالقُوَّة، والعواطف، والأحلام، والإدراك فوق الحسِّي البسيط، والاستشفاف [289]. أمَّا شاكرا الأناهاتا Anahata (القلب) فواقعة في عظم الصّدر، وتتحكَّم بالقلب والنّظام الدّوري الدّموي Circulatory System وهي سبب الاستشفاف والقُوَّة السّايكُوكنسيزيَّة المُسيطرة عليها. هذا المركز مُرتبط بأشكال الوعي التي تتجاوز الحُدُود الحسيَّة [290].

وأقوى ثلاث شاكرا هي (فيشودا) Vishoda (في الحَنجرة)، و(آينا) ajna (بين الحاجبَيْن)، و(السّاهازرارا) Sahasrara (في قمَّة الرّأس). ويُقال إنَّ مركز الحَنجرة يُسيطر ـ فيزيائيّاً ـ على التّنفُّس، ومركز الحاجب brow center يُنظِّم الغدَّتَيْن الصّنوبريَّة والنُّخاميَّة، ومركز ساهزرارا في

(287)Motoyama H.: Research for Religion and Parapsychology, Guidelines for Awakening the Chakra, IARP, Nu.18, June 1988, Japan, p.13.

(288) Ibid, p.17.

(289) Ibid, p.23.

(290) Ibid, p28.

اللّحاء المُخّي هُو المُشرف الأعلى والمُنسّق للنّظام الفسيُولُوجي الدّاخلي. ولإدراك أو معرفة الشّاكرا التي في الحَنجرة يجب على المرء أنْ يُحدِّد كُلَّ رغبة واتّصال بالعالم المادِّي.[291]

إنَّ المعرفة التي تحصل من خلال الشّاكرات الثّلاث الأخيرة تتجاوز شُمُوليَّة اعتماد الوعي على الحواسِّ، كما تعمل القُدرات المُرتبطة بها. وتلك هي المُستويات التي يحصل من خلالها العلم الشّامل الذي يفترضه العديد من المتصوفة أنَّه الهدف النّهائي للمُغامرة الإنسانيَّة.

وقد أثبت الاختبار العلمي الذي قام به (مُوتُوياما) أنَّ الشّاكرا تُؤثّر على وظائف الجهاز الفسيُولُوجي. وكانت تلك الشّاكرات مُجرَّد افتراضات ميتافيزيقيَّة يدَّعيها بعض المُتصوِّفة اليُوغيِّين. وقد قلنا ـ سابقاً ـ إنَّ هدف بعض العُلماء ومنهم (مُوتُوياما) هُو اختبار الفَرَضيَّات الصُّوفيَّة التي كانت مثار رفض للعلم والعُلماء. وقام (مُوتُوياما) بإجراء اختباراته على بعض الأشخاص الذين يدَّعون السّيطرة على إطلاق الطّاقة من بعض مراكز الشّاكرا التي يعرفون موقعها. ولهذا الغرض قام مُوتُوياما بتصميم آلة اختبار مُتطوِّرة تجاوز فيها بعض الصُّعُوبات التي كانت تُثيرها الأجهزة القديمة في قياس كهربائيَّة الجسم. ولا يفترض مُوتُوياما أنَّ الطّاقة المُنطلقة من الشّاكرا ذات طبيعة فيزيائيَّة، بل إنَّ انطلاق طاقة ذات بُعْد أعلى قد تُؤثّر على العالم الفيزيائي. وهكذا؛ فإنَّ اكتشاف هذه الشّاكرا أو الطّاقة المُنطلقة ربَّما يُلقي ضوءاً على الظّاهرة المُعقّدة المعروفة في الباراسيكُولُوجي التي تُدعى السّايكُوكينيسز.

لقد قام مُوتُوياما بتصميم إلكترُود Electrode يقيس الطّاقة الكهربائيَّة للجسم من دُون أنْ يمسَّ الجلد. إذْ إنَّ طُرُق القياس الكهربائي البيُولُوجي كانت عبارة عن إلكترُودات تتَّصل ـ مُباشرة ـ بسطح الجلد. وهذا الاتّصال يُنتج أو يُسبِّب طاقة مقدارها أكبر بكثير من مقدار الطّاقة الكهربائيَّة العاديَّة المُنتجة عن طريق الجسم. ولذلك؛ ففي أغلب أنواع القياس الكهربائي البيُولُوجي (البيُوكهربائي) يُمكن أنْ تُكشف ـ فقط ـ الإشارات الكهربائيَّة الحيويَّة الكُلّيَّة التي تتغيَّر ـ بشكل مُستمرٍّ ـ طُول الوقت، أمَّا العناصر التي لا تتغيَّر كُلَّ الوقت أو أنَّها تتغيَّر ببُطء، والتي ربَّما تتضمَّن معلومات لا نعرفها لحَدِّ الآن، فهذه تكون مجهولة؛ لأنَّ الأجهزة لا تستطيع اكتشافها.[292]

هذه المشاكل قادت مُوتُوياما إلى اختراع آلة قادرة على قياس طاقة الحقل الكهربائي المُحيطة بجسم الشّخص دُون الحاجة إلى أيِّ إلكترُودات مُتَّصلة أو مُلامسة للشّخص. تُوضع الآلة في غُرفة

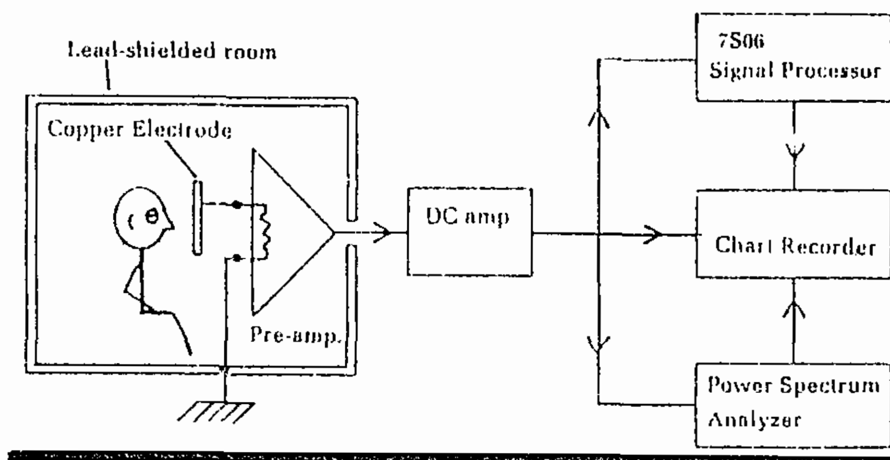
---

(291) Motoyama & Brown: Op Cit, p.89.

(292) Motoyama: Religion and parapsychology, (The Ejection of energy from the Chakra of yoga and Meridian points of Acupuncture, IRP, Japan, 1975, pp.4-12.

مطليَّة بالرّصاص، وتكون مُصمَّمة بشكل خاصٍّ، ومُحكمة ضدَّ الضّوء. وتستخدم إلكترُوداً نُحاسيّاً قابلاً للتّحريك مع تذبذب على شكل مُنحنى جيبي Sinusoidal Oscillation ويُمكن أنْ يُوضع الإلكترُود أمام أيِّ جُزء من جسم الشّخص (الشّكل 5) فشدَّة وتردُّد طاقة المجال الكهربائي الذي يُحيط بجسم الشّخص تكون مُكتشفة عن طريق التّقارن السّعوي Capacitive Coupling بين الإلكترُود والشّخص والغُرفة. فالإشارة المُتولِّدة بهذه الطّريقة تمرُّ - أوّلاً - من خلال المُضخِّم الأوّل للمُقاومة الكهربائيَّة العالية إلى أقصى حَدٍّ (800 ميغاأوم) Extremely high input-impedance Preamplifier الموجود داخل الغُرفة، وتُرسل - ثانياً - معلومات القياس بوساطة مجموعة مُضخِّمات الـ(DC) إلى مُعالج إشاري Signal Processor، ومُحلِّل طيف القُوَّة Power Spectrum Analyzer خارج الغُرفة، وتُسجَّل البيانات على مُسجِّل كارت قياسي Standard Chart Recorder.[293]

الشّكل 5: مُخطَّط يُمثِّل الآلة المُستخدمة لقياس الطّاقة الخارجة من الجسم من خلال الشّاكرا.



الاختبار الأوّل الذي أُجري باستخدام هذه الآلة وُضع فيه الإلكترُود أمام أجزاء مُختلفة من جسم الوسيط بالتّدريج. وعندما بدأت آلة التّسجيل بالعمل أُعطي الوسيط تعليمات بأنْ يبقى ساكناً لمُدَّة (30) ثانية، بعدها يُركِّز أو يُحاول أنْ يُطلق الطّاقة من ذلك الجُزء الذي كانت الإلكترُودات موضوعة أمامه لمُدَّة (30) ثانية، ثُمَّ يُوقف التّركيز، ويبقى ساكناً مرَّة أُخرى لمُدَّة (30) ثانية. وعندما

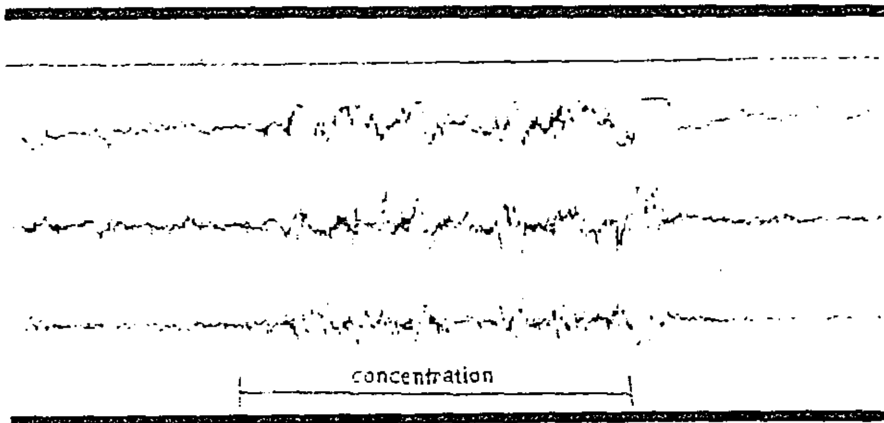
(293) Motoyama H and Brown: Op Cit, p. 95.

وُضع الإلكترُود أمام الشّاكرا التي ادّعى الوسيط أنّه نشّطها، ويُسيطر عليها، أوضح أنّ الطّاقة وتردُّد المجال الكهربائي المُرتبطَيْن بإطلاق الطّاقة من الجسم كان أكبر بشكل ذي مغزى من تلك الموجودة في الأشخاص الذين يُمثّلون المجموعة الضّابطة.[294]

البيانات التي يعرضها الشّكل 6، هي التي أُجريت لأحد تلاميذ مُوتُوياما في اليُوغا، الذي كان يُمارس التّأمُّل لُمدّة خمس سنوات، وادّعى أنّه قادر على السّيطرة على إطلاق الطّاقة من مركز الطّاقة الذي يُدعى (آينا)، وأظهرت شدّة الإشارة اختلافات ملحوظة قبل وأثناء وبعد التّركيز. وهذا الاختلاف يُوحي بأنّه فعلاً كان مُسيطراً على إطلاق الطّاقة من جسمه في نُقطة خاصّة.

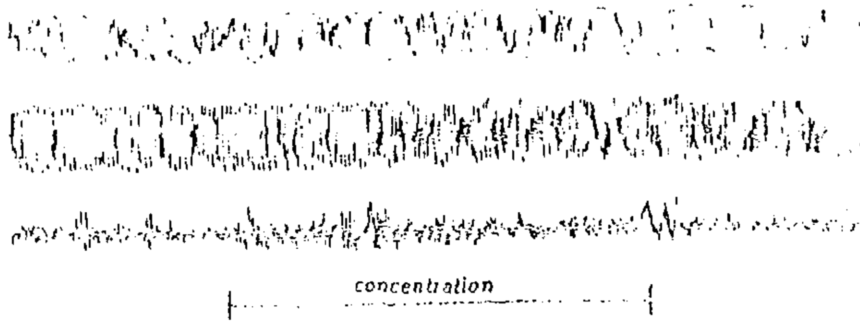
فلو لم يكن هُناك اختلاف كبير في الفترات الزّمنيّة قبل، وأثناء، وبعد، التّركيز، لأوحى بحقيقة أنّه ليس هُناك دلالة على تغيُّر كهربائي أو طاقوي يُسبّبه التّركيز. ولأنّه قد ثبت عكس هذا (أيْ حصل اختلاف) وأنّ الطّاقة كانت أكبر بكثير ممّا هي عليه قبل التّركيز، فهذا يدلُّ على أنّ هُناك عاملاً آخر في المسألة يُعزى إلى سيطرة الشّخص على إطلاق الطّاقة عن طريق حَثّ المركز الطّاقوي الخاصّ في نُقطة خاصّة من الجسم. وفي التّجربة ذاتها؛ ادّعى الوسيط بأنّ شاكرا (سوادهستانا) لديه مُنشّطة لكنّه غير قادر على السّيطرة عليها لإخراج الطّاقة منها. وعندما تمّ وضع الإلكترُود فوق الشّاكرا الأضعف ظهرت النّتائج التي يُبرزها المُخطّط رقم 7. إنّ التّذبذب الكبير للخطّ القاعدي يدلُّ على أنّ الوسيط كان قد أيقظ الشّاكرا إلى حَدٍّ ما، لأنّه ليس هُناك اختلاف كبير بين الفترات قبل، وأثناء، وبعد، التّركيز، ولكنّه، وإنّ كان قد أيقظ الشّاكرا إلاّ أنّه لم يصل إلى حَدّ السّيطرة عليها لحَدّ الآن.

الشّكل 6: معلومات عن شاكرا مُنشّطة ومُسيطر عليها.



(294) Ibid, p.95.

الشّكل 7: بيانات عن شاكرا مُنشَّطة، ولكنْ؛ غير مُسيطر عليها.

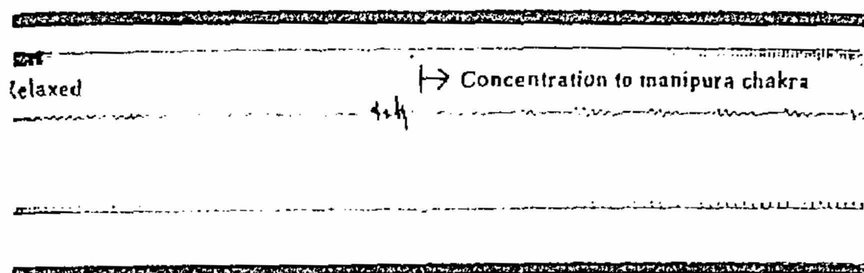


كانت التّجربة السّابقة (الأُولى) تُعاني من عيُوب مُحتملة؛ منها: عدم تثبيت الإلكترُودات بشكل كامل، فكانت تهتزُّ بشكل طفيف، لكنَّه يكفي لجعل القياس غير دقيق. وبالإضافة إلى ذلك؛ فإنَّ تأثير المجال الكهربائي داخل غُرفة التّجربة غير مُستبعد تماماً، والذي قد يتداخل مع المجال الكهربائي للجسم. وبالرّغم من أنَّ هذه العيُوب ليست كبيرة إلى حَدِّ إثبات عدم شرعيَّة اكتشافات التّجربة الأُولى، فقد قرَّر مُوتُوياما عمل قياسات أُخرى أكثر دقَّة عن طريق تحسين الإلكترُودات ومساندها لمنع اهتزازها، وتغطية غُرفة الاختبار بالألمنيوم.

يُمثِّل الشّكل 8 بيانات عيِّنة مأخوذة بآلة مُحسَّنة. كانت الوسيطة قد مارست التَّأمُّل لمُدَّة خمس سنوات، وأدركت أنَّ شاكرا المانيبورا أصبحت منشَّطة. ومُنذُ سنة قبل أنْ تُؤخذ هذه البيانات، أظهرت العديد من الأعراض، التي ربطها مُوتُوياما بأنماط المجموعة B وبشكل خاصٍّ إيقاظ شاكرا المانيبورا، مثل عدم الاستقرار العاطفي، ومتاعب في المعدة، تغيُّرات مُفاجئة في مُستوى الحيويَّة، وتزايد في خبرات الإدراك فوق الحسِّي، وبشكل خاصٍّ الاستشفاف. قرَّر مُوتُوياما أنْ يُجري الاختبار التّالي مُستخدماً آلة مُحسَّنة. تمَّ وضع الإلكترُود في نُقطة مُتوسِّطة من الظّفيرة الشّمسيَّة (الموقع المُفترض للمانيبورا). كانت الوسيطة قد أُعطيت تعليمات أنْ تُركِّز على الشّاكرا، وأنْ تُحاول إخراج الطّاقة من خلالها. وخلال الوقت الذي شعرت فيه أنَّها قادرة على إخراج الطّاقة، اختفى ـ بشكل ملحوظ ـ الرّسم الكهربائي المُسجّل بواسطة الجهاز. وللتّأكُّد من أنَّ هذا التّغيُّر لا يُعزى إلى نمط تنفُّسها، قيس تنفُّسها بشكل اعتيادي، ومن ثَمَّ؛ ضُبط تنفُّسها إلى أقصى حَدٍّ مُمكن، من دُون التّركيز على الشّاكرا، فلم يظهر أيُّ تغيُّر. ثُمَّ طلب من الوسيطة أنْ تُركِّز على شاكرا أُخرى هي (آينا)، والتي لم تُركِّز عليها خلال مُمارسة التَّأمُّل. لم يُسجَّل أيُّ تغيير

في المجال الكهربائي، ولـم تُشر الوسيطة إلى أنّها شعرت ذاتيّاً بتنشيط الشّاكرا. التّغيُّر الدّرامي الحاصل في المجال الكهربائي المُحيط بالوسيطة عندما كانت مُركّزة على ظفيرتها الشّمسيّة يبدو أنّه مُرتبط - بشكل مُباشر - بتنشيط شاكرا المانيبورا. وهُو التّنشيط الذي كانت تعيه الوسيطة ذاتها.(295)

الشّكل 8: بيانات عن إيقاظ شاكرا المانبيورا والسّيطرة عليها.



ادّعت إحدى الموهوبات بأنّها تعرف جيّداً نوعاً من ظواهر الطّاقة تحصل في منطقة قلبها. فقرّر مُوتُوياما فَحْصها بوضع الإلكترُود أمام قلبها، وطلب منها أنْ تُركّز على شاكرا (أناهاتا) في منطقة القلب، وتُحاول إطلاق الطّاقة منها. وتمّ إعلامها بأنْ تدفع زرّاً كهربائيّاً مُعيّناً عندما تشعر بأنّ الطّاقة قد انطلقت، لكي تُنذر المُجرّبين في الغُرفة الأُخرى. وقد لُوحظ إطلاق مُستمرّ لطاقة ذات تردُّد عال من منطقة قلبها، ولكنّ النّبض كان غير واضح.

وبجانب الإلكترُود العادي وُضعت خليّة كهربائيّة ضوئيّة لقياس الضّوء (غُرفة الإلكترُود كانت مُظلمة بشكل كامل أثناء التّجربة) أمام الشّاكرا المعنيّة. وأثناء التّجربة كانت الإشارة المُسجّلة في مصدر الخليّة الكهربائيّة الضّوئيّة تتضمّن أنّ الضّوء مُتولّد بطريقة ما. كيف يُمكن تفسير هذه الظّاهرة الواضحة؟ يقول مُوتُوياما: لا أعرف! فالضّوء كان مُتولّداً عندما كانت الوسيطة تُركّز على مركز الطّاقة. والأغرب من ذلك أنّ عدداً من ظواهر الـ(PK) (السّايكوكينسيز) حصلت أثناء التّجربة. فعتلة الـ(EEG) (جهاز قياس كهربائيّة الدّماغ) الذي لم يُستخدم أثناء التّجربة قد انحنت وتغيّر شكلها، وإنّ السّاعة الإلكترُونيّة على الحائط وساعة المُجرّب توقّفتا تماماً عند السّاعة 15:3 وهُو الوقت الذي أرادت فيه الوسيطة أنْ تُغادر لأجل عمل آخر. أكانت تلك الظّاهرة مُرتبطة بطريقة ما بتركيز الوسيطة على شاكرا أناهاتا لديها؟ يجيب مُوتُوياما أنّ ذلك أمر مُحتمل.(296)

---

(295) Ibid, pp.96-97.

(296) Ibid, pp.97-98.

أخيراً؛ إنَّ نتائج اختبارات آلة الشّاكرا تفترض - بقوَّة - أنَّ السّبب اللاَّفيزيائي (التّركيز العقلي على الشّاكرات المعروفة تجريبيّاً) يُمكن أنْ يُولِّد نتائج فيزيائيَّة مُباشرة. وهذه الاكتشافات تتطلّب تأييداً إضافيّاً، وتحتاج إلى استقصاء إضافي؛ لأنَّها تدعم التّأكيدات اليُوغيَّة بأنَّ (الشّاكرا) تعمل جُسُوراً بين الأبعاد المُختلفة للوُجُود. وربَّما يُقدِّم المزيد من البحث في الشّاكرات معلومات لا تُثمَّن حول العلاقة بين الوعي والمادَّة.

المُستوى الصُّوفي والاستشفافي للواقع:

ناقشنا في الفقرات المُتقدِّمة من هذا البحث بعض جوانب الالتقاء والخلاف بين التّصوُّف والباراسيكُولُوجي، وذكرنا - باختصار - بعض الاختبارات العلميَّة التي تمَّت ضمن حقل الباراسيكُولُوجي للاعتقادات الصُّوفيَّة حول الوعي والمادَّة، وتجاوز ثُنائيَّة الواقع الفيزيائي إلى الأبعاد اللاَّماديَّة للوُجُود التي تختفي فيها الثُّنائيَّة، وتظهر الوحدة التي تُعبِّر عن التّرابط الدّاخلي لجميع جوانب الوُجُود. ورأينا - أيضاً - أنَّ هذا الواقع اللاَّمادِّي من المُمكن التَّحقُّق منه بالطّريقة العلميَّة عن طريق التّأثيرات التي يُمارسها على العالم المادِّي، وقد تمَّ التّعبير عن ذلك بقياس التّغيُّرات الفسيُولُوجيَّة التي يُسبِّبها العقل على الجسم كما تقدَّم من هذا البحث.

إنَّ الطّبيعة المُزدوجة للإنسان تفرض عليه ضرورة التّعامل مع واقعين، لكي يُحقِّق إنسانيَّته الكاملة، فمُعاملاته وتفاعلاته مع العالم المادِّي لا تُشبع فراغه في جانبه الآخر، إذا كانت تلك المُعاملات المادِّيَّة هي الغاية النّهائيَّة لديه. وكما يرى (لُورنس ليشان) بأنَّ الإنسان يجب أنْ يكون قادراً على العمل في مزاجيْن مُختلفَيْن (على الأقلّ) لكي يصل إلى إنسانيَّته التّامَّة. وقد رأى أفلوطين من قبل أنَّ الكائن البشري يُشبه الحيوان البرمائي الذي يتوجَّب عليه العيش على اليابسة وفي الماء، لكي يُحقِّق إمكانيَّته الكاملة. فعلى الإنسان أنْ يعيش في العالم الواحد وفي العالم المُتعدِّد كلَيْهما، وهذه الفكرة تنعكس في المُعتقدات الأساسيَّة لكُلِّ مدرسة ذات شأن في التّصوُّف.[297]

ويُقدِّم لُورنس ليشان في هذا الصّدد مفهوم الواقع الفردي Individual reality في مُحاولة منه لتعريف الظّواهر الخارقة، ولكي يُحدِّد الأبعاد غير العاديَّة للواقع قام بتقسيمه إلى: الواقع الفردي للحسِّ المُشترك والذي يسكنه أغلبنا، والذي تبدو فيه المبادئ الأساسيَّة للمعرفة[298] بديهيَّة

(297) Leshan L.: The Science of Paranormal (The last frontier), Great Britain, 1987, p. 172.

(298) المقصود هنا هي المبادئ التي حدَّدها الأُستاذ سي دي برُود للمعرفة الطّبيعيَّة، مثل، السّببيَّة، والإحساس، وارتباط العقل بدماغه الخاصِّ، والذّاكرة، وأنواع الاستدلال، إضافة إلى مبادئ فرعيَّة أُخرى لتلك المبادئ، وعَدِّ كُلِّ ما يتجاوز تلك المبادئ أمراً خارقاً. انظر:

Broad C. D.: The Relevance of Psychic Research to philosophy, In: Weatley & Edge (Ed), Philosophical dimensions of parapsychology, pp. 12-16.

تقريباً، وأنَّ ظواهر الجلاء البصري (الاستشفاف)، والتَّخاطُر، والتَّنبُّؤ المُسبق. . إلخ غير مُمكنة فيه. ويعتقد ليشان أنَّه من المُمكن لبعض النَّاس (الحسَّاسين، والصُّوفيَّة، وآخرين) أنْ يعيشوا بعضاً من الوقت في حقائق فرديَّة بديلة، تُوجد في العالم بطُرُق أُخرى مثل الطَّريقة الصُّوفيَّة. ويفترض ليشان أنَّه عندما يكون المرء في الواقع الفردي الصُّوفي فالظَّواهر الخارقة تبدو له طبيعيَّة، فما هُو اعتيادي في الواقع الفردي الصُّوفي يبدو خارقاً من وُجهة نظر واقع الحسّ المُشترك، والعكس صحيح[299]. وهذا الواقع هُو الذي يُسمِّيه ليشان الواقع الاستشفافي أو الواقع المُوحَّد، وهُو واقع ليس فيه حُدُود، وليس فيه أشياء مُنفصل بعضها عن بعضها الآخر، فكُلُّ الأشياء يجري بعضها في بعضها الآخر، وهي جُزء من كُلّ يُؤلِّف الكون الكُلِّي. فالفرد يرتبط بالكُلّ كما ترتبط حركة الفُرشاة المُفردة باللَّوحة الكُلِّيَّة، أو كما ترتبط النُّوتة الموسيقيَّة المُفردة بالسّمفُونيَّة التي هي جُزء منها. وقد مال المُتصوِّفة إلى تسمية هذا بـ(طريق الواحد). وفي الواقع الثَّالث الذي يُسمِّيه ليشان التَّحوُّل الرُّوحي Transpsychic يُدرك الفرد كياناً خاصّاً مُرتبطاً بالكيان الكُلِّي للكون؛ لأنَّه ليس هُناك خطٌّ مُحدَّد ومُمكن للفصل، فالفرد يشاهد مُنفصلاً بشكل يكفي للحُصُول على أمانيه ورغباته، ولكنَّه مُرتبط بالكون الكُلِّي؛ لأنَّ تلك الأماني والرَّغبات تستحثُّ قوى كبيرة تُؤلِّف الكون الكُلِّي. أمَّا الواقع الأخير؛ فهُو الواقع الأُسطُوري The Mythic Reality الذي يتطابق فيه كُلُّ شيء مع كُلّ شيء آخر، فالأشياء يرتبط أحدها بالآخر تصوُّريّاً وزمنيّاً. الجُزء مُرتبط بالكُلّ، والاسم بالشّيء، والرّمز بموضوعه، فكُلُّ شيء يُعامل وكأنَّه الآخر. والعالم مليء بكُلّ أنواع الاتِّحادات والبناءات المُمكنة.[300]

ويصف ليشان تلك التّصنيفات للواقع بأنَّها أنظمة ميتافيزيقيَّة، وهي من النَّاحية التّجريبيَّة حالات للوعي. فعندما يُدرك الفرد العالم، ويتفاعل معه كما لو كان مجموعة واحدة من المبادئ الأساسيَّة المُحدَّدة الحقيقيَّة، فهُو في حالة مُتبدِّلة للوعي - مُختلفة عن اليقظة اليوميَّة حالة الوعي الاعتيادي. هُناك - أيضاً - حالات مُختلفة للوعي تتعامل مع الظَّاهرة نَفْسها، لكنْ؛ بمفاهيم مُختلفة، بالنّسبة للكيفيَّة التي يعمل بها الواقع وطبيعة قوانينه وأهدافه، و التّعريفات المُختلفة للزّمان والمكان والسّببيَّة، وللكيفيَّة التي تتفاعل بها الأشياء، وطبيعة الشّيء، لكنَّها تبقى الظَّاهرة عينها منظوراً إليها من زوايا مُتعدِّدة بتعدُّد حالات الوعي.[301]

---

(299) Weatley M. O. J.: Implications for Philosophy, In: Krippner S. (Ed), Advances in Parapsychological Research, 1. Psychokinesis, New York, 1977,p.127.

(300) *Leshan L.: Op Cit, pp.165-166.*

(301) Ibid, p.166.

ويذهب ليشان إلى الواقع الفردي للحسّ المُشترك يتعارض مع الواقع الفردي الاستبصاري (الاستشفافي)، ومع الواقع الفردي الصُّوفي، والواقع الفردي للعلم الحديث، ويرى أنَّ الثّلاثة الأخيرة مُتطابقة فعلاً، وأنَّ من المُمكن مُتابعة العلم ضمن الواقع الفردي الصُّوفي، ذلك أنَّ الواقع الفردي الاستبصاري يُساوي الواقع الفردي الصُّوفي، وهذا الأخير يُساوي - من جهة ثانية - الواقع الفردي العلمي. واتَّخذ ليشان أربع فَرَضيَّات نموذجاً للواقع الفردي الصُّوفي والاستبصاري والعلم الحديث بَدَتْ له مُنسجمة - كُلّيّاً - مع مبادئ المعرفة كما حدَّدها برُود، ويشتقُّ تلك المبادئ من دراسة برتراند رسل للتّصوُّف، وبناء على ذلك؛ يُؤكِّد ليشان على أنَّ الواقع الفردي الصُّوفي يتضمَّن مجموعة بديهيَّات عن الكون؛ وهي: أنَّ هُناك طريقاً للمعرفة أفضل من الحواسّ، التي هي مُرشدات عمي تقود إلى مُستنقع الوَهْم، وأنَّ هُناك وحدة أساسيَّة، ووحدة لكُلّ الأشياء، والزّمن وَهْم، وأنَّ الشرَّ مُجرَّد مظهر.(302)

الجدير بالذّكْر؛ أنْ افتراض ليشان إمكانيَّة مُمارسة العلم في الواقع الفردي الصُّوفي كان مُحاولة منه للتّخلُّص من مُصطلح الخارقيَّة، فالظّواهر تبدو خارقة إذا بقيت مُستقلَّة عن الطّريقة العلميَّة، لكنْ؛ ما إنْ نجعل التّداخل مُمكناً بين الطّريقتَيْن العلميَّة والصُّوفيَّة حتَّى تظهر الظّواهر على خُطَّة علميَّة مفهومة. ولكنْ؛ لو تعذَّر ذلك، وكان افتراض ليشان خاطئاً، فإنَّ الخارق في الواقع الفردي الصُّوفي والاستبصاري أو الاستشفافي بالرّغم من أنَّه مألوف في مجاله الخاصّ، فمن وُجهة النّظريَّة العلميَّة ما نُسمِّيه خارقاً هُناك يجب أنْ يبقى خارقاً بشكل جوهري؛ أيْ يُمكن وصفه بمُصطلحات سلبيَّة فقط. ولذلك؛ ينكر ويتلي فَرَضيَّة ليشان القائلة بإمكانيَّة مُتابعة العلم في الواقع الفردي الصُّوفي.(303)

ويذهب ويتلي - أيضاً - إلى أنَّ للصُّوفي والاستبصاري طُرُقاً مُختلفة جدّاً في الاستجابة لحاجات مُعيَّنة، ويبدو هذا أكثر عقلانيَّة من فَرَضيَّة ليشان حول تشابه الواقع الفردي والصُّوفي والواقع الفردي الاستشفافي تشابهاً جوهريّاً. ذلك أنَّه من السُّهُولة القول إنَّ الكائنات الحيَّة غير البشريَّة تمتلك إدراكاً فوق حسّي، ولكنْ؛ من العسير الاعتقاد بأنْ لديها تجارب صوفيَّة. والحقيقة؛ أنَّ التّجربة الصُّوفيَّة تجربة إنسانيَّة خالصة وعقلانيَّة. ويذهب ويتلي إلى أنَّ التّصوُّف، وإنْ كان يُعنى من النّاحية الجوهريَّة بالمعرفة إلاّ أنَّ معرفة الصُّوفي لا يُمكن مُقارنتها بالمعرفة اليوميَّة الاعتياديَّة.

---

(302) **Weatley M. O. J.: *Op Cit*, p.127.**

(303) **Ibid, p.27.**

فالمعرفة بالإدراك فوق الحسّي من السُّهُولة القول بأنَّها تُشبه المعرفة اليوميَّة الاعتياديَّة، بكونها معرفة بشيء ما، ولا يتضمَّن معناها تطابق العارف والمعروف. لكنَّ التّجارب الصُّوفيَّة شكل من المعرف يعني تطابق معرفة كائن واحد مع معرفة كائن آخر ليس بالمعنى المنطقي الدّقيق، بل بالمعنى الصُّوفي الخاصّ، ومن المُؤكّد أنَّها غير قابلة للفَهْم من قبَل غير الصُّوفي. ويبدو أنَّ المضامين الدّينيَّة هُنا قريبة من الاتّصالات الخارقة.[304]

عندما استخدم ليشان مُصطلح التّصوُّف من الواضح أنَّه استبعد المفاهيم الدّينيَّة من ذلك، فإذا كان هذا الاستبعاد مُمكناً وحقيقياً أو حتَّى مُطابقاً لرُوح استكشافات ليشان، فإنَّ ويتلي يجد من الصُّعُوبة جداً استبعاد المعنى الدّيني من المُصطلح. ففي دراسته الصُّوفيَّة يُشير ليشان بشكل مُتكرّر إلى وهميَّة الزّمن والشّرّ في الواقع الفردي الصُّوفي، وإلى حَدْس الوحدة الشّاملة، والموضوع العقلي. ثُمَّ يسأل ويتلي: أليست هذه الاستدراكات تفترض المضامين الدّينيَّة؟ فإذا كان ليشان لا يميل إلى تشبيه المعنى الصُّوفي للمعرفة بمعرفة الحسّ المُشترك، فإنَّ الحسَّ المُشترك والمعرفة العلميَّة على الرّغم من اختلافهما بالدّرجة هُما من نوع واحد. فعلى سبيل المثال، في دراسته جانب المعرفة المُتعلّق بالواقع الفردي الصُّوفي يرى ليشان أنَّ هُناك مصدراً للمعرفة أفضل من الحواسّ. ويُنكر ويتلي القول بأنَّ التّصوُّف يرتبط بالمعرفة، ويرى أنَّ ليشان اقتبس عبارته عن (المصدر الأفضل للمعرفة) من عبارة رسل التي يقول فيها: (إنَّ الحصيلة الأُولى والمُباشرة للإشراق هي الإيمان بإمكانيَّة طريق للمعرفة يُدعى الإلهام أو البصيرة أو الحَدْس بوصفها مُعارضة للحسّ، والعقل، والتّحليل، التي تُعتبَر مُرشدات عمي تقود إلى مُستنقع الوهم). ويتشكّك ويتلي في أنْ يكون التّصوُّف يتعلّق فعلاً بالمعرفة والإشراق، وعندما يلتفت إلى فَرَضيَّة ليشان في التّساوي بين الواقع الفردي الصُّوفي والاستشفافي يرى أنَّ هُناك صُعُوبات مُضاعفة. ففي الواقع الفردي الاستشفافي يقول ليشان (أنْ تُحاول هُو أنْ تفشل)، وهذا يعني - في رأي ويتلي - فشل الواقع العلمي. فالواقع الفردي للوُجُود في العالم الذي ضمَّنه ليشان الطّريقة العلميَّة هُو واقع ليس فيه مكان للإرادة والجهد والمُحاولة. لكنَّ المُؤكّد هُو أنَّ العالِم مُكافح مُحترف، وعندما يُحاول أنْ يعمل أشياء في الواقع الفردي يستحيل ذلك عليه، ويكون محكوماً بالفشل؛ لأنَّه واقع من الصُّعُوبة أنْ يعمل فيه المرء كعالِم. وأنَّ الكمال والإنجاز معنيَّان رئيسان في التّجربة الصُّوفيَّة، وهُو أمر خارج نطاق عمل

(304) Ibid, p. 158.

العالم. ويرى ليشان - أيضاً - أنَّ في الواقع الفردي الصُّوفي لا يُمكن أنْ تكون هُناك أحكام، في حين يبدو من الواضح أنَّ ذلك جُزء مُهمٌّ من المشروع العلمي.[305]

الأُسلُوب الآخر المُشابه لأُسلُوب ليشان هُو أُسلُوب تي، سي، تارت T. C. Tart، فقد تمكَّن هذا الأخير من تطوير فَهْمنا للخارقيَّة Paranormal من خلال دراسته للحالات المُغيِّرة للوعي Altered States of Consciousness، ويُعرِّفها بأنَّها: تغيُّر كيفي في النّمط الكُلّي للوظيفة العقليَّة، فعلى سبيل المثال؛ إنَّ الذي يعيش الحالة يشعر أنَّ وعيه يختلف - جوهريّاً - عن الطَّريقة التي يعمل بها بالطَّريقة الاعتياديَّة[306]. وهذه الحالات المُغيِّرة للوعي هي الأحلام، والحالات التي تحصل بين اليقظة، النّوم، والتّسمُّم الكُحُولي، والتّنويم الإيحائي، والتَّأمُّل الفكري، إلخ . . .

يبدو أنَّ بعض الحالات المُغيِّرة للوعي طبيعيَّة، والبعض الآخر مُنتجَة صناعيّاً. ويرى تارت أنَّ من المُمكن البحث والعمل مع ظواهر مُهمَّة من الحالات المُغيِّرة للوعي بالأُسلُوب الذي ينسجم مع جوهر الطَّريقة العلميَّة. فهُو يتصوَّر أنَّ تطوُّر العُلُوم ناشئ عن حالات مُفترضة للوعي، تتضمَّن أنَّنا نحدس حالة الوعي التي يكون فيها الوعي شيئاً طبيعيّاً لنا. وهكذا يظهر التّشابه بين طريقة تارت وطريقة ليشان، فالأخير حاول أنْ يُطبِّق الطَّريق العلميَّة على أبعاد الواقع اللاَّحسيَّة أو اللاَّفيزيائيَّة الأُخرى، وحاول تارت تطبيق الطَّريقة العلميَّة على الأبعاد الأُخرى للوعي التي تخرج عن حُدُود الاشتراط الحسّي، إذْ يرى تارت أنَّ هُناك علاقة مُتبادلة بين حالات الوعي المُختلفة، فكُلُّ حالة من الوعي قابلة للتّفسير - نظريّاً - عن طريق حالة أُخرى في علاقة مُتبادلة معها. ومن هُنا؛ فإنَّ العلم في حالة واحدة من الوعي يُقدِّم تفسيراً للحالة الأُخرى، فالعلم مشروع في كُلِّ الحالات، وإنَّ حالات العلم المُختلفة مُتشابكة، وتُشكِّل كلاًّ واحداً.[307]

---

(305) Ibid, p.59.

(306) Tart. T. C.: States of Consciousness and State-Specific Sciences, In: Weatley M. O. J and Edge H. L. (Ed), Philosophical Dimensions of Parapsychology, USA, 1976, P. 442.

(307) Weatley M. O. J.: Op Cit, pp.159-168

الذّات المُتسامية Subliminal self:

قدّم فردريك مايرز فَرَضيَّة الذّات المُتسامية لتفسير ظواهر ساي. تظهر هذه الذّات تحت عتبة الوعي، ويُمكن الكَشْف عن نشاطها من خلال الأحلام، والتّنويم المغناطيسي، وحالات انفصام الشّخصيَّة. وتُسيطر هذه الذّات - بقُدراتها الخاصَّة وذاكرتها الخاصَّة - على الجسم أثناء الكتابة التّلقائيَّة (في الوساطة الرُّوحيَّة) والغيبوبة، وذاتيات حَركيَّة أُخرى. وبما أنَّ التّخاطُر يُوحي بقُدرات أوسع، تتجاوز إمكانات الذّات الاعتياديَّة، لذلك؛ يفترض أنَّه يُعزى إلى نشاط الذّات المُتسامية.[308]

وقد أثبتت تجارب لويزا راين حول الإدراك فوق الحسِّي بأنَّ هذا اللّون من الإدراك يحصل عبر خُطوتَيْن: إذْ يتمُّ تسلُّم المعلومات على المُستوى اللاّوعي من الذّات (الذّات المُتسامية)، ومن ثَمَّ؛ يتمُّ التّعبير عنها بصُورة واعية. ويبدو أنَّ فَرَضيَّة الذّات المُتسامية تستوفي هذه العمليَّة ذات الخُطوتَيْن.

والانتقادات التي يمكن توجيهها لهذه الفَرَضيَّة هي، أنَّها غامضة، وليس لها حُدُود مُعيَّنة ومُشخَّصة، ولم تكشف عمَّا إذا كان هناك اتِّصال مُمكن بين ذات مُتسامية وأُخرى.

وفي نَفْس الإطار يُمكن وضع نظريَّة برجسُون، التي تذهب إلى أنَّ الدّماغ تطوَّر بيُولُوجياً من أجل البقاء. وكما أنَّ للدّماغ وظيفة رئيسة هي تسلُّم المعلومات، له وظيفة أُخرى هي حجب المعلومات (معلومات مُعيَّنة غير ضروريَّة) من أجل البقاء الحيوي، وهذا الحجب أو المنع هو ما يُطلق عليه برجسُون (التّرشيح). فعلى مُستوى معيَّن من الوعي نتسلَّم دائرة واسعة من المعلومات بشكل غير اعتيادي، وعلى الدّماغ أنْ يستبعد بعض المعلومات غير المُهمَّة لصالح الحَدَث الرّئيسي. تخيَّل عُبُورك الشّارع بوعيك المليء بالأفكار المُستلَمَة تخاطُريّاً من الأشخاص الموجودين على جوانب الشّارع المُزدحمة، فعلى الدّماغ في هذه الحالة أنْ يستبعد صنفاً كاملاً من المُحفِّزات (عاديَّة وخارقة) لكي تستطيع أنْ تُركِّز على العمل الذي تهدف إلى إنجازه.[309]

---

(308) Edge H. L.: op cite, PP. 253- 254.

(309) bid. PP.354 – 355.

تفترض نظريَّة برجسُون أبعاداً واسعة للدّماغ أو الوعي، وإنَّ هذه القُدرة الواسعة تتحدَّد عن طريق التّرشيح، إلاَّ أنَّ برجسُون لا يُحدِّد مدى هذا الاتّساع أو الامتداد، ولم يُوضّح ما إذا كان يُعلِّل جميع الظّواهر الخارقة أم بعضها فقط، وهل أنَّ رسالة الإدراك فوق الحسّي تتعلَّق بالبقاء فعلاً؟ ويبدو أنَّ برجسُون كان قد غيَّر بُؤرة السُّؤال، فبدلاً من التّساؤل عن كيفيَّة انتقال رسالة تخاطُريَّة من عقل إلى آخر، ركَّز السُّؤال على سبب كوننا لا نستبعد معلومات مُعيَّنة بدلاً من الأُخرى. وجوابه - طبعاً - هو المُحافظة على البقاء الحيوي؛ أيْ أنَّ المعلومات المُستبعَدَة هي تلك التي تُخلُّ أو تُعرقل عمليَّة البقاء الحيوي.

وافترض لُورنس ليشان مجالات أوسع يُمكن أنْ تخبرها الذّات البشريَّة، واستنتج - من دراسته للوسيطة أيلين غاريت - أنَّ من الخطأ أنْ نسأل كيف يعمل الإدراك فوق الحسّي؟ وبدلاً من ذلك؛ علينا أنْ نسأل ما هُو تركيب الموقف بكامله عندما تقع الأحداث الخارقة؟ أو كيف ينظر الموهوب (الحسَّاس) إلى الواقع عندما يُقدِّم نتائج خارقة؟ ويُجيب ليشان أنَّ الموهوب - فضلاً عن كونه يعيش في الواقع الحسّي الذي تتجسَّد فيه الثُّنائيَّة (الذّات والموضوع) - يحيا - أيضاً - في عالم استشفافي تندمج فيه ثُنائيَّة الذّات والموضوع في وحدة. وهذا الواقع الاستشفافي يتطابق مع الواقع الصُّوفي، فتبدو فيه الأحداث خارقة من منظار العالم الحسّي، ولذلك؛ فإنَّ الإنسان يحيا في عالم ذي مُستويَيْن لا يُحقِّق تكامله، إلاَّ إذا خبر الحياة في كلَيْهما.[310]

إنَّ تلك العوالم المُفترضة للذّات هي - في الحقيقة - حالات مُتغيِّرة لها، وليست عوالم زمانيَّة - مكانيَّة مُنفصلة عن الذّات، ولذلك؛ فإنَّ تصوُّر ليشان يُعبِّر هُو الآخر - شأنْ فَرَضيَّتَيْ كُلٍّ من برجسُون ومايرز السّالفتَيْن - عن إمكانات واسعة للذّات البشريَّة. كما أنَّ آليَّة اكتشاف تلك العوالم المُفترضة تبقى هي ذاتها آليَّة اكتشاف إمكانات الذّات المُتسامية؛ وهي: الأحلام، والتّنويم المغناطيسي، وحالات انفصام الشّخصيَّة، وغيرها.

ما نُلاحظه على تلك النّظريّات هو أنَّها تفتقر إلى الاختبار التّجريبي، فهي أقرب إلى التّأمُّل الميتافيزيقي منها إلى التّحديد التّجريبي. ولذلك؛ فهي مقبولة نظريّاً على الأقلّ. إلاَّ أنَّ نظريَّة في الباراسيكُولُوجي تهدف إلى تعليل ظواهره ليست بحاجة إلى تأييد تجريبي من خارج هذا الحقل ذاته. فإذا نجحت النّظريَّة في تفسير تلك الظّواهر، فسيكون هذا اختباراً تجريبيّاً كافياً لصدق النّظريَّة أو نجاحها. ولكنْ؛ في هذا المُستوى - أيضاً - لا يبدو هُناك تطابق بين ما تصفه الفَرَضيّات المذكورة

(310) Ibid. PP.355-356.

والظّواهـر الباراسـيكُولُوجيَّة. وفـي أحسـن الأحـوال؛ فـإنَّ تلـك الفَرَضيَّـات تُفسِّـر التّخـاطُر والاستشفاف (الجلاء البصري) فقط، في حين تعجز عن تفسير الظّواهـر الأُخرى، مثـل التّحريـك النّفسي، والتّنبُّؤ، وظواهر إدراكيَّة وحركيَّة أُخرى.

اللاوعي الجَمْعي أو اتِّصال الذّوات المُتسامية:

لم تُوضِّح الفَرَضيَّات السّابقة الخاصَّة بالذّات المُتسامية ما إذا كان هناك ارتباط بين تلك الذّوات المُتسامية. ونصل - هُنا - إلى مُناقشة بعض الآراء التي تذهب إلى وُجُود اتِّصال بين تلك الذّوات على مُستوى خاصٍّ؛ لتُؤلِّف جميعاً عقلاً جَمْعيّاً. وتفترض هـذه النّظريَّات أنَّ عـامل سـاي هُـو ظـاهرة عقليَّة، وليس ظاهرة فيزيائيَّة محضة. وكـان فردريـك مـايرز واحـداً مـن أوائـل الباراسـيكُولُوجيّين الذين فسَّروا التّخاطُر بأنَّه يُعبِّر عن مُستوى من الواقع أعمق من المُستوى الطّبيعي، نرتبـط بـه سـويّاً باللاَّوعي الجَمْعي. وقـد اقتُرحت أفكـار مُشـابهة مـن قِبَـل وليـم جيمـس، وبرجسُـون، ويُونـك، وكراند مُور، وايج ايج برايس، وجان أرنُولد، وقد عدَّل برجسُون من نظريَّة اللاوعي الجَمْعي عـن طريق فَرَضيَّة التّرشيح Filtering التي ذكرناها سابقاً، والتي تُعبِّر عن وظيفة دماغيَّة تمنع العقـل مـن أنْ يكون مُحمَّلاً بمعلومات غريبة بشكل مرَضَي.

ويفترض أولئك الباحثون بأنَّ الأشخاص يُمكن أنْ يكونوا على اتِّصـال (تخـاطُري) مـن دُون استخدام الوسـائل الفيزيائيَّـة المعروفـة؛ ذلـك لأنَّ ذواتـهم المُتسـامية ترتبـط مـع بعضـها بشـكل غـير ظاهر. ويُمكن إيضاح هذا اللّون من الاتِّصال بالرّمز الصُّوفي لموجـات البحـر، الـذي يصـف ذواتنـا في يقظتنا الاعتياديَّة مثل موجات مُنفردة ترتبط الواحدة بالأُخرى. وفي حـالات الـوعي المُتغيِّرة التي تتولَّد في الأحلام، والتّأمُّل الفكري، نستطيع الذّهاب أعمق، ونضرب بجُذُورنا في عُمـق البحـر، وبذلك؛ نكتشف الهُويَّة المُشتركة مع الموجات الأُخرى المُنفصلة مُسبَقاً، وفي مثل هذه الحـالـة؛ لسـنا بحاجة إلى نقـل المعلومـات فيزيائيّاً. وقد تمتدُّ نظريَّـة اللاَّوعـي الجَمْعي للتّخـاطُر لوصـف الأنـواع الأُخرى من ظواهر ساي.[311]

ذاكرة الإدراك فوق الحسِّي:

أشار الأُستاذ دبليُو جي رُول W. G. Roll إلى أنَّ اختبار بطاقات الإدراك فوق الحسِّي هُو - فـي جوانب مُعيَّنة منه - اختبار للذّاكرة، وأنَّ جُزءاً من الإجراء التّجريبي يهدف إلى تعويد الوسـيط علـى

---

(311) Eisenberg H.: op cite, p. 92. See also: Rao R.: Theories of Psi, In: ((Krippner S.)) (Ed): Advances in Parapsychological Research, ESP, 2, U. S. A, 1978, pp. 263-265.

بطاقات الإدراك فوق الحسّي الخمس، أو على أيّ أهداف أُخرى، ليتمكّن من تذكُّرها خلال الاختبار. فإذا نسي الوسيط أيّاً من الرُّمُوز فمن المُحتمل أنْ لا يعمل بالكفاءة ذاتها، فيما لو كان يتذكَّرها جميعاً. (وإذا كان الوسيط ضعيف التّعلُّم، فهُو يستطيع أنْ يتذكَّر بطاقة واحدة فقط، ويتجاوب معها دائماً، ولذلك؛ ستكون إصاباته بالصُّدفة، على افتراض أنَّ سلاسل الهدف عشوائيَّة، ولا تتضمن تتابُع أو تسلسُل الرُّمُوز المُفترضة.[312]

فإذا كان جوهر العمليَّة هُو تذكُّر الوسيط لرُمُوز الإدراك فوق الحسّي الخمسة، فإنَّ الشّيء الأساسي في الاختبار ذاته هُو أنْ ينسى الوسيط - أو يتجاهل - التّرتيب الذي تخضع له الرُّمُوز في البداية، وترتيب تخميناته المُتنوّعة أيضاً. وهذا ما ينطبق على كُلّ حالة تعلُّم، فلكي تتعلَّم شيئاً جديداً، فالقديم - غالباً - ما يجب أنْ يُنسى: (التّعلم يستلزم النّسيان). وأنَّ الاستجابات هي استجابات ذاكرة، سواء في الاختبارات الشّائعة للبطاقات، أو في التّجارب الأُخرى ذات المدى المحدود من الأحداث المُستخدمة. فقبل أنْ يبدأ تخمين بطاقات الإدراك فوق الحسّي تُوجد آثار ذاكرة مُعيَّنة مُهمَلة تُثار - بعد ذلك - خلال الاختبار ذاته. وبالرّغم من أنَّ اكتساب أثر الذّاكرة يكون مُنجَزاً عن طريق الإدراك الحسّي، فإنَّ إيقاظ هذه الذّاكرة يتمُّ عن طريق حافز الإدراك فوق الحسّي، على الأقلّ، إذا كانت الإصابة ذات مغزى. وهُنا يبدو وكأنَّ تأثير حافز الإدراك فوق الحسّي يُنشِّط آثار الذّاكرة، ويعمل كحافز خارجي آخر في الإدراك الحسّي أيضاً. فما هُو مُفسَّر أو معلوم في الإدراك فوق الحسّي ليس شيئاً جديداً، بل ذكريات لأحداث ماضية.

إنَّ الآليَّة التي تُنشِّط آثار الذّاكرة المُلائمة في الإدراك فوق الحسّي رُبَّما هي الآليَّة ذاتها المُستخدمة في الوظائف المعرفيَّة و الإدراكيَّة الاعتياديَّة. وعلى أيّ حال؛ يبدو أنَّ الإدراك فوق الحسّي يعتمد - بشكل كبير - على الذّاكرة، أكثر من اعتماده على الإدراك البصري، بمعنى آخر؛ لا تُوجد فيه مُعطيات حسيَّة إطلاقاً، بل آثار أو تسجيلات ذاكرة مُنشَّطة فقط. والحقيقة؛ أنَّ صُور الذّاكرة هي المُعطيات الحسيَّة للإدراك فوق الحسّي. ويذهب رُول إلى القول بأنَّنا إذا أردنا مُصطلحاً آخر للإدراك فوق الحسّي فهُو التّذكُّر فوق الحسّي. إذْ إنَّ النّظريَّة التي تقول إنَّ الإدراك فوق الحسّي يتشكَّل من آثار الذّاكرة، يُسمّيها رُول بنظريَّة ذاكرة الإدراك فوق الحسّي.[313]

---

(312) Roll W G.: ESP and Memory, In: ((Edge H. L.& Wheatley) ،((Ed): philosophical dimensions of parapsychology, pp. 154-167.
(313) Ibid, pp.167.

مُناقشة فلسفيَّة للموضوع:

التّخاطُر خبرة تتشابه - كثيراً أو قليلاً - مع خبرة شخص آخر، ومُسبَّبة عن طريقه، والعمليَّة السَّببيَّة التي يتضمَّنها هي من النّوع العقلي الخالص. ولهذا الأمر نتيجة فلسفيَّة مُهمَّة، فمن المعروف أنَّ الإنسان البسيط - وربَّما بعض الفلاسفة أيضاً - يُسلِّم مع ديكارت بأنَّ عالم العُقُول ينقسم إلى عدد من الجواهر العقليَّة المُنفصلة والمُستقلَّة، ولا يتصوَّر أنَّ للعقل علاقات سببيَّة مع أيِّ عقل آخر، باستثناء ارتباطه بدماغه الخاصِّ. ويبدو الآن - في ضوء الإدراك فوق الحسِّي - أنَّ تلك الرُّؤية تصدق على الجُزء الواعي من حياتنا العقليَّة فحسب، وعندما نتأمَّل العمليَّات العقليَّة اللاَّواعية - التي لا يستطيع الإنسان إدراكها عن طريق الاستبطان - لا يبدو مثل ذلك الاستقلال أو الانفصال. والذي يبدو هُو أنَّ عقلي - في مناسبة ما - يرتبط بعلاقات سببيَّة مُباشرة مع عقلك.

إنَّ حالات انفصام الشّخصيَّة والثُّنائيَّة تجعلنا نشكُّ فيما إذا كانت وحدة العقل مُطلقة وغير مشروطة. يبدو أنَّ الوحدة والاستقلال بالنّسبة للعقل هي نتيجة لشُرُوط تقييديَّة خاصَّة. وتظهر الوحدة كخاصيَّة مُتعالية للوعي الذّاتي الاعتيادي، ولذلك؛ فإنَّ فَرَضيَّة اللاَّوعي الجَمْعي تبدو معقولة في هذا الصّدد، وأنَّ وحدة اللاَّوعي الجَمْعي هذه سببيَّة بشكل تامٍّ. فالعلاقات السّببيَّة بين عقل زيد وعقل عَمْرو مُتشابهة نوعياً في كلَيْهما، ومُباشرة بشكل مُتشابه. واللاَّوعي الجَمْعي ليس أكثر من مجال للتّفاعل العقلي المحض، الذي يفترض أنَّ الأحداث اللاَّواعية في عقل واحد يُمكن أنْ تُسبِّب - بشكل مُباشر - أحداثاً لا واعية في عقل آخر، ويتبع ذلك أنَّ التّميز بين الأحداث العقليَّة اللاَّواعية في داخلي والأحداث العقليَّة اللاَّواعية في داخلك ليس تميزاً دقيقاً وحاسماً. ولذلك؛ فإنَّ وُجُود التّخاطُر يفترض أنَّ هذه النّظريَّة صحيحة، أو أقرب إلى الحقيقة من وُجهة نظر الحسِّ العامِّ التي تعتبر العالم العقلي مُجرَّد مجموعة من الجواهر العقليَّة المُستقلَّة سببياً.[314]

النّتيجة من هذه المُناقشة الفلسفيَّة هي أنَّ الإدراك - بشكل عامٍّ - يفترض بُعْداً عقليّاً في الشّخصيَّة الإنسانيَّة مُقابلاً للبُعْد المادِّي أو الجسدي. وقد أسَّست فلسفة ديكارت انفصالاً تامّاً بينهما فيما يُدعى الثُّنائيَّة الأنطُولُوجيَّة. والمرحلة الجديدة هي أنَّ ظواهر الباراسيكُولُوجي وضعت العقل - أحد طرفَيْ المُعادلة الثُّنائيَّة للوُجُود - تحت الاختبار من أجل فحص وحدته (فرديَّته) فيما إذا كانت مُطلقة (مُستقلَّة) أم مشروطة. ويظهر من تلك الظّواهر أنَّ المسؤول عنها ليس الوعي الاعتيادي كخاصيَّة وحيدة للعقل، بل تفترض بُعْداً لا واعياً، يشترك فيه جميع البشر هُو «اللاوعي الجَمْعي».

---

(314) Price H. H.: op cite, PP. 110 -117.

والنّتيجة؛ أنّ العقل ليس وحدة مُغلقة على ذاتها، بل له جُذُور، ترتبط - على مُستوى عميق - بالعُقُول البشريّة الأُخرى.

الطّبيعة العقليّة لـ اللاوعي:

تُوصف الحالات اللاّواعية بأنّها عقليّة؛ لأنّ النّتائج التي تُقدّمها مُشابهة - بشكل تامّ - للنّتائج التي تُسبّبها الحالات الواعية (العقليّة). إلاّ أنّ مبدأ التّشابُه هذا لا يُتيح لنا الحُكْم على طبيعتها الدّقيقة. ومن الطّبيعي الافتراض أنّها - في طبيعتها الدّقيقة - فيزيائيّة، أو بالأحرى؛ فسيُولُوجيّة، كما لاحظ سبينوزا بأنّه لا أحد يستطيع أنْ يضع حُدُوداً لما يستطيع أنْ يعمله الجسم البشري، فربّما يُمكن أنْ يُنتج تأثيرات غير قابلة للتّميز عن تأثيرات الفكر الواعي والإرادة الواعية. إلاّ أنّ فَرَضيّة كون الأحداث اللاّواعية عقليّة بطبيعتها الدّقيقة أكثر معقوليّة من كونها فسيُولُوجيّة. فالفَرَضيّة الأُولى لا تُؤدّي إلى التّناقض الذي تقع فيه النّظريّة الفسيُولُوجيّة؛ وذلك بسبب اختلاف طبيعة الظّاهرتَيْن. بل تُؤدّي - فقط - إلى القول بوُجُود أحداث عقليّة غير مُستبطَنَة من قِبَل أيّ شخص، وهذا لا يتضمّن تناقُضاً. فكما أنّ هُناك أحداثاً فيزيائيّة غير مُدركة، ربّما تُوجد - أيضاً - أحداث عقليّة غير مُستبطَنَة بشكل تامّ. وأكثر من ذلك، ربّما يُوجد منها ما هُو مُستحيل سببيّاً للعُقُول البشريّة أنْ تستبطنه، كما أنّ هُناك أحداثاً فيزيائيّة يستحيل على العُقُول البشريّة إدراكها سببيّاً (مثل الأحداث الفيزيائيّة في مركز الأرض).

لا يُوجد مجال واسع للاختيار بين النّظريّتَيْن المُتناقضتَيْن حول الطّبيعة الدّقيقة للأحداث اللاّواعية. ولقد قدّم علم نَفْس الشّواذّ، والعلاج النَّفْسي، فَرَضيّة كون الأحداث اللاّواعية عقليّة في طبيعتها الدّقيقة. وستُواجه النّظريّة التي تُقرّر بأنّها فسيُولُوجيّة صُعُوبات كبيرة، إذْ سوف تقودنا إلى تفسير سببي فيزيائي للتّخاطُر؛ أيْ إلى النّظريّة الإشعاعيّة. وقد رأينا - في الفصل السّابق - أنّ النّظريّة الإشعاعيّة لا تُغطّي سوى جُزءاً ضئيلاً وغير مُهمّ من الوقائع.

هذا الفصل، بين أنْ يكون اللاّوعي - في طبيعته الدّقيقة - عقليّاً، أو يكون فسيُولُوجيّاً، ليس فصلاً نهائيّاً بالضّرورة. فالتّقسيم الدّيكارتي - كما ذكرنا سابقاً - لا يُغطّي كُلّ الحقائق. فثمّة مجال لافتراض عالم ثالث ليس عقليّاً بالمعنى الاعتيادي، ولا فيزيائيّاً، بل يمتلك بعض الخصائص من كلا العالَمَيْن. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ الدّليل ضدّ النّظريّة الفسيُولُوجيّة للاّوعي ليس كافياً بذاته ليُؤسّس نظريّة عقليّة له، إذْ هُناك بديل ثالث يتوسّط بين ما نُسمّيه - عادةً - بالمادّة - التي كانت مألوفة في الفلسفة وكُوزمُولُوجيا الشّرق الأقصى، الأفلاطُونيّة المُحدَثة - وبين العقل[315]، هُو الهيولى أو المادّة الأُولى.

---

(315) Ibid. P. 119.

مُناقشة التّخاطُر في ضوء الفَرَضيَّات السَّابقة:

إذا كانت تلك الفَرَضيَّات تُعطي وصفاً سببيّاً للتّخاطُر، فإنَّ مُناقشة وضع التّخاطُر كظاهرة إنسانيَّة - حيويَّة، يستلزم وضع صيغة مُناسبة للسُّؤال تجعل من المُمكن الإجابة عنه في ضوء تلك الأُطروحات. فعندما نُناقش الفَرَضيَّات السّببيَّة حول التّخاطُر قد نسأل سُؤالاً خاطئاً. فربَّما السُّؤال الصّحيح هُو ليس لماذا يحصل التّخاطُر في بعض الأحيان؟ بل لماذا لا يحصل التّخاطُر في جميع الأوقات؟ واستناداً إلى برجسُون؛ فإنَّ النّسيان هُو الذي بحاجة إلى تفسير سببي، وليس التّذكُّر. والسُّؤال هو: لماذا نحنُ نتذكَّر قليلاً؟ بدلاً من لماذا نحنُ نتذكَّر دائماً؟.

إذا طرحنا الموضوع بهذه الطّريقة ستعترضنا في الحال مُلاحظة بيُولُوجيَّة، وسيكون الجواب عن السُّؤال الثّاني المُتّصل بالتّخاطُر هُو أنَّ كثرة التّخاطُر يُعطِّل العمل، ويصرفنا عن المشاكل العمليَّة المُباشرة التي يستلزم حَلُّها ارتباطنا الواعي - الحُضُوري بهذا العالم. فإذا كان مُحتوى وعينا يتغيَّر من لحظة إلى أُخرى تحت تأثير التّغيُّر المُستمرّ، بسبب القذف التّخاطُري الدّائم، الذي قد يُؤدّي إلى تفكيك كامل لشخصيَّتنا. وهذا ما يدفعنا إلى الافتراض - بناء على أسباب بيُولُوجيَّة عامَّة - بأنَّ الكائنات الحيَّة تمتلك آليَّة قَمْعيَّة مُتطوِّرة (بتلك الخصائص التي وصفها فرُويد) تُحافظ بها على بقائها. ولذلك؛ فإنَّ أغلب التّأثيرات التّخاطُريَّة تُمنع من الوُصُول إلى الوعي. وقد لا يحتاج ذلك إلى آليَّة قَمْعيَّة خاصَّة، فقد يحصل الكَبْت ذاتيّاً. فربَّما نحنُ نتسلَّم حشداً كبيراً جداً من التّأثيرات التّخاطُريَّة في كُلِّ الأوقات، وأنَّ عددها ونوعها يفرض كَبْت أحدها للآخر، وربَّما تُمارس هذه التّأثيرات التّخاطُريَّة تأثيراً كُليّاً على وعينا، والشّخص المُتخاطِر الجيِّد هُو الذي لديه القُدرة الإراديَّة في السّيطرة على أفعاله، فيسمح للانطباعات التّخاطُريَّة أنْ تدخل الوعي.

ويبدو أنَّ أكثر الخبرات التّخاطُريَّة تحدث في حالات الرّاحة والاسترخاء. وفي الأحلام تتوقَّف الآليَّة القَمْعيَّة تماماً، والمثال الدّقيق هُنا هو الغيبة الوساطيَّة **Mediumistic trance** التي تُعَدُّ مصدراً مُثمراً للظّواهر التّخاطُريَّة. ويبدو أنَّ عدداً جيِّداً من الرّسائل الرُّوحيَّة التي يُزعَم أنَّها من الأموات تُعزى إلى حالات اتِّصال تخاطُري مع الأحياء. ويرى بعض الباحثين أنَّه لا يُمكن البَتُّ - بسُهُولة - في أمر الوساطة الرُّوحيَّة، فهي ربَّما تتضمَّن حالات من انفصام الشّخصيَّة **Dissociation of Personality**.

نتيجة:

يُقرِّر الطَّرْح السّابق جُملة من التّصديقات التي بحاجة إلى اختبار تجريبي:

1 ـ إنَّ العقل البشري لا يُدرك سوى القليل من الأشياء في العالم.

2 ـ إنَّ الأعضاء الحسيَّة مُصمَّمة بشكل يمنعنا من الحُصُول على أكثر من جُزء صغير جداً من المعلومات عن العالم، ذلك الجُزء المُلائم لبقائنا البيُولُوجي بوصفنا كائنات حيوانيَّة.

3 ـ نحنُ على اتِّصال دائم ـ على مُستوى اللاَّوعي ـ بكُلِّ أنواع الأشياء الأُخرى، إلاَّ أنَّ تأثيرها مُقتصر على اللاَّوعي، باستثناء مُناسبات مُعيَّنة تكون فيها الآليَّة الفسيُولُوجيَّة للحافز والاستجابة مُشوَّشة لسبب ما، فتنبثق المعلومات إلى الوعي.

إذا كانت الأُطروحات السَّابقة تُقرِّر هذه الإمكانات، فنحنُ بحاجة إلى إجابة عن تساؤُلات تتعلَّق بتلك الرُّؤى. ما هُو السَّبب في كون العقل البشري لا يُدرك سوى القليل من الأشياء في العالم؟ ما الذي يمنعنا من أنْ نكون مُستبصرين دائماً؟ وإذا كانت إجابة برجسُون السَّابقة تُغنينا في هذا الصَّدد، وهي أنَّ آليَّة التَّرشيح تمنع التَّخاطُر والاستبصار الدَّائم، فهل هذا يعني أنَّ المُستبصرين أشخاص شاذُّون، أو غير مُتوازنين سيكُولُوجياً، وسيكُوفيزيائياً، أو في الأقلِّ، هُم أكثر اضطراباً من النَّاس الاعتياديِّين؟؟

خارقيَّة اللاَّوعي:

إنَّ اللاَّوعي المقصود في هذه النَّظريَّة التَّفسيريَّة ليس معناه الفرُويدي؛ أيْ مُستودع المعلومات والمكبوتات التي لم تجد لها مُتنفَّساً في الواقع، والحقيقة؛ أنَّ اللاَّوعي الفرُويدي؛ أيْ ذلك التَّراكم من الدَّوافع النَّفْسيَّة المكبوتة في مجال اللاَّشعور أملته عليه ضرورات طبِّيَّة تتعلَّق بتفسير وعلاج بعض الحالات المَرَضيَّة، ومُحاولة البحث عن حَلٍّ لها بإيجاد عُقَدها المدفونة في اللاَّشعور، باعتبارها مُحرَّمات مُنعت بسبب روادع اجتماعيَّة وأخلاقيَّة[316]، وما إنْ تجد تلك الممنوعات مُتنفَّساً لها عن طريق التَّنويم الإيحائي أو غيره حتَّى تخفَّ أو تزول الحالة الشَّاذَّة.

إنَّ ذلك التَّراكُم الذي يُؤلِّف اللاَّشُعُور الفرُويدي لا يُمثِّل سوى جُزءاً واحداً أو اتِّجاهاً واحداً من السِّلسة الزَّمنيَّة التي تُوصل الكون أو الحياة النَّفْسيَّة، وهذا الاتِّجاه هُو الماضي، سواء القريب أو البعيد، وذلك يختلف عن مسعانا الحالي، الذي يتعلَّق بتفسير الإدراك فوق الحسِّي، (لا سيما وأنَّ هذا النَّوع من الإدراك يُغطِّي السِّلسة الزَّمنيَّة الكونيَّة بمراحلها الثَّلاث، الماضي، والحاضر، والمُستقبل)[317]. ولذلك؛ فإنَّ اللاَّشعُور الفرُويدي لا يُقدِّم تفسيراً للإدراك فوق الحسِّي، ما دام هذا

---

(316) فرُويد، سيجمُوند، الذَّات والغرائز، ترجمة د. عُثمان نجاتي، القاهرة، 1961، ص21 وما بعدها.

(317) Belof J. *New direction in Parapsychology*, London, 1974, pp. 1-2.

الأخير يتضمَّن أحداثاً موضوعيَّة مُزامنة، أو مُستقبليَّة. إذْ لو افترضنا أنَّ اللاَّوعي - بمعنى الخبرة الماضية المُتراكمة - هُو سبب الإدراك فوق الحسِّي، لكان هذا النّوع من الإدراك عديم القيمة، وهُو - بالتّالي - لا يعدو أنْ يكون سوى ظُهُور مكبوتات نَفْسيَّة معلوماتيَّة قديمة من اللاَّوعي إلى الوعي. ومن ثَم؛ فإنَّ هذا النّوع من اللاَّوعي قد يصلح لتفسير بعض الحوادث الشّبيهة بالحوادث الخارقة. ولكنَّها - في الحقيقة - نتاج للاَّوعي بمعنى التّراكُم المُنحرف عن الوعي نحو اللاَّوعي، ومن تلك الحوادث ما نقله كُولن ولسُن عن كتاب (سيرة أدبيَّة) للشّاعر الإنكليزي كُولردج، وتلك الحادثة تتعلَّق بفتاة فلاَّحة أُمِّيَّة تعرَّضت إلى حمَّى عصابيَّة، وابتدأت تتحدَّث باللُّغات اللاَّتينيَّة والإغريقيَّة والعبريَّة، وقد بدأ الأمر وكأنَّه نوع من التّملُّك الرُّوحي، ولكنَّ أحد الأطبَّاء النّاشطين في مجال البحث العلمي، استطاع أنْ يعثر على عمِّ الفتاة الذي أخبره أنَّ والدَيْها ماتا عندما كانت طفلة صغيرة، وأنَّها أُخذت إلى بيت قسٍّ عجُوز لتربيتها، وأظهر المزيد من البحث أنَّ الرّجل العجُوز اعتاد أنْ يتمشَّى جيئة وذهاباً في الممرِّ وهُو يقرأ بصوت عال من كُتُب بالإغريقيَّة، والعبريَّة، واللاَّتينيَّة، وفي عقلها الواعي لا تستطيع الفتاة أنْ تتذكَّر كلمة واحدة من هذه اللُّغات، ولكنَّ عقلها اللاَّواعي سجَّلها (لا إراديَّاً)، وظهرت عندما أُصيبت بالحمَّى العصابيَّة[318]. ويظهر أنَّ الإصابة بالحمَّى كان سبباً في تعطيل الآليَّة القَمْعيَّة، أو صمَّاماً وَهْميَّاً يفصل بين طبقتَيْ الوعي واللاَّوعي. وربَّما أمكن القول إنَّ الحالة المَرَضيَّة كانت عاملاً في تنحِّي حالة الوعي وسيطرة مجال اللاَّوعي.

والحادثة الأُخرى تتعلَّق بالعمليَّة الجراحيَّة الدّماغيَّة التي أجراها طبيب الأمراض العصبيَّة المشهورة ويلدر بنفلد عام 1932، لإحدى المريضات، وعندما مسَّ مجسُّه الكهربائي نُقطة في قشرة دماغها الصّدغيَّة أخبرت المريضةُ الطّبيبَ أنَّه - عندما مسَّها - أحسَّت - فجأة - أنَّها في المطبخ تُصغي إلى ابنها الصّغير الذي كان يلعب في السّاحة، إنَّها كانت هُناك تماماً، إذْ كانت تسمع - على سبيل المثال - أصوات السّيَّارات المارَّة. وأُجريت التّجربة على مريض آخر قال إنَّه وجد نفسه يلعب كُرة اليد في مدينة صغيرة، ويُراقب طفلاً يزحف تحت السّياج، ووجد مريض آخر نفسه في قاعة لعزف المُوسيقى وهُو يسمع - بوُضُوح - كُلَّ جهاز من الأُوركسترا، واستعاد مرضى آخرون مشاهد من طفُولتهم بتفاصيل دقيقة جداً[319]. ويبدو أنَّ تلك الأحداث كانت قد سُجِّلت لا إراديَّاً في مجال اللاَّوعي، وهي - الآن - تُستحضر لا إراديَّاً - أيضاً - بفعل مجسِّ الجرَّاح. وهذا النّوع من التّسجيل لا تفوته لحظة من لحظات الحياة دُون أنْ يُسجِّلها صُوريّاً وصوتيّاً، وربَّما يشمل ذلك النّوم أيضاً، أو يُسجِّل حالات النّوم والأحلام المُتنوِّعة.

---

(318) ولسُن، كُولن، ما بعد الحياة، ترجمة: د. فاضل السّعدي، بغداد 1990، ص 176.

(319) المصدر نفسه، ص177.

وربَّما أفادنا ذلك في التّمييز بين الإدراك فوق الحسِّي والحوادث الشّبيهة به، فكُلُّ ما عدا الحوادث الباراسيكُولُوجيَّة الحقيقيَّة يُمكن تفسيره عن طريق اللاَّوعي في حُدُود كونه جهازاً لخزن الماضي، ممّا يعني أنَّ الظّاهرة المُفسَّرة ضمن هذه الحُدُود تفتقر إلى الجانب الموضوعي الذي يشمل الحاضر والمُستقبل.

إنَّ الموضوعيَّة في الإدراك فوق الحسِّي تفترض ضرورة أنْ يكون اللاَّوعي الذي يُوجد إلى جانب الوعي، ويعمل باستقلال عنه، هُو عمليَّة تسجيل ومُراقبة للواقع، وليس مُجرَّد مُستودع يُفرغ فيه الوعي حالات مُعيَّنة. ولا ينفعنا التّراكم المعلوماتي في اللاَّوعي في تفسير موضوعيَّة الظّواهر الخارقة، إذنْ؛ إلى جانب كون اللاَّوعي مُستودعاً لمكبوتات نَفْسيَّة ماضية هُو - أيضاً - فاعليَّة مُستمرَّة إلى جانب فعاليَّة الوعي.

ومن دراستي لخصائص الظّاهرة الخارقة اقترحتُ أنْ تكون العلَّة المُفترضة لها (اللاَّوعي) تتمتّع بخصائص تكفي لإحداث تلك الظّواهر، ومن أهمِّ تلك الخصائص هي إلغاء التّوسُّط بين اللاَّوعي وموضوعه الخارجي، وفي هذا حسنة تجنُّب تعقيدات السّلسلة السّببيَّة الفيزيائيَّة المُفترضة التي تتوسَّط بينه وبين موضوعه، والتي لا تُؤدِّي بنا أبداً - إذا بدأنا بها - إلى اللاَّوعي، وذلك؛ لأنَّنا إذا افترضنا وُجُودها بالفعل، فإنَّها لا يُمكن أنْ تكون فيزيائيَّة بالمعنى الشّائع، بل أُطلق عليها - في أحيان كثيرة - أسماء أكثر تعقيداً؛ مثل بارافيزيائيَّة، ميتافيزيائيَّة، وهكذا نبقى ندور في حلقة مُفرغة لا تُوصل إلى شيء. إذنْ؛ اللاَّوعي فاعليَّة أو نشاط عقلي لا يستلزم مُحدِّدات وشرائط فيزيائيَّة مُتوسِّطة.

واللاَّوعي المُفترض هُنا يتخطَّى - أيضاً - المجالات المُفترضة له في علم النَّفْس، إذْ ثمَّة وحدة بينه وبين الظّواهر تستلزمها فَرَضيَّة الاتِّصال المُباشر أو إلغاء التّوسُّط. وهذه الوحدة نستطيع أنْ نُحدِّد صيغتها الفلسفيَّة في التّصوُّف، كما نستطيع أنْ نُحدِّد صيغتها التّقنيَّة في ما يُسمَّى الحالات المُغيِّرة للوعي.

وبناء على فَرَضيَّة إلغاء التّوسُّط، نستطيع أنْ نفترض ثمَّة وحدة وُجُود يُمارسها اللاَّوعي بشكل مُستمرٍّ، سواء بينه وبين العالم المادِّي، أو بينه وبين الجُزء اللاَّواعي من العُقُول الأُخرى. وهذا يكفي لتفسير الإدراك فوق الحسِّي، بما يتضمَّنه من تفاعل مع السّلسلة الزّمنيَّة الكونيَّة ثُلاثيَّة الأبعاد (الماضي، والحاضر، المُستقبل). والتّفسير - هُنا - على مُستويَيْن: الأوَّل هو الذي تُمثِّله الوحدة مع العالم المادِّي (الاستشفاف والجلاء البصري)، والمُستوى الثّاني هو الذي تُمثِّله الوحدة مع العُقُول الأُخرى (التّخاطُر)، وبما أنَّ الوحدة تعني إلغاء التّوسُّط الفيزيائي، فإنَّ هذا يعني إلغاء السّلسلة الزّمنيَّة المُتقطّعة، وهذا يسمح للإدراك فوق الحسِّي أنْ يحدث في كافَّة الاتِّجاهات

(بالقياس إلى وعينا للزّمن بعد حين)، إذنْ؛ اللاّوعي، استناداً إلى ما افترضناه سابقاً، بإمكانه أنْ يسبق النّظام الكوني الحالي (موضوع الوعي)، ليُحدِّد اللّحظة المُستقبليَّة لهذا النّظام. وتحدث العمليَّة الخارقة عندما ينفتح اللاّوعي - جُزئيّاً أو كُلّياً - على الوعي، فتنقدح المعلومات في الوعي بطريقة تجهل مصدرها المعرفي على صعيد حالتنا الواعية. ولذلك؛ يتعذّر على الوعي إيجاد مُسوِّغات لها مُشابهة للمُسوِّغات التي يطرحها دائماً للمعرفة. ويُمارس اللاّوعي نشاطه بطريقة خفيَّة، ويُسجِّل معلوماته وانطباعاته بشكل لا إرادي (كما سوف نُوضِّح ذلك لاحقاً). وعند هذه النُّقطة نرى أنَّ فَرَضيَّة اللاّوعي في بحثنا هذا تذهب إلى أبعد ممَّا ذهبت إليه نظريَّة رينيه ديكارت، فبينما أنكرت نظريَّة ديكارت أيَّة علاقة بين العُقُول المُستقلَّة، وركَّزت على علاقة واحدة مُمكنة، وهي ارتباط العقل بدماغه الخاصّ، تُثبت فكرتنا الحاليَّة عن اللاّوعي وُجُود ارتباط على مُستويات مُختلفة، سواء بين الوعي واللاّوعي في الفرد الواحد، أو بين الأفراد المُختلفين.

وفيما يخصُّ العلاقة بين فكرتنا هذه عن اللاّوعي وبين النّتائج المُختبريَّة لظواهر ساي، استنتجت لويزا راين من تجاربها في حقل الباراسيكُولُوجي، بأنَّ الإدراك فوق الحسِّي يحدث بخُطوتَيْن؛ حيثُ يتمُّ تسلُّم المعلومات على المُستوى اللاّواعي، ثُمَّ التّعبير عنها بصُورة واعية[320]. وتمَّ إثبات ذلك في تجارب (دين) في جامعة ديُوك، والتي أعادها بنَفْس النّتائج السّير وليم بارت من جامعة كاليفُورنيا، ثُمَّ التّجارب المُختبريَّة التي قام بها الباحث الياباني في مُؤسَّسة علم النَّفس الدِّيني هيرُوشي مُوتُوياما.[321]

الظّاهرة الخارقة موضوعاً للوعي ونتاجاً لـ اللاّوعي:

حدَّد الأُستاذ سي دي برُود المبادئ الأساسيَّة التي تُحدِّد طبيعة معرفتنا، ولَمَّا كانت هذه المبادئ مشروطة بتعقيدات فيزيائيَّة، لذلك؛ فهي تُحدِّد طبيعة المعرفة الواعية، أو المعرفة في حُدُود الوعي، ولذلك؛ فهي لا تُحدِّد طبيعة المعرفة النّاتجة بفعل اللاّوعي قبل دُخُولها الوعي. وأجمل الأُستاذ برُود تلك المبادئ بأربعة رئيسيَّة[322] هي:

(1) مبدأ السّببيَّة العامَّة، (2) حُدُود تأثير العقل على المادَّة (باعتباره يقتصر على الدّماغ المُتّصل به فقط)، (3) اعتماد العقل على الدّماغ في اكتساب أيِّ معرفة خاصَّة، (4) حُدُود طُرُق

---

(320) Edge H. L.: op cite, pp. 253-254.

(321) Motoyama H. and Brown R.: Science and the Evolution of Consciousness, U. S. A, 1978, pp. 28-30, 64-72.

(322) Broad C. D.: Religion, Philosophy and psychical research, London, 1953, pp. 9-15.

اكتساب المعرفة: وهي الإدراك الحسِّي، الاستنتاج من مُعطيات مُتوفِّرة، والذّاكرة. والملاحظ أنَّ هذه المبادئ (كما ذكرنا سلفاً) تُحدِّد طبيعة وعينا الاعتيادي، وهي تحليل تفصيلي لما تتضمَّنه اللّفظة وعي باعتبارها معرفة.

ومن الواضح جداً لدى تأمُّلنا لتلك المبادئ، بأنَّها - في الوقت الذي تُعَدُّ فيه شُرُوطاً أساسيَّة للمعرفة أو للعمليَّة العقليَّة الواعية - هي - أيضاً - مشروطة بتقييدات فيزيائيَّة كتلك التي تُحدِّثنا عنها باعتبارها شُرُوط العمليَّة الواعية في عالمنا الفيزيائي.

وانتهى الأُستاذ برُود إلى القول بأنَّ أيَّ عمليَّة إدراك أو تأثير تتجاوز تلك المبادئ تُعَدُّ ظاهرة خارقة أو باراسيكُولُوجيَّة.

إنَّ العمليَّة الواعية المُنبثقة ضمن حُدُود المعرفة التي حدَّدها برُود لا تختلف عن العمليَّة الخارقيَّة الواعية. فالاثنان عمليَّتان عقليَّتان بالمعنى الدّقيق، ولكنَّ الاختلاف يكمن في مصادر ومنابع كُلٍّ منهما. ويُمكن القول - ضمن تلك الرُّؤية - بأنَّ الأُولى ذات مصادر فيزيائيَّة مألوفة، بينما الثّانية عمليَّة واعية (معرفة) مجهولة المصدر. أضفْ إلى ذلك فارقاً جوهريّاً يُعَدُّ الفاصل الرّئيسي بين ما هُو مألوف وما هُو خارق، إذْ إنَّه ينطوي على تعيين بعض خصائص هذا المصدر المجهول، وهُو أنَّ مصدر العمليَّة الخارقيَّة الواعية يتجاوز حُدُود الزّمان والمكان، وذلك يبدو - أيضاً - من طبيعة الظّواهر والمعلومات المُتاحة. وبعد أنْ نفهم ذلك الفارق يتعيَّن علينا أنْ نبحث عن مصدر العمليَّة الخارقيَّة التي استبعدها برُود من قائمة المعرفة الإنسانيَّة المُحدَّدة بمبادئ مُستقاة من التّفاعل الفيزيائي بين الإنسان وبيئته الطّبيعيَّة. وهذا المصدر هو أبسط فَرَضيَّة يُمكن أنْ نختارها من بين عدَّة فَرَضيَّات أكثر تعقيداً، وهُو اللاّوعي المعروف في علم النَّفْس، مُضافاً إليه مجالات وإمكانات أوسع بكثير ممَّا هُو عليه بالمعنى النَّفْسي المألوف.

ويتَّضح من ذلك الكلام أنَّ ذاتنا ليست مُنفتحة كُلّها على العالم بنَفْس الشُّرُوط والتّحديدات، بل جُزء منها يُواجه العالم الحالي بالشُّرُوط التي حدَّدها برُود، بينما يُواجه الجُزءُ الآخر (اللاّوعي) الكونَ مُواجهة أُخرى. إذْ إنَّ ذاتنا الواعية تُواجه العالم بمقدار يُحدِّده الجسم وشُرُوطه الفيزيائيَّة والبيُولُوجيَّة. وكُلُّ عمليَّة واعية هي نتاج لفعاليَّة دماغيَّة سابقة عليها، ولكنَّ الجُزء الآخر من ذاتنا تكون معلوماته خارج دائرة الوعي البشري، بسبب كونها غير ناتجة عن عمليَّات دماغيَّة (طبعاً المعلومات المقصودة هُنا لا تشمل المكبوتات والمُحرَّمات أو رواسب الماضي)، وإذا حَدَثَ أنْ مرَّت تلك المعلومات إلى الوعي، وأُدركت كعمليَّة واعية، ولكنَّها مجهولة المصدر، فإنَّ هذا المُرُور يجب أنْ يسبقه فعل فيزيائي للدّماغ، في سبيل المثال، عندما نُفسِّر (الحلم التّنبُّؤي

الخارق) كنتاج لجُزئنا الثّاني (اللاّوعي) فإنَّ تذكُّرنا الحلم ينطوي على العمليَّة الآتية: إنَّ اللاَّوعي تسلَّم رسالته على شكل صُور عن حَدَث مُعيَّن، وقد حَدَثَ أنْ مرَّت هذه المعلومات إلى الوعي أثناء النّوم (بسبب تعطُّل القَمْع أو التّرشيح)، فيتذكَّرها النّائم أثناء اليقظة، ولكنْ؛ كيف تُنقل إلى الوعي أثناء النّوم؟ أليس النّوم يعني تعطُّل الوعي الاعتيادي؟ نعم، الوعي الاعتيادي يجب أنْ يكون مُتوقِّفاً بسبب توقُّف وسائله، ولكنَّ المعلومات المُتسرِّبة من اللاّوعي قد أحدثت فعلاً فيزيائيّاً في دماغ النّائم، وتغييراً، أو تبديلاً في تركيبه الذّرّي، استمرَّ هذا التّغيير حتّى لحظة الاستيقاظ التي استقبل بها الوعي هذه العمليَّة الدّماغيَّة، فترجمها بطريقة مُطابقة لصُورة الحلم اللاّواعي.

التّسجيل اللاّإرادي:

إذا كانت عمليَّة تسجيل المعلومات في الدّماغ تشترط أنْ تكون هذه المعلومات مُوعاة أوّلاً، فإنَّ هذا يصدق على الجُزء الواعي من شخصيَّتنا، ذلك الجُزء المُقيَّد بشُرُوط ومُحدِّدات الجسم الفيزيائيَّة والبيُولُوجيَّة. وليس هو الجُزء الوحيد المُواجه للعالم الخارجي، إذْ إنَّ اللاّوعي مُواجه - بمعنى ما - للعالم الخارجي أيضاً.

إنَّ الخاصيَّة الوظيفيَّة للدّماغ هي تسجيل المعلومات والمُؤثِّرات الحاضرة في الوعي؛ أيْ أنَّ العقل يجب أنْ يكون واعياً بالحَدَث، لكي يُمكن تسجيله بوُضُوح في خزانته المعلوماتيَّة، وكُلَّما كان الوعي واضحاً وأكثر تركيزاً، كان التّسجيل واضحاً في الذّاكرة، وإذا كان التّركيز أضعف، فإنَّ درجة التّسجيل تضعف أيضاً، وهكذا يتدرَّج الوعي في الضّعف إلى أنْ يبلغ درجة فيها من الضّعف ما يُوهم بأنَّ التّسجيل للأشياء الواقعيَّة بدرجة الصّفر؛ أيْ أنَّ التّسجيل مُتوقِّف تماماً. لكنَّ الأمر على خلاف ما يبدو للوهلة الأُولى، إذْ إنَّ الوعي في الوقت الذي يكون فيه مُركِّزاً على شيء ما وغائباً عن أشياء أُخرى جانبيَّة، فإنَّ هذه الأشياء الجانبيَّة والمُختلطة - (جُزئيّاً) بمُعطيات الشّيء موضوع الانتباه - يتمُّ تسجيلها في الوقت عينه الذي تُسجَّل فيه الحالة المُوعى بها. لكنَّ التّسجيل - هذه المرَّة - يقع ضمن مجال اللاّوعي الذي افترضناه سابقاً، وليس ضمن مجال الذّاكرة، ولذلك؛ يُمكن استرجاعه عن طريق التّنويم الإيحائي (المغناطيسي). والمثال المُلائم لذلك هُو طريقة (العصف الذّهني) التي برهن على فاعليَّتها الباحث الفرنسي كُوبيه، وهُو مُحلِّل نَفْساني (ليس فرُويديّاً) وقد أجرى التّجربة الآتية (طلب من عدد من الأفراد أنْ يدخلوا غُرفة غريبة عنهم، وبعد مضي وقت من الزّمن غادر الأفراد الغُرفة، وقد طلب إليهم أنْ يتذكَّروا ما شاهدوا في الغُرفة، وكانت النّتيجة أنَّهم تذكَّروا من 20 - 30 شيئاً، وأخضع الأفراد أنفسهم لعمليَّة تأثير (التّنويم المغناطيسي) وأمكنهم أنْ يتذكَّروا إضافة لما تذكَّروه مائتَيْ شيء. من هذه التّجربة استفاد (بارنيس) فقال: إنَّنا نمتلك قُدرات

باطنيَّة أكثر بكثير مِمَّا نعتقد، ولكنَّنا لا نستطيع إظهارها إلاَّ في حالة الانطلاق والانعتاق من القُيُـود. إنَّ جلسات طريقة (العصف الذِّهني) تقوم وتُساعد على مثل هذه الحُرِّيَّة.[323]

إنَّ تفسير هذه التَّجربة من وُجهة نظرنا في (التَّسجيل اللاَّإرادي)، هُو أنَّ المعلومات التي ذكروها أثناء اليقظة الاعتياديَّة هي المعلومات التي وعوها بالتَّركيز عليها داخل الغُرفة، بينما المعلومات المُستخرجة عن طريق التَّنويم الإيحائي تُشير إلى المعلومات الثَّانويَّة التي تمَّ تسجيلها من دُون وعي إرادي، فدخلت - مُباشرة - إلى اللاَّوعي عبر مُتسلَّمات حسِّيَّة لا إراديَّة تعمل وراء الوعي، فتمَّ خزنها في اللاَّوعي، ومن ثَمَّ؛ أُطلقت عن طريق تعطيل الآليَّة القَمْعيَّة بالتَّنويم الإيحائي، فتسرَّبت المعلومات بالاتِّجاه المُعاكس (من اللاَّوعي إلى الوعي).

لا يُفيد التَّسجيل اللاَّإرادي، إذا كان مُجرَّد وظيفة لخزن المعلومات من الوعي الحاضر إلى اللاَّوعي الماضي، أقول لا يُفيد في تفسير الإدراك فوق الحسِّي، كما لا يُفيد اللاَّوعي، إذا فهمناه بمعناه الكلاسيكي، باعتباره مُستودع المكبوتات (التَّحريمات والرَّوادع الأخلاقيَّة) فحسب، في تفسير الإدراك فوق الحسِّي، فكما احتجنا إلى لاوعي أكثر نشاطاً وفعاليَّة نحتاج إلى تسجيل لا إرادي فعَّال لمعلومات منقولة مُباشرة من البيئة الخارجيَّة. ومثلما يشمل ذلك الإدراك الحسِّي، كما في طريقة العصف الذِّهني، كذلك الحال في الإدراك فوق الحسِّي. فقد أثبتت التَّجارب في هذا الاتِّجاه أنَّه من المُمكن تسلُّم المعلومات المُدركَة بطريقة فوق حسِّيَّة على صعيد اللاَّوعي، ويُمكن أنَّ يتمَّ التَّسجيل لا إرادياً، (تجارب دين، وتجارب لويزا راين في جامعة ديُوك، وكارلس تارت في كاليفُورنيا، وتجارب مُوتُو ياما في مُؤسَّسة علم النَّفس الدِّيني).

وسائل تعطيل الآليَّة القَمْعيَّة:

الآليَّة القَمْعيَّة صمَّام وَهْمي بين طبقَتَيْ الوعي واللاَّوعي تسمح بمُرُور المعلومات إلى اللاَّوعي، ولا تدعها تأخذ الطَّريق المُعاكس في الحالة السَّويَّة. إذْ إنَّ فيض المعلومات من اللاَّوعي إلى الوعي يُعرقل الحياة الاعتياديَّة: فالدِّماغ يحمي حالة الوعي باستبعاد المعلومات والتَّأثيرات الصَّادرة من الخارج، وهذا الاستبعاد أو التَّرشيح ليس استبعاداً نهائيّاً بقدر ما هو خزن في مُستوى آخر. والوظيفة الأُخرى للآليَّة القَمْعيَّة هي منع مُحتويات اللاَّوعي من دُخُول مجال الوعي وإرباكه.[324]

---

(323) رُوشكا، ألكسندرُو، الإبداع العامُّ والخاصُّ، تر: د. غسَّان عبد الحي، سلسلة عالم المعرفة، الكُويت، ص182 فما بعدها.

(324) يعمل القَمْع في بعض الأحيان كمرشح للمعلومات، إذْ لا يسمح للمعلومات الزَّائدة التي لا تتعلَّق بالموقف الحالي من الدُّخُول إلى مجال الوعي وإرباكه، وهذه المعلومات على نوعَيْن، فهي قد تكون تخاطُرِيَّة من عُقُول الآخرين، أو ربَّما تكون من مُحتويات لاوعي الشَّخص نفسه. ولذلك يستطيع الوعي أنْ يُركِّز على الحالة الرَّاهنة من دُون إرباك يُعطِّل مسيرة الحياة اليوميَّة، وأطلق برجسُون على هذه العمليَّة اسم (التَّرشيح).

ويُمكن الافتراض - بناءً على ذلك - بأنَّ هناك وظيفة مُزدوجة للآليَّة القَمْعيَّة، الأُولى هي صدُّها للمعلومات الزّائدة الآتية من العالم الخارجي، والثّانية منعها لُمحتويات اللاّوعي من التّسرُّب إلى الوعي. ونفترض - بالمُسوِّغ ذاته - أنَّ هناك آليَّتَيْن قَمْعيَّتَيْن: الأُولى تختصُّ بترشيح المعلومات الآتية من العالم الخارجي (عن طريق الحواسٌ)، والثّانية صمّام يمنع المعلومات اللاّواعية من الانفتاح غير الاعتيادي على الوعي.

وذلك كُلُّه يفترض أنَّ الإخلال بالآليّة القَمْعيَّة يجعل المعلومات تتسرَّب من اللاّوعي إلى الوعي، ويجعل المعلومات التّخاطُريَّة الآنيَّة تأخذ طريقها إلى الوعي مُباشرة. ويتمُّ إطلاق مُحتويات اللاّوعي أو تحطيم الآليَّة القَمْعيَّة في اليقظة عن طريق الكفِّ الحسّي، ومُمارسة التّأمُّل والتّنويم الإيحائي، والإصابة بالتّسمُّم الكُحُولي والمُخدِّرات وغيرها. فضلاً عن ذلك؛ فإنَّ إطلاق الوعي على سجيَّته وإزالة تقييدات المعنى والمنطق قد يُؤدِّي - في بعض الحالات - إلى تحطيم القُيُود الفاصلة بين الوعي واللاّوعي كما برهنت على ذلك طريقة العصف الذّهني المذكورة سابقاً. ولذلك؛ فإنَّ كفَّ الحواسِّ أو تعطيلها، والنّوم، والتّأمُّل، تُؤدِّي إلى إزالة ذلك الصّمّام الوَهْمي الذي افترضناه كمانع لمعلومات اللاّوعي من أنْ تُربك الوعي، فتُعطِّل مسيرته القَصْديَّة في الحياة اليوميَّة. واستناداً إلى ذلك؛ يُمكن الافتراض - أيضاً - أنَّ بعض الأحلام هي انعكاس لتلك المعلومات، فأثناء النّوم يزول الصّمّام الوَهْمي، فتتدفَّق المعلومات بسُهُولة من اللاّوعي، فتتشكَّل على هيئة صُور يراها النّائم، ويُركَّب منها أشكالاً مُختلفة، حسب المعلومات المُنتقاة، والتي قد تتلاءم مع وُقُوع حادث خارجي، والحقيقة؛ أنَّه أثناء النّوم يختلط الوعي باللاّوعي في وحدة هي النَّفْس حقيقة. وكما ذكرنا - سابقاً - فإنَّ وعينا المألوف مشروط بالإدراك الحسّي لعالمنا، فإذا فَقَدْنا الإدراك الحسّي فَقَدْنا الوعي بعالمنا. وفي النّوم نُواجه العالم مُواجهة أُخرى. والتّفسير المُمكن للأحلام التّنبُّؤيَّة (الصّادقة) في نظريَّتنا هو أنّها نشاط للاّوعي نتيجة انعتاقه من كُلِّ تقييدات فيزيائيَّة. ويحدث التّنبُّؤ على شكل استدلال لاواعٍ من معلومات اللاّوعي (وحدة النَّفْس)، وتأخذ النّتيجة طريقها إلى الوعي الآني (اليومي) بالطّريقة ذاتها التي ذكرناها سَلَفاً، ولذلك تبقى هذه المعلومة التّنبُّؤيَّة الحلميَّة مجهولة المصدر.

من منشورات

الأوائل

للنَّشْر والتَّوزيع والخدمات الطِّباعيَّة

1) الحُكْمُ بالسِّرُ التَّاريخ السِّرِّي بين الهيئة الثَّلاثيَّة والماسُونيَّة والأهرامات الكُبرى.

جيم مارس، تر:مُحمَّد مُنير إدلبي، 2003

في هذا الكتاب المُذهل يقوم الكاتب الأمريكي المشهور وكاتب صحيفة نيُو يُورك تايمز والمبيعات الحائزة على أفضل المبيعات جيم مارس باستكشاف وتمحُّص أكثر أسرار العالم خفاء. وذلك بكشف الأدمغة المُسيطرة المُختبئة، من خلال مُحاولة للوُصُول إلى جُذُور الحقيقة؛ حيثُ يقوم بإماطة اللِّثام عن البراهين بأنَّ أصحاب الأمر الحقيقيِّين ومُحرِّكي الأحداث في العالم هُم الذين يتمكَّنون - عادةً - من التَّسبُّب باندلاع الحُرُوب وإيقافها. كما يتحكَّمون بأسواق الأسهم الماليَّة ونِسَب الفوائد على العُملات. كما يُحافظون على تفوُّقهم الفئوي، حتَّى إنَّهم يُسيطرون على الأخبار اليوميَّة. وهُم يقومون بذلك كُلِّه تحت رعاية وأنظار مجلس العلاقات الخارجيَّة الأمريكي والهيئة الثُّلاثيَّة والمُخابرات الألمانيَّة والـ CIA وحتَّى الفاتيكان. من خلال تقصِّيه للبراهين التَّاريخيَّة، ومن خلال بحثه المُحكَم، يقوم مارس - بعناية - بتقصِّي الألغاز التي تربط بين هذه المُؤامرات المُعاصرة لنا بالتَّاريخ القديم للبشريَّة. والنَّتيجة المُذهلة هي تحليل رائع لمُعطيات تاريخيَّة (كثير منها كان مخفيّاً عن جُمهُور النَّاس) وهي تُلقي ضوءاً على المُنظَّمات السِّرِّيَّة التي تحكم شُؤُون حياتنا. من الأشياء المُثيرة في الكتاب: ما هي مُنظَّمة الهيئة الثُّلاثيَّة السِّرِّيَّة. ما هي مُنظَّمة المعهد الملكي البريطاني. ما هي مُنظَّمة الإليوميناتي. ما مُنظَّمة دير صهيون. ما هي علاقة اليهود وأساطين عائلاتهم المصرفيَّة الثَّريَّة بهذه المُنظَّمات. وما هي الماسُونيَّة، وما علاقتها بهذه المُنظَّمات. ومَنْ يحكم - فعليّاً - أمريكا. ما هي مُنظَّمة مجلس العلاقات الخارجيَّة الأمريكي. آل رُوكفلر. آل مُورغان. آل رُوتشيلد. أسرار المال ونظام الاحتياط الفيدرالي. المعهد الملكي للشُّؤُون الدَّوليَّة (المائدة) المُستديرة، رُوديس ورَسكين، ما هُو جبل الحديد، الخليج العربي والحُرُوب للسَّيطرة عليه، حرب الخليج 1991، وأسبابها الحقيقيَّة. بُوش الجَدُّ وبُوش الأب وبُوش الابن والنَّفط. فيتنام. كينيدي وأسباب اغتياله، الحرب الكُوريَّة. النَّازيَّة. برُوتوكُولات حكماء صهيون. هتلر. اليابان. الحرب العالميَّة الثَّانية. الحرب العالميَّة الأولى. الثَّورة الرُّوسيَّة. برُوز الشُّيُوعيَّة. الحرب بين الولايات الأمريكيَّة. مُنظَّمة الفُرسان السِّرِّيَّة. الماسُونيَّة. الثَّورة الفرنسيَّة. اليعقُوبيُّون والجيمسيُّون. فرانس بيكُون وأتلانتيس الجديدة. الثَّورة الأمريكيَّة. الإليُوميناتي (المُستنيرون). الماسُونيَّة ضدَّ المسيحيَّة. الرُّوزيكروشيُّون. فُرسان الهيكل المُقدَّس. الحشَّاشُون. مصرفيُّو وبُناة فُرسان الهيكل. الكاثاريُّون. الحرب الصَّليبيَّة. مُنظَّمة دير صهيون. الميرُوفينجيُّون. الطَّريق إلى رُوما. القابالاة. الغنُوسطيَّة. الإيسيُّون. الأسرار والألغاز القديمة. التَّناسخ في العالم القديم (زمن نُوح). أصل الإنسان. مُوسى. كُلُّ الطُّرُق تُؤدِّي إلى سُومر. الأناكيُّون. الطّوفان والحُرُوب و. . و. . هذا الكتاب الحُكْم بالسِّرِّ بما فيه من طبيعة مُقلقة ومُثيرة وحافزة بشدَّة ومُجبرة على التَّفكير يُقدِّم لنا رُؤية عالميَّة

2) الماسُونيَّة والمُنظَمات السِّرِّيَّة. ماذا فعلت؟ ومنْ خدمت؟ عبد المجيد همُو، 2003

الكَهَنُوت الأعلى في طيبة ـ القُوَّة الخفيَّة اليهوديَّة ـ جماعة الآلهة ميترا وعبادتها ـ الغنُوصيَّة العرفانيَّة ـ الحشَّاشُون ـ النُّورانيُّون ـ البابيَّة ـ البهائيَّة ـ فُرسان الهيكل ـ الغاردُونا ـ جماعة الصَّليب الوردي ـ الفحَّامون ـ أحباب الملاك الحارس ـ الخصَّاؤن ـ الماسُونيَّة : أصلها ـ نُشُوءها ـ تعريفها ـ من أين اسمها ـ محافلها ـ وأسماء ماسُونيَّة عالميَّة وعربيَّة ـ اليمين التي يُقسمها المُنتسب للماسُونيَّة ـ ما الامتحانات وما الاختبارات التي يخضع لها؟ الماسُونيَّة والسِّياسة ـ التَّجنيد لصالح اليهود ـ علاقة الماسُونيَّة بالقبالة وبالتَّلمود ـ مُحاربة الأديان ـ التَّوراة ولا شيء غيرها ـ مُحاربة الأمم ـ كيف سقطت الإمبراطُوريَّة الرُّوسيَّة ـ كيف تفجَّرت الثَّورة الفرنسيَّة ـ إعادة اليهود إلى فلسطين ـ بناء الهيكل ـ الماسُونيَّة والتَّنظيم ـ الماسُونيَّة الرَّمزيَّة ـ كيف أُقيم أوَّل محفل ـ محافل أوروبة ـ محافل أمريكا ـ محافل البلاد العربيَّة ـ مشاهير الماسونيِّين من الشَّرق والغرب ـ اللُّوثريَّة ـ البيُوريتانيَّة ـ أحبَّاء صهيون ـ شُهُود يَهْوَه ـ الرُّوتاريَّة ـ بْنَاي بريت ـ الدُّونمة ـ الاتِّحاد والتَّرقِّي ـ العلمانيَّة ـ الاشتراكيَّة العلميَّة ـ الاتِّحاد اليهودي العامّ ـ الرِّيفُورم ـ بلُوتُو ـ أنوشيت ـ تْرُويد رست. كتاب يجمع مُعظم المُنظَّمات السِّرِّيَّة العالميَّة، ويشرح كيف يتمُّ الانتساب لهذه الجمعيَّات. كتاب يسدُّ فجوة في المكتبة العربيَّة، ويُعرِّي ويفضح اليهود الذين كانوا السَّبب الأهمَّ وراء تأسيس مثل هذه المُنظَّمات السِّرِّيَّة.

3) مُؤامرة الصَّمت. ختان الذُّكُور والإناث عند اليهود والمسيحيِّيْن والمُسلمين الجدل الدِّيني الطِّبِّي الاجتماعي القانوني، د.سامي الذَّيب، تقديم: د. نوال السَّعداوي، 2003

تعريف الختان وأهميَّته ـ الجَدَل الدِّيني ـ الختان في الفكر الدِّيني اليهودي ـ في الفكر الدِّيني المسيحي ـ في الفكر الدِّيني الإسلامي ـ الختان والجَدَل الطِّبِّي ـ الآلام النَّاتجة عن ختان الذُّكُور والإناث ـ الأضرار الصِّحِّيَّة لختان الجنسَيْن ـ المضارُّ الجنسيَّة لختان الجنسَيْن ـ الفوائد الصِّحِّيَّة المزعومة لختان الجنسَيْن ـ الختان والجَدَل الاجتماعي ـ الختان والجَدَل القانوني ـ مع الختان بين المُثُل والإمكانيَّات. تقول الدُّكتورة نوال السَّعداوي في تقديمها لهذا الكتاب: هذا الكتاب من الكُتُب الضَّروريَّة للمكتبة العربيَّة. لهذا؛ أودُّ أنْ يُنشر في بلادنا العربيَّة. وأنْ يكون في مُتناول الشُّبَّان والشَّابَّات والتَّلاميذ والتِّلميذات في المدارس والجامعات. إنَّه أحد الأسلحة في مجال الثَّقافة العامَّة؛ حيثُ تُحرم الأغلبيَّة السَّاحقة من الثَّقافة الحقيقيَّة؛ حيثُ يفشل نظام التَّعليم في تدريب الشُّبَّان والشَّابَّات على تشغيل عقُولهم. تُؤدِّي الهزيمة العقليَّة إلى هزيمة سياسيَّة وعسكريَّة واقتصاديَّة. إنَّ الثَّقافة غير مُنفصلة عن السِّياسة أو الدِّين أو الحرب، والعقل هو الذي يُوجِّه اليد التي تُمسك السَّيف أو البُندقيَّة.

4) العراق أوَّلاً حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشَّرق الأوسط عملية (شيخينا).
جُو فيالز، ترجمة: مروان سعد الدِّين، 2003

إنَّ فكرة سرقة المخزون النِّفطي لشعب آخر ليست ابتكاراً إسرائيلياً، بل ربَّما تعود إلى عام 1941، عندما فرض رُوزفلت حظراً كاملاً على تزويد اليابان بالنِّفط خلال (الحرب على الإرهاب الأمريكيَّة الأولى)، ويأتي هذا الكتاب ليفضح عملية «شيخينا» التي خطَّطت لها (إسرائيل) لتُسيطر على نفط العراق، وسعت لتحقيقها، لولا الهجمات على مركز التِّجارة العالمي في أيلول 2001، وذلك بعد أنْ عقدت (إسرائيل) العزم على شنِّ اعتداء مُباغت على جنوب العراق، لإحكام السَّيطرة على حقُوله النِّفطيَّة الجنوبيَّة، ومن ثَمَّ استخدام خطِّ أنابيب نقل النِّفط العربي الموجود سابقاً (التَّابلاين) لضخِّ النِّفط إلى مصافيها في حيفا، كما يُوضِّح الكاتب الأمريكي بأنَّه من أجل تنفيذ هذا المُخطَّط سعت

(إسرائيل) إلى التّسلّل إلى جنوب العراق وشمال السّعُوديّة، وكيف منحت بعض المُسلمين الشّيعة ـ دُون أنْ يدروا بأنَّ (إسرائيل) وراء هذا التّخطيط ـ ممرّاً مجّانيّاً إلى بُلدان أخرى، بعيداً عن عدوّهم صدّام حُسين، ويُبرز الأمريكي فيالز كيف تمّ التّخطيط لما سُمّي بعملية «حُرّيّة العراق»، وهي الجُزء الثّاني من عملية «شيخينا»، وكيف سيتمُّ قطعُ رأس صدّام حُسين وتعيين جي غارنر الذي هُو عُضو في المعهد اليهودي لشُؤُون الأمن القومي، ليكون حاكماً عسكريّاً للعراق، ثُمّ سيأتي دور أحمد الشّلبي كإداري مُؤقّت للعراق، على أنْ يتمّ ـ فيما بعد ـ إبدال الرّئيس السُّوري بشّار الأسد بالأخ الأصغر لأحمد الشّلبي، وإذا رفضت سُوريّة هذا، فإنّه سيجري تدميرها وإعادتها إلى العصر الحجري، ولكنْ؛ لم تسر الأمور كما خُطّط لها. . ، تفاصيل دقيقة ومُثيرة وسرّيّة يكشفها الكاتب الأمريكي جُو فيالز في ثنايا هذا الكتاب المُدعّم بالصُّور والخرائط اللاّزمة.

5) دراسات توراتيّة، حنّا حنّا، 2003

يُميط الكاتب اللّثام عن بعض القضايا الوثنيّة السُّوريّة القديمة، منها مازال راسخاً في سماويّات اليوم، كالحيّة والقُربان والصّليب، ومنها ما اندثر. . ، ثُمّ يغوص الكاتب ليُعرّي عيُوب وفضائح شعب الله المُختار الذي تتبارك في نسله جميع الأمم دُون استثناء. . وبعدها يربط المُمارسات الصّهيونيّة من قتْل وإبادة واحتقار الأغيار بآيات توراتيّة، يعمل اليهود على تحقيقها إلى الآن. . ، اليهود وعبادة الأصنام (التّرافيم) ـ البُخُور ـ القُربان، الخصاء والرّهْبَنَة، الدّيْر، الجنس في التّوراة، طُقُوس جنسيّة وعلاقات زواج، عشتار ربّة الجنس، نشيد الإنشاد (نجوى حُبٍّ في هيكل الرّبّ)، القمر وعباداته، الثّالُوث المُقدّس، الصّليب، القرن، الثّور المُجنّح (الكيروب). . ، الإله رامون، جنّة عَدن، أساطير التّكوين، الطُّوفان، قايين وهابيل، الشّيطان، صفات إله العبرانيّين، الأسفار السّاقطة، المسيح والعذراء، بعض الأخطاء الواردة في التّوراة، أخطاء نَسَب المسيح، بابل وسُقُوطها، وغيرها من الموضوعات التي تدحض وتُفنّد وتُعرّي كتاباً اسمه التّوارة.

6) القَتْل من أسفار اليهود وبرُوتُوكُولات حُكماء صهيون إلى فارس بلا جواد، مازن النّقيب، 2003

من نُقطة التّفريق بين أمٍّ يهوديّة تحمل طفلاً يهوديّاً بريئاً، رفض حافظ (مُحمّد صُبحي) في مُسلسل فارس بلا جواد أنْ يُفجّر مكاناً اجتمع فيه حاخامات اليهود، لأنّ فيه طفلاً بريئاً، من هذه النُّقطة وُلدت فكرة الكتاب، يشرح الكتاب ـ بشيء من التّفصيل ـ القَتْل، العُنصريّة، سَلْب حُقُوق وأرواح غير اليهود، من خلال الغوص في التّوراة، والتّلمود وبرُوتُوكُولات حُكماء صهيون، فاليهود ـ وحدهم ـ بشر، والشُّعُوب الأخرى حيوانات مُسخّرة لخدمتهم، ولا يترتّب أيُّ عقاب على يهودي يقتل غير يهودي، قَسَمُ اليهودي لغير اليهودي غير مُلزم، ألم يقل شارون يوماً: أمنيتي احتلال القاهرة ودمشق، وأتنزه عسكريّاً في لُبنان، الفلسطينيُّون من السّهل مُحاصرتهم وإبادتهم، إنّهم في فمنا، أمّا المصريُّون والسُّوريُّون فمازالوا خارج أيدينا، ويجب أنْ يكونوا في أيدينا أوّلاً، ثُمّ في فمنا ثانياً، بعدها؛ يُمكن أنْ نقول (إسرائيل) قد حقّقت أمنها؟، يقولون: إنّ الصّهاينة لديهم 24 برُوتُوكُولاً، نفّذوا منها 19 برُوتُوكُولاً، انتهت بأحداث 11 أيلول في الولايات المُتّحدة، كما يتعرّض الكتاب إلى البرُوتُوكُولات ويشرحها ـ بشيء من الاختصار ـ ويُقارن بينها وبين مدى مُطابقتها لما قد تحقّق منها خلال القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.

7) نساء في قصور الحُكّام (ومن الجنس ما قتل)، مازن النَّقيب، ط1، 2003

بعض الرجال ـ سياسيِّين كانوا أم أدباء، مُلوكاً أم رُؤساء، عُلماء أم من العامَّة ... ـ لا يستطيعون مُقاومة عُيُون النساء، ولا دلعهنَّ، ولا أصواتهنَّ، ولا ... ولا ...، حُكّام ونساء من الشّرق والغرب، بعضهم رحل وأصبح في عالم النّسيان، وبعضهم مازال يقف على الشُّطآن، يحلم بأنْ يكون إنساناً ليصطاد حُوريَّة من البحر، يتعرَّض الكتاب إلى عيِّنة من البشر تخلَّت عن المبادىء والقيَم والعادات والأخلاق والتّقاليد من أجل لحظة فساد ونشوة عابرة، فمَنْ منّا لا يذكر الملك فاروق وناريمان، وقصص بيل كلينتون، والأميرة ديانا ودُودي الفايد، وجُون كينيدي وزوجته ومارلين مُونرُو، وشاه إيران مُحمَّد رضا بهلوي، والمُشير عبد الحميد، والرَّئيس ميتيران ومازارين، والملك إدوارد الثّامن وأليس سيمبسُون، والملكة أليزابيث الثّانية، والأمير فيليب، والأميرة مارغريت وعاشقها المُطلَّق، والأمير آندرو وسارة، وجواهر لال نهرو واللّيدي مُونتباتن، وبانازير بُوتُو وزَرَادي، وأوناسيس وجاكلين كينيدي، والأميرة كارولين وفينسان ليندُون، والأميرة مارتا وآري بين، ...، يربط الكتاب بين قصص حُبٍّ وعشق هؤلاء مع الخفايا والأسرار التي كانت تُحاك خلف أسوار القُصُور والمنازل، وعلاقة ذلك كُلِّه ـ في النّهاية ـ بالسِّياسة.

8) سفر التّايخ اليهودي اليهود تاريخهم عقائدهم فرَقهم نشاطاتهم سُلُوكيّاتهم الحركة الصّهيونيّة والقضيّة الفلسطينيّة، رجا عبد الحميد عُرابي، 2004

تزعم ـ دار الأوائل ـ أنَّه الكتاب الأشمل في ما أُلِّف عن اليهود؛ حيثُ يتحدَّث المُؤلِّف فيه عن تاريخ اليهود وتشتُّتهم وانتشارهم في العالم، وعن كُتُبهم الدِّينيَّة وعقائدهم وفرَقهم وطوائفهم قديماً وحديثاً، وعن تعاليم حُكمائهم، وعن نشاطاتهم السّياسيَّة، وعن سُلُوكيّاتهم وأخلاقيّاتهم، كما يتحدَّث عن الحركة الصّهيونيّة والقضيَّة الفلسطينيَّة. ممّا يتناوله المُؤلِّف جنَّة عَدَن في التّوراة، وفكرة الفردوس عند السُّومريِّين، وآدم وجنَّته، مصادر التّاريخ القديم لليهود، النّظريَّة السّاميَّة، العبريَّة والعبرانيُّون، القُرآن والعبريَّة، إبراهيم، العبرانيُّون والإسرائيليُّون والموسويُّون واليهود، أسباب انحراف اليهود، الخلطُ بين اليهود وبني إسرائيل، يعقوب والرّحيل، الهكسُوس، مُوسى، أخناتون والتّوحيد، مُوسى والتّوحيد، بُرهان أنَّ مصر هي مصران الجزيرة، الأمر بغزو فلسطين، تابوت العهد وخيمة الاجتماع، يُوشع بن نُون، عهد القُضاة، عهد المُلوك، داود، سُليمان، بلقيس، سبأ، انقسام المملكة اليهوديَّة، مملكة دمشق الآراميَّة، الأسباط العشرة، التّوراة، السّبي البابلي، الفُرس الإخمينيُّون، اليهود والرُّومان، تشتُّت اليهود، انتشار اليهود في العالم، الخزر، اليمن، الجزيرة العربيَّة، الحبشة، الأشكناز، السّفارد، الدّيانة اليهوديَّة، ترجمة التّوراة، التّلمود، القرّاءون، السّنهدرين، الكَتَبَة، السّامريُّون، الصّدوقيُّون، الفرِّيسيُّون، الإسينيُّون، المسيح المُنتظر، الدُّونمة، الصّهيونيَّة، الأحزاب الدِّينيَّة اليهوديَّة، الهسكالا، برُوتُوكُولات حكماء صهيون، الماسُونيَّة، بنّاي بريت، إله اليهود، اللاّساميَّة، حاخامات اليهود، هرتزل، ألمانيا وفرنسا واليهود، إسرائيل وفلسطين بالتّفصيل الدّقيق، العلاقة الأمريكيَّة الإسرائيليَّة، وغيرها من المعلومات المُهمَّة التي لا غنى عنها لكُلِّ عربي ومُسلم وغير يهودي.

9) أساطير وكالة الاستخبارات المركزيّة الأمريكيّة، فيليب آجي وآخرون، تر: حمدي الصّاحب، 2004

يبحث هذا الكتاب الهامُّ جدّاً في كيفيَّة انشقاق بعض زُمر مُوظَّفي وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة على مدى سنين عديدة. وخاصَّة بعد حرب فيتنام؛ حيثُ ترك العديد منهم هذه الوكالة وهُم ساخطون. وبدلاً من الانشقاق والذّهاب إلى الاتِّحاد السُّوفيتي فعلوا الأخطر؛ وهُو إبلاغ أسرارهم إلى العالم أجمع؛ وخاصَّة إلى الشّعب

الأمريكي. بدأ بكيفيَّة تحديد مكان الجاسُوس وكيفيَّة هَتْك أسرار الـ سي آي إيه، ومَنْ هُم رُؤساء المركز. ومَنْ هُو الجاسُوس السُّوبر (كُوردمير). والـ سي آي إيه في البُرتغال والتَّغييرات فيها. ثُمَّ انتقل إلى نُقطة التَّحوُّل ومسألة ريتشارد ويلتسن، وُصُولاً إلى أثينا وبيان مُنظَّمة 17 نُوفمبر الثَّوريَّة. وماذا تفعل الـ سي آي إيه في أوروبة الغربيَّة. إسبانيا بعد فرانكو. عمليَّات الاستخبارات في اليُونان. العامل الأمريكي في اليُونان. مُونتغمري. إيطاليا ومارتشيني. الاستخبارات في فرنسا. في ألمانية الغربيَّة. وكيف تنتزع أموالُ الـ سي آي إيه أسنانَ الاشتراكيَّة البريطانيَّة، وكيف تدعم الـ سي آي إيه السُّوق المُشتركة. كيف تصنع الـ سي آي إيه الأخبار. سويسرا. ثُمَّ يُختتم الكتاب بمقاييس معنويَّات الـ سي آي إيه، ثُمَّ الـ سي آي إيه الجديدة. كتاب جدير جداً بالقراءة والتَّدبُّر، وُصُولاً إلى مُحاولة استشفاف ما بين السُّطُور أكثر ممَّا على السُّطُور.

10) الفِرَق والمذاهب الإسلاميَّة مُنذُ البدايات النَّشأة التَّاريخ العقيدة التَّوزُّع الجغرافي، سعد رُستُم، 2004

عرض تاريخي تحليلي لقصَّة نُشُوء الفرق والمذاهب الإسلاميَّة، وأسباب انقسامها، مع شرح أهمِّ العقائد التي ميَّزت كُلَّ فرقة، وبين التَّوزع الجَغرافي لأتباعها، والأسباب الحقيقيَّة الكامنة وراء انفصالها، وأسرار انقساماتها مع التَّعرُّف ـ بدقَّة ـ وموضوعيَّة إلى أهدافها ونواحيها، والوُقُوف على عقائدها الحقيقيَّة التي تميَّزت بها، برُوح موضوعيَّة علميَّة ومُتجرِّدة، أوَّل اختلاف بين المُسلمين، الخوارج، مأساة كربلاء، الانقسامات الكلاميَّة والفقهيَّة ضمن أهل السُّنَّة، المُعتزلة، الحشويَّة، الحنابلة، الأثريَّة، والأشاعرة، الماتريديَّة، النِّزاع بين الرَّأي والحديث، المذاهب: الحنفي، المالكي، الشَّافعي، الحنبلي، التَّصوُّف، الإباضيُّون، الشِّيعة: اليزيديُّون، الإماميَّة الاثني عشريَّة (الجعفريَّة)، الشِّيعة الجعفريُّون العلويُّون، الشِّيعة الإسماعيليَّة، الحوشبيَّة، الخلفيَّة، الفاطميُّون، الصليحيُّون، المُستعلية، النزاريَّة، المُوحِّدون (الدُّرُوز)، الآغا خانيَّة، القاديانيَّة (الجماعة الإسلاميَّة الأحمديَّة) جمعيَّة أهل القُرآن (أصحاب الفَهْم العصري للقُرآن ورفض السُّنَّة والحديث)، وغيرها من الموضوعات التي تُؤكِّد أنَّ جُلَّ المذاهب والفِرَق الإسلاميَّة لا تعدو وُجهات نظر مُختلفة في فَهْم الإسلام، وكُلُّها نابعة من الإسلام الحنيف، تتحرَّك فيه، وتتمسَّك بأصوله، حسب فَهْمها، وترجع إليه، الكُلُّ مُسلمون ينتمون لأمَّة واحدة هي أمَّة مُحمَّد بن عبد الله (صلَّى الله عليه وسلَّم)، ويعبدون إلهاً واحداً هو الله الواحد الأحد، الفرد الصَّمد، الذي لم يلد، ولم يُولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، ويُؤمنون بكتاب واحد هو القُرآن الكريم، ويستقبلون قبلة واحدة هي بيت الله الحرام.

11) نهاية التَّاريخ في الفكر الإسلامي الحديث، علي سكيف، 2004

هل وصل سُكَّان الأرض إلى حضارة تفوق حضارتنا الحاليَّة؟ ـ هل شهد كوكب الأرض حضارة مُتقدِّمة أكثر من حضارتنا الحاليَّة اندثرت نتيجة حرب كونيَّة؟ ـ هل هُناك مخلوقات بشريَّة على كواكب أخرى؟ ـ هل صحيح أنَّ الكون يتمدَّد ويتوسَّع: وما هي نهاية هذا التَّوسُّع؟! ـ هل كان أصحاب الكهف في عصر الرُّومان وكان الكهف على هذا الكوكب أم كان خارج الأرض؟! ـ هل الخُلُود في الجنَّة والنار أبدي؟ ـ هل صحيح أنَّ يعقوب بن إسحاق هو إسرائيل وذُرِّيَّته من بعده هُم بنو إسرائيل؟! ـ هل هُناك علامات عن قُرب يوم القيامة لسُكَّان هذا الكوكب؟ ـ هل نشأت المخلوقات البشريَّة على هذا الكوكب أم جاءت وافدة من كواكب أخرى؟ ـ هل عرف العالم قبلنا الاستنساخ بكافَّة أشكاله وأنواعه؟ ـ هل كان نُوح يعيش في العصر الحجري؟ أم كان عالماً متخصِّصاً بعلم الاستنساخ؟ ـ هل هُناك ـ فعلاً ـ جنٌّ وشياطين وأبالسة غير مرئيِّين؟ أم أنَّ هذَيْن المُصطلحَيْن يُعبِّران عن مُصطلحات توراتيَّة.

12) الفقه السّياسي الإسلاميُ، د.خالد الفهداوي، 2003

في هذا الزّمـن وفي هـذا الوقـت بـالذّات غـدت الحاجـة مُلحّة جداً جداً من أجل وضع قواعـد لتأسيس فقه سياسيٍّ إسلاميٍّ. بعد أنْ أُشبع الفقـه العـادي إنْ صحَّ التّعبير؛ أيْ فقه المُعاملات وفقـه العبـادات تأسيساً ومنهجيَّة. يتنـاول الباحث ـ تاريخيّاً ـ السّياسة الإسلاميَّة مُنذُ عُمَر بن الخطّاب، مُروراً بأبي حنيفة وابن خلدون والشّاطبي وابن تيميَّة والماوردي والغزالي، وُصُولاً إلى المدرسة التّجديديَّة المُعاصرة. ويُعلّل لماذا الحاجة إلى قواعد فقه سياسيٍّ إسلاميٍّ. ثُمَّ يُوضّح ما هي أسباب تعطيل الفقـه السّياسي الإسلامي ومظاهره. ويُعرّج على العلمانيّـة والاستشراق والخلافة والمُلك وإلى دَور الجامعات الإسلاميَّة في إغناء الفقه السّياسي. كما يرتدُّ الباحث إلى بحث فقه السّياسة عند الأنبياء نُوح وإبراهيم ومُوسى وعيسى، ويبحث في نحو قواعد مُؤصّلة للتّفسير السّياسي للقُرآن الكريم. ومن ثَمَّ يصل إلى فقه هـذه المرحلة التي نعيشها؛ أيْ قواعد الحرب والسّلام. ويبحث في مُصطلحات عديدة مثل: الجهاد ـ القتال ـ السّلام ـ الحرب ـ وكيفيَّة ضبط كُلٍّ من هذه المُصطلحات في القُرآن والسُّنَّة. كما يتطرّق ـ بشيء من التّفصيل ـ إلى قواعد السّلام والحرب في مرحلة الاستضعاف (مثال السّلام مع الكيـان الصّهيوني بين الشّرع والواقع). ويصل إلى بحث قواعد الحرب والسّلام في مرحلة العالميَّة، ويبحث في الدّيمقراطيَّة والمجالس النّيابيَّة وحُقُوق الإنسان والسّلام العالمي من ميزان الفقه السّياسي الإسلامي. ويُعرّج إلى قواعد الحرب والسّلام في ضوء المُتغيّرات السّياسيَّة، ويُبيّن قواعد الفقه السّياسي الإسلامي بين الثّوابت والمُتغيّرات. ويتناول العولمة والآخر، وهل ما يحدث الآن هُو حوار حضارات أم صدام حضارات؟ كما يبحث في المُجتمع المدَني والإرهاب والمُنظّمات الدّوليَّة والفقه السّياسي والسُّلطات الثّلاث، مُفصّلاً في الخلافة والإمامة والسُّلطان والملك، وأهل الحلّ والعقد ومجلس الشُّورى والنّظام الوراثي، والطّائفيَّة والأمَّة ودولة المُؤسّسات والمرأة والحُقُوق السّياسيَّة والدُّستور وولاية الفقيه وفقه الدّولة وفقه الفرد، والنّظام القَبَلي والحوار القومي الإسلامي والحرب الحضاريَّة والحُرّيَّات العامَّة والتّعدُّديَّة السّياسيَّة ومعالم النّظام الإسلامي العالمي، والدّين والسّياسة. ثُمَّ يُعدّد القواعد التي ارتآها تصلح لتأسيس فقه سياسي إسلامي.

13) خارقيَّة الإنسان الباراسيكولُوجي من المنظور العلمي، د.صلاح الجابري، 2004

مُنذُ القرن السّابع عشر وحتَّى بدايات القرن العشرين فَقَدَ العلمُ شفافيَّته، وراح ينأى مُبتعداً عن كُلّ همسة رُوحيَّة أو لمسة شاعريَّة للكون، والتصق أكثر فأكثر بأقسى جوانب الطّبيعة صلابة، وبأكثر قوى العقل البشري بُعْداً عن المواهب الحدسيَّة النّافذة إلى صميم الأشياء. كان لتلك الرُّؤية نتائج فلسفيَّة وخيمة على الإنسانيَّة؛ لأنَّها جمّدت عواطف الإنسان، وأغلقت منافذه الرُّوحيَّة بجُدُرٍ صلبة، فأفقدتْهُ طابعه الإنسانيّ الحقيقيّ، فكان لذلك انعكاسات نَفسيَّة سُلُوكيَّة، نما في إطارها الدّافع العُدواني المدفوع بمُيُول حُبّ الذّات المُوجّهة باقتصاديّات السُّوق وحُبّ الثّراء السّريع على حساب القيَم الرُّوحيَّة التي بدأت تتراجع مكانتها في نَفسيَّة الإنسانيَّة، وحلّت محلّها قيَم اللّيبراليَّة، التي تفتقر إلى أيّ أسلوب أو آليَّات لمُعالجة الانحراف الإنساني وإيقاف قتل الإنسان لأخيه. علم السّاي من العُلُوم الجديدة التي ظهرت حديثاً على السّاحة العلميَّة، والاسم الشّائع لهذا الحقل هو الباراسيكولُوجي، ويُسمّيه بعضهم السّيكوترُونيك، والقُوَّة الأساسيَّة التي يُفترض أنَّها تُسبّب ظواهره تُسمّى قُوَّة ساي Psi. تظهر قُوَّة ساي بأشكال مُتعدّدة، ففي بعض الأحيان تتّخذ شكل قُوَّة إدراكيَّة ـ تخاطر، جلاء بصري (استشفاف)، تنبُّؤ بالمُستقبل ـ وأحياناً؛ تتّخذ شكل التّأثير على الأشياء المادّيَّة بكُلّ أشكالها. والقُوَّة الإدراكيَّة لـ ساي هي نوع من الاتّصال بين الأحياء على

شكل تخاطر، أو بين الأحياء والبيئة على شكل استشفاف (جلاء بصري)، وقد يأتي التّخاطر والجلاء البصري على شكل تنبُؤ بالأحداث قبل وُقُوعها. يهدف الكتاب إلى إيضاح طبيعة الدّليل الذي يُقدِّمه الباراسيكُولُوجي لإثبات واقعيَّة ظواهر ساي، ويُؤكِّد ـ علمياً وفلسفياً ـ أنْ ليس كُلُّ المُتنبِّئين موهُوبين حقيقة، بل يدخل ضمنهم المُشعوذُون والدَّجَّالون والسَّحَرَة، علماً أنَّ السِّحر لا يدخل في إطار القوى أو الملَكَات الباراسيكُولُوجيَّة، وأنَّ الباراسيكُولُوجي ـ كأيِّ علم آخر ـ انتزع نفسه من رُكام هائل من الظَّواهر المُختلفة وأعمال السِّحْر والكَهَانة بفضل الطَّريقة العلميَّة والتَّحقُّق التَّجريبي.

14) لُورنس والقضيَة العربيَة 1888 ـ 1935، حسام علي مُحسن المدامغة، 2004

حفلت المنطقة العربيَّة في فترة الحُكْم العُثماني بنشاط من الرَّحَّالة والمُستشرقين الأوروبيِّين والأمريكان الذين اختلفوا في مغزى نشاطهم، فمنهم مَنْ جاء بحثاً عن معلومات جديدة تُغني معرفته، وتُرضي فضوله، ومنهم مَنْ جاء بناءً على توجيه من حُكُومته لأهداف استخباريَّة يقصد من ورائها جَمْعَ معلومات سياسيَّة أو عسكريَّة. وتُوماس إدوارد لُورانس من الذين عملوا في المنطقة العربيَّة بتوجيه خارجي، فتحدَّث المُؤلِّف عن ولادته ونشأته الأُسَريَّة وصفاته الشَّخصيَّة، وكيف انخرط لُورنس في الجيش البريطاني عند اندلاع الحرب العالميَّة الأولى، وكيفيَّة عمله في عمليَّات الثَّورة العربيَّة. اعتمد المُؤلِّف ـ فضلاً عن الوثائق العربيَّة والإنكليزيَّة غير المنشورة والمنشورة ـ على الكثير من المصادر العربيَّة والأجنبيَّة وفي مُقدِّمتها مُؤلَّفات لُورانس نفسه والتي أهمّها (أعمدة الحكمة السَّبعة) ممَّا جعل الكتاب غنيّاً جداً بمصادره وتحليلاته واستنتاجاته.

15) العبادات في الدّيانات القديمة المصريَة . العراقيَة . الرُومانيَة . الهندُوسيَة . البُوذيَة . الصّينيَة . الزرادشتيَة . الصَابئيَة، عبد الرَّزَّاق رحيم صلاَل المُوحي، 2004

عبادة قُرص الشَّمس عند المصريِّين القُدماء، ودعوة أخناتون إلى التّوحيد وصيام الكَهَنَة ـ ربُّ الأرباب عند العراقيِّين القُدماء (أنُو إله السَّماء، وأنليل سيِّد الرِّيح العاصفة) ـ الدّيانة اليُونانيَّة القديمة والفلسفة والإشراك، وصيامهم ـ الرُّومان القُدماء وآلهتهم وصيامهم ـ الهندُوس والبُوذيُّون والصِّينيُّون والزّرادشتيُّون والصّابئيُّون وصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجِّهم و ....

16) العبادات في الدّيانة اليهوديَة، عبد الرَّزَّاق رحيم صلاَل المُوحي، 2004

الله في الفكر اليهودي ـ النُّبوَّة عند اليهود ـ الصَّلاة (الطَّهارة الوُضُوء) صلاة الصَّباح ـ صلاة المساء ـ الصَّلاة الجماعيَّة ـ صلاة الظَّهيرة أو العصر ـ صلاة المغرب ـ صلاة الغُفران ـ صلاة القمر ـ صلاة السَّبت ـ صلاة عيد شعوت ـ صلاة عيد المظال ـ صلاة العشاء الخاصَّة بالافتتاح بيوم الغُفران ـ الزّكاة ـ الصَّدقة ـ الصّوم (فردي وجماعي) صوم الصَّمت ـ الحجُّ (إلى بيت المقدس) ـ الأعياد: الفصح ـ المظال ـ الأسابيع (العُنْصرة) ما هو رأي الإسلام في العبادات اليهوديَّة ـ وما هو تأثير الدّيانات القديمة على العبادات اليهوديَّة ـ وما هي التَّأثيرات الإسلاميَّة في العبادات اليهوديَّة مُتمثِّلة بالصَّلاة وغيرها من الموضوعات التي يجهلها عامَّة النّاس.

17) العبادات في الدّيانة المسيحيّة، عبد الرّزّاق رحيم صلال المُوحي، 2004

الألوهيَّة والنُّبوَّة ـ الصّلاة (عقليَّة فرديَّة ـ لفظيَّة جماعيَّة) ـ صلاة المساء وصلاة الصُّبح وصلاة الظّهيرة ـ التّسابيح ـ صلوات الاستغاثة والثّقة والحمد ـ مزامير التّعليم ـ الزّكاة ـ الصّيام (صوم الصّمت ـ الصّوم عن أنواع الطعام) الصّيام عند الكاثُوليك ـ الصّيام في الكنيسة الأرثُوذُكسيَّة الشّرقيَّة ـ صوم الأربعين ـ صوم الميلاد ـ صوم العُنصرة ـ صوم العذراء ـ صوم نينوى ـ صيام طائفَتَيْ الأرمن والقبط ـ الحجُّ ـ أثر الدّيانات القديمة على العبادات المسيحيَّة ـ ومُقارنة بين السَّيِّد المسيح وبُوذا ـ أوجه التّشابه بين المسيحيَّة وعَبَدَة بَعْل ـ تأثُّر الدّيانة المسيحيَّة بالدّيانة الميثيريَّة ـ العبادات المسيحيَّة الواردة في القُرآن الكريم ورأي الإسلام فيها.

18) أضواء على ظلال الخليج، مروان القبلان، 2003

ـ ودارت عجلة الأحداث حتَّى ما عاد بإمكان أحد أنْ يُوقفها... ـ وأصبح الملك أمام خيارَيْن أحلاهما مُرٌّ؛ إذا ساند التّحالف مَنْ يضمن له أنَّ إسرائيل لن تُهاجم العراق، أمّا إذا اختار الوُقُوف إلى جانب صدّام حُسين، فإنَّ العالم كُلّه سيغضب عليه، وسيحرمه الخليج من المُساعدات السّخيَّة التي كانت تُقدِّمها له. ـ لكنَّ الأمر غير الصّحيح ـ البتّة ـ هُو أنَّ إيران هي منبع التّطرُّف الدّيني كما يظنُّ الكثيرون، وإذا أردنا العودة إلى أصول التّطرُّف الإسلامي في العصر الحديث فإنَّ ذلك سيقودنا إلى أفغانستان والقرن التاسع عشر، وليس إلى إيران والرُّبع الأخير من القرن العشرين.

ـ ومن مظاهر التّناقض ـ أيضاً ـ في الشّرق الأوسط الصّراع بين أنصار القوميَّة العربيَّة وأنصار القُطريَّة، بين المُحافظين والرّاديكاليِّين، بين حُلفاء الغرب وأصدقاء مُوسكُو، وأهمُّ من ذلك كُلّه الصّراع بين أغنياء العرب وفُقراؤهم.

ـ ويتحوَّلُ مُجريات الأمور إلى هذا المنحى الخطير، فقد يحدث ما كان صدّام حُسين يأمل ـ حقيقة ـ بحدُوثه، وهُو قيام انقلاب يُطيح بالعائلة المالكة في السُّعُوديَّة. ـ ففي 17 تمُّوز 1979، خلع صدّامُ حُسين الرَّئيسَ البكرَ، وتسلَّم القيادة في بغداد، مُتّهماً سُوريَّة والرّئيس الأسد ـ تحديداً ـ بمُحاولة قلب نظام الحُكْم العراقي. ـ بدأ المؤتمر أعماله يوم 30 أيّار 1989، بحُضُور جميع الزُّعماء العرب، باستثناء لُبنان الذي ظلَّ مقعده شاغراً؛ لأنَّ سُوريَّة رفضت اقتراحاً يدعو إلى حُضُور رئيسَيْ الحُكومتَيْن المُتنافستَيْن. ـ ولأنَّ الموقف في الخليج لم يكن قد اتّضح بَعْدُ، ولأنَّ أيّاً من العرب لم يكن قد حدَّد موقفه بَعْدُ، ولأنَّ السّفير اليمني لدى الأمم المُتّحدة لم يتلقَّ تعليمات مُحدَّدة من حكُومته، فقد فضَّل عبد الله الأشطل التّغيب عن جلسة مجلس الأمن.

19) السّيف الأحمر دراسة في الأصوليّة اليهوديّة المُعاصرة، د. جمال البدري، 2003

الصّهيونيَّة انعكاس لليهوديَّة، و «إسرائيل» انعكاس للصّهيونيَّة. ـ الأحزاب الدِّينيَّة الإسرائيليَّة هي القاسم المُشترك بين اليهوديَّة والصّهيونيَّة و «إسرائيل». ـ إنَّ الوظيفة القوميَّة لهذه الأحزاب تجسيد لجوهر الرُّؤية اليهوديَّة الصّهيونيَّة، وليس ـ هُناك ـ فرق استراتيجي بين اليسار / اليميني/ الوسط، فكُلُّها تتبنَّى الرُّؤية التّلموديَّة. ـ ما هي السّمات والاتّجاهات التّاريخيَّة للدّيانة اليهوديَّة؟ ـ ما هي السّمات الأساسيَّة للفكر الدِّيني الإسرائيلي؟ ـ ما هي الاتّجاهات اليهوديَّة الحديثة قبل الحركة الصّهيونيَّة؟ ـ نشأة وتطوُّر الأحزاب الدِّينيَّة الإسرائيليَّة. ـ نشأة الحركة الصّهيونيَّة في أوروبا. ـ التّطبيقات الإيديُولُوجيَّة للأحزاب الدِّينيَّة الإسرائيليَّة. ـ حركة غوش ايمُونيم الثّيُوقراطيَّة والدِّيمقراطيَّة الصّهيونيَّة. ـ ما هي الوظيفة القوميَّة للأحزاب الدِّينيَّة الإسرائيليَّة في إطار الصّراع العربي الصّهيوني؟ ـ التّهجير والاستيعاب ـ الوظيفة الأمنيَّة والعسكريَّة.. ـ تعداد الشّخصيات الدِّينيَّة الرّئيسيَّة اليهوديَّة الإسرائيليَّة. ـ المُنظّمات

الدِّينيَّة الجديدة وصُعُود العُنصر الدِّيني بعد 1967 . ـ توسُّع الجيش الإسرائيلي في تجنيد المُتطرِّفين اليهود . ـ تعداد أحزاب الكيان الصّهيوني التي تخوض انتخابات الكنيست .

20) مُثلَّث الدَم شارُون أمس، اليوم، غداً، د.جمال البدري، 2003

إنَّ اريك شارُون أو اريل أو ارئيل بقدر ما هُو فرد واحد في المُؤسَّسة الإسرائيليَّة الحاكمة ، فهُو ـ أيضاً ـ رمز لهذه المُؤسَّسة ؛ رمزٌ سلبي بالنّسبة لنا ، ورمزٌ إيجابي « ماشيح » بالنّسبة لهم . ـ الماشيح اليهودي ، والعصر الماشيحاني . ـ المجموعة الماشيحانيَّة «مُواطنو الدَّرجة الأولى» . ـ حاييم وايزمن ـ إسحاق بن زفي ـ زالمان شازار ـ افرام كاتزر ـ إسحاق نافون ـ حاييم هيرتروغ ـ ديفيد بن غُوريُون ـ مُوشي شاريت ـ ليفي أشكُول ـ غُولدا مائير ـ إسحاق رابين ـ مناحيم بيغن ـ إسحاق شامير ـ شيمون بيريز ـ نتنياهو ـ براك ـ اريل شارُون ـ اريل شارُون من الوحدة 101 حتَّى الكيلو 101 . ـ شارُون فوق القانون !! ـ شارُون و(إسرائيل) الكُبرى . ـ الظّاهرة الشَّارُونيَّة ومُستقبل (إسرائيل) .

21) هندسة القُرآن دراسة فكريّة جديدة في تحليل النَصّ، د. جمال البدري، 2003

ـ القُرآن هو صوت الله الخالد الذي يُلائم الطّبائع البشريَّة المُتَّزنة مع الحياة ، وإنَّ وُجُود القُرآن استمرار للنُّبُوَّة . ـ التّفسير والتّأويل . ـ القُرآن أُنزل من أجل الإنسان ، وليس للملائكة والجان . ـ خصائص التّحليل القُرآني بـ عُلُوم القُرآن . ـ لماذا الدّائرة في هندسة القُرآن؟ وما هي نماذج هذه الدّائرة؟ ـ سُورة الشّمس ـ سُورة اللّيل ـ سُورة الضُّحى . ـ كيف نُطوِّر الرَّبطَ بين الرَّقْم والكلمة؟ ـ ما هي العلاقة بين الدّائرة والرَّقْم؟ ـ نماذج تطبيقيَّة من التّحليل القُرآني . ـ سُورتا الفاتحة والبقرة ـ سُورة الإخلاص ـ سُورة العلق . القُرآن والمُستقبل . إذنْ ؛ الهندسة هي تفاعل أصيل بين الكلمات والأرقام مُكوِّناً صُورة مُعبِّرة ومُنظَّمة ، صُورة فيها جماليَّة الكلمات ودقَّة الأرقام ، ولكنَّها ليست كلمة ولا رَقْماً ، بل هي هندسة بموجب مفهومنا في هذا المجال ، فإذا كانت الهندسة كلاماً كانت هندسة كلاميَّة ، أو كلاماً مُهندَساً ، والقُرآن كلام الله هندسة مُقدَّسة ، فيه مُواصفات الجمال والدِّقَّة .

22) اليهوديّة والغيريّة غير اليهود في منظار اليهوديّة، ألبيرتو أنزول، تر:د.ماري شهرستان، 2004

ألبيرتو أنزول كاتب فرنسي ذُو خلفيَّة ثقافيَّة علمانيَّة ، وهُو ـ في هذه الدّراسة ـ يرمي إلى إلقاء الضَّوء على هيكليَّة خفايا التّفاسير اليهوديَّة والتّلمود ، ويُعرِّي دور التّلمود الآثم في بناء شخصيَّة اليهودي ، حتَّى غدا اليهودي أشدَّ المخلوقات عداوة لبني البشر ، كما أنَّه وضَّح البنى الذّهنيَّة للأحبار والحاخامات ودأبهم المُستمرّ لتكريس انعزال وانغلاق اليهودي وتكبُّره وتغطرسه ، ممَّا أدَّى إلى عدم تفاعله مع المُجتمعات الإنسانيَّة قاطبة ؛ فالذي اعتمده اليهودي هو الكنيس والتّوراة المنحولة والتّلمود ، وهُم وطن اليهودي وقضاء يَهْوَه وأوامره على الأرض من قَتْل وإبادة جماعيَّة . هُناك بشر غير قادرين على مُقاربة الله : إنَّهم نوع البشر الذين ليس لديهم أيُّ مُعتقد ديني ولا علمي ولا تقليدي مثل آخر الأتراك في أقصى الشّمال والزُّنُوج في أقصى الجنوب والذين يُشبهونهم في مناخاتها . هؤلاء يُعدُّون مثل حيوانات غير عاقلة : فأنا لا أُصنِّفهم في مُستوى البشر ؛ إذ إنَّهم من بين الكائنات الحيَّة صنفٌ أدنى من البشر وأعلى من القرد . بما أنَّ لديهم وجه وملامح الإنسان وفطنة أعلى من القرد ، هذا ما قاله ابن ميمُون وهُو عَلَمٌ من أعلام اليهوديَّة الحاخاميَّة . فلنُبحر معاً لاستكشاف ما خفي .

23) كيف صَنَعَ اليهود الهُولُوكُوست؟ نُورمان فنكلشتاين، تر:د.ماري شهرستان، 2003

قال الحاخام آرنولد جاكوب فُولف مُدير جامعة دي يال: "يبدو لي أنَّهم يبيعون الهُولُوكُوست عوضاً عن أنْ يُعلِّموه". إنَّ هذا الكتاب هُو في ـ آن واحد ـ تشريح واتِّهام لصناعة الهُولُوكُوست. إنَّه يُؤكِّد أنَّ الهُولُوكُوست هُو تقدمة إيديولُوجيَّة للهُولُوكُوست النَّازي. إنَّ إحدى أكبر القُوَّات العسكريَّة وأعظمها في العالم؛ وحيثُ إنَّ فيها انتقاصات حُقُوق الإنسان هائلة قدَّمت نفسها كبلد ضحيَّة. وقد جنت أرباحاً وفوائد هائلة عن هذا الوضع ـ الضَّحيَّة الذي لا مُبرِّر له. وخُصُوصاً الحصانة في مواجهة النَّقد حتَّى الأكثر ثُبُوتاً وسناداً. يقول فنلكشتاين: كان أهلي يندهشون ـ غالباً ـ عندما يجدون أنَّني مُستنكر ـ إلى حدٍّ كبير ـ تزوير واستغلال الإبادة النَّازيَّة ـ الجواب الوحيد والأبسط هو التُّهَم التي يستعملونها لتبرير السِّياسة الإجراميَّة لدولة (إسرائيل) ودعم الولايات المُتَّحدة لهذه السِّياسة. هُناك ـ أيضاً ـ دافع شخصي؛ إنَّه الحملة الحاليَّة لصناعة الهُولُوكُوست الهادفة إلى ابتزاز المال من أوروبة على حساب الضَّحايا المُحتاجين للهُولُوكُوست، وضعت استشهادهم في مُستوى أخلاقي لكازينو مُوناكو. نورمان ج. فنكلشتاين يهودي يفضح كيف صَنَعَ اليهود الهُولُوكُوست، وكيف يستثمرونه، وكيف يخدعون به الدُّنيا وأوروبة وأمريكا.

24) مُناهضة السَّاميَّة تاريخها وأسبابها، برنار لازار، تر: د.ماري شهرستان، 2004

يُشكِّل هذا الكتاب مُساهمة أساسيَّة في سعة مراجعه ومنهجيَّته. وإنَّ تغييب هذا النَّصِّ وعدم معرفته تُشكِّل ـ بحَدِّ ذاتها ـ فضيحة. قال اليهود عنه ـ وهُو يهودي أيضاً ـ إنَّ لازار مُناهض للسَّاميَّة. لكنَّه يقول: اقرؤوا. وستجدو أنِّي كتبتُ بتجرُّد ـ بحياديَّة ـ دراسة تاريخيَّة اجتماعيَّة. تحدَّث فيه المُؤلِّف عن أسباب مُناهضة السَّاميَّة الحقيقيَّة مُنذُ القديم حتَّى العصر الحديث. فتكلَّم عن الهكسُوس والرَّواقيِّين ورُوما وأنطاكية واصطدام الدِّيانة الرُّومانيَّة باليهوديَّة، ومن ثَمَّ بالمسيحيَّة، ثُمَّ اصطدام الكنيسة في القرن الثَّامن باليهوديَّة، ثُمَّ تحدَّث عن محاكم التَّفتيش، عن اليهود وتعذيبهم وقتلهم ردَّاً على ما كانوا يفعلون من جرائم لعلَّ أبسطها تسميم المياه كي يموت المسيحيُّون في الغرب... ثُمَّ فصَّل في الأدب المُناهض لليهوديَّة، ثُمَّ تحدَّث عن الثَّورة الفرنسيَّة والثَّورة الرُّوسيَّة وأثر اليهود فيهما... وفصَّل المُؤلِّف في حديثه عن العِرْق اليهودي وعن القوميَّة ومُناهضة السَّاميَّة وعن الرُّوح الثَّوريَّة في اليهوديَّة وعن اليهود وتحوُّلات المُجتمع... وختَمَ بالحديث عن مصير مُناهضة السَّاميَّة (إنَّه كاتب يهودي حيادي يفضح اليهوديَّة).

25) التَّمييز ضدَّ غير اليهود في (إسرائيل) مسيحيِّين كانوا أم مُسلمين.

د. سامي الذِّيب، تر: ماري شهرستان، 2003

إنَّ هذا الكتاب يُساهم في فَهْم أفضل لألم الشَّعب الفلسطيني، ويُؤكِّد أنَّه لن يكون لدورة العُنف (النِّضال الفلسطيني) نهاية مادامت سياسة (إسرائيل) مُتمثِّلة ومُتجسِّدة بقوانين ومُمارسات قضائيَّة التي هي باستمرار ضدَّ غير اليهود لن تُعدَّل. إنَّ هذه الدِّراسة تجعلنا نتلمَّس بالإصبع نَهْج الاعتداء المُستمرّ على حُقُوق الإنسان، فيُؤكِّد ـ في البداية ـ مفهوم الحُرِّيَّة الدِّينيَّة، ثُمَّ يتحدَّث عن التَّرحيل والتَّدمير بعد 1948م و 1967م، ويتحدَّث عن حُقُوق غير اليهود 1948م و1967م، وكيف يُحرِّف اليهود العدالة، ويتَّخذون القمع وسيلة ضدَّ غيرهم، ثُمَّ يتساءل أيّ مُستقبل منشود لغير اليهود؟

26) نزار قبَّاني وقصائد كانت ممنوعة في الدِّين السِّياسة الجنس، نضال نصر الله، 2003

نزار قبَّاني طفل بردى. طفل البساتين التي نشرت وردها وعطرها ذات يوم بين سُور الصِّين ومدريد. / سُليمان العيسى/ ـ إنَّ عُمَر بن أبي ربيعة شاعر من قافلة شُعراء التَّاريخ العربي؛ لكنَّ نزار قبَّاني هو مدرسة الشِّعر العربي

الحديث، يعيش على رُوحها آلاف الشُّعراء وأجيال من الشّباب المُثقّف. / سميح القاسم/ . هذا الكتاب يضمُّ بين دفّتيه قصائد مُنعت لنزار قبّاني حين نظمها، ثُمَّ تحت ضغط الجماهير العربيَّة وحبِّها لهذه القصائد أُجيزت. كما يحكي هذا الكتاب قصَّة المنع أو المُصادرة وقصَّة الإجازة. من هذه القصائد: خُبز وحشيش وقمر - هوامش على دفتر النّكسة - المُهرولُون - المُستحمَّة - مُحاكمة غير شرعيَّة - بلقيس - وغيرها... فمنها قصائد مُنعت بحجَّة الأخلاق، ومنها بحجَّة الدِّين، ومنها بحجَّة المُجتمع والسِّياسة و...

27) لوعة الشّاكي ودمعة الباكي من جميل تُراثنا، المنسوب لصلاح الدِّين خليل بن أيبك الصّفدي. تحقيق: مُحمَّد عايش، 2003

العشق والغرام وما يُصاحب ذلك من الوله والهُيام. هذه هي المادَّة الأساسيَّة للكتاب الذي جمع فيه مُؤلِّفه كُلَّ مُفردات الحُبِّ والعشق والغرام وما يتعلَّق بها بأسلوب السّجع المُوسيقي الجميل، مُستخدماً من ذلك الألفاظ البليغة والمُعبِّرة للحالة التي يصفها. ثُمَّ يُلخِّص ذلك بأبيات من الشّعر التي لا تخلو من البراعة ومن مُحسنّات الشّعر وفُنُونه. يحكي المُؤلِّف ذلك كُلَّه من خلاله قصَّة يرويها تبدأ بنظرة، وتنتهي بلقاء، ولكنْ؛ ما بين النّظرة واللّقاء آهات وأشجان وزفرات وعبرات وأحداث ومُجريات، ووصف بليغ وصادق لكُلِّ ما يُحيط بالقصَّة يشدُّ القارئ، ويجعله يستمتع بالقراءة. ذلك هُو كتاب: لوعة الشّاكي ودمعة الباكي الذي يُعَدُّ صورة واضحة لواقع الأدب في ذلك العصر. نقول ذلك لأنَّ المُؤلِّف الصّفدي - فضلاً عن كونه مُؤرِّخاً وهُو ما اشتهر به من خلال كتابه: الوافي بالوفيات - فقد كان شاعراً وأديباً رقيقاً، فقد وُصف من قِبَلِ بعض مَنْ ترجم له بأنَّه: أديب الزّمان والشّاعر المُجيد، وغير ذلك من الألقاب.

28) تطوُّر العُلوم عند العَرَب (الشّيخ والقارورة)، د. إسماعيل الرُّبيعي، 2003

يتحدَّث هذا الكتاب عن نشاط العُلُوم والمُؤثِّرات. وعن نُشُوء الفكر الفلسفي في المجال العربي الإسلامي. كما يتحدَّث عن الطِّبِّ العربي، ويُعدِّد أهمَّ الأطبَّاء العرب والمُسلمين. وعن الرّياضيَّات وأهمِّ عُلمائها من العرب والمُسلمين. وعن الكيمياء وعُلمائها، والفَلَك وعُلمائه.

29) تحوُّلات الذّات الثّقافي العربي مُقاربات معرفيَّة، د. إسماعيل الرُّبيعي، 2003

ما من أُمَّة شغوفة بلَعْن الظّلام مثل العرب. فالجميع حانق وغاضب يُمارس عادة كيل الشّتائم، وجَلْد الذّات، والبُكاء على الأطلال، وفوات الفُرص، وغياب العدالة الاجتماعيَّة، وانعدام الحُرِّيَّات، والتّفرقة العُنصريَّة والطّائفيَّة. إنَّ استمرار الوعي الذّاتي لدى العرب يجعلهم يعيشون خارج السّياق التّاريخي. فالتّصوُّرات والرُّؤى عالقة في مداها من دُون إحساس بعناصر التّغيُّر والتّحوُّل، فالتّقليد هُو المُوئل الذي لا فكاك ولا خلاص منه. إذن؛ أين العرب من أسئلة اللّحظة الرّاهنة؟! يبحث المُؤلِّف في نقد العقل، وتحوُّلات الذّات (العالم وفواصل التّغيير)، ومُحدِّدات التّغيير. (الطُّغاة والطُّغيان). فاتورة الأحقاد. قياس درجة الكراهية. الوعي بالخُصُوصيَّات. ترسُّبات الماضي. ما يُنتجه الواقع. مُوجِّهات التّغيير (في صُلب الوظيفة المفاهيميَّة). سيمُولُوجيا الوطنيَّة. ما بعد الوطنيَّة. مُعيقات التّغيير. كيف نستخدم التّاريخ؟ الوعي مُتّهماً. من الأحداث إلى التّأمُّل. معيارا الذّاتي والموضوعي. بعيداً عن الأحداث؛ قريباً من الخطاب. الحَدَث تمثيل للتّاريخ ومُحرِّك له. تفكيك الخطاب الثّقافي العربي (الحَدَث الكبير يُولِّد الأسئلة الكُبرى). الحادثات تترى، واللّوك لا ينقطع. ما بعد المُثقّف. الجاحظ. ترميم بُرج بابل. الرّجل الذي

فَقَدَ أزرار معطفه. تداخلات الوظيفة النّقديَّة. محنة المُثقَّف. مُحاولة الاقتراب مـن مُكوِّنات الخطاب الثّقافي العراقي المُعاصر (المحنة موقعاً). سيل من أسئلة جارفة ومُحاولات جادَّة للإجابة عنها؛ هذا هو الكتاب الذي بين أيدينا.

30) تاريخ الخطّ العربي وغيره من الخُطوط العالميَّة، آن زالي وآني بيرثييه، تر:سالم سُليمان العيسى، 2004

لقد جمع هذا الكتاب أسمى الصّفات المُبدعة للخطّ العربي الذي يفتخر به كُلُّ العرب، وخُطوط بلاد ما بين النّهرين، ومصر، والصّين، وأمريكا قبل العهد الكولُومبي، وإفريقية، وتحدَّث مُؤلِّفاه فيه عن الحضارة الغربيَّة وعن خطّ بلاد ما بين النّهرَيْن / المسماري و .../ وعن القُدرة السّحْريَّة للخطّ، وعن خطّ الفراعنة، والأبجديَّة الهيرُوغليفيَّة وخطّها الخطّ الدّيموطي والقبطي، وأساطير ولادة الأحرف الصّينيَّة وأحرفها، مُرُوراً عبر فيتنام، واللُّغة اليابانيَّة المُعقَّدة، ومدينة الأزتيك اللاّمعة، ومصير الخُطُوط المُدوَّنة قبل تأسيس كُولُومبيا، وإفريقية من الكلام فيما يتعلَّق بالرّسم إلى الخطّ، وُصُولاً بالقارئ إلى ثورة الأبجديَّة، بدءاً بالفينيقيَّة ونُقُوشها، ومُرُوراً بالآراميّين وهُم النّاشرون للأبجديَّة، وُصُولاً إلى الخُطُوط في العربيَّة الجنوبيَّة، وفي الحبشة، وُصُولاً إلى القُرآن، وبيان أنَّ الخطّ العربي ارتقى من الفينيقيَّة عن طريق الآراميَّة مُتخلّلاً بين الفارسيَّة والهندُو أوروبيَّة (مثل التّركيَّة). . وكيف وصل الخطُّ إلى الـهيلّلينيّين، وابتكار الأحرف الصّوتيَّة، وكيف وُلدت من الأبجديَّة اليُونانيَّة، ومُرُوراً من اليُونانيَّة، ووُصُولاً إلى اللاّتينيَّة، وبيان أنَّ الخطّ هُو مرآة الكلام. كتاب جدير بالقراءة. هذا أقلُّ ما يُمكن أنْ يُقال عنه.

31) وحدة الوُجُود من الغزالي إلى ابن عربي، مُحمَّد الرّاشد، 2003

يُقدِّم هذا الكتاب خُلاصة تجربة المُؤلِّف مع التّصوُّف، فيبدأ بتعاريف عديدة تُهيِّئ لقراءة الكتاب، ثُمَّ يتحدَّث عن أبعاد وحدة الوُجُود، ووحدة الأديان، ثُمَّ يُفصِّل ينابيع وحدة الوُجُود في المُعطى الإسلامي (القُرآن والحديث ...) ثُمَّ يتحدَّث عن الصّياغات الأولى لوحدة الوُجُود، (الغزالي ـ الجيلاني ـ السّهروردي ـ العطّار ...)، ثُمَّ يتحدَّث عن المُراوحة بين الاتِّحاد والوحدة (أبو مدين ـ ابن الفارض ـ المكزون السّنجاري)، ليصل المُؤلِّف عبر تسلسل منطقي إلى الصّياغة النّهائيَّة لوحدة الوُجُود (ابن عربي ـ فُصُوص الحِكَم).

32) نظريَّة الحُبّ و الاتّحاد في التّصوُّف الإسلامي من الحب الإلهي إلى دوامات الاتحاد المستحيل.
مُحمَّد الرّاشد، 2003

يُقدِّم المُؤلِّف في هذا الكتاب مشروع رُؤية مُعاصرة للتّصوُّف الإسلامي، مُنطلقة من هدي الوحي، مُتمثِّلاً بالقُرآن الكريم أوّلاً. . وعلى ضوء المنطق العقلي ثانياً. . ومُستأنساً بالمُعطى العلمي ثالثاً. . الكتاب يرصد الحسّ الصُّوفي في مراحله الأولى وحتّى عُمق القرن الخامس الهجري، مُستهدفاً تسليط الأضواء على المطبّات التي سقط فيها فريق من الصُّوفيَّة بهدف تجاوزها اليوم وغداً، وبالتّالي؛ رسم الصُّورة المُشرقة للتّصوُّف الحضاري، باعتبار التّصوُّف الحقيقي في أفقه الأعلى توجُّهاً حضاريّاً. . صفاء مع الله والإنسان والعالم... إنَّه كتاب كُلّ باحث عن ضياء الحقيقة وشذى الحُبّ وتوهُّج الحياة وحلم الزّمان السّرمدي على دُرُوب تحقيق إنسانيَّة الإنسان. .

33) القُرآن وتحدِّيات العصر رحلة الشّكّ والإيمان، مُحمَّد الرّاشد، 2002

الإسلام الحضاري النّابع من مُعطيات الوحي مُمثَّلاً بالقُرآن الكريم ...إسلام الانفتاح على طُول امتداد الزّمان السّرمدي ليعمَّ الخير كُلَّ بني الإنسان، ذلكم هو الصّوت الذي يحمل لواءه المُؤلِّف بعد رحلة الشّكّ ومُغامرة التّمرُّد

والإلحاد، ليرسو في نهاية المطاف على شواطئ الإيمان المعقول الذي ينسج الحلم الأزلي على طُول امتداد التّاريخ . .
ولا يكتفي المُؤلِّف بمُناقشة عدد من المُستشرقين والمُفكِّرين الغربيّيْن الذين أساؤوا إلى القرآن عن سُوء فَهْم أو عن سُوء طويَّة فحسب، وإنَّما يُسارع إلى تأكيد السُّقُوط الأمريكي الموعود على ضَوء المُستقبل المنظور، من خلال رُؤيته لمنطق التّاريخ واستلهامه لأبجديّات القُرآن...

34) إشكاليَّة وحدة الوُجُود في الفكر العربي الإسلامي (الله والإنسان والعالم في الحضارات الإنسانيَة) دراسة تحليليَّة رُؤيويَة، مُحمَّد الرَّاشد، 2002

ما هُو موقف العقل البشري من تلكم المحاور الكفيلة بتحقيق شرطه الوُجُودي في الحياة وفي الممات والمُتمثِّلة برُؤيته إزاء الله والإنسان والعالم؟ هذا ما سعى المُؤلِّف إلى إبرازه على ضوء التّساؤلات الأزليَّة . لماذا خَلَقَ الله الكون وما فيه؟ كيف تمَّ الخَلْق الأوَّل؟ لماذا خُلقنا؟ وإلى أين المصير؟ ما السّبيل إلى تحقيق خلاص فردي وجماعي في الحياة ويوم البعث والنُّشُور؟

35) الحقيقة بين النُّبُوءة والسّياسة، التّوراة، الأناجيل، نُوستراداموس، القُرآن الكريم.
مُحمَّد نضال الحافظ، 2003

هل كان انهيار بُرجَيْ مركز التّجارة العالمي نُبُوءة؟ ما مصير مَنْ دعا إلى ضرب مكَّة المُكرَّمة بقُنبلة نوويَّة؟ ما هي العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبُوخذ نصَّر؟ ما قصَّة النُّبُوءات في آخر الزّمان؟ ما هي تلك النُّبُوءات الإنجيليَّة والتّوراتيَّة والقُرآنيَّة؟ وما علاقتها بالسّياسة العالميَّة؟ ماذا يفعل اليهود والمسيحيُّون والمُسلمون تجاه نُبُوءاتهم؟ كيف تبدو نهاية اليهود و(إسرائيل) من خلال التّوراة والتّلمود والأناجيل ونُوستراداموس والقُرآن الكريم، العراق وبابل واليهُود ونُوستراداموس، هل نسي اليهُود كيف أسرهم نبُوخذ نصَّر وسباهم إلى بابل؟ هل يُحاول اليهُود (أمريكا - بريطانيا) الانتقام من العراق؟ هل من المُمكن أنْ تكون هُناك ضربة نوويَّة للعراق؟ المسيحيَّة الصّهيونيَّة - نشأتها ومشاهيرها، برُوتُوكُولات حُكماء صهيون، السّياسيُّون الأمريكيُّون ونُبُوءات التّوراة والأناجيل ونُوستراداموس، معركة هرمجدون والحرب العالميَّة النّوويَّة الثّالثة، المُؤامرات اليهوديَّة الأمريكيَّة، فلسطين واليهُود والتّوراة والتّلمود ونُوستراداموس، هل بدأ يوم القيامة؟! لنتعرَّف الحقيقة المُذهلة من خلال كتاب الحقيقة بين النُّبُوءة والسّياسة .

36) مائير كاهانا وغُلاة التّطرُّف الأصولي اليهودي، تأليف: رفائيل ميرجي وفيليب سيمون.
تر: عائدة عم علي، 2003

من أقوال كهانا : الدّيمقراطيَّة والصّهيونيَّة لا تتعايشان معاً . . اليهوديَّة مُختلفة - كُلّيّاً - عن الدّيمقراطيَّة . النّاس في هذا البلد (إسرائيل) مرضى، مرضى فكريّاً، وبالنّسبة لي لا يُوجد هُناك إسرائيليُّون، يُوجد يهود، بعضهم يعيش في (إسرائيل) وآخرون يعيشون في ... إنَّ هُناك شعباً يهوديّاً، ولأنَّ هُناك شعباً يهوديّاً فإنَّ لدينا الحقّ في المجيء إلى هذا البلد وسَلْبه من العرب . إنَّ شارُون سيِّئ جدّاً جدّاً، إنَّه كاذب، ولا يملك أيَّة مبادئ أخلاقيَّة، ولا أيَّة مُثُل، بإمكانه أنْ يفعل أيَّ شيء، وأنا أخافه تماماً كما يخافه اليساريُّون. سُؤال إلى كهانا : إذنْ؛ فأنت تتقبَّل حقيقة قَتْل المَدَنيّيْن العرب؟ بالطّبع؛ بالتّأكيد، بالطّريقة نفسها التي أوافق فيها الإسرائيليّيْن على قَصْف لُبنان .

37) ما بين مُوسى وعزرا. كيف نشأت اليهوديَّة؟ عبد المجيد همُّو، 2003

مُوسى وبنُو إسرائيل - القُرآن الكريم لم يشر إلى اليهوديَّة في زمن مُوسى - العهد القديم لم يشر إلى اليهوديَّة في زمن مُوسى - حقيقة رسالة مُوسى - هل العهد القديم كتاب سماوي؟ متى تمَّ نَسْخُ التّوراة وتدوينها؟ توراة مُوسى - الألواح وهل هي غير التّوراة؟ الزّبور وداود - سُليمان الحكيم - إثبات عدم يهوديَّة إبراهيم وأبنائه - وإثبات عدم يهوديَّة مُوسى والأسباط وداود وسُليمان - متى ظهرت اليهوديَّة في الكتاب المُقدَّس؟ كيف نشأت اليهوديَّة؟ - عزرا ونحميا أنشأا اليهوديَّة - سمات اليهوديَّة.

38) اليهوديَّة بعد عزرا وكيف أُقِرَّتْ؟ عبد المجيد همُّو، 2003

تاريخ تدوين الأسفار كُلِّها - التّوراة والأخلاق - المُعتقدات - هل هُناك إله واحد يعبده اليهود أم هُم يعبدون آلهة عدَّة؟ الطُّقُوس - الوصايا - الوصايا الأخلاقيَّة - المُحرَّمات من النّساء - وصايا حول الزّنى - وصايا مُختلفة - الإيمان باليوم الآخر.

39) مفاهيم تلموديَّة نظرة اليهود إلى العالم، عبد المجيد همُّو، 2003

متى كُتب التّلمود؟ تعريفه - جمعه - تأليفه - ترجمته - أهميَّته - الرُّدُود عليه - التّلمود والأمم الأخرى - التّلمود والمسيحيَّة - مسيح اليهود المُخلِّص - التّلمود والعرب - موضوعات تلموديَّة - موقف التّلمود من يَهْوَه - موقف التّلمود من فلسطين - التّلمود والآخرة - التّلمود والقَبَالة (تطوُّر التّلمود) ...

40) الله أم يَهْوَه؟ أيُّهما إله اليهود؟ عبد المجيد همُّو، 2003

تعدُّد الآلهة عند اليهود - إيل - يَهْوَه - بعل - آلهة أخرى - إيل إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب - ما صفاته؟ يَهْوَه إله اليهود: من أين أتى؟ ما صفات يَهْوَه؟: التّسلُّط - الجهل - حُبُّ الجنس - الحُزن - الكذب... إلخ. هل اليهود مُوحِّدون؟

41) الفرق والمذاهب اليهوديَّة مُنذ البدايات حتَّى الآن، عبد المجيد همُّو، 2003

اليهود وفِرَقُهُم قبل الإسلام - نُشُوء اليهوديَّة وانقسامها - السّامريَّة - الصّدوقيَّة - الحسيديُّون. الفريسيُّون - الأسنيُّون - الغنوصيُّون - الكَتَبَة - المُتعصِّبون - الربَّانيُّون - التّلموديُّون - القرَّاءون - مُوسى بن ميمُون - الفاءون - القَبَالة - يهود الخزر - الأشكناز - اللُّوثريَّة - المسيحيَّة اليهوديَّة - شُهُود يَهْوَه - الصّهيونيَّة ونشأتها - وموضوعات أخرى مُفصَّلة تفصيلاً دقيقاً تُبيِّن موقف اليهود من المسيحيَّة، وكيف اضطهدوا المسيح وأتباعه..

42) المجازر اليهوديَّة والإرهاب الصّهيوني مُنذُ نُزُول التوراة، عبد المجيد همُّو، 2003

هذا الكتاب يشرح - بوُضُوح - ما أحدثه اليهود من مجازر وإرهاب قديماً وحديثاً من خلال كتاب العهد القديم ووقائع الحال على مُرُور التّاريخ حتَّى العصر الحديث، من هذه المجازر: مجازر ما قبل مُوسى - مجازر نُسبت إلى مُوسى - مجازر يشوع - القُضاة - صموئيل - مجازر نُسبت إلى داود - مجازر يَهْوَه - مدين - العجل - سنحاريب - الطُّوفان - إيزابيل - ياهو - مجازر المكابيِّين - يهوديت - استر - الثّورة الفرنسيَّة - البلاشفة - مجازر فلسطين قبل الدّولة المُصطنعة - الاغتيالات اليهوديَّة الإسرائيليَّة لزُعماء فلسطين - تدمير القُرى في فلسطين من قبل 1948 حتَّى 2000 - عبث الصّهاينة بقرارات الأمم المُتَّحدة، وغيرها كثير. كتاب توثيقي من التّوراة ومن كُتُب اليهود التي يُؤمنون بها، يُوثِّق القتل والإرهاب اليهوديِّين، وهُو وصمة عار من وُجهة نظر الإنسانيَّة في جبين اليهود، وسجلٌ مُشرِّف من وُجهة نظر اليهود في جبينهم.

43) الدبلوماسيَة القديمة والمُعاصرة، د.علي عبد القوي الغفاري، 2002

إنَّ الدّبلوماسيَّة الجديدة ـ بعد أحداث سبتمبر ـ تُنبيء ـ بما لا يدع مجالاً للشّكّ ـ أنّها دبلوماسيَّة القُوّة، التي فاقت توقُّعات العُلماء والخُبراء، والمعاهد الاستراتيجيَّة المُتخصّصة في القضايا القانونيَّة والدّبلوماسيَّة والعسكريَّة، والكتاب يتناول الدّبلوماسيَّة مُنذُ القديم وإلى الآن، وقواعد اختيار السُّفراء والقناصل، وشُرُوط التّبادل الدّبلوماسي بين الدُّول، وكُلّ ما يتعلّق بالبرُوتُوكُولات الدّبلوماسيَّة.

44) امنحوني فُرصة للكلام، د. مُحمَد جمال طحَان، 2003

ـ اترك السّياسة لأهلها، والثّقافة لأهلها، والحُرّيَّة لأهلها، واكتفِ بالعيش، ولا تَنَمْ إلا بعد عشاء ثقيل، ولا تنسَ.. اخلع الوعي قبل النّوم. لا.. لستُ غبيّاً.. كُلّ ما أرجوه منكم أنْ تُقاوموا فكرة إقامة نصب تذكاري لي بعد أنْ أموت.. لماذا؟ لأنّني لا أريد أنْ أغدو مكاناً أميناً يلجأ إليه مَنْ يريد أنْ يبول.. أنا أكتب.. أنت تقرأ.. هم يُقتلون.. وهو يشجب بنصف صوت، أنا أكتب ندمي لأنّي لم أحترف القتال، وأنت تقرأ وتتألّم؛ لأنّ الفعل بيد ذلك الذي يهزأ من ندمي ويسخر من ألمك.. ـ ألم يَحِنْ وقت استخدام حقّ الفيتو على العقل ليتوقّف برهة عن المُسالمة والاستسلام؟! وإذا كان العقل والعقلانيَّة لم يعودا مُجْدِيَيْن، ألا يحقُّ لنا أنْ نُمارس الجُنُون؟! ـ ما الذي جعل الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة تذوي؟ ـ هل بإمكاننا إيقاف تبادل التُّهم والإدانات لنعمل جميعاً على إعادة نهجنا الحضاري الذي انبنى على توفير الحُرّيّات الفكريَّة، والتّعدُّديَّة، وتعميق القيَم الإنسانيَّة الخالدة؟! ـ ما المقدار الذي يحمله الإعلام المُعاصر من مسؤوليَّة التّضليل؟! ـ ألا فلنبدأ هُنا والآن وبكم، ثُمّ ليكُن ما يكون....

45) الخديعة الكُبرى هل اليهود. حقّاً. شعب الله المُختار، د. مُحمَد جمال طحَان، 2003

بماذا وصف مُفكّرون أوربيُّون وأمريكيُّون اليهودَ؟ ما مدى العداء الذي يُكنُّه الصّهاينة للسّيّد المسيح أو لنبي الإسلام؟ تقول نيستا ويبستر: إنَّ المفهوم اليهودي السّائد عن فكرة شعب الله المُختار هو مفهوم سياسي محض ابتكره الحاخامات لحَضّ اليهود على السّعي الدّؤوب للسّيطرة على العالم، ويُعتبر هذا الشّعار أساس الدّيانة الحاخاميَّة التّلموديَّة، ويأخذ اليهود بتعاليم التّلمود كدُستور لهم في الحياة. ـ مَنْ هم اليهود؟ ـ مَنْ هو إسرائيل؟ وصف اليهود في التّوراة والأناجيل والقُرآن الكريم ـ الماسُونيَّة ـ الدّولة العالميَّة ـ رسالة الحاخام الأكبر في إستانبول لليهود في أوروبا والعالم ـ الأسلحة اليهوديَّة الرّهيبة... ـ الكتاب مُوَجَّه إلى الذين لا يعلمون حقيقة اليهود، وإلى الذين يعلمون حقيقتهم من أجل أنْ يُقاوموا ويُحاولوا....

46) الرَّحَالة ك طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.
عبد الرَحمن الكواكبي، تح: د.مُحمَد جمال طحَان، 2003

تأتي أهميَّة الكواكبي وأهمّيَّة كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد من أجل أنْ نتعلّم من الماضي كي لا نُلدغ من الجحر مرّتَيْن، ويأتي نشر الطّبائع استكمالاً لدراسة أفكاره التي بدأت في أمّ القُرى. ويقول: تمحّصَ عندي أنّ أصل الدّاء هُو الاستبداد السّياسي ودواؤه دَفْعُهُ بالشُّورى الدُّستوريَّة. ويقول: (ويُراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحُكُومات خاصَّة؛ لأنّها أعظم مظاهر أضراره). ويقول: إنَّ خوف المُستبدّ من نقمة رعيَّته أكثر من بأسه؛ لأنّ خوفه ينشأ عن علمه بما يستحقُّه منهم، وخوفهم ناشئ عن جهل؛ وخوفه عن عجز حقيقي، وخوفهم عن توهُّم التّخاذل

فقط؛ وخوفه على فَقْدِ حياته وسُلطانه، وخوفهم على لُقيمات من النّبات وعلى وطن يألفون غيره في أيّام، وخوفه على كُلِّ شيء، تحت سماء مُلكه، وخوفهم على حياة تعيسة فقط.

47) أمُّ القُرى مؤتمر النّهضة الإسلاميَّة الأوَّل، عبد الرّحمن الكواكبي، تح: د. مُحمَّد جمال طحّان 2002

الكواكبي واحد من أجدادنا الأفذاذ؛ رُوَّاد النّهضة الذين حاولوا النُّهُوض بالواقع إيماناً منهم بمسؤوليَّة العُلماء في توعية النّاس ليقدروا على المُطالبة بحقُوقهم بعد أنْ يدركوا أنَّهم بشر أحرار في صُنع مصائرهم. ممَّا نادى به الكواكبي في كتابه هذا: يجب ألاَّ يصرَّ أحد على رأيه الذّاتي، وألاَّ يُمانع في العُدُول عن خطئه ـ سبب الفُتُور هو تحوُّل السّياسة الإسلاميَّة من ديمقراطيَّة إلى ملكيَّة مُقيّدة، ثُمَّ إلى ملكيَّة مُطلقة ـ إنَّ البليَّة هي فقدنا الحُرِّيَّة، حُرِّيَّة التّعليم والخطابة والمطبوعات والمُباحثات ـ كأنَّ مُجرَّد كون الأمير مُسلماً يُغني حتَّى عن العدل، وكأنَّ طاعته واجبة ولو كان يُخرِّب البلاد، ويظلم العباد ـ إنَّ طاعة أولي الأمر واجبة، ولكنْ؛ مع العدل، فالحاكم العادل الكافر أفضل من المُسلم الجائر وأولى بحُكْم المسلمين ـ صرنا نتبع الأشخاص بدلاً من التّمسُّك بديننا الحنيف ـ إنَّ المنشأ لكُلِّ فساد هو انحلال السُّلطة القانونيَّة وتسلُّط فرد عليها، فضلاً عن دُخُول ديننا تحت ولاية العُلماء الرّسميِّين؛ أي الجهَّال المُتعمِّمين ـ إنَّ الاقتصار على العُلُوم الدِّينيَّة يُضعِفُ المُسلمين، ولابُدَّ من دراسة العُلُوم الرّياضيَّة والطّبيعيَّة أيضاً ـ إذْ ترك الخُطباء التّحدُّث في الأمور العُمُوميَّة، وعدّوا ذلك لغواً. وهكذا تأصَّل فينا فَقْدُ الإحساس ـ إنَّ السّبب الأكبر للفُتُور هو تكبُّر الأمراء وميلهم إلى العُلماء المُتملِّقين المُنافقين الذين يُزيِّنون لهم الاستبداد ـ إنَّ أفضل الجهاد هُو الحَطُّ من قدر العُلماء المُنافقين عند العامَّة، وتحويلهم لاحترام العُلماء العاملين حتَّى لا يلبث أنْ يحترمهم الأمراء أيضاً، ويأخذوا بآرائهم. وهكذا؛ نجد أنَّ أمَّ القُرى واحد من الكُتُب المُذهلة، إنْ حذفنا منه تاريخ تأليفه، فلن نشكَّ لحظة واحدة، في أنّه قد أُنجز تواً، وخُصُوصاً أنَّ صاحبه قد وقَّعه باسم السَّيِّد الفُراتي.

48) المُثقّف وديمقراطيَّة العبيد، د.مُحمَّد جمال طحّان، 2002

في هذا الكتاب بعض الأحاديث عن المتاهات والمفازات، فيه ما يُؤلم ويُرهق، وفيه ما يدعو إلى المُكابدة، ويحثُّ على المُعاناة. الجوُّ مُكفهر والغُيُوم داكنة وكذلك الهُمُوم، من أجل ماذا؟! من أجل الدِّيمقراطيَّة، ومن أجل الثّقافة.. ولكنْ، فيه إلى جانب ذلك كُلِّه، وفوق ذلك كُلِّه تجربة قلم حيٍّ، وتجربة إنسان نابض بالبراءة والنّزاهة، إنّه الأمل في استمرار الدّفاع عن الوطن، وعن المُواطن فيه، الآن وفي المُستقبل.

49) الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة من الخيمة إلى الإمبراطوريَّة. مُرفق خريطة شاملة للولايات المُتَّحدة.
إعداد: ديب علي حسن، مُراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، 2002

قليلون هُم الذين يعرفون أنَّ الولايات المُتَّحدة كان الاستعمار يجثم فوق صدرها، وأنَّ حرباً أهليَّة دامية جرت فيها بين الشّماليِّين والجنوبيِّين، وقليلون يعرفون ما هُو دُستورها؟ وما ولاياتها؟ وما مُدُنها؟ و ما ثرواتها؟ وما قوانينها؟ وما تنوُّع سُكَّانها؟ وما....؟ وما...؟! ما الجيش الأمريكي ـ الاستخبارات ـ الدِّين والسّياسة فيها ـ السّياسة الأمريكيَّة وأهمّ السّياسيِّين الحاليِّين ـ الكتاب يسدُّ فجوة في المكتبة العربيَّة، ويُبيِّن كيف تمَّ طرد الهُنُود الحُمْر وإبادتهم. وكيف نشأت دولة أمريكا.. ويُعَدِّدُ رُؤساءها مُنذُ الرَّئيس الأوَّل إلى الآن.. يجب على كُلِّ عربي أنْ يقرأ ما هي الولايات المُتَّحدة؟ وكيف نشأت؟ وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

50) الفِرَق والمذاهب المسيحيَّة مُنذُ البدايات حتَّى ظهُور الإسلام، نهاد خيَاطة، 2002

لئن كان الإسلام عربي النَّشأة، وسُوري الامتداد والإشعاع، فقد كانت المسيحيَّة سُوريَّة النَّشأة والامتداد والإشعاع. لمحة إلى الأناجيل ـ الأناجيل غير المُعتمدة ـ أناجيل الطُّفُولة ـ اليهوديَّة المسيحيَّة ـ الأبيونيَّة ـ النَّصارى ـ الدُّوكتيَّة ـ المرقيونيَّة ـ هل تزوَّج يسوع؟ مجمع نيقية والفِرَق المسيحيَّة الآريوسيَّة ـ إليهة الرُّوح القُدس ـ السَّابليانيَّة ـ المسيحيَّة بعد نيقية ـ النَّسطوريَّة مدرسة نصيبين ـ برصوما ـ نرسيس ـ باباي الأكبر ـ خلقيدونية والفِرَق المسيحيَّة بعد خلقيدونية ـ المونوفيزيَّة ـ القول بالمشيئة الواحدة في المسيح ـ التَّثليث في المسيحيَّة والإسلام ـ الآب ـ ثالوث أم رابوع ـ التَّوحيد والتثليث بين الظَّاهر والباطن ـ التثليث في الفكر الإسلامي ـ الابن ـ الرُّوح القُدُس.

51) أبو حيَّان التَّوحيدي إنساناً وأديباً، مُحمَّد رجب السَّامرَّائي، 2002

يتناول المُؤلِّف في كتابه سيرة حياة التَّوحيدي، والظُّلم الذي لحق به من ذوي الجاه والسُّلطان، وتفضيلهم مَن هُو أدنى منه مرتبة أدبيَّة وعلميَّة، كما يتعرَّض إلى التَّوحيدي كأديب فارس لايُشَقُّ له غبار في ميادين عديدة كالأدب والفلسفة.

52) رمضان في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، مُحمَّد رجب السَّامرَّائي، 2002

يرسم المُؤلِّف صُورة عن رمضان في ذاكرة الإنسان العربي في الزَّمان والمكان، ويسرد سيرته العطرة في المظانِّ العربيَّة القديمة والمُعاصرة عن طريق التَّدوين لهذه المظاهر الاحتفاليَّة به، وتدوين المظاهر الاحتفاليَّة بعيد الفطر السَّعيد ومأكولاته وحُلوياته في أكثر من 22 بلداً عربيّاً وإسلاميّاً.

53) المسيحيَّة وأساطير التَّجسُّد في الشَّرق الأدنى القديم (اليُونان. سوريَة. مصر).
دانييل. إ.باسوك، تر: سعد رُستم، 2002

يُؤكِّد المُؤلِّف الباحث الأمريكي باسوك في كتابه هذا أنَّ عقيدة التَّجسُّد في المسيحيَّة عقيدة خُرافيَّة، وفكرة وثنيَّة دخيلة، نفذت إلى المسيحيَّة من وثنيَّة اليُونان والرُّومان. ويرى أنَّ رسالة المسيح بذاتها كانت رسالة أخلاقيَّة توحيديَّة بسيطة، لا تعقيد فيها، فالمسيح نشأ يهوديّاً، مُؤمناً، وترعرع في بيئة توراتيَّة مُتديِّنة، من ركائزها الأساسيَّة التَّأكيد على وحدانيَّة الله تعالى الخالصة، والفصل التَّام بينه وبين مخلوقاته من البشر. إنَّ المسيح هُو عبد الله، وليس ابناً لله، هُو نبيُّ الله، وليس ابناً لله...

54) التَّوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدِّيسَيْن بُولس ويُوحنَّا، سعد رُستم، 2002

يُؤكِّد المُؤلِّف من الأناجيل الأربعة ومن رسائل بُولُس ويُوحنَّا أنَّ المسيح عيسى عليه السَّلام أكَّد أنَّ الله هُو الإله الواحد الأحد وأنَّه ـ أيْ المسيح ـ بشر وإنسان، ويُؤكِّد المُؤلِّف أنَّ مَنْ يقرأ الأناجيل قراءة مُتمعِّنة لن يجد عبارة واحدة صريحة لسيِّدنا المسيح نفسه يدعو فيها أتباعه للإيمان بألوهيَّته وبلزُوم عبادته، أو يُصرِّح فيها لهم بأنَّه ربُّ العالمين وإله الخلائق أجمعين المُتجسِّد الذي انقلب بشراً، أو يُصرِّح لهم فيها بعقيدة التَّثليث...

55) الذَّات الإلهيَّة والمجازات القُرآنيَّة والنَّبويَّة وإزالة شُبهة التَّشبيه والتَّجسيم من أساسها، سعد رُستم، 2002

إنَّ جماعة من قُدماء أصحاب الحديث، عُرفوا ـ تاريخيّاً ـ باسم الحشويَّة، لكثرة ما حَشَوا به الدِّين من أحاديث وأخبار آحاديَّة فرديَّة غريبة، وجعلوها حُجَّة في العقيدة والإيمان! فاغترّوا بظاهر ما وَرَدَ في بعض الأحاديث والأخبار وقليل من الآيات القُرآنيَّة، من تعبيرات أُضيف فيها اسم عُضو من أعضاء الإنسان كالوجه أو الجَنْب أو اليد أو السَّاق أو

القَدَم لله تعالى... إنَّ الغرض من الكتاب هُو توضيح المعنى الصّحيح للآيات التي اشتبه فَهْمُهَا على الحشو المُجسِّمة، توضيحاً ينكشف به بجلاء التّنزيه المُطلق لله سُبحانه وتعالى، وليس الغرض أبداً اتّهام أحد في عقيدته أ تكفيره أو تضليله.

56) نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث دراسة تطبيقيَة على بعض أحاديث الصّحيحَيْن.

إسماعيل الكردي، 2002

بمُرُور الزّمن، وكما يحدث في كُلّ تُراث ديني مُقدّس، تكوَّنت هالة مهيبة مُبالغ بها حول صحيح مُسلم وصحيح بُخاري، فصار أيُّ تحفُّظ على عبارة وردت فيهما، أو ردٌّ لسند أو حديث فيها، أو التّشكيك بصُدُوره عن النّبي صلّى الله عليه وسلَّم مهما أقام صاحبه على رأيه هذا من الدّلائل العلميَّة والبراهين العقليَّة، واتَّبع في قوله سلفاً أو أسلافاً من العُلماء المُتقدّمين، وعمل بما وضعوه من قواعد وشُرُوط لقبول المتن، يُعَدّ زيفاً وضلالاً وعُدواناً على السُّنَّة!! وسنرى ـ يقيناً ـ أنّه وعلى الرّغم من الدّقَّة التي اتَّبعها الإمامان البُخاري ومُسلم في انتخاب الحديث واجتهادهما في تحرِّي صحيح السّند منه، لم يخل كتاباهما من عدد من الرّوايات المُنتقدَة سنداً، أو التي لا يُمكن القبول بصحّتها مَتْناً، طبقاً لقواعد نقد المُتون التي قرَّرها عُلماء الحديث.

57) حلُّ الاختلاف بين الشّيعة والسُّنّة في مسألة الإمامة.

مُصطفى حُسيني طباطبائي، تر: سعد رُستَم، 2002

هل الإمامة أمر مُنفصل عن الإمارة والحُكُومة أم لا؟ كيف كان سُلُوك أئمَّة أهل البيت عليهم السّلام مع وُلاة الأمور وحُكّام المُسلمين في عصرهم؟ كيف كان سُلُوك أئمَّة الشّيعة من أهل البيت تجاه فُقهاء وأئمّة أهل السُّنّة وعامّتهم؟ وما هي التّعليمات التي كان الأئمَّة يقولونها لتلامذتهم ومُحبِّيهم في هذا الشّأن؟ هل الخطأ في موضوع الإمامة يُوجب حقّاً الخُسران العظيم في الآخرة والمصير إلى النّار أم لا؟

58) سيرة السُّلطان النّاصر صلاح الدِّين الأيُّوبي (النّوادر السُّلطانيَة والمحاسن اليُوسفيَة).

بهاء الدِّين ابن شدَّاد، تحقيق: أحمد إيبش، 2003

تبقى سيرة البطل الخالد صلاح الدِّين الأيُّوبي وجهاده وحُرُوبه مع الصّليبيِّين، وانتصاره الأكبر في حطِّين، وفتحه للقُدس، تبقى واحدة من أنصع صفحات تاريخنا العربي الإسلامي الوضّاء. في هذا الكتاب الرّائع «النّوادر السُّلطانيَّة والمحاسن اليُوسفيَّة» ينقل لنا المُؤلِّف بهاء الدِّين ابن شدَّاد صُورة حيَّة ورواية مُباشرة عن حياة بطلنا الكبير وأعماله وبُطُولاته.. ويُصوِّر لنا، كشاهد عيان ثَبْت صادق، مشاهد مُؤثِّرة وعِبَراً بليغة عن المزايا العظيمة التي تحلَّى بها السُّلطان النّاصر صلاح الدِّين الأيُّوبي، حتَّى احترمه الأعداء، بَلْهَ الأصدقاء، فارتفع اسم صلاح الدِّين عالياً ليقترن بأمجاد جهاده، وليقترن بالقُدس الشّريف، وليغدو صاحبه ـ بكُلِّ جدارة ـ واحداً من أعظم الشّخصيَّات التي أنجبَتْهَا أُمّتنا العربيَّة الإسلاميَّة، لا، بل البشريَّة جمعاء على امتداد تاريخها. وكفى سُلطاننا صلاح الدِّين فخراً أنَّ الشّهادة بفضله ونُبله وتسامحه، فضلاً عن شجاعته وقُوَّته وحكمته كانت قد صدرت عن أعدائه قبل أصدقائه وأتباعه. إنَّ سُلطاننا النّاصر صلاح الدِّين واحد من الذين يُقال فيهم: إنَّهم نسيج وحدهم.

59) حوادث دمشق اليوميَّة غداة الغزو العثماني للشام 926. 951 هـ صفحات مفقودة تُنشر للمرة الأولى من مُفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان، ابن طولون الصالحي الدمشقي، تحقيق:أحمد إيبش، 2002

هذا الكتاب يُقدِّم لنا صُورة حيَّة وصادقة عن حياة المُجتمع وحركته السّياسيَّة والاقتصاديَّة وحوادثه وغرائبه وطرائفه، فضلاً عن وصفٍ وافٍ للعادات والتّقاليد ولأنماط الحياة السّائدة آنذاك في الفترة التي يُغطّيها الكتاب. ويُمثّل جُزءاً وافياً من القسم الضّائع من كتاب (مُفاكهة الخلاّن في حوادث الزّمان) للمُؤرّخ الدّمشقي الشّهير بابن طُولُون الصّالحي، وهذا القسم يُعَدُّ ـ دُون شكٍّ ـ المصدر الأوّل لتاريخ مدينة دمشق في مطلع العهد العُثماني بين عامَيْ 926 ـ 951 هـ وهي فترة غامضة المعالم لم تصلنا عنها مصادر ووثائق كافية. فيأتي هذا الكتاب اليوم ليَسُدَّ ثغرة هامَّة، وليُضيف جُزءاً هامّاً إلى مكتبة المصادر المُختصَّة بتاريخ دمشق وبلاد الشّام، وليرسم ـ فوق ذلك ـ صُورة حيَّة وطريفة ودقيقة للحياة السّياسيَّة والاجتماعيَّة والثّقافيَّة والاقتصاديَّة لدمشق إبَّان دُخُولها تحت حكم بني عُثمان في عهد السُّلطان سُليمان خان القانوني.

60) نقد الدِّين اليهودي، جميل خرطبيل، 2002

أسطورة العهد القديم ـ الدِّين ـ يَهْوَه ـ الخُرُوج ـ الأساطير ـ الخليقة والطُّوفان ـ ولادة إبراهيم ومُوسى ـ داود ـ سُليمان ـ اصطفاء اليهود ـ لا أخلاقيَّات شخصيات العهد القديم ـ يَهْوَه وأخطاؤه ـ صراعه وندمه ـ إبراهيم ـ راحيل ـ ثامار ـ يشوع...

61) إسرائيل والعرب حرب الخمسين عاماً، بريغمان أهرون و جيهان الطّهري، تر:سالم العيسى، 2002

من أهمِّ الكُتُب التي صدرت عالميّاً، والتي تتناول الصّراع العربي الإسرائيلي. كيف قُسِّمت فلسطين؟ الاتّصالات السِّرّيَّة في باريس. التّخريب في مصر ـ المُجابهة ـ حرب الأيام السِّتَّة ـ السّادات يُدهش العالم بالمُصالحة ـ كامب ديفيد ـ أيلول الأسود ـ شارُون والجميل ـ الحرب في لُبنان. مكْرُ صدّام حُسين ـ مُؤتمر مدريد ـ الطّريق الطّويلة ـ المُحادثات السِّرِّيَّة في أوسلو .... الحلقة المُفرغة؟ النّقاش مع سوريَّة.

62) استراتيجيَّة الأمن المائي العربي، أ.د.إبراهيم أحمد سعيد، 2002

يُعَدُّ كتاب استراتيجيَّة الأمن المائي العربي من أهمِّ الكُتُب التي تُضاف إلى مكتبتنا العربيَّة، كونه يعالج بالدّراسة والبحث مُشكلات استثمار وتنمية الموارد المائيَّة العربيَّة وفق منهج علمي سلس ومُبسَّط. ويطرح قضايا استراتيجيَّة مائيَّة مُلحَّة تمسُّ الأمن القومي العربي، ويُبيِّن الخلفيَّة المائيَّة للمشروع الاستيطاني الصّهيوني، ودور المياه في الجيُوبُولتيك الإسرائيلي سواء في المناطق المُحيطة بفلسطين أم في منابع المياه العربيَّة الاستراتيجيَّة (الفُرات والنّيل).

63) أمريكا. إسرائيل و 11 أيلول 2001، ديفيد ديُوك، تر: سعد رُستُم، 2002

يُؤكِّد مُؤلِّف الكتاب الأمريكي أنَّ إرهاب وتجسُّس إسرائيل هو الأشدّ خطراً على أمريكا، ويُعَدِّدُ أهمَّ العمليَّات الإرهابيَّة التي قامت بها (إسرائيل) ضدَّ أمريكا. ويتّهم الإسرائيليّين والمُوساد بإخفائهم معلومات هامَّة عن المُخابرات الأمريكيَّة حول التّخطيط لتفجيرات 11 أيلول 2001.

64) مُخيَّم جنين من النّكبة إلى الانتفاضة،علي بدوان، 2002

دراسة سياسيَّة وتوثيقيَّة بالتّواريخ والأرقام والأسماء لما تعرَّضت له مدينة جنين ومُخيَّمها على وجه الخُصُوص من همجيَّة وتدمير من قِبَلِ الاحتلال الإسرائيلي. كما يعرض إلى قصَّة لجنة التّحقيق الدّوليَّة وبالتّفصيل، وإلى مُداخلات هذا التّحقيق ...إلى أنْ تمَّ إلغاء تلك اللّجنة، ومُحاولة طمس المجزرة الإسرائيليَّة في مُخيَّم جنين.

65) الحلقة المفقودة في سلسلة الحضارات القديمة للجزيرة العربيَة، علي سكيف، 2002

اكتشاف جديد لم يصل إليه أيُّ عالم أو مُستشرق أو مؤرِّخ غربيّاً كان أم شرقيّاً!! الأمر الذي سيُؤدِّي إلى الكَشْف عن حقائق هامَّة جدّاً، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: أ- مَنْ هُو أوَّل مُكتشف للحرف والكتابة العربيَّة؟ وأين؟.. ومتى؟..! وما هُو المصدر الذي استُقيت منه الحُرُوف؟! ب- وثائق إيبلا المكتَشَفَة في سوريَّة تُبيِّنُ أنَّ إسرائيل ليس هُو يعقوب، وأنَّ بني إسرائيل ليسوا هُم أولاده أو مَنْ تكاثروا عنه، وهذا ما تُشير إليه آيات القُرآن الكريم. ج- حقائق أو دلائل تُؤكِّد أنَّ طُوفان نُوح كان نتيجة لحرب كونيَّة استُخدمت فيها أسلحة تدمير شاملة تفوق بقُدرتها التّدميريَّة ما توصَّل إليه العالم اليوم. وأنَّ العالم ربَّما يكون قد عرف الاستنساخ في زمن نُوح عليه السّلام. د- هل كان مُوسى عليه السّلام ساحراً يستطيع أنْ يجعل العصا تنقلب إلى أفعى، ويُفجِّر بها الصُّخُور، فتنبع منها المياه، ويشقّ بها البحر، فتظهر اليابسة، ليمرَّ عليها هُو وأتباعه؟ أم أنَّ الحقيقة مُخالفة لهذه الخُرافات والأساطير؟

66) المرأة في حياة وشعر الجواهري، ديب علي حسن، 2002

في هذا الكتاب خلجات قلب الشّاعر المُحبّ، الشّاعر الذي يرى أنَّ المرأة العربيَّة هي أشرف نساء الدُّنيا، وهُو الشّاعر الذي أعطى المرأة من عقله وقلبه، وآمن بها سيِّدة تنشر شذاها؛ حيثُ تستطيع، مَنْ لا يقرأ الجواهري الشّاعر المُحبَّ، فسوف يبقى بعيداً عن تذوُّق روائعه التي نظنُّ أنَّها من أجمل الشّعر العربي. في هذا الكتاب باقة نضرة من بُستان الجواهري آثرنا أنْ تكون فوَّاحة بعطر مَنْ أحبَّ من بغداد إلى لندُن إلى.. إنَّه الشّاعر الذي لا تغيب الشّمس عن مملكته الشّعريَّة نضالاً وحُبّاً وإيماناً وتفاؤلاً بالقادم.

67) ظاهرة النّصّ القُرآني تاريخ ومُعاصرة ردٌّ على كتاب النّصّ القُرآني أمام إشكاليَّة البنية والقراءة للدُّكتُور طيِّب تيزيني، تأليف:سامر إسلامبولي، 2002

كيف جُمع النّصُّ القُرآني؟! توحيد القراءات والرّسم للنّصّ القُرآني. كيف نشأت القراءات؟ بيان أنَّ اختلاف القراءات لا يُؤثِّر على الأحكام. توثيق النّصّ القُرآني من التّاريخيَّة إلى الواقعيَّة. وهميَّة وُجُود النّاسخ والمنسوخ في القُرآن الكريم وذلك لأنَّه كتاب أُحكمت آياته. الكتاب دراسة علميَّة تحليليَّة تُثبت أنَّ القُرآن الكريم ثابت مُنْذُ نزوله، ولم يتعرَّض إلى الاختراق أبداً. والدَّليل الأقوى على هذا هُو أنَّه بين أيدينا وهُو قابل للدّراسة والتّأكُّد من صحَّة مضمونه على صعيد الآفاق والأنفس، وكيفيَّة إثبات أنَّ مضمونه لا يمكن أنْ يكون خطأ ومُناقضاً لمحلِّ خطابه أبداً؛ لأنَّ النّصَّ الرّبَّاني لا يُمكن أنْ يتناقض مع محلِّ خطابه، ولا بأيِّ شكل من الأشكال.

68) الآحاد. النّسخ. الإجماع (دراسة نقديَّة لمفاهيم أصوليَّة)، سامر إسلامبولي 2002

ما فائدة الخبر الظّنِّيّ؟ ما موقف القُرآن من خبر الآحاد الظّنِّي؟ ما موقف الصّحابة والعُلماء من الخبر الظّنِّي؟ نقاش رسالة الألباني في أنَّ حديث الآحاد حُجَّة بنفسه. ما خُطُورة وُجُود فكرة النّاسخ والمنسوخ في القُرآن؟ هل النّسخ مُمكن للنّصِّ الخاتمي؟ نماذج من الآيات التي قيل إنَّها منسوخة وردُّ ذلك. ما تفسير: (ما ننسخ من آية أو ننسها)؟ (يمحو الله ما يشاء ويثبت)؟ (وإذا بدَّلنا آية مكان آية)؟ (اتَّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربِّكم)؟ إثبات أنَّه لا ناسخ ولا منسوخ في القُرآن ذلك الكتاب الذي أُحكمت آياته... ما هُو الإجماع؟ وما مصدريَّته؟ وما مفهومه كمصدر ربَّاني؟ مُناقشة الإجماع عند الإمام الشّافعي.... نماذج من إجماع الصّحابة وآل البيت وعُلماء الأمَّة.. نقد قاعدة (الأصل في الأفعال التّقيد). ماذا ترتَّب على الادِّعاء بأنَّ الإجماع مصدر شرعي إلهي؟

69) المرأة مفاهيم ينبغي أنْ تُصَحَّحَ، سامر إسلامبولي، 2001

تفسير آيات : غضُّ البصر. حفظ الفُرُوج. إبداء الزّينة. ضرب الخمار. هل حقّاً أنَّ الرّسول الكريم قال : إنّي رأيتُ أكثر أهل النّار من النّساء؟ أنتنَّ ناقصات عقل ودين؟! يقطع الصّلاة الكلب والحمار والمرأة؟! كيف يكون إذنها سكُوتها وهي لم تنطق بحرف؟! السّياسة والنّساء ومنصب الرّئاسة. ما قصة ما أفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة؟! ماذا اشترط الله لتعدُّد الزّوجات؟ وكيف أهمل المُسلمون شرُوط الله تعالى؟!

70) تحرير العقل من النَقل وقراءة نقديّة لمجموعة من أحاديث البُخاري ومُسلم، سامر إسلامبولي، 2001

هل نعتمد العقل أم النّقل؟! ما الفرق بين السُّنّة والحديث؟! ما هي العصمة؟ وهل هناك أئمّة معصومون؟! هل سَحَرَ اليهودُ الرّسولَ الكريمَ؟ هل حقّاً أنَّ الرّسول الكريم نسي آيات، ثُمّ تذكّرها؟! هل حقّاً أنَّ الرّسول الكريم قال : إنّما الشُّؤم في ثلاثة ؛ في الفرس والمرأة والدّار؟! هل صحيحا البُخاري ومُسلم مُقدّسان لايجوز المساس بهما أو نقدهما؟!

71) الألوهيّة والحاكميّة دراسة علميّة من خلال القُرآن الكريم، سامر إسلامبولي، 2000

كيف ندرس مفهومَيْ التّوحيد والإيمان باليوم الآخر؟ما هي الأهميّة الكُبرى لهذَيْن المفهومَيْن اجتماعيّاً وتعبُّديّاً؟ لمَ دَمَجَ المُسلمون ما هُو بشري بما هُو ربّاني في السّياسة؟! مَنْ أعطى الحقَّ لهم بالحُكم بتكفير فلان وتزندق فلان وارتداد فلان؟! ما الألوهيّة؟ ما الرّبّانيّة؟ما الحاكميّة؟ ما حاكميّة الله؟ما حاكميّة الإنسان؟ ما معنى (الرّحمن على العرش استوى)؟

72) العبادات في الأديان السّماويّة (اليهوديّة. المسيحيّة. الإسلام والمصريّة والعراقيّة واليُونانيّة والرُّومانيّة والهندُوسيّة والبوذيّة و الزّرادشتيّة والصابئيّة)، عبد الرَّزّاق رحيم صلاّ ل المُوحي، 2001

هذا الكتاب هامٌّ جداً جداً، لأنّه يسدُّ ثغرة كبيرة في مكتبتنا العربيّة الإسلاميّة، بل والعالميّة. والباحث في دراسته هذه، والمُوثّقة توثيقاً دقيقاً يتناول مفهوم العبادات في الأديان الثّلاثة وفي ديانات مُندثرة مثل ديانة المصريّين القُدماء والعراقيّين القُدماء واليُونانيّين القُدماء والرُّومانيّين القُدماء، وفي ديانات مازال لها مُعتنقون ومُؤيّدون إلى الآن؛ مثل الدّيانة الهندُوسيّة والبُوذيّة والصّينيّة والزّرادشتيّة والصّابئيّة. فكم من النّاس والمُثقّفين يعرف كيف يُصلّي اليهود؟ وكيف يُزكُّون؟ وكيف يتطهّرون. وإلى أين يحجُّون؟ وكيف يصومون؟ وكيف يتوضّؤون؟ وما هي أعيادهم؟ وكذلك الأمر بالنّسبة للمسيحيّين و... هذه الدّراسة دراسة مُقارنة هامّة تُبيّن - وبالنّصوص المُوثّقة من التّوراة والأناجيل والقُرآن الكريم والسُّنّة النّبويّة - ما أصاب بعض الدّيانات السّماويّة من تحريف وابتعاد عمّا نزل أصلاً في كُتُبها السّماويّة، حتّى وصل بعضهم إلى تحليل ما حُرّمَ في كُتُبهم، وتحريم ما أُحِلَّ؟ وتبديل ما ليس يُبدّل، رغم وُجُود دلائل قاطعة في كُتُب تلك العبادات حُرّفَت فيما بعد. ولا شكَّ أنّه - وبعد قراءة الدّراسة - سيتّضح - تماماً - جانب هامٌّ من جوانب تاريخ العبادات المُقارَن في العالم.

73) المرأة اليهوديّة بين فضائح التّوراة وقبضة الحاخامات، ديب علي حسن، 2002

المرأة في التّوراة (إبراهيم وسارة وهاجر، يعقوب وراحيل والزّواج من أختَيْن، يهوذا يزني بكنّته ثامر، أمنون يغتصب أخته ثامار) سالومي ورأس يُوحنّا المعمدان، المرأة اليهوديّة في الحياة الدّينيّة المُعاصرة. المرأة في الجيش الإسرائيلي، حاخامات يهود يُديرون شبكات الدّعارة و المُخدّرات في العالم. كيف حاولت (إسرائيل) تصدير عبادة الشّيطان إلى مصر؟ تفاصيل العمليّة القذرة لاتّهام سفير مصر في (إسرائيل) بمُحاولة اغتصاب راقصة إسرائيليّة. الكتاب دراسة موثُوقة تُبيّن وتفضح وتُعرّي كيف لعب حاخامات يهود بالنّساء اليهوديّات وعن طيب خاطرهنَّ مُنذُ وُجِد اليهود إلى الآن.

74) تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، د. محمد حسين محاسنة، 2001

هُو دراسة لفترة غفل عنها المؤرّخون تماماً، حتّى بدت ضبابيّة، وهي من أهمّ الفترات في تاريخ مدينة دمشق؛ لأنّها كانت في مُعظمها صراعاً مذهبيّاً بين السُّنّة والإسماعيليّة، وهي فترة استجلى فيها المؤلّف الدّكتور مُحمَّد حُسين محاسنة خفايا صراعات كثيرة؛ من الفاطميّين إلى القرامطة، إلى الأتراك والتُّركمان، إلى جماعات الأحداث الدّمشقيّة، وقد تناول الباحث - بداية - جغرافيّة المدينة وخُططها وبداية بنائها ومناخها ومياهها.. ثُمّ انتقل إلى الفتح الفاطمي لها وإلى الأحداث الخطيرة التي رافقت هذا الفتح، ثُمّ تحدّث عن التّنظيمات الإداريّة والماليّة، ثُمّ الحياة الاقتصاديّة، ثُمّ الثّقافيّة.

75) الحياة هي في مكان آخر، ميلان كُونديرا، تر: معن عاقل، 2001

لم تستسلم من قبل لأيّ جسد آخر بهذه الطّريقة، ولم يستسلم أيُّ جسد آخر لها من قَبْلُ بهذه الطّريقة. كان بوسع العاشق أنْ يستمتع ببطنها، إلا أنّه لم يسكنه قطُّ، وبوسعه أنْ يلمس نهدها، إلا أنّه لم يشرب منه قطُّ. آه؛ يا للإرضاع! راحت تُراقب بشغف حركات الفم الخالي من الأسنان الشّبيهة بحركات السّمكة، وتتخيّل أنّ ابنها، وهُو يشرب حليبها، يشرب في الوقت ذاته أفكارها وتصوُّراتها وأحلامها. إنّها حال فردوسيّة.. كانت تسهر بحرص على جشاء ابنها وبوله وبرازه، وليس هذا اعتناء مُمرّضة مُهتمّة بصحّة طفل، إنّما كانت تسهر على نشاطات الجسد الصّغير بشغف.

76) الوصايا المغدورة (التّرجمة الكاملة)، ميلان كُونديرا، تر: معن عاقل، 2000

هذه الدّراسة النّقديّة مكتوبة بشكل رواية على مدى تسعة أجزاء مُستقلّة، تتقدّم الشّخصيّات ذاتها وتتلاقى: سترافينسكي وكافكا وأنسير ميه وبرود، همنغواي مع كاتب سيرته.. وفنُّ الرّواية هُو البطل الرّئيس للكتاب، والذي يبحث الحالات الهامّة في عصرنا: الدّعاوى الأخلاقيّة التي أُقيمت ضدّ فنّ هذا العصر من سيلين إلى ماياكُوفسكي.. الحياء بوصفه مفهوماً جوهريّاً لعصر مُؤسّس على الفرد.. القُوّة الغامضة لإرادة الموت، الوصايا، الوصايا المغدورة. وُلد ميلان كُونديرا في تشيكُوسلُوفاكيا، واستقرّ في فرنسا عام 1975، ويُعَدُّ من أشهر الرّوائيّين في هذا القرن، وكَتَبَ هذا الكتاب باللُّغة الفرنسيّة. وهُو من الرّوائيّين المُثيرين للجَدَل في العالم.

77) المُحاورة، ميلان كُونديرا، تر: معن عاقل، 2000

وضعتْ - بعد ذلك - كفّيها على وركَيْها، وزلقتْهُمَا على امتداد الجذع. رفعتْهُمَا فوق الرّأس، ثُمّ تسلّقتْ يدُها اليُمنى على امتداد ذراعها اليُسرى المرفوعة، ويدها اليُسرى على امتداد ذراعها اليُمنى، وأنهتْ حركة الذّراعَيْن.. أعادتْ - بعد ذلك - يديْها إلى وركَيْها، وزلقتْهُمَا على امتداد السّاقَيْن، رفعت السّاق اليُمنى، ثُمّ السّاق اليُسرى وهي مُنحنية، ثُمّ نظرتْ إلى المُدير، وحرّكتْ الذّراع اليُمنى مُلقيةً إليه بتنُّورتها الوهميّة. مَدّ المُدير يده وأحكم قبضته، وأرسل بيده الأخرى قُبلة. كانت مُتفاخرة بعُريها الوهمي، ولم تعد تنظر إلى أحد، راحت تنظر إلى جسدها المُتموّج، وعيناها نصف مُغمضتَيْن، ورأسها مائل جانباً... تحطّمت - بعد ذلك - وضعيّة الزُّهُو..

78) القصر المسحور (سيّد الباب السّابع)، إيفلين بريزو بيللين، تر: فاطمة عابدين، 2001

هي رواية رائعة من عُيُون الأدب العالمي للفتيان، والرّواية من جهة تُحاول: أنْ تكون خياليّة، ومن جهة أخرى؛ فإنّ ما فيها من إغناءات فكريّة تفتح آفاق فكر الفتيان، وتُدخل القيم التي فيها إلى خيالهم بصُورة سلسة، لتُصبح مُعتقدات تترسّخ في وُجدانهم وعُقُولهم.

79) بين ابن المُقفَّع ولافونتين (مدخل إلى دراسة مُقارنة)، فاطمة عابدين، 2001

الكتاب مُقتطفات من كليلة ودمنة لابن المُقفَّع، ومُقتطفات من أعمال لافونتين الشّعريَّة، شاعر فرنسا العظيم، والهدف من إبراز هذه المُقتطفات هو إثبات أنَّ الأفكار واحدة لدى الإنسانيَّة، وإنْ اختلفت وسائل التّعبير عنها. والكتاب مُوجَّه لليافعين والتّلاميذ والمُدرِّسين.

80) الدّليل إلى ألفيَة ابن مالك في النّحْو والصّرف والإعراب (تبويب وتوضيح).
مُحمَّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، إعداد:باسمة درمش، 2002

اللُّغة العربيَّة دُرٌّ ظاهر ومكنون، وحتّى نُحافظ على هذا الدُّرِّ فإنَّه يتوجَّب علينا أنْ نُحافظ على الصَّدفة التي تحتضن هذا الدُّرَّ وتفرزه؛ أيْ نُحافظ على قواعد اللّغة العربيَّة سليمة مُعافاة من أيِّ خطأ أو لَغْو أو تشويه. وكتاب الدّليل إلى ألفيَّة ابن مالك يحوي قواعد اللُّغة العربيَّة، نَحْوها وصرفها، في ألف بيت وبيتَيْن من الشّعر الموزون، كما يحوي تبويباً مُفصّلاً لكُلِّ قاعدة نَحْويَّة وصرفيَّة لمباحث الألفيَّة التي بلغت الأربعة والسّبعين مبحثاً. الدّليل إلى ألفيَّة ابن مالك: أسلوب شعري يُسَهِّلُ حفظ قواعد لُغتنا العربيَّة؛ استحضار سريع ومُكثَّف لقواعد لُغتنا العربيَّة.

81) قَتلُ المُرتدِّ الجريمة التي حَرَّمها الإسلام، مُحمَّد مُنير إدلبي، 2002

الدِّين هُو تحوُّل في القُلُوب. والدِّين ليس سياسة، ولا يسعى أتباعه إلى تشكيل أحزاب سياسيَّة. كما أنَّ الدِّين ليس وطنيَّة ذات ولاءات محدودة، وليس هُو بلداً ذا حُدُود جَغرافيَّة، بل هُو التّحوُّل الذي يكون لخير رُوح الإنسان وصالحها. إنَّ بيت الدِّين هُو في أعماق القلب. إنَّه فوق حُكْم وسيطرة السّيف. وكما أنَّ السُّيُوف لا تستطيع تحريك الجبال، كذلك فإنَّ القُوَّة لا يُمكنها أنْ تُغيِّر القُلُوب. وفي الوقت الذي كان فيه الاضطهاد باسم الدِّين هُو الموضوع المُتكرِّر في تاريخ العُدوان الإنساني، فإنَّ حُرِّيَّة الاعتقاد والضّمير هُو الموضوع المُتكرِّر في القُرآن الكريم. قال ربُّنا عزَّ وجلَّ: لا إكراه في الدِّين، قد تبيَّن الرّشد من الغي. وقال أيضاً: قُل الحقُّ من ربِّكم، فمَنْ شاء فليُؤمن، ومَنْ شاء فليكفر. (ومَنْ يرتدد منكم عن دينه، فيمت وهُو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدُّنيا والآخرة وأولئك أصحاب النّار هُم فيها خالدون). فهل يصحُّ أنْ نعارض القُرآن الكريم والحديث الصّحيح والعقل الإنساني الواعي، وأنْ تحلَّ هذه الجريمة التي تُعَلَّمُ في المدارس والمعاهد والجامعات؟ !

82) انتبهوا... الدَّجّال يجتاح العالم، مُحمَّد مُنير إدلبي، 2002

دراسة تحليليَّة علميَّة موثُوقة تُثبت بُطلان الزّعم القائل بأنَّ الدَّجَّال إنسان واحد. وتُثبت - في الوقت نفسه - أنْ ما يُسمَّى بالأعور الدجَّال قد ظهر في الأرض وأنَّه يجتاح العالم، ويعيث فيه فساداً !!! ما تفسير الحديث الشّريف: تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون فارس، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون الرُّوم، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون الدَّجّال فيفتحها الله؟

83) أسرع الحاسبين ملامح جديدة للإعجاز العَددي في القُرآن الكريم، عاطف صليبي، 2002

مُرفق مع الكتاب قرص كُمبيُوتر يحتوي على برامج التّراميز وبرامج القسمة. الاكتشاف المُعجز في القرن الواحد والعشرين. فهُو دَرَسَ الحُرُوف المُقطَّعة التي كَشَفَتْ أنَّ القُرآن الكريم مُرمَّز (مُشَفَّر)، ثُمَّ درس كيفيَّة اكتشاف التّراميز القُرآنيَّة الثّلاث (الشّيفرات).

84) المسؤوليّة في القانون الجنائي الاقتصادي دراسة مُقارنة بين القوانين العربيّة والقانون الفرنسي.
محمود داوود يعقوب، 2001

تُعَدُّ المسؤوليَّة الجنائيَّة من الدّعامات الأساسيَّة التي يرتكز عليها مبدأ المُعاقبة حقّاً ومُمارسة، وهي - بالتّالي - السّند الأصلي للقانون الجنائي، بل هي سبب وُجُوده، وهي - أيضاً - المحور الأساسي الذي تدور حوله الفلسفة والسّياسة الجنائيَّة. وهذا الكتاب (المسؤوليَّة في القانون الجنائي الاقتصادي) هُو دراسة مُقارنة بين القوانين العربيَّة في سُوريَّة ومصر مع الاستشهاد المُطوَّل - أحياناً - بالقوانين الجنائيَّة في لُبنان والعراق والكُويت واليمن والأردن والجزائر والسُّودان والمغرب والسُّعُوديَّة والإمارات وقطر والبحرين وليبيا.. وبين القانون الجنائي الفرنسي.

85) إشارات حمراء، رزان المُغربي، 2002

مقطوعات شعريَّة تسمو وترتفع بالنَّفْس البشريَّة إلى سماء العاطفة النّبيلة.

86) الجياد تلتهم البحر، رزان المُغربي، 2002

قَصَصٌ قصيرة تُعبِّر عمَّا يشوب حياة النّاس من تقلُّبات سريعة على مُختلف الصُّعُد الاجتماعيَّة والفكريَّة.

87) لماذا الاغتيالات السّياسيَّة، مازن النقيب، 2004

88) تشنيف السَّمْع في انسكاب الدَّمْع (من جميل تراثنا).
صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَفدي، تحقيق : مُحمَّد عايش، 2004

89) الفرَق والمذاهب المسيحيَّة مُنذُ ظُهُور الإسلام حتّى الآن، مُنير الذّيب، 2004

90) برُوتُوكُولات حُكماء صهيون، (النُّصُوص الكاملة) دراسة تحقيقيَّة تاريخيَّة ومُعاصرة.
رجا عبد الحميد عُرابي، 2004

منذ القرن السابع عشر وحتى القرن العشرين فقد العلم شفافيته، وراح ينأى مبتعداً عن كل همسة روحية أو لمسة شاعرية للكون، والتصق أكثر بأقسى جوانب الطبيعة صلابة، وبأكثر قوى العقل البشري بعداً عن المواهب الحدسية النافذة إلى صميم الأشياء. كان لتلك الرؤية نتائج فلسفية وخيمة على الإنسانية، لأنها جمدت عواطف الإنسان وأغلقت منافذه الروحية بجدر صلبة، فأفقدته طابعه الإنساني الحقيقي، فكان لذلك انعكاسات نفسية سلوكية، نما في إطارها الدافع العدواني المدفوع بميول حب الذات الموجهة باقتصاديات السوق وحب الثراء السريع على حساب القيم الروحية التي بدأت تتراجع مكانتها في نفسية الإنسانية، وحلت محلها قيم الليبرالية، التي تفتقر إلى أي أسلوب أو آليات لمعالجة الانحراف الإنساني وإيقاف قتل الإنسان لأخيه. علم الساي من العلوم الجديدة التي ظهرت حديثاً على الساحة العلمية، والاسم الشائع لهذا الحقل هو الباراسيكولوجي، ويسميه بعضهم السيكوترونيك، والقوة الأساسية التي يفترض أنها تسبب ظواهره تسمى قوة ساي Psi . تظهر قوة ساي بأشكال متعددة، ففي بعض الأحيان تتخذ شكل قوة إدراكية-تخاطر، جلاء بصري (استشفاف)، تنبؤ بالمستقبل- وأحياناً تتخذ شكل التأثير على الأشياء المادية بكل أشكالها. والقوة الإدراكية لـ ساي هي نوع من الاتصال بين الأحياء على شكل تخاطر، أو بين الأحياء والبيئة على شكل استشفاف (جلاء بصري)، وقد يأتي التخاطر والجلاء البصري على شكل تنبؤ بالأحداث قبل وقوعها. يهدف الكتاب إلى إيضاح طبيعة الدليل الذي يقدمه الباراسيكولوجي لإثبات واقعية ظواهر ساي، ويؤكد علمياً وفلسفياً- أن ليس كل المتنبئين موهوبين حقيقة، بل يدخل ضمنهم المشعوذون والدجالون والسحرة، علماً أن السحر لا يدخل في إطار القوى أو الملكات الباراسيكولوجية، ولن الباراسيكولوجي كأي

المختلفة وأعمال السح

التجريبي ....



AL - AWA'EL